وجيه أباظة

١٠ سنوات في الحكم



عبدالله إمام



بسم الله الرحمن الرحيم





وجيه أباظة

١٠ سنوات في الحكم

عبد الله إمام

وجيه أباظة
١٠ سنوات فى الحكم

الطبعة الأولى : يناير ٩٥
رقم الإيداع : ١٩٩٦ / ٩٥
الترقيم الدولى : 8 - 8348 - 00 - 977
الإشراف الفنى : محمد الصباغ
أشرف على الانتاج : إيهاب إمام
صورة الغلاف : فؤاد برهام
خطوط الغلاف : لمعى فهيم
المراجعة اللغوية : سيد عبد الله
المونتاج : جودة عبد الصادق

أحكى هذه القصة وأطلب ممن يريد أن ينظم مستشفى أن يذهب لزيارة مستشفى طلبة جامعة القاهرة .

وذهب وجيه أباظة وبدأ العمل فاختار طبيباً كفئاً متفرغاً ومعه نخبة من الأطباء وأرسلهم بعثة إلى الخارج للإطلاع على إدارة المستشفيات وأشرف معهم على تجهيزها وإعدادها وخطة العمل بها - أجهزة ... وأثاث ... ومعدات ... ونظام عمل وأدوية ... وأدوات ترفية ... وقاعات لراحة المرضى ... وللزوار ... وبوفيهات لخدمتهم وأسانسيرات بها تليفون ... جعل المستشفى مكتفياً اكتفاء ذاتيا فى كل شيء ... ولم يترك للمتعهدين أو الزيارات أو المناقصات فرصة . . ولقد زرته ... وكان بحق أفضل من أى مستشفى رأيته قبل ذلك ... أفضل بما لا يقاس من جميع الوجوه، مع أن ميزانيته المرصودة مثله ... مثل جميع المستشفيات الأخرى .

كان بحق نموذجاً للإدارة وبعد النظر والإخلاص وفى العمل وتحطيم الروتين والإنطلاق بلا حدود .

هكذا كان وجيه فى كل ما أسند إليه من عمل ... قام به ...

كانت نظرية الإدارة المحلية التخلص من ربقة الجمود الإدارى فى المركز البعيد عن أرض الواقع ... وبث الثقة فى المرءوسين وتوزيع الاختصاصات والسلطات والمسئوليات ، وإزكاء روح حرية التصرف (بلا فوضى) وتعبئة الجماهير للعمل لصالحها وخدمتها .

وكانت المدخل لديمقراطية الإدارة والطريق المأمول إلى اشتراك الجماهير فى حكم وإدارة أنفسهم بما يحقق الخير لأنفسهم ... بمعاونة أجهزة تكون فى خدمتهم ولا تتعالى عليهم أو تتحكم فيهم أو تخدم نفسها قبل أن تخدم أبناء الشعب الذين جاءت لخدمتهم .

وكما اصطدم وجيه بالجمود والتعالى من كبار الموظفين الذين ورثوا أسلافهم من المستعمرين الإنجليز فى إدارة البلاد .

كنت أعانى منهم، بل ومن بعض الوزراء الذين يحاولون تجميع السلطة فى أيديهم وعدم إتاحة الفرصة لأحد أن يتصرف .

وبذلك يُشَل العمل بل يجمد. ولا يدركون أن الأعمال العظيمة لا يمكن أن يقوم بها فرد واحد مهما أوتى من قوة، ولكنها تزدهر وتنمو حينما يقوم بها أكبر عدد من الناس فى تفاهم ومحبة وإقدام .



تقديم بقلم:

كمال الدين حسين

عضو مجلس قيادة الثورة
نائب رئيس الجمهورية
رئيس الوزراء
وزير الإدارة المحلية الأسبق

مسيرة عظيمة لرجل عظيم

مسيرة وجيه أباظة.. مسيرة عظيمة لرجل عظيم.

إذا أردنا أن نقيس بمقياس الشجاعة فهو رجل شجاع شجاعة أدبيه لا تعرف الرياء أو النفاق أو الكذب، ولكن تعرف الحق وتتمسك به.

وشجاعه عملية، إذا اقتضى الأمر أن يخوض الخطر فى سبيل المبدأ... فى سبيل الوطن فإنه يقتحم هذا الخطر بقلب ثابت ونفس مطمئنة.. ولقد شارك وقاد أعمالا فدائية فى القتال ضد الإنجليز قبل الثورة وبعد الثورة.

وإذا قيست سيرته بمقياس الثورية، فقد كان رجلا ثوريا، متمرداً على كل أنواع الظلم والطغيان والجور.. والفسق.. الخداع.. الاستغلال... الفساد.. فكان من طلائع ثورة ٢٣ يوليو، أدى واجبه فى هذه ـ الليلة وفيما بعدها ـ تمام الأداء وعلى أكمل وجه.

كنت أستصدر القوانين التى تتيح حرية العمل والتصرف والانطلاق للأجهزة . . ولكنى كنت أفاجأ بعد كل صدور لقانون ميزانية الدولة بفقرة يضعها وزير الخزانة تقول « هذا القانون واجب التطبيق وتلغى جميع القرارات والقوانين المخالفة له» . . . وأبدأ من أول وجديد لأجاهد فى استصدار قوانين أخرى تيسر الانطلاق، وفى الميزانية الجديدة كان يتم نفس الشىء ... محاولات لا آخر لها، مضيعة للوقت والجهد... وتحطيم لروح التقدم . .

كانت نظرتهم أن جميع الناس مشكوك فيهم... وكانت نظرتى أن جميع الناس موثوق فيهم، إلى أن يثبت العكس، وكان الثواب من ناحية... ولفت النظر ثم العقاب لمن يثبت أنه غير جدير بالثقة .

بذلت وبذل وجيه كل ما يمكن من جهد فى سبيل تحطيم الجمود ونشر الثقة، وبالتالى الحماس والشجاعة وتحمل المسئولية .

كنا نمشى على الشوك... ولكن مما لاشك فيه أننا قطعنا شوطاً ، لو قدر له أن يستمر لكان الحال غير الحال . . .

الكثير... الكثير يمكن أن يدون، ويذكر، فى هذا المجال مما لا يتسع له نطاق هذه النبذة المختصرة .

وختاماً فقد كان وجيه أباظة نموذجاً نادرا للكفاءة والإخلاص والذكاء والابتكار والشجاعة والجد والمثابرة ... نموذجاً رائداً لقيادة الرجال .

وكان يمكن أن يتولى أى منصب قيادى فى الدولة ... وكان لابد أن ينجح فيه بإذن الله ما دامت كل هذه الصفات فيه .

رحم الله وجيه أباظة . . .

وجزاه الله خير الجزاء لما قدمه... لوطنه... ومواطنيه

كمال الدين حسين





عبد الله إمـام

تعلمـــوا منـــه
الثـورة . . والحـــب

هذا كتاب عن ثورة يوليو . .

فـوجيـه أباظـة واحـد من أبناء الثورة...

وواحد من رجالها...

وواحد من قادتها...

وعندمـا ذهب إلى مـحـافظة البـحيرة كـأول محـافظ لها بـعد قانون الإدارة المحـلية كان يـحمل نبـض الثـــورة . . وفكـرها . . وضميرها!

ولم تكن البحيرة قد رأت الثورة ـ التى تغير المجتمع ـ وتفجر طاقات الناس، وتدفعهم للعمل بإيمان وإخلاص . . شحذاً لجهودهم... وحشداً لطاقاتهم . . من أجل بناء مجتمعهم!

وهكذا عرفت البحيرة الثورة:

حاكم . . لا يحتاج الناس الذهاب إليه . . لأنه معهم... فى الشارع كل يوم . .

حاكم . . يقود بنفسه سيارته الصغيرة بلا حراس، ولا حجاب، ولا موظفين، يدخل مطعم الفول يتناول إفطاره ويجلس على المقهى بين الناس، ويلمح فلاحاً وحيداً فيستظل معه بشجرة، ويحاوره فى قضاياه، وفى قضايا وطنه، وسيدة عجوز داخت حتى تجد من يكتب لها مظلمة، فإذا بها تلتقى بالمحافظ، ولا يحتاج الأمر إلى أوراق لكى يصدر قراره بحل مشاكلها! وأطفال مشردين ومتسربين من التعليم يملأون الحوارى والازقة والطرقات، يجمعهم كلهم، ويقرر أن يعلمهم حرفا مختلفة . . ثم يتعهدهم بعد التعليم «بالعدد» . . والآلات حتى يكون هناك جيل من الفنيين المهرة بدلاً من الانحراف . . والتشرد . . وحتى الذين تسللوا من التدريب المهنى لمح فى بعضهم لمسه فنية . . فكانوا أبناء فرقة للفنون الشعبية طافت مصر، وبهرت العالم، وكانت رائدة... !

□ □ □

هناك فى البحيرة يشيرون ـ بأيديهم ـ إلى مشروعات بعينها . .

هذا النادى . . هذا المستشفى . . هذا الاستاد . . هذا الفندق . . هذه المدينة الجديدة . . هذا الشارع الجديد . . أرض المشتل . . مبنى المحافظة . . و . . و . . مشروعات عديدة أقامها وجيه أباظة وظلت باقية . . ولكنها ليست أروع إنجازاته، ولا أكثر عطاياه لمحافظة البحيرة . . أهم من هذا وذاك . . وأخلد من تلك المشروعات أنه بعث الثورة فى إنسان البحيرة وأعاد إليه قيمته، وأنه قادر على العطاء، وأنه هو وحده المسئول عن تنمية بلده والنهوض بها . . فكل هذه

المشروعات، كانت الجهود الشعبية فيها بارزة. وكانت الحلول الذاتية واضحة.. وبيده، مع أيدى الناس بدأوا المشروعات كلها.. وبفكره مع فكر الناس.. خطط لغد المحافظة كلها..

□ □ □

إذا أردنا أن نلّخص تجربة الثورة فى محافظة البحيرة ونختزلها فى كلمات.. نقول: إنه جهد الشاب.. بقيادة أحد الثوار... لقد كان إيمان وجيه أباظة بالشباب بلا حدود... !

فاستعان بالشباب فى كل مواقع المسئولية.

وكان الشباب من حوله فى كل المشروعات، ووضع عينيه على قيادات شبابية تستطيع أن تواصل العمل، وتتحمل مسئوليته، وأعطاهم كل الثقة، ومنحهم كل الصلاحيات.. تخطيا للروتين واللوائح والاجراءات، محطّماً كل القواعد البيروقراطية ...

ويوم كان مغادرا للمحافظة سحب من على مكتبه ورقة كتب فيها كلمات موجهة إلى من يهمه الأمر، يقول فيها: إنه وحده المسئول عن كل التصرفات والإجراءات والقرارات التى قام بها جميع موظفيه فقد كانت بأوامر منه.. ووحده يتحمل المسئولية.

أراد أن يحمى العاملين معه من غول الروتين..

وعندما جاء إلى الغربية حمل معه تيار الثورة وعَلّمها.. وقبل أن يغادرها، كتب نفس الإقرار، والتعهد على نفسه.. بأنه وحده المسئول.. وجاء إلى القاهرة محافظا.. وعندما ترك المسئولية فى ظروف صعبة مستحيلة كتب على نفسه الأقرار ذاته.. وهو يعلم أن هناك سلطة تتربص به..

هذا هو تصرف الرجل.. حتى فى أشد الظروف قسوة: وهو فى السجن..

ويدور البحث عن اتهامات توجه إليه.. يحمّل نفسه.. بنفسه مسئولية كل إجراء اتخذ فى المحافظة إذا كان مخالفا للوائح..

□ □ □

هذا الشباب الذى اكتشفه وجيه أباظة بخبرته، ونظرته الثاقبة.. هو الذى تحمل المسئولية.. وهو الآن فى أرفع المناصب سياسيا، وتنفيذيا... وكلهم يفخرون أنهم بدأوا بوجيه أباظة..

وأن الذى اكتشفهم... هو... وجيه أباظة

والذى منحهم الفرصة... هو... وجيه أباظة

والذى أتاح لهم العمل... هو... وجيه أباظة

وأنه لولا إيمانه بالشباب وبعطائه لما تغيّرت مسيرة حياتهم..

□ □ □

خرج وجيه أباظة من عاصمة محافظة البحيرة ... دمنهور إلى مدن المحافظة وقراها... فى مدن المحافظة كلها بنيت مرافق عديدة أقيمت لأول مرة.

انتشرت فى المحافظة كلها المدارس والوحدات الصحية، للإنسان وللحيوان، ومرافق الخدمات المختلفة... أبداً لم تكن فى خطة الدولة.. فالميزانية المخصصة لوحدة صحية أقيمت بها وحدتان.. والباقى دفعه الناس عن حب ورغبة فى الاسهام فى العمل الجاد لمحافظتهم.. والمحافظات التى لم تنفذ ما خطط لها... قبل أن تعيد الميزانية للدولة، كانت محافظة بحيرة وجيه أباظة تفتح يديها لتتلقى الميزانية لأنها انجزت فوق ما عهد إليها.. وتحتاج المزيد..

□ □ □

معركة واحدة ثورية يمكن أن تسهم فى رصد صورة محافظ البحيرة الثائر.. وتجيب عن سؤال ربما يطرحه البعض، ولا يعرفون له إجابة.. وهو: لماذا كل هذا الحب لوجيه أباظة؟!.

عندما احترقت قرية . . قرية، عادية فقيرة . . من قرى الإصلاح الزراعى

ذهب وجيه أباظة منذ بداية الحريق . . ومعه كل أدوات الإطفاء، والإغاثة، والعمل، وكل فريق المسئولين فى المحافظة، وعندما أطفىء الحريق، كانت وفى نفس الليلة قد بدأت عملية بناء قرية جديدة لتحل مكانها . . وخلال ٢١ يوما بالضبط كان الفلاحون ينتقلون من خيام الإيواء إلى مساكن نظيفة . .

وكانت قرية «الأبعدية» قد تحولت من قرية فقيرة . . إلى قرية نموذجية . . بها المدرسة ... والمستشفى ... وصالة المناسبات ... ومكتب البريد . .

وكان الفلاح يمتلك بيتا يضىء بالكهرباء وتدخله المياه . .

وكان إصرار الناس غريبا حتى اليوم أن يطلقوا اسم وجيه أباظة على القرية ... ولكنه رفضه فى حياته .

□ □ □

ما أكثر المحطات التى يمكن أن نقف عندها عندما نتحدث عن تجربة وجيه أباظة فى الإدارة المحلية . . وكل المحطات تقول: إنه نجح بالحب . .

وكل الناس يقولون: إنه كان يحبهم . . وإنهم كانوا يحبونه ...

فهو لم يعرف الكراهية أبدا . .

أحب كل الناس . . وأحب كل الأعمال التى تولاها . .

بدأ حياته فى العمل الفدائى ... لأنه يحب بلده . .

وشارك فى الثورة ... لأنه يحب الحياة الكريمة الحرة المستقلة للملايين .

ونجح فى الحكم المحلى ... لأنه أيضا أحب الناس ...

وأحب التجربة . .

المحطة الأولى . . والأخيرة فى حياته هى الحب . . ومن هذا الحب نقف عند بعض الظواهر النادرة والتى انفرد بها وجيه أباظة وتظل علامة مميزة عليه

□ □ □

أول هذه الظواهر:

لم يحدث من قبل.. وفى يقينى أنه لن يحدث من بعد... أن تهب محافظة بأكملها فزعة ملتاعة... لأن قراراً صدر بنقل محافظها إلى محافظة أخرى.. ففى كل المحافظات - ومن خلال تجربتنا - تتطلع الجماهير إلى يوم صدور قرار بتغيير المحافظ.. نقلا أو استغناء.. فقرار النقل يمثل خلاصا، وتطلعا إلى حاكم جديد.. لعل الله يجرى على يديه عملا يخفف عن الناس معاناتهم مع الخدمات.. ومع الإنتاج.. ومع بيروقراطية الموظفين، وفسادهم، ومضايقاتهم، ويأتى محافظ جديد.. ليسير فى نفس الطريق...!

وحده.. اختلف وجيه أباظة... ووحده كانت لتجربته طعم مختلف.. وشكل آخر.. ليس له مثيل.. صدر قرار من جمال عبد الناصر بنقل وجيه أباظة محافظا لأسوان..

كانت الأنظار كلها تتطلع إلى أسوان... سد مصر العالى..

وكانت معركة البناء هناك جادة، وضارية وشاقة.. ولابد من محافظ قوى يواكب هذا البناء، ويمتد بروح الثورة وعنفوانها من حيث السد العالى على بعد كيلوات محدودة من المدينة.. إلى أسوان والقرى المحيطة بها.. ولم يكن قادرا على ذلك سوى وجيه أباظة بالذات..

وصدر قرار قائد الثورة بندب واحد من ضباط الثورة الأحرار إلى موقع العمل الثورى فى أسوان...!

وفزعت محافظة البحيرة لهذا القرار..

وهرول الناس إلى الشوارع يحملون... رفضهم الصاخب..

وقالوا لجمال عبد الناصر: لا.. لن نتنازل عن وجيه أباظة..

نريده لنكمل به ومعه مشوارنا الثورى الذى بدأناه فى بناء كل المحافظة..

ونام الناس فى الشوارع..

خرج الرجال . .

وخرجت النساء . .

وتمرد الطلاب . .

وكانت مظاهرة رفض . . وحب . .

رفض . . لقرار عبد الناصر ...

وحب ... لوجيه أباظة

ولأول مرة . . ولعلها آخر مرة أيضا يلغى قرار جمهورى بنقل محافظ يوم صدوره . .

ويبقى وجيه أباظة بقرار من عبد الناصر محافظا للبحيرة . .

ولا يصدّق الناس . . ولا يفضّون تظاهرة الحب . . إلا وهم يشاهدون محافظهم بينهم يؤدى صلاة الجمعة فى المسجد الذى اعتادوا أن يصلوا معه فيه يوم الجمعة من كل أسبوع .

والناس الذين نقول دائما إنهم ضد الحاكم وإن عدل . . كانوا بالإجماع مع وجيه أباظة . . لأنه عدل . .

وغيّر رئيس الجمهورية . . وهو جمال عبد الناصر قراره ورأيه . . وبقى وجيه أباظة محافظا للبحيرة . . لتكون أطول فترة يقضيها محافظ . . فى أية محافظة . .

□ □ □

ثانى هذه الظواهر :

هم فى البحيرة اليوم يؤرخون بوجيه أباظة . . ماذا كانت دمنهور قبل وجيه أباظة ؟ . . ماذا كانت مدن البحيرة ، وقراها ، قبل وجيه أباظة . . وماذا كانت وكيف استمرت من بعده ... ؟ !

فعلى إمتداد أكثر من ربع قرن منذ ترك البحيرة لم يحدث فيها تطوير . . ولا

إنجاز... توقفت المشـروعات.. وعقمت الأفكار الحية.. ولم يبق إلا تجـميل ما هو قائم، وتحسينه فى أحسن الأحوال..

لذلك فإن الرجل العادى فى البحيرة لم يعرف من المحافظين إلا وجيه أباظة، ولم ير من وجه الثورة الناصع إلا ما تحقق فى زمن وجيه أباظة

□ □ □

وظاهرة ثالثة:

أثبت الشعب المصرى أنه وفىّ.. وشديد الوفاء..

فلم يحدث من قبل أو بعـد - أيضا - أن محافظة بأكملهـا يسارع أبناؤها فور رحيل وجـيه أباظة حـزانى.. باكين يريدون أن يعبـروا عن مشـاعر الأسى التى يعيشونها بإقامة حفل لتـأبين لوجيه أباظة بعد أن رحل عن المحافظة بأكثر من ربع قرن..

وبعد أن ترك كل المناصب والمسئوليات بسنوات..

بل وبعد أن ترك الدنيا كلها...

يتسابق أبناء إحدى المحافظات لتكريم رجل كان ذات يوم محافظاً لأقليمهم... وهو ليس من أبناء البحيرة ولامن سكانها..

ويقام حفل التأبين.. ويخفى المختصّون - عن الحفل - زمانه ومكانه، لأنهم لن يستـطيعـوا أن يواجـهوا ضـغط الجـماهيـر الهادرة التـى تتطلع إلى الإسهـام والمشاركة فى هذا الحفل..

وعندما تسلـل النبأ قبل سـاعة واحدة من بدء الاحـتفـال تجمع الناس.. لا يدفعهم سوى الحب الذى تعلموه منه، والوفاء له.. ليقفوا على أقدامهم ساعات يشاركون فى تكريم الرجل الذى رحل... بعد أن ترك صروحاً من العمل الثورى من أجل النـاس.. فى كل مـدينة.. وقـريـة... وشـارع.. وحـارة.. من المحافظة.

ويتجمع الشباب، ويرون أن ما حدث ليس كافياً . .

وأنه لا يكفى وجيـه أباظة الذى عاشوا منجزاته ولم يـعيشوا عصـره - حفل تأبين فى مناسبة... وينتهى الأمر . .

وتتكون جمعية لأصدقاء وجيه أباظة فى محافظة البحيرة.

ومهمـة هذه الجمعية ـ إلـى جانب تخليد ذكراه ـ المحافظة عـلى كل ما قام به وجيه أباظة، الاهتمـام بالإنجاز ، وحمايته من الإهمال، واسـتلهام فكرة الثورى الذى حشد الشبـاب، لإقامة مشروعات بالجهـود الذاتية لمواصلة العمل من أجل دمنهور، كما فـعل وجيه أباظة من قبل مع زملاء لهم كانـوا شباباً، واستطاع أن يضع عينيه على بعضهم، وتعهدهم بالرعاية حتى نبغوا . . وبعضهم إحتل مواقع مؤثرة فى المجال السـياسى أو التنفيذى . . فى العمل الحزبى أو الوظيفى

وكلهم يذكرون الفضل لصـاحبه . . للرجل الذى تميزّ بنظرة ثاقبـة فى اختيار معـاونيه، وتبنـيهم ودفعـهم إلى الأمام، والوقـوف جانبـهم . . وخلفهـم حتى وصلوا وحققوا ذواتهم.

□ □ □

أبداً لم يكن وجيه أباظة رجلاً عادياً . .

فالمحافظ الذى يقضى نهاره فى الشارع بين الناس . . قبل أنه يذهب لمكتبه . . وفى برنامجـه ـ بعد المكتب ـ كل مساء الاجـتماع بجميـع المسئولين معه فـى بيته يتناول معهم العشـاء . . ثم يسهر مع الشباب يناقشهم فى العـمل السياسى، وما قاموا به، والمشـاكل التى تعترضهم . . ويذيب الجليـد بينهم وبينه . . ليس فقط كمسئول . . ولكن كوالد . . ليتحول إلى صديق حميم.

مثل هذا الرجل... ليس عادياً أبداً . .

ولم يحتجْ أى مواطن فـى محافظة يديرها وجيه أباظة أن يـذهب إلى مكتبه،

لأنه حتماً سـوف يلتقى به فى الشارع، يقود سيارته، أو يتجـول على قدميه بين الناس..

وفى كل المشروعات كان العـمال يجدون المحافظ معهم.. مشـابراً على متابعة العمل.. يبدأ يومه بلقائهم.. وينهى يومه بالوقوف على ما حققوه..

من أين لوجيـه أباظة هذه الطاقة؟؟.. وكل هذا الحـماس؟؟.. إلا أن يكون صاحب قضية مؤمناً بها أشد الإيمان...

□ □ □

قبل أن يتوقف العمل الذى كان يحتـاج إلى نصيب مصر كلها من الحديد.. رأى وجيه أباظة أن الحديد الوارد من الخارج لكل البلاد لابد أن يمر عبر محافظة البحيرة..

بالطريق الزراعى سيمر.. عبر دمنهور..

بالطريق الصحراى سـيمر.. من أمام وادى النطرون أو مـديرية التحرير وهى تابعة للبحيرة..

حتى بالنهر سيمر... من المحافظة أيضاً..

وأوقف كل السـيارات القـادمة من الميناء. تحـمل الحديد.. واسـتولى علـيه عنوة...

وكان هناك موظف يكتب شيكات بثمن الحديد..

وكانت هناك مكافآت أيضاً لسائقى السيارات والعاملين عليها..

وعندما حقق الاكتـفاء لكل مشروعات المحافظة.. سـمح للسيارات أن تحمل الحديد المستورد إلى حيث تريد..

وقامت الدنيا.. ولم تقعد..

وقالوا: إنه قاطع طرق..

وقال: ولو.. فلن تتوقف المشروعات التى بدأتها أبداً تحت أى ظرف..

ولم يكن يستطيع أن يفعل ذلك... سوى وجيه أباظة.. لأنه ثائر، ولأنه رجل غير عادى..

وحققت محافظة البحيرة أربعة أضعاف ما كان مطلوباً أن تحققه من خطة التنمية..

لقد نشر الخدمات فى كل المحافظة.

ونشر المرافق فى كل القرى والمدن..

□ □ □

كانت تجربة وجيه أباظة فى الإدارة المحلية بارزة، واضحة، ومتميزة.. وكان الجميع يتكلمون حولها.. ويتحدثون عنها..

وكان المحافظون الذين عينوا معه... لأول مرة أيضاً... أكثر انبهاراً من المواطن العادى..

وقام المحافظون كلهم برحلات إلى محافظة البحيرة النموذج، يسألون كيف أمكن.. وكيف تحقق... وبأى أموال.؟

ولم يقفوا على الإجابة السليمة..

لقد تحقق كل شئ بالثورة.. وبالحب..

□ □ □

اجتمعنا كل أسرة تحرير مجلة روزاليوسف.. كل أسرة التحرير.. وكنا نناقش تجربة الإدارة المحلية..

وتحدث أغلب المحررين عما يحدث فى البحيرة..

وقال واحد: منا إن مستشفى دمنهور المركزى الجديد أفخم مستشفى فى مصر.. أفخم أيضاً من مستشفى المعادى الجديد.

وقال آخر: وفرقة الفنون الشعبية فى دمنهور . . ألمع الفرق فى مصر . . ألمع أيضاً حتى من الفرقة القومية التى وضعت الدولة فيها كل إمكانياتها . .

وقال ثالث: قرية «سحالى» أهم قرية فى مصر . . أنها أيضاً أهم من كل القرى النموذجية التى وفرت لها الدولة الملايين . . وقال رابع . . وقال خامس . .

والبعض منا تصور أنها مبالغات صحفية اعتدنا عليها أحياناً، وتقرر أن نذهب جميعاً . . كل أسرة التحرير لنعيش يوما... وبعض يوم... فى رحاب هذه التجربة . .

وحملنا . . كلنا . . أتوبيس واحد . .

وكان كل ما سمعناه بعضا من الذى رأيناه بأنفسنا ،كنا نسير مع المحافظ فى الطرقات والشوارع الضيقة، فلا يهاجمه أحد، ولا يضايقنا بإلحاحاته طلاب الحاجة . . لأنهم اعتادوا أن يروا الرجل بينهم كل يوم . .

وعندما ذهبنا لننام . . وجدنا فندقا نظيفا، مستعداً لاستقبالنا . . وقالوا لنا فى الفندق : إنهم كانوا يستقبلون فى الأسبوع السابق مؤتمراً علمياً عالمياً يعقد فى مصر . . اختار دمنهور مقراً لانعقاده . .

قال لنا مدير الفندق: لقد قررنا أن نجعل من دمنهور مدينة للمؤتمرات الدولية . . ونحن نحصل على الخبرة من كل المؤتمرات التى عقدت، حتى نكون مستعدين تماماً . .

لقد وضعت دمنهور على خريطة السياحة الدولية، قبل أن تنشأ «موضة الحديث» عن سياحة المؤتمرات بأكثر من ثلاثين عاماً.

□ □ □

كان وجيه أباظة قادراً على الحلم . .

وعاملاً على تحقيق الحلم . . وكان إنساناً . . وجه اهتمامه نحو الإنسان البسيط . . عاملاً، وفلاحاً، وموظفاً، وطالباً... !

لم يرفض طلباً أبداً ما دام فى صالح الناس.. ولخيرهم..

ولقد حلم وجيه أباظة بمجتمع... ليس فيه أميون..

واستطاع أن يحقق حلمه .. أيضاً عن طريق الجهود الذاتية، ودون أن تكون فى الدولة خطة لمحو الأمية..

فتح كل المساجد بعد صلاة المغرب .. لتكون فصولاً لمحو أمية الرجال والنساء...

وكل علماء المساجد هم المدرسون براتب شهرى...

وفى الإتجاه الآخر كان يجمع الأطفال الصغار ليعلمهم القراءة والكتابة، والمهن المختلفة..

وفى الغربية حلم بأن يكون مولد أحمد السيد البدوى سوقاً كبيرة ..

فامتد بزمن المولد إلى شهر كامل..

وحوله إلى مهرجان ثقافى .. معرض للكتاب.. فرق مصر المسرحية كلها .. معرض تجارى... وصناعى... وزراعى تشترك فيه كل شركات مصر..

وامتد به الحلم إلى أبعد من ذلك عندما قرأ لأحد المتصوفين أن تمام الحج لا يكون إلا بزيارة السيد أحمد البدوى.. وقرر أن يستفيد من هذه الفتوى لصالح طنطا .. ولصالح أبناء الغربية.. وأن ينشر وعياً، بأن زيارة السيد أحمد البدوى ضرورية، ولازمة لكل حاج..

يومها كانت طنطا سوف تستقبل الملايين من الوافدين من داخل البلاد وخارجها..

وقبل أن يبدأ طريقه لتحقيق هذا الحلم..

كان قد تقرر أن يكون محافظاً للعاصمة..

□ □ □

بعد ثمان سنوات نقل وجيه أباظة من محافظة البحيرة إلى محافظة الغربية . . وكانت له مهمة محددة . .

هى أن يعاون فى بناء التنظيم السياسى فى الغربية . .

ولكنه بدأ . . وهو يعمل من الشارع يرصد، ويخطط، لمشروعات أخرى . .

استطاع خلال عام وبعض عام، أن يقيم بعضها . . وأن يضع حجر الأساس للبعض الآخر . .

وهم فى الغربية أيضا مازالوا يذكرون تلك الفترة الناصعة بأبرز المنجزات فى طنطا، ومدن المحافظة، وقراها حتى الآن.

لقد حمل أفكاره الثورية، والمتطورة، إلى الغربية التى شهدت مشروعات جديدة هى بعضاً من نبض المحافظ الثائر.

□ □ □

بعد عامين كاملين بالضبط أمضاهما فى محافظة الغربية .

جاء وجيه أباظة محافظا للعاصمة . . كان يعَد بتجربته الثورية الضخمة التى نشرها فى عدد من المحافظات ـ ليحتل كل المسئولية عن الإدارة المحلية فى مصر كلها . .

وحمل مشروعاته الثورية أيضاً... إلى القاهرة.

وكان همه - كما فى الغربية - الإسهام فى بناء تنظيم سياسى قوى وفعال... يتعهد البناء... ويحافظ عليه.

□ □ □

ورحل قائد الثورة . . جمال عبد الناصر . .

وبكاه... وجيه أباظة . .

وكان واضحاً أن وجيه أباظة لن يستمر فى عمله.

فهناك خلفيات كثيرة تجعل استمراره مستحيلاً . .

ولكنه لم يكن متوقعاً أبداً أن تكون خاتمة عمله الشورى هى أن يحاكم . . وأن يسجن . . .

□ □ □

إن تجربة وجيه أباظة فى الإدارة المحلية تجيب عن سؤال يتردد دائماً فى هذه الأيام، حول سلبية المواطن المصرى . . وعدم إسهامه فى قضايا بلاده، ورفضه التفاعل مع أحداث أمته، وصمته إزاء ما يدور . . وكأنه قد أصيب بمرض عدم المبالاة . .

وهكذا كان الناس فى البحيرة قبل وجيه أباظة . .

ولكنهم عندما رأوا عملاً جاداً، ودعوة مخلصة للإسهام فى حل مشاكلهم، ووجدوا من يسمع رأيهم، ومن يستشيرهم، ومن يجلس معهم، ومن يتبنى قضاياهم، تفاعلوا معه . . وقدموا ما هو أكثر من الحماس . . قدموا الجهد . . والمال . .

قدموا كل وقتهم للعمل بحب . . ورضا وقناعة . . . إحساساً بأنهم يسهمون فى عمل نافع يعود عليهم . . يدهم بيد أكبر مسئول . . ومعه كل الجهاز التنفيذى الذى علّمه المحافظ أنه خادم للجماهير . . وليس متسلطاً عليها . .

□ □ □

كل الذين عرفوه حاولوا أقناعه بتسجيل تجربته، وكتابة مذكراته، وذكرياته عن العمل الوطنى منذ عاصر فجر التنظيمات السياسية داخل القوات المسلحة، فأسس مع صديقه عبد اللطيف البغدادى أول تنظيم وطنى داخل الجيش لمواجهة الاستعمار البريطانى . .

ثم . . إذا به يحمل سلاحه، ويذهب إلى منطقة القناة قائداً عسكريا للفدائيين . . فى معاركهم ضد القوات البريطانية المحتلة.

ثم . . إذا به بعـد ذلك عـضو فى تنظيـم الضبـاط الأحـرار الذى قام بثـورة يوليو...

وكاد يصبح رسمياً واحـداً من قادتها، لولا التوازن بين الأسلحة، وأنكر ذاته ليفسح الطريق لزملاء له من سلاح الطيران أن يجلسوا فى موقع القيادة.

ويتولى هو إعلام الثـورة، ويعرّف الناس برجال الثورة، وقادتهـا، وأهدافها، من خلال وسائل مبتكرة... يبتدعها فكره الخلّاق .

ويواصل عطاءه فى مـواقع عـديدة حـتى ترسـو السفـينة على شـاطئ تجـربة جديدة... هى الإدارة المحلية فى فجـرها فيتحمل أعباءها فى صـبر... وصمود، وينهض بها...

□ □ □

كثيرون هم الذين ألحوا على وجيه أباظة أن يتكلم أو يكتب . .

ولكنه رفض... وعزف عن الكلام... وآثر الصمت. .

وكان من رأيه . . أن التـاريخ سوف يأتى ذات يوم قريب ... أو بعيـد ويقول كل شئ.

وأن الباحثين الأمـناء والشرفاء- وما أكثرهم فى بلادنا - سـوف يقومون بهذه المهمـة عندما تهـدأ الضجـة، ويتبيـن الحق من الزيف... الذى ملأ حـياتنا ذات يوم... حول ثورة يوليو التى آمن بهـا، وعمل من أجلها منذ كان ضابطاً صـغيراً حتى آخر يوم فى حياته . .

وظل الإلحاح عليه وكان مستمراً، وفى دأب شديد، بأن مسئوليته إزاء الأجيال المقبلة أن يقول كلمته... ويدع المؤرخين الشرفاء يحكمون... ذات يوم . .

ويبدو أنه أصابه ضـعف إزاء هذا الإلحاح، وكان فى ظروف نفسـية، ومعنوية بالغة الصعوبة . .

□ □ □

كان وجيه أباظة قد بدأ محـاولة لكتابة تجربته فى الإدارة المحلية فى ظل محنة قاسية...

فقد كان فى السجن محكوماً علـيه فى قضية مايو ١٩٧١.. بحكم صدر من المحكمة الخاصة التى شكلها السادات برئاسة حافظ بدوى..

وكانت الأحداث التى مـر بها فى الإدارة المحلية مازالت حية نابضـة فأخذ فى تسجيلها..

ولكنه لم يكلمها..

ولم يضع بين أيدينا المعالم الكاملة للتجربة..

فقد ترك أحداثاً لم تكتمل ، ومشروعات لم يتحدث عنها..

فقط اكتـفى بكتابة المقدمة ورؤيته السـريعة ولم يدخل فى صلب الموضوع..

وقـال: إنه اسـتـقى خبـرته من الشـارع.. ومن الحـارة.. ومن المصطبـة.. والزقاق.. وإن هذه هى مراجعه الأساسية..

كانت فى البداية مراجعه... فى العمل ..

وهى الآن مراجعه... فى الكتابة...

وتكفى هذه المراجع لتكشف عن معدن الرجل وموقفه الاجتماعى..

□ □ □

هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: يضم رؤية وجيـة أباظة التى لم تكتمل بقلمه، كمـا سجلها فى أوراقه، وعندمـا تقرأ هذه الأوراق تحس بأن وجـيه أباظة فنان أخطأ طـريقه إلى السياسة..

وأنه أديب.. وإن كان لم يحترف الكتابة.

فإن كتابته نابضة بالحياة ..

معبـرة عن نفسه وعن إنسانيته.. وروحـه خفيفة الظل التى لم تعـرف الحقد أبداً

أسلوب أدبى شيق متماسك، ينساب ليرسم الصورة من بدايتها..

ولأن الأوراق تحمل قلبا نابضاً بالحب ..

لم يعرف الكره أبداً.. فـقد رأيت أن تكون أوراقه فـى بداية هذا العمل عن تجربة وجيه أباظة فى الإدارة المحلية..

أما الجزء الثـانى من الكتاب: فهو مجـموعة من الحوارات كنت قد سـجلتها معه قبل رحيله بأيام قليلة ..

وخلالهـا تعرض للحـديث بسرعـة عن تجربته فى الإدارة المحـلية، ورأيت أن أنسب مكان لها أن تكون بين صفحات هذا الكتاب ..

والقـسم الثـالث: يكمل الصـورة من كل جـوانبهـا .. إنه مـجـموعـة من الحوارات مع أصدقائه.. وزملائه.. وشركائه فى الـتجربة، اللذين عاشوها عملاً وإنجازاً..

بعضهم أسهم فيها..

والبعض الآخر كان يراقب فى صمت، ويشارك بجهده الذاتى ..

هؤلاء هم أبناء البحيرة .. وأبناء الغربية... وأبناء القاهرة أيضا ..

وإلى جانبهم.. ومعهم عدد من زملائه فى العمل، وشركائه فى المسئولية..

وهكذا يكون الكتاب عملاً هاماً لا يقتصر على رؤية وجيه أباظة وحدها حول الإدارة المحلية فقط..

بل يمتد ليشمل جوانب أخرى من حياتنا.

□ □ □

ألم أقل إنه ليس كتاباً عن الإدارة المحلية . .

إنه كتاب عن ثورة يوليو...

التى أمضى وجيه أباظة حياته مخلصاً لها . .

عاملاً على إقرار مبادئها... من أجل الملايين من أبناء الشعب العربى

الذين أحبهم . .

فبادلوه حباً . . بحب . .

وإخلاصاً . . بإخلاص . .

ووفاءً . . بوفاءً . .

عبد الله إمام

القاهرة ـ ١٩٩٥







مقدمة وإهداء

بقلم:

وجيه أباظة

طلب إلىّ الكثير من الأصدقاء أن أكتب.. وعندما تساءلت عن ماذا أكتب؟! قال الجميع عن الثورة.. ثورة ٢٣ يوليو!! وحاولت أن أكتب فلدىّ الكثير والكثير عن ثورتنا العظيمة الخالدة.. ثورة ٢٣ يوليو..

وقد أمضيت طويلاً فى هذه المذكرات.. حتى وصل عدد الصفحات إلى حوالى ألف صفحة..

ولكنى وجدت نفسى عاجزاً عن كتابة التاريخ. لأنى سأروى وأكتب وأحكم على كثير من الشخصيات والأعمال من وجهة نظرى وحدى، وقد يكون للشخصية وجه آخر أو وجوه أخرى، وقد تكون للرواية وجوه كثيرة، ربما تخالف وجهة نظرى. وقد يكون حكمى على الأمور من وجهة نظر واحدة ـ هى وجهة نظرى ـ وقد يكون للآخرين وجهة نظر أخرى.

هكذا حاولت أن أبدأ فى الكتابة منذ عام ١٩٤٠ حتى ١٩٤٧، ثم من عام ١٩٤٧ حتى قيام الثورة، وما تخللها من تاريخ طويل مشرف لايعلمه الكثيرون حتى الآن.. وقد تكون أحداث سرقة السلاح عام ١٩٤٨.. وأحداث عامى ٥١، ٥٢ حتى قيام الثورة ـ حرب التحرير الوطنية ـ ثم ماحدث بعد عام ١٩٥٢ وبالتحديد منذ فجر ثورة ٢٣ يوليو العظيمة.. بمقدماتها.. بأسباب قيامها، وبمسيرتها الخالدة.. بإعلان قوانين الإصلاح الزراعى.. بالجلاء.. بالسد العالى.. بكسر الحصار فى التزود بالسلاح من غير الكتلة الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.. الدولة ـ الراهبة ـ فكرا وعملا، التى تريد أن تفرض سيطرتها على العالم أجمع بالمال والاغتيال والتآمر على الانقلابات والثورات التحررية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بل والعالم أجمع.. تبذر المال هنا وهناك حتى تستطيع أن تشترى الذمم، وتفسد مابين الشعوب المتحررة وبين قادتها.. وبين الشعوب المتحررة بعضها البعض، ثم القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم وإقامة جيش قوى والقضاء على الإقطاع وأعوانه.. مبادىء الثورة الستة التى حاربت من أجلها أجيال تلو الأجيال إلى أن تمكنت ثورة ٢٣ يوليو الخالدة من فرض نفسها بأفكارها التحررية وأعمالها الباهرة.. وليس معنى هذا أننا بثورتنا ارتمينا فى أحضان الشيوعية أو سرنا مسارها، ولكنا كنا ومازلنا نحب الاتحاد السوفيتى كدولة ونحاربه كمبادىء.. نحب دولة الاتحاد السوفيتى التى حاربنا بسلاحها وعتادها، ولكنا فى نفس الوقت نحارب النظرية فى الاتحاد السوفيتى..

لقد بدأنا بـالتزود من السلاح من دولة تشـيكوسلوفاكـيا العظيـمة، التى وقفت إلى جانبنا دائما فى قوة وشجاعة..

كل هذا كان بقـيادة الرئيس العظيم الخالد جـمال عبدالناصـر الذى عاش سجـينا فى بيته، واسـتشهد كـالجندى العظيم فى ميدان الـقتال مدافـعا عن مبادىء الثورة، حاميا لها من كل أعدائها خارجيا وداخليا، إلى أن وقع على الطريق كما وقع زعماء غيره.. رحمهم الله جميعا..

سأقول لجمـال عبدالناصر: لقد كنت من أهل الخـير.. وإنه حرىٌ بأهل الخيـر ألا يمكثوا مع أهـل الشر إلا قليـلا ولقد اختلـف الكثيـرون ومازالوا وسيظلوا دائما مختلفين حول شخصية جمال عبدالناصر..

كفرد

وكسياسة

وكزعيم

وكقائد فرض اسم العرب على العالم فرضا.

ليس بقوة السلاح.

ولكن بقوة المبادىء والعقيدة والحق.

■ ■

لمن ياترى أهدى هذا الكتاب؟!

من الذى يسـتحق أن أهدى إليه أول كـتاب لى وفـيه عـصارة فكرى.، وغاية جهدى ونتيجة تجاربى فى الإدارة المحلية!

وفكرت طويلاً.. طـويلاً.. ثم قلت لنفـسى.. لأهديه لـلناس.. لكل الناس، خصـوصا البسطاء منهم، فقـد كانوا دائما خيـر عون فى كل خطوة خطوتها.. شاركـونى حلاوة النصر «كلهم».. ثم شاركـنى «البعض» مرارة الفشل!

ولكن.. هل يصح - وأنا أحدث نفسى - أن يخرج هذا الكتاب إلى الناس دون أن أشير إلى «أربعة» كان لهم الفضل كل الفضل علىّ!

●والدتى.. تلك السيدة الريفية العظيمة المؤمنة التى قاست كثيرا وكافحت طويلاً دون يأس ولا ملل ولا تبرم طوال حياتها - رحمها الله وأسكنها فسيح جناته - قاست وكافحت وجاهدت جهاد الأبطال.. حتى شفيت أخيرا على طريق الخير.. وفى الطريق إلى جنة الخلد بإذن الله.

●وأخى ممدوح.. الذى أوصاه أبى علىّ عندما كنت طفلاً. وهو يلفظ آخر أنفاسه.. فكان لى نعم الأب.. ونعم الأخ.. ونعم الصديق.. هذا الأخ الذى كان وسيظل.. أحفظ له من الاحترام.. كل الاحترام ومن الإجلال ومن العرفان بالجميل.. مالا أستطيع أن أعبر.. فقدم حياته وجهده وعرقه وماله وكفاحه ليس فى سبيلى وحدى - بل ولكل إخوتى.. فى صبر وصدق وأناة قربانى وأخواتى.. وأولادنا - دون أن يتزوج حتى يتفرغ لتربيتنا.. لم يتبرم يوما.. وأعظم مافيه أنه لم يشعرنا يوماً واحداً بأنه «منّ» علينا.. بل جعلنا نشعر جميعا أن تربيتنا وتعليمنا حق مقرر لنا ودين فى عنقه.. ثم تفرغ لتربيتى فنشأنى على حرية الرأى والاستقلال فيه، فكان يقارعنى الحجة بالحجة والرأى بالرأى طول حياتى، فبث فينا جميعا روح التضحية والبذل والفداء.. ونكران الذات!

وزوجتى.. تلك السيدة الفاضلة التى شاركتنى رحلة الحياة الشاقة المتعبة فوقفت إلى جانبى فى حزم وثبات وجرأة - حتى فى أحلك الظروف التى مرت بنا.. فكانت ومازالت لى خير رفيق على الطريق.. لم يتطرق اليأس إلى نفسها يوماً فكانت دائما تساندنى.. وتقف إلى جانبى كأعظم ماتكون الزوجة.. وكأعظم ماتكون الشريكة.. حتى فى أشد الظروف إيلاما لها، لم تتخل عنى - بل وقفت - وياللعجب - تدافع عنى فرفعت دائما رأسى.. فأصبحت أدين لها بالكثير، وياليت الحياة تمتد بى حتى أستطيع أن أعوضها على مواقفها الرائعة وشجاعتها النادرة.. وصمودها.. وروحها..

وكفاحـها معى.. ليس كأعظم مـاتكون السيدة فحسب بل كـأعظم مايكون الرجال..

ثم...

أخى كمال الدين حسين.. هل يمكن أن يصدر هذا الكتاب دون أن أشير إلى «أبو الإدارة المحلية» فى مصر وصانعها وحارسها..

كان وسيظل دائمـا كمال الدين حسين من أعظم من أنجـبت بلادنا خلقا وبذلا وتضحية وفداءً..

كان يدفـعنا دفعـاً إلى العمل. يعامـلنا كزملاء وإخـوة، يحاسبـنا كرئيس صلب لم يتطرق إليه اليأس يوماً.. والـكلاب تنبح حواليه.. والرعد يصم أذنيه.. والبرق يكاد يخطف بصره.. والتـعب والإجهاد يكاد يقضى عليه - أطال الله حيـاته - ولكنه لم يلتفت مرة واحـدة إلى الخلف، بل كان يندفع كأنه القذيفة عابرة «المحافظات»

لاتفـوته هفوة لأحـدنا ولا تفوته كلـمة تشـجيع طيـبة للآخـر.. ولكنه بحق.. والحق وحده أقول إنه «أبو الادارة المحلية» فى مصر.

وبعد..

هل بقى ما أكتبه كمقدمة..

إذن لنعتبـر هذا مقدمة.. أو لنعتـبره اهداءً أو لنعتبره اهداءً ومـقدمة فى نفس الوقت..

ولكن..

هناك كلمة لا هى اهداء... ولا هى مقدمـة ولكنها كانت فكرة.. مجرد فكرة.. قلت لنفسى هل أكـتب - هذا الكتاب - كتـاباً علمياً بحـتا، وأتمسك باللغة العربية بما فـيها من كلمات قد تكون فى بعض الأحيـان «معجزة» فى الفهم ويلزمنى القارىء أن يرجع إلى «مختـار الصحاح».. مثلا.. أم أكتب على سجيتى.. فـقد يرتفع الكلام إلى مستوى اللغة العربيـة الفصحى وقد ينحدر إلى مستوى العامية.. وقد يكون بين هذا وذاك..

قلت لنفسى . .

على سجيتى سأكتب . . للناس كل الناس سأكتب، ولن أجهد نفسى أو أجهدكم فى القراءة . .

وقد يظن البعض أن ماسيرد فى كتابى هذا - ولو بعض الخيال - ولكنى آليت على نفسى أن أكتب الحق والصدق . . وليكن مايكون!

ثم . .

لن أحدثكم كثيراً عن التخطيط . . ولن سأحدثكم عن مساوىء التخطيط فى بلدنا حتى اليوم! إن كان هناك - حقا - تخطيط فى بلدنا!

ولكنى سأحدثكم عن التنفيذ . . عن التطبيق بحلوه ومره . . بخيره وشره سأحدثكم عن التطبيق العملى الحقيقى . . ولن أحدثكم عن التطبيق النظرى الذى يحلو للبعض أن يقول: إنه انتقل إلى مواقع العمل وتعرف على مطالب المواطنين ومشاكلهم . . وهذا عادة يكون فى «صوان» حشدت فيه الحشود . . وحشرت فيه الأنفس . . والبركة فى رؤساء الشركات والمصالح فى المدن . . والبركة فى العمد والمشايخ فى القرى . . لكن سأحدثكم عن التطبيق العملى الحقيقى . . من مواقع العمل الحقيقية فى الشارع والحارة . . على «ريشة» المصرف . . وعلى شاطىء الترعة . . فى محل النجارة . . وبجانب الساقية.

وهكذا انتهينا هنا من المقدمة أيضا.

وأرجو ألا أكون قد أكثرت أو «أفضت» كما يقال بالعربية الفصحى وأرجو ألا أكون قد أثقلت . .

ولكنى - واثق كل الثقة أن كل كلمة فى هذا الكتاب ستصل قطعا إلى قلبك . . لأنها صادرة من قلبى.

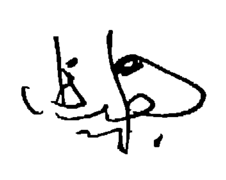
وأعذرنى إن وصل كلامى إليك همساً

فلم يعد فى «قلبى» من قوة تستطيع أن تصل إليك إلا همسا.

وجيه أباظة

المراجع

الشاكل
الشارع
الحارة
المصطبة
الناس
التطبيق
التنمية





الفصل الأول

الخير.. ما يأتى به الله



يا لها من أيام !! ...

أعظم مدرسة درست فيها

أكبر جامعة تخرجت منها...

الاتحاد الاشتراكى العربى.. الاتحاد القومى فى هذا الوقت.

لم أعمل طويلاً فى هيئة التحرير..

عملت بهـا.. أنا وزملائى ضباط إدارة الشئـون العامة للقوات المسلحـة... عملنا ثلاثة وعشرين يوماً.. لا تزيد!

نقلنا مكاتبنا إلى «هيـئة التحـرير» بناء على أوامر الرئيس جـمال عبد الـناصر ثم «هربنا» دون أوامر من أحد بعد ثلاثة وعشرين يوماً..

العمل هناك.. لم يعجبنا.. وحملنا عرباتنا مرة أخرى ثم رجعنا إلى قواعدنا سالمين..

ثم انتخبت بعد ذلك سكرتيراً للاتحاد القومى بالشرقية ...

ثم انتخبت رئيسا للاتحاد القومى بالشرقية بالإجماع، ثم عينت رئيسا مرة أخرى.

وكنت خلال هذه الأيام رئيسـا لمجلس إدارة شركة النيل للإعلان، وصـدر قرار مجلس الثورة بحلها..

وكان هذا القرار، وقرار حل منظمة الشباب التـى كان يرأسها ويقودها الزميل والصديق وحيد رمضان هما آخر قرارين اتخذهما مجلس الثورة مشكوراً..

وعملت فى المطبعة..

وفى ورشة الكليشيهات.

ثم فى الإعلان..

ثم فى التوزيع ..

وأصدرت مجلة التحرير التى كان يرأس تحريرها الزميل والصديق ثروت عكاشة

وكنت حينذاك أتولى أيضا قيادة إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة..

وكان مـعى من الزملاء الأعـزاء الذين تربطنى بهم ومازالت، وسـتظل دائما، صـداقة



وطيدة مبنية على الاحترام المتبادل الصادر من القلوب السادة: أبو الفضل الجيزاوى الذى كان ولايزال وسيظل دائما رجلاً.. وشهما.. شجاعاً لا يخشى فى الحق لومة لائم..

والأخ كمال الدين الحناوى، والأخ مصطفى المستكاوى، والأخ مصطفى كامل مراد، والأخ مصطفى بهجت بدوى، والأخ على الجارحى، والأخ جمال الليثى، والأخ محمد هاشم، والأخوان العزيزان عبد العزيز هندى.. ومحمود الأتربى - رحمه الله - وطيب ثراه وجعل الجنة مثواه..

كنا إخوة وزملاء بحق..

لا يستطيع أحد منا أن يبرم أمراً أبدا إلا إذا وافقنا عليه.

وكان كل واحد منا مكملاً للآخر. وحملنا على أكتافنا عبء وزارة الثقافة ووزارة الإعلام فى وقت واحد..

كنا فريقا واحداً متآخيا.. متكاتفا.. متحداً.. مقدراً لمسئوليته، وخطورة العبء الملقى على كتفيه..

كانوا جميعا ضباطا شجعان تحملوا المسئولية أو تقاسموا المسئولية معى فى رجولة ونزاهة وشرف.

ثم أحلت إلى المعاش أو إلى «التقاعد» وهو لفظ سخيف فقد كان يهيأ لى أن لفظ متقاعد كلفظ «مقعد»!

ثم حلت شركة النيل للسينما بعد ذلك ثم اختارنى الرئيس جمال عبد الناصر عضواً بمجلس إدارة دار التحرير.. ورئيسا لمجلس إدارة شركة الإعلانات المصرية..

يا لها من أيام !!..

لا أريد أن أسترسل فى كتابتها، ولكن كان لابد لى من أن أشير إليها قبل أن أبدأ فى كتابة «الإدارة المحلية»، فقد كانت هذه الأيام أعظم مدرسة درست فيها، وأكبر جامعة تخرجت فيها..

وعقد المؤتمر العام للاتحاد القومى وكنت ألازم الأخ كمال الدين حسين..

وانتخبت رئيسا للجنة «التعاون» على مستـوى الجمهورية كلها بقطريها الشمالى (سوريا) والجنوبى (مصر)

وكانت أيام المؤتمر أيضا مدرسة كبرى، درسنا فـيها فى لجنة التعاون كل نواحى الحياة.. استهلاك.. إنتاج.. إسكان.. ثروة مائية.. إلخ وانتهينا إلى قرارات عظيمة للغاية ولكنها للأسف لم تطبق حتى الآن، ولكـنى طبقتهـا وحدى فى محـافظة البحيرة.. أول مـحافظة شرفت بأن أكون محافظا لها..

كيف عرفت إذن أنى عينت محافظا ؟... فقد استرسلت كثيرا فى حديث كان لابد لى أن أشير إليه..

خرجت من السينما.. وتوجهت إلى منزلى.

وزوجتـى كانت تحب دائمـا أن تباشـر هوايتهـا الفضلة وهى «النوم».. كـانت تنام من الثامنة مـساء، وقبل التاسعة تكون فى سبات عميق.. إلا هذه الليلة.

دخلت إلى منزلى.. فإذا بغرفـة نومنا مضاءة على غير العـادة، ووقفت بالباب وإذا بى أجد زوجتى ـ وكـانت الساعة تقتـرب من الواحدة صباحـاً ـ تجلس على السرير ويدها على خدها.. وسكون مريب يخيم على جوّ الغرفة وحزن عميق يطفح من عينيها!

ـ مساء الخير..

ـ مساء الخير..

لحظة السكون طالت قلت:

ـ خيراً..

ـ خيراً إن شاء الله

وفرحت فى صميم قلبى.. إذن ليست غاضبة منى أو علىّ!

ـ مالك؟

ـ ما ماليش

ـ أمال يعنى أيه.. دا أنت تتحسدى.. قاعدة لغاية دلوقت ليه؟.

ـ قالت: بغدادى اتكلم..

وقال: مبروك يا مدام، وجيه إتعين محافظ فى الأقاليم قلت: له فين:. قال: ما اعرفش لسة! بس فى الأقاليم وخلاص

تهالكت بجانبها وقلت:

إيه الكلام ده أنت بتهزرى معايا... ولا إيه؟!!

قالت: تفتكر حاستنى قاعدة كده لغاية الساعة «واحدة» علشان أهزر معاك.. وجذبت التليفون وقالت: كلم بغدادى وهوّه منتظر تليفون منك.. فنحيت التليفون جانبا وقلت معلهش الصباح رباح الراجل زمانه نام!

ـ وإذا بها تنفجر.. هوه أنت يا أخى ربنا خلقك كده صنف مخالف للناس؟!

قلت: ليه؟

قالت: الموظفين دايما وهمّة صغيرين بيروحوا الأرياف وينتقلوا من هنا إلى هنا، ولما يكبروا بيجوا مصر.. وأنت من أول ما اتجوزنا بتشتغل فى مصر ولما تكبر تروح الأرياف!!..

قلت: وماله؟!

قالت: طبعاً وماله.. سايب كل الهمّ علىّ.. وأنت عامل زى الفريرة من هنا إلى هنا.. من هنا إلى هنا وسايبنى لوحدى.. دلوقت لما حتنتقل من هنا.. هنعمل إيه فى الشقة دى.. والأهم الأولاد والبنات حنعمل فيهم إيه؟..

ـ الولاد فى مدارس الجزويت والبنات فى مدارس الدلفراند

- قل لى حتعمل إيه؟

قلت ببساطة: نأخدهم طبعا معانا..

قالت: لا يمكن.. لاهمّة حيروحوا، ولا أنا حاروح هناك، إلا لما أعرف البلد اللى أنا رايحاها فين؟

قلت: والله أنا شخصيا رايح إذا حبيتم تيجـوا معايا، تعالوا. وإذا رفضتم كان بها، وأسافر وحدى، وأمرى إلى الله .

واستمر النقاش فى شد وجذب.. حتى الصباح..

ثم قمت . وصليت الفـجر حاضـراً ودعوت الله أن يوفقنى فـيما أنا مقـدم عليه والتفت إليها بعد الصلاة.

وقلت لها.. الخير ما يأتى به الله

وكان الخير هو ما أتى الله به فعلاً

إخوتى جميعا رجال الإدارة المحلية..

ثقوا تماماً أن الخير ما يأتى به الله.

والمسلم من أسلم أمره لله

ولله الأمر جميعا.



الفصل الثانى

افتــح مكتبك
افتح بيتك
وافتح قلبك للناس



أقسمنا أمام جمال عبد الناصر:

وجمعنا حوله ثم قال:

لى كلمة واحدة أحب أن أوجهها إليكم قبل ذهابكم.. قال:

- إحنا عندنا آلاف الموظفين فى المكاتب وقافلين الأبواب على أنفسهم لا يتصلون بالناس ولا يستطيع الناس الاتصال بهم..

أنا لا أريد موظفين بتوع مكاتب بل أريد موظفين بتوع شوارع.. وبتوع حوارى.. وبتوع مصاطب، اذهبوا أنتم إلى الناس وحلّو مشاكلهم على الطبيعة.. وفورا وإذا استعصى عليكم أمر فارجعوا إلىّ مباشرة.. وأنا أحل المشاكل كلها لكم..

مع السلامة وأتمنى لكم النجاح..

وكان هذا هو مفهومى تماماً عن المحافظ..

يفتح مكتبه وبيته وقلبه للناس..

شىء من الجهد لايهم.

كثير من التعب لايهم.

المهم أن نستطيع أن نصل إلى قلوب الناس وإلى مشاكلهم..

وتذكرت قول نهرو ـ رحمه الله ـ «إن الحكام فى بلادنا يركبون العربات الفارهة التى لا تستطيع أن تتجول فى الحوارى والأزقة.. ويسكنون القصور ذات الأسوار العالية.. فلا يستطيع الناس تسلق هذه الأسوار والوصول إليهم»

وخرجنا من عند جمال عبد الناصر وكلماته تدوى فى أذنى... إذن فالحكم المحلى حكم علمى عادل مستنير «كالعمدة» فى القرية.

كالعمدة النظيف فى يده.. وفكره.. وعقله.. ووجدانه..

دون تحيز مهما كانت الأحوال، بل يجب أن يكون المحافظ.. ورئيس المدينة.. ورئيس القرية.. أباً للجميع وأخاً للجميع..

لا يجب أن يكون ـ بأى حال ـ طرفاً فى نزاع أو متحيزاً لطرف فى نزاع، بل يجب أن

يكون كالقاضى العادل والأب الحنون الذى يزرع المحبة والإخاء والصفاء فى قلوب الناس أجمعين.. يجب أن يتأكد الجميع من محبتك لهم..

والحب كالتيار الكهربائى يسرى بين القلب والقلب.. وثق أنك إذا أحببت الناس ـ بصدق ـ لا عن تظاهر لأحبوك أيضاً من كل قلوبهم..

ولا أود أن أسترسل فى الحديث عن الصلة بين المسئول أيا كان موقعه.. محافظا كان.. أم رئيسا لمدينة.. أو لقرية.. أو رئيسا لمصلحة فهذا الحديث حديث طويل سأفرد له فصلاً كاملاً من كتابى هذا.. وربما كان هذا أهم فصل فى هذا الكتاب!

خرجنا بعد حلف اليمين..

وقالوا لنا: لا تسافروا قبل أن تأخذوا بعض الدروس والنصائح من الأساتذة المتخصصين!

ولسوء الحظ.. أو من حسن الحظ.. أن المحاضرة الأولى كانت فى معهد الإدارة العليا..

وكان المحاضر أستاذا ودكتوراً فى مادته.. يلف حول رقبته ميكرفونا صغيراً.. وأمامه «تختة سوداء أنيقة» يلصق عليها أوراقاً حمراء، وصفراء، وخضراء، بين حين وآخر فى خفة كأنه « الحاوى»!!

وأثناء المحاضرة قال:

ـ هناك شىء هام جداً أود أن أنصحكم به..

وسكت طويلاً.. وسكتنا نحن أيضا.. كان على رؤسنا الطير انتظاراً لسماع هذا الشىء الهام جداً.. وإذا به يخرج من جيبه ورقة ويقول:

يجب أن تقسّموا وقتكم تقسيماً صحيحاً ولا يجب أن تقابلوا الناس كثيراً..

ثم أشار إلى الورقة الصغيرة وقال: فى دوسيه كل واحد منكم ورقة مقابلة، وبها خانات يجب أن يكتبها الذى يود مقابلتك قبل المقابلة..

وأخرجت الورقة وإذا بها مقسمة تقسيماً جميلاً: الاسم.. المدينة أو القرية.. الوظيفة إن كان هناك وظيفة ثم موضوع الشكوى!!

وقابلوا على الأكثر خمسة كل يوم أو يومين فقط..

قال الرئيس اذهبوا إلى الناس فى الشوارع والحوارى والمصاطب لتتعرفوا على مشاكلهم..

والآن يقول لنا الدكتور.. انعزلوا عن الناس ولا تقابلوا فى اليوم أكثر من خمسة.. والأدهى والأمر أن تجرى مع كل منهم تحقيقاً قبل مقابلته!!

ورفعت يدى مقاطعاً..

قال الدكتور:

بلاش أسئلة دلوقت ونفتح المناقشة فى النهاية.

فأصررت على الكلمة وعلى مضض سمح سيادته لى بالكلمة.

قلت:- أنت تقول كذا وكذا.. ورئيس الجمهورية قال لنا كذا وكذا.. فمن نصدق؟!

أنت تقول: انعزلوا عن الناس.. وهو يقول: اتصلوا بالناس.. فما رأيك نعزل أم نتصل.. نفتح الشباك أم نقفل الشباك؟!!

يا أستاذ.. يا دكتور.. نحن لسنا فى أمريكا.. ولا فى أوروبا نحن فى مصر والشعب هنا يختلف عن هناك اختلافاً تاماً.. قد ينفع هذا فى ولاية كاليفورنيا.. ولكنى أختلف معك تماماً أن نطبق هذا فى محافظة البحيرة أو الشرقية.. أو حتى القاهرة أو الإسكندرية..

ووقف الأستاذ حائراً..

وإذا بى أعاجله.. بالضربة القاضية قلت:

- متأسف يا أستاذ سوف لا أنفذ ما تقول وأعتقد أن أحداً منا لن ينفذه أبداً.. اسأل الأخ صلاح - صلاح دسوقى محافظ القاهرة - وعنده أكبر نسبة من المتعلمين فى الجمهورية.. هل تستطيع ؟..

وإذا بصلاح يقول:

ولا أنا يا دكتور..

وصدّق باقى الأخوة المحافظين على الكلام.. وانتهت أول محاضرة.. فى أول عشر دقائق فيها..

وكان برنامجنا حافلاً بالتدريب.

وتوجهت إلى الأخ كمال الدين حسين، وشرحت له الموقف وقلت له:- إن الإدارة المحلية لم تمارس فى بلدنا حتى الآن، دعونا ندخل فى التجربة بكل أبعادها.. بكل أعماقها.. بطولها.. بعرضها ثم نجتمع بعد ذلك..

وإذا بالأخ كمال الدين حسين يلغى البرنامج، ويأمرنا بأن يذهب كل منا إلى محافظته بعد أن رتب لنا مقابلات سريعة مع السادة الوزراء استفدنا منها كثيراً فعلاً..

وقبل توجهى إلى المحافظة تقابلت مع أخى، وصديقى، وزميل العمر عبد اللطيف بغدادى فقال لى:

- اسمع.. أنا عارف أنك رايح محافظة صعبة.. وثق أنى سأقف إلى جانبك طالما أنت على حق.. وثق أيضا أنى لن أقف إلى جانبك إذا ما أسأت العمل.. أنا عارف إن علاقتك ستكون طيبة بمعاونيك ومع رؤساء المصالح، ولكن هذا لا يكفى، اجتهد أن تكون علاقة رؤساء المصالح طيبة بعضهم مع بعض وأن تكون متينة..

وصدق بغدادى فى نصيحته لى كما سيأتى الحديث فى هذا بعد..

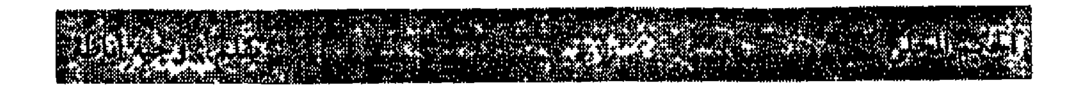
ثم زرت المشير رحمه الله..

وكان رجلاً عظيماً.. وشهماً.. وفلاحاً.. ورجلاً.. وكانت لمقابلته قصة..

فقد تقابلت مصادفة مع الأخ والصديق والزميل أحمد أنور.. قال:

تعال معايا نروح للمشير علشان زعلان من صلاح سالم لأنه شتمه فى مجتمع عام!

وذهبنا وتقابلنا مع المشير - رحمه الله - ويئسنا من إزالة الخلاف إلى أن وقفت وقلت له مفيش نصيحة.. أو هدية أذكرك بها..



ـ قال: عاوز إيه؟

فانكببت على رأسه وقبلتها وقلت له:

ننهى خلاف صلاح سالم وهذه أعظم هدية لى كى أذهب مطمئنا إلى عملى..

وقد قبل الرجاء... وإذا بيد أحمد أنور تمتد إلى التليفون، ويطلب صلاح سالم، ويسلم السماعة إلى المشير..

وانتهى الخلاف..

ولكن المشير أسدى إلى نصيحة قال:

- أنا عاوز تأخذ بالك من التعاون وأنا متأكد أنك ستصل بالتعاون عندك إلى ما نرجوه.

وخرجت من عنده. وكان يوم السبت ١١ أكتوبر

وفى يوم الأحد ١٢ أكتوبر توجهت إلى دمنهور عاصمة المحافظة

وفتحت مكتبى للناس.

وفتحت بيتى للناس.

وفتحت قلبى للناس..

وتسللت إلى صميم قلوبهم.

وتسللوا هم أيضا إلى صميم قلبى

وأحببتهم..

وأصبحت أحس أنهم أهلى وإخوتى وأسرتى وكل شىء فى الحياة..

افتحوا إذن مكاتبكم وبيوتكم وقلوبكم للناس وستجمعون ثروة لا تعادلها ثروة فى الوجود.. وهى الناس.

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾

«صدق الله العظيم»

كان القطار ينهب الأرض سعياً إلى الإسكندرية يوم ١٢ أكتوبر ١٩٦٠، وكان معى أخى محمد عبد الرحمن وأخى عبد العظيم.. وعبد المنعم..

ماذا ينتظرنى يا ترى فى دمنهور؟

ـ عبد المنعم.. أين سننام؟

ـ فى استراحة بنك التسليف

ـ أين سنأكل؟

ـ «مبتسماً».. خليها على الله ولما نروح نشوف!

ـ هل هناك عربة؟

ـ استأجرنا عربة.. ووضعنا عليها بيرق «وابتسم»..

فقد كان عبد المنعم[1] يعرف تماماً أنى أعارض وضع البيرق

قلت: يعنى إيه؟.. بالعندا

قال: الدولة عاوزة كدة.. الدولة عاوزة بيرق على عربة المحافظ.. وحرس كمان

قلت: سيحرسنى ممن؟! هل هناك أعداء؟!

قال: «مبتسما أيضاً».. مفيش أعداء والحمد لله.. بس الدولة عاوزة كدة.. عاوزة حرس على عربة المحافظ.

قلت: هل سيقابلنا أحد بالمحطة؟

قال بثقة: أمال!!

واجتاز القطار كوبرى كفر الزيات وأفهمنى عبد المنعم أن حدود المحافظة تبدأ من هنا. وبدأت فى قراءة القرآن الكريم

ولاحظ محمد اضطرابى.. فقال:

---

(١) هو عبد المنعم بدوى

- ما تخافش . . خلّيك جدع!! أنت قدها وقدود . . وكنت أنظر إلى الأراضى الخضراء المترامية على جانبى القطار وهو ينهب الأرض كأننا فى سباق مع «الزمن»!!

وأخيراً . .

وقف القطار على محطة دمنهور . .

ولن أنسى منظر المستقبلين؟!

كانوا . . سبعة: مدير الأمن . . ومدير الصحة ... وخمسة آخرين .

وأخذنى مدير الأمن من يدى وكأنه يشد طفلاً يدخل المدرسة لأول مرة . . أو أنه «هُيىء» له ذلك؟!

وعندما دخلت مديرية الأمن ـ بجانب المحطة ـ سمعت لأول مرة كلمة أو بمعنى أصح صراخ «حرس سلاح»!!

وافقت على هذه الصرخة ورددت التحية فى حياء . .

تناولنا القهوة بمكتب المدير ثم توجهت إلى مكتبى . . أو بمعنى أصح المكتب المؤقت الذى أعد لى . .

وفى البداية قابلت بعض الهيئات واقفا مـحييا . . ثم قابلت الأفراد . . أى فرد . . فتحت الباب لأول مرة . . وفتحت قلبى . . وأذنىّ . . وعينىّ!

واستمررت فى المقابلات حتى الساعة الثالثة . .

ثم أردت أن أتغدى فوجدت نفسى فى «المأزق الأول» . .

السيد محمد حامد محمود مساعد رئيس الاتحاد القومى دعانى لتناول الغداء . .

والسيد محمود الجيار رئيس الاتحاد القـومى، طلب منى ألا ألبى هذه الدعوة، لأنها لم توجه باسمه . . محمد حامد . . يلح فى أدب . .

ومحمود الجيار يلح فى صيغة الأمر . . أليس هو مدير مكتب رئيس الجمهورية؟!

واستجبت لمحمد حامد محمود ولم أستجب لمحمود الجيار

ولكنى ذهبت إلى «العزومة».. وأثناء تناول الطعام فتحت عينىّ.. وفتحت أذنى.. ولكنى لم أفتح فمى أبداً!

فتحت عينى على خلافات مستحكمة!

وفتحت أذنى على ما يقال من الجانبين

وأنا .. رجل «شرقاوى»! لم أتعود هذا أبدا.. فى الولائم!

وفتحت فمى أخيراً بأن ناديت عبد المنعم وهمست فى أذنه أن يحضر لنا غداء فى الاستراحة..

عيش وطعمية وجبنة وما أشبه..

ثم قمت شاكراً للجميع كرم ضيافتهم وذهبت للاستراحة وإذا هى بالدور الرابع -على ما أذكر- وتناولت أول وجبة لى فى دمنهور عيش وطعمية.. وليذهب الاتحاد القومى بخلافاته إلى الجحيم!

ثم تجولت بعد الظهر على قدمى فى شوارع المدينة، إلى ساعة متأخرة من الليل.. وأصابنى يأس مرير.. هل هذه هى دمنهور؟.

هل هذه هى العاصمة؟

هل هذه هى البلد الذى سأعيش فيه؟.

ولم أر فى مدينة دمنهور بأكملها أى مظهر من مظاهر الترحيب بى أبدا إلا شيئا واحداً.. لافتة بيضاء بعرض الشارع خيل لى أنها إعلان عن فيلم.. أو أوكازيون ولكنى يا للمفاجأة.. السعيدة..

لافتة وحيدة يتيمة فى دمنهور كلها ترحب بى وأنى لأذكرها جيداً حتى بكلماتها الرقيقة..

«كمال مكرم يرحب بالمحافظ الفدائى وجيه أباظة»

وهمست فى أذن عبد المنعم:

- إيه رأيك؟..

قال:ـ كل حاجة كويسة.. على بركة الله.

قلت: - فعلا أنا «فدائـى».. لأنى أولا قبلت أن أعمل محافظا، ولأنى ثانيا قـبلت محافظة البحيرة بالذات، ولكن كان حدسى وتخمينى كاذبين؟!

لقد كنت أفكر بعينى.. مجرداً من الإحســاس والعقل.. ولماذا يصيبنى اليأس وأنا الذى لم يصبنى اليأس مرة واحدة فى حياتى..

ولكنى..

بعد مضى مدة بسيطة شعرت أن أهالى دمنهور، بل والمحافظة كلها يتسللون إلى قلبى.

فأحببتهم من الأعماق حـبا جارفاً لن يزول أبدا ما بقى فىّ عرق ينبض، وما شاء الله أن تمتد بى الحياة..

كانت زوجتى فى بعض الأحيان ـ حرصا منها على صحتى ـ تقول:

ريح نفسك شوية مفيش حد حينفعك..

وكنت أجيبها دائما أجابة واحدة..

اتركينى أخدم الناس فهم جميعا فى حاجة إلى الخدمة..

لقد كونت لكم «ثروة» عظيمة.. هذه الثروة العظيمة هى الناس.

ولم تصدقنى فى وقتها!

ولكنى كنت واثقـا من نفسى لأنى كـنت أحب الناس خصـوصا البـسطاء منهم.. حـبا صادراً من أعماق قلبى.. كنت أحس بمشاكلهم كأنها مشاكلى الشخصية.

ولكنها صدقتنى يوم أن نقلت إلى أسوان!!

ثم صـدقتنى يوم أن صـدر على الحكم بتـهمـة «الخيـانة العظمى» أتت لى وأنا مـريض بالمستشفى!

أتت باكية غير مصدقة..

لقد أحاطهـا أهالى محافظة البحـيرة هى وأولادى بحبهم وعطفهم ورعـايتهم بشكل لم تكن تتصوره وقالت:

صدقت.. صدقت.. إن الناس ثروة كبرى

فقلت لها:-

صدق الله العظيم إذ قال ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾..

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وأرضاه لولاته على الأقطار الإسلامية:

«إذا أرسلت إليكم أمراً يخالف الحق فاضربوا به الأرض.. واستمسكوا بالحق وحده!!»

فى اليوم التالى.. حدث حادثان كان لهما أبعد الأثر على أسلوبى فى الإدارة

كان يوم الإثنين.. وخرجت الساعة السابعة صباحا ومررت مروراً عابراً هنا وهناك

ثم قمت بزيارات خاطفة ومفاجئة وإنذارية للمصالح الحكومية

وكانت بينها لسوء الحظ - أو لحسن الحظ لا أدرى.. مصلحة الشهر العقارى..

دخلت وحدى فوجدت الصالة تموج بالناس، ودخلت المكتب الأول فوجدت اثنين من الموظفين جالسين أنيقين هادئين يرشفان القهوة ويطّلعان على جرائد الصباح.

قلت:-

يا اخوانّا مش عيب تسيبوا الناس بره كده وتقعدوا تلعبوا.

قفز أحدهما قائلاً:-

وانت مالك يا فندى.. أنت مين أنت. علشان تقول لنا الكلام ده؟

قلت له فى هدوء:-

أنا المحافظ.. اسمك ايه ؟

فاعطانى اسمه وأخذت اسم الثانى وفتحت الباب على مصراعيه ودعوت الناس للدخول لأنها أعمالهم.

وفى صباح الثلاثاء الباكر وجدت وكيل وزارة العدل عندى..

ثم دق جرس التليفون وإذا بالمتحدث الرجل الطيب العظيـم المرحوم الأستاذ. أحمد حسنى وزير العدل ودار بيننا حديث كنت لا أود أن يدور بينى وبينـه بالذات... لأنى كنت أحترمه من صميم قلبى..

قال: صباح الخير يا وجيه..

قلت: صباح الخير يا سيادة الوزير.

قال: إنت مش برضه قرأت قانون الإدارة المحلية..

قلت: أيوه يا فندم..

قال: وعارف إن وزارة العدل لا تتبعكم.

قلت: أيوه يا فندم.

قال: الشهر العقارى يتبع وزارة العدل؟

قلت: أيوه أعرف يا فندم..

قال: وعارف أن وزارة العدل لا تتبعكم...

قلت: أيوه أعرف يا أفندم

قال: أمال مريت عليها ليه، وشتمت الموظفين بتوعها.

فقلت له ما حدث.

قال: طيب نعتبر الموضوع ده انتهى وما تبقاش تمر على الشهر العقارى تانى.

قلت: وسيادتك مش برضه قرأت قانون الإدارة المحلية؟

قال: آه طبعاً.

قلت: طيب وأنت بتكلمنى ليه؟!.. طيب ما آهو أنا مش تبعك

قال: يعنى إيه؟!!

قلت: يعنى فيه لىّ وزير اسمه وزير الإدارة المحلية اتصل بيه..

ولكنى أرجو أن تعلم يا سيادة الوزير أنى أفهم روح القانون. .

فأنا لم أدخل محكمة. . أو نيابة ولم أوجه أحداً إلى شىء ولكنى أردت أن يسير العمل فى مصلحة لها اتصال مباشر بالجمهور.

قال. . وبعدين. . نعمل إيه معاك بقى؟!

قلت. . شوف يا سيادة الوزير. . هذه المصالح يجب أن تخدم الجمهور خدمة صادقة. . وأنا عارف أنك حتتكلم مع السيد كمال الدين حسين فلو وافقك على رأيك فلن أطيع أوامركما!.

وأنا أرى أن تكتب سيادتكم للسيد رئيس الجمهورية. . فإذا أمر بعكس ما أراه فسأتوقف فوراً!!

ولم يكذب سيادته الخبر، فكتب فى أمانة كاملة ما حدث، وشرح فى تقرير منه بكل صدق ما وقع. . وإذا بتأشيرة رئيس الجمهورية تأتى مخيبة لآمال وزارة العدل تماما. .

وفى الوقت نفسه دافعة لى على العمل.

فقد كتب جمال عبد الناصر بخط يده على تقرير السيد الوزير يقول:

وجيه أباظة يوقع فوراً الجزاء على الموظفين المهملين. .

ويعتبر هذا رداً على السيد وزير العدل. . وعلى الرغم من هذا فقد أحضرت الموظفين وأنذرتهما. . وكان هذا أول انتصار لى!!

أما الآخر فكان فى نفس اليوم أيضاً . .

فعندما وصلت إلى مكتبى بعد الظهر وجدت سيدة تصرخ وتولول وتقول بأعلى صوتها:

– ربنا على كل ظالم. . ربنا يخرب بيوتكم زى ما أنتم عاوزين تخربوا بيتى، وأنا عاوزة أقابل الراجل اللى بيقولوا عليه المحافظ الجديد، بتاع جمال عبد الناصر . .

فأخذتها معى المكتب وسألتها فوجدت أنهم رفعوا الضرائب على منزلها من ١٥ جنيهاً إلى ٤٣ جنيها فى العام الحالى .

فسألتها إن كانت قد أحدثت أى تعديل فى منزلها فأجابت بالنفى فأركبتها عربتى وأرسلت معها أحد السادة الضباط وأرسلت فى طلب المراقب المالى . .

فحضر وسلم علىّ فى أنفة وقال قبل أن أنطق حرفا واحداً . .

ـ أنا عينت واحد موظف فى الدرجة الخامسة علشان يتصل بالمحافظة، ويشوف طلباتها، لأن شغلى كثير . .

وتحملت وحاولت أن أتفاهم معه وإذا به يقول فى سياق حديثه :

ـ أنت تعرف أنا حصلت للمحافظة هذا العام ٤٣,٠٠٠ جنيهاً ضرائب بدلا من ١٤,٠٠٠ فى العام الماضى على المبانى (عوائد أملاك) . .

فقلت له : ده عال جداً بس أنا عاوز أعرف إيه الزيادة العظيمة دى فى عام واحد . . دا موضوع «غير مطمئن»!!

ولاحظت أنه دائما يتحدث فى عنجهية . . كانه وزير الخزانة على الأقل . .

وهنا دخل الضابط ومعه السيدة وهمس فى أذنى قائلا :

ـ البيت من دور واحد ولم يحدث به أى تعديل على وجه الإطلاق والغرفة فيه تؤجر بثمانين قرشاً لطلبة المعهد الدينى . .

وطلبت من السيد المراقب أن يذهب معه إلى المنزل فذهب على مضض ثم حضر قائلا :

ـ ربما يكون هذا هو الخطأ الوحيد فى عمله . .

وسألته عن عدد موظفيه الموكول إليهم هذا العمل فوجدت أن الموظف مسئول أن يربط الضرائب على كل بيت خلال «نصف ساعة بشرط أن يكون اليوم ثلاثين ساعة»

فقلت :

ـ هل هذا ممكن؟

قال : اعتقد مش ممكن !

وسنعيد بحث الموضوع مرة أخرى . .

فاحتجزته وأصدرت قرارى الأول.. قرار رقم واحد.. الذى أصدره محافظ البحيرة كان كالآتى:

١ـ يوقف العمل بالقرار الجمهورى رقم كذا.

٢ـ تشكل لجان جديدة لبحث عوائد الأملاك بكل جدية بحثاً وافياً.

٣ـ تشكل لجنة تحقيق للتحقيق مع المتسببين فى رفع الضرائب بدون وجه حق.

«وكانت ضربة قاصمة».

محافظ يصدر قراره الأول بإيقاف العمل بقرارى الجمهورى كده مرة واحدة..

وفى الصباح الباكر اتصل بى السيد وزير الخزانة،

وكان وقتها الدكتور حسن صلاح الدين.

وقال: أنت ازاى توقف العمل بالقرار الجمهورى و...

قلت: وانت زعلان ليه يا سيادة الرزير.. أنا لم أوقف العمل بقرار «وزارى» صادر منكم ولكنى أوقفت العمل بقرار جمهورى صادر من رئيس الجمهورية فأرجو أن تلجأ إلى السيد رئيس الجمهورية.

كانت عوائد الأملاك مجحفة بكافة المواطنين بكل المحافظات.

وكنت أنادى بتخفيفها وأنا رئيس للإتحاد القومى بالشرقية

وأبلغ خبر القرار الذى اتخذته للسيد كمال الدين حسين لخطورة الإجراء وهو فى اجتماع مع السيد وزير الخزانة لبحث نفس الموضوع كشكوى عامة..

ولما أبلغ السيد كمال الدين حسين القرار الذى اتخذته.. وضع سماعة التليفون والتفت للسيد وزير الخزانة وقال: أظن يا دكتور دلوقت ما أصبحش فيه داعى للمناقشة لأن أحد

المحافظين استبيع وأصدر قراراً ثورياً بإيقاف العمل بالقرار الجمهورى.. إذن فلنوقف العمل به ونرفع الأمر لرئيس الجمهورية.

وفى يوم ٨ ديسمبر صــدر قرار جمهورى آخر فيه تـعديل المحافظ بالكامل وعُدّل القرار الجمهورى..

وكانت هذه خبطة «جامدة» للأجهزة المركزية فهزتها هزاً عنيفاً..

قالوا: هل يليق أن يوقف أى محافظ أى قرار جمهورى؟!!

قلت: إذا كان أى قـرار جمـهورى سيـصدر جائرا أو صــدر جائراً.. فيـه ظلم للناس فسأوقفه ولن أخشى فى الحق لومة لائم..

ألم أقل لكم: إن عمر بن العزيز قال لولاته:

«إذا أرسلت إليكم أمـراً يخـالف الحق.. فاضـربوا به الأرض.. واسـتمـسكوا بالحق وحده» !!!

إذن فلنعد النظـر فى كل القرارات الجمـهورية والوزارية وغيـرها.. فيهـا وهكذا سارت الأمور فى مسار شائك، حكومة مركزية متمسكة بسلطاتها...

وحكومة مـحلية تريد مـزيداً من السلطات ليس للمـحافظين ولكن لرؤساء المـصالح كى ينطلق كل فى ناحيته يجدد ويخلق ويبدع ويبتكر..

حكومة مـركزية غارقـة إلى أذنيها فى الأوراق، وحـكومة محليـة غارقة إلى أذنيـها فى المشاكل..

حكومة مركزية تحل مشاكلها على الورق الملون والمقسم والمنسق.

وحكومة محلية تحل مشاكلها على الطبيـعة فى الشارع والحارة وعلى مصطبة العمدة بين العمال فى مصانعهم.. وبين الفلاحين فى حقولهم..

حكومة مركزية مصابة بداء عضال اسمه «داء الورقية»

وحكومة محلية تود سرعة الحسم فى أمورها وتمكين الشعب من بلوغ أهدافه.. فى سرعة وحسم وحزم

الحكومة المركزية غارقة فى الأبحاث والأوراق إلى أذنيها.

والحكومة المحلية غارقة فى الترع والمصارف والطرق والمواصلات ودودة القطن وزيادة الإنتاج مع قلة التكاليف إلى أذنيها هى الأخرى!

ورؤساء المصالح معذورون..

ترقياتهم وتنقلاتهم من الوزارات، إذن فولاؤهم كان لوزاراتهم، وفى نفس الوقت وعلى الصعيد المحلى يجدون أمامهم المشاكل تتراكم وتتراكم وتتضخم وهم فى غفلة ساهون!

مالنا يا عم ومال المحافظ..

لنأخذه على قدر عقله إنه لن يفيدنا فى علاوة أو ترقية أو نقل..

والوزارة بيدها كل شىء.. تنزع الملك ممن تشاء وتعطيه لمن تشاء بيدها الأمر.. وأستغفر الله رب العالمين..

بعضهم آمن بالإدارة المحلية وضرب بكل هذا عرض الحائط، وأكثرهم آمن بالحكومة المركزية وضرب بالإدارة المحلية نفسها عرض الحائط..

عند الوزراء بكلام.. وعند المحافظ بكلام آخر. عند الوزير بدوسيه.. ورق ومع المحافظ على شاطىء الترعة «الجافة» على «الطبيعة».. والمليئة «بالماء» على «الورق»!!

والضحية.. من..؟

الضحية الفلاحون.. والبسطاء من الناس الذين لا ترتفع أصواتهم إلا لكى تخمد.. وتختفى وتضيع فى ضجة الإعلانات.

إذا ناقش المواطن قالوا عنه شيوعى.

وإذا قارع الحجة بالحجة قالوا عنه إخوان مسلمين..

وإذا زاد فى عناده ..

قيل عنه: عميل للإقطاع.. عميل للرأسمالية... أو حتى عميل للاستعمار..

ونحن فى مواقعنا نرى هذه المهازل كشريط سينمائى مخيف.. والضحية هم الضعفاء.

والجهاز الحكومى مازال يخدم نفس الطبقة التى كان يخدمها سابقا بنفس الروح..

ومازال وهو معذور. كل العذر- يسعى فى خدمتها... فالوزارات ومن وراء ظهورنا تهدده بالويل والثبور وعظائم الأمور، إذا لم ينفذ كذا وكذا لفلان باشا وفلان بك والأسرة الفلانية.. ورئيس المصلحة بين هذا وذاك تائه.. تائه..

فأغمى عليه.. ماله من فواق. وباقى الموظفين التابعين... على دين رؤسائهم.



الفصل الثالث

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك، فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ،إن الله يحب المتوكلين﴾

صدق الله العظيم





يا لها من أيام!.

رؤساء مصالح أكل عليهم الدهر وشرب

مدير أمن - من أبناء وتربية وخلق «القلم السياسى» العتيق

ومدير رى - أو كما يسمونه حتى الآن مفتش رى - يسكن فى قصر ورأسه فوق رأس مدير الأمن.. ولتكن أيضا فوق رأس المحافظ.

ومديرو مصالح مستهلكون..

عندما كنا نجتمع ليل نهار فى البداية.. كانوا يفتحون أفواههم دهشة مما أقول..

وأعتقد - كما أتضح لى بعد ذلك - قالوا لبعضهم البعض.. سيبوه بكره «يهبط» ويقعد جنبنا!!

كلما تكلمت فى الإسكان، قلب مدير الإسكان «جودت بك» - كما كانوا يسمونه - يقلّب يديه.. وشفتيه ممتعضا مما أقول!

وعدد آخر من الموظفين.. وسكرتيرو مجالس المدن ممن عاشوا طوال حياتهم عالة على الوظيفة.. وعالة على المواطنين.. يقسمون الأرزاق بين الناس بقدر ما يقسم لهم من أرزاق.. حتى أن المواطنين كانوا يسمون سكرتير مجلس مدينة الدلنجات «سفاح الدلنجات»!!

وفعلاً اتضح أنه سفاح أصيل.. المستندات عال العال، والأوراق مسددة تماماً و«الذمة» ربما أوسع من رحمة الله.. استغفر الله العظيم..

«ليس على الأعمى حرج.. ولا على الأعرج حرج.. ولا على المريض حرج» كما جاء بكتابنا الكريم..

وكان لسوء حظى أن طائفة الموظفين ممن تنطبق عليهم هذه الأوصاف!

جهاز عتيق بال مهلهل متمسك بحرفية وخامات القرن الماضى

وكدت أختنق من سعادة «الباشا» المحافظ... إلى الطربوش أبو «زر» على جنب.. إلى الشنبات الكورماتيك... إلى المنشّة.. ودبوس اللولى «أبو حمولة» فى الكرافتة، والنظارات

السميكة التى تنحدر إلى أسفل العين، وتستقر فوق أرنبة الأنف بشكل لم أعهده من قبل..

هل هذا هو الجهاز الذى سيعمل معى..؟؟

هل هؤلاء سيتحملون أعباء ما أنا مقدم عليه؟؟

هل سأسير بهؤلاء إلى بر الأمان..؟؟

قلت: لأتعرف على احتياجات الجماهير بنفسى وأصلح الجهاز على دفعات.. ثم أستجمع قبضتى وأجر هذا الجهاز جراً لكى أكمل الخطة الخمسية الأولى فى ثلاثة أشهر، لم أكن أحلم.. بل كنت عازماً مستجمعاً قبضتى كلها لأضرب الضربة القاضية.

كنت قد عقدت العزم فعلاً على المضى قدما إلى الأمام ودعنى أحدثك عن مدير الأمن.

كان يا ما كان فى سالف العصر والأوان راجل اسمه مدير المديرية.. يمسك بمقاليد الحكم بين يديه.. ومر على مديرية البحيرة كثيرون منهم جدى لأبى السيد بك أباظة ١٨٦٠.

ولكن كان أظهرهم جميعا، وأكثرهم نشاطا وهمّة وعملا خلاقا مبدعاً عظيما هو المرحوم عبد السلام الشاذلى إلى أن نقلت إلى محافظة البحيرة وإذا بى أجد هناك من؟!

أجد السيد اللواء طه زغلول من أبناء القلم السياسى، الأمناء الذين تربوا فيه وترعرعوا وخلقوا جواً من عدم الثقة والإرهاب فى وقت من الأوقات..

ولى معه قصة تسبق عملنا بعشر سنوات على أقل تقدير..

هل يسمح القارىء أن أسردها على سبيل التسلية ـ ليس إلا ـ وعلى سبيل أن يرى كيف كانت تسير السياسة فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو المجيدة..

فقد كنت أقود الفدائيين فى منطقة القنال من التل الكبير حتى الإسماعيلية.. وحتى بورسعيد والسويس فى بعض الأحيان.

وقد كان رجل الأعمال محمد حمادة قد تبرع لنا بعربة جيب فأخذتها شاكرا بأمر من القائد والزعيم العظيم الراحل عزيز المصرى

وتسلم قيادتها أخى وصديقى أحمد أبو الدهب..

وفى إحدى الليالى اتصل بى محمد حمادة حوالى الساعة الحادية عشرة صباحاً تقريبا وقال:

اسمع يا وجيه.. أنا هنا قاعد قعدة خاصة ومعانا مرتضى المراغى.. يعنى بالعربى الفصيح كل واحد منا معاه صاحبته..

ومرتضى راهن الجميع أنه - يأخذ منك العربة باكر حتى أن السيدات تراهنّ أيضا فأرجوك رجاء خاصا أن تخفيها..

وقمت من فورى وأخذت العربة إلى بلدتى «كفر أبو شحاتة»..

وكانت هناك غرفة «تبن» فأحضرت بنّاءً وكسرت الباب وأدخلت العربة، ووضعت فوقها التبن

وأعدنا بناء الباب مرة أخرى

وانتهيت من العملية الساعة الخامسة صباحاً

وكنت بالقاهرة الساعة السابعة صباحاً

وكانت حرارتى ٣٨,٥.

وحاولت أن أنام وإذا بوالدتى رحمها الله وزوجتى تقولان لى:

- إن واحد بكباشى بوليس اسمه طه زغلول يريدنى فى وزارة الداخلية الساعة الثامنة والنصف وترك مذكرة بذلك. وفى الساعة الثامنة فعلاً قبل أن الحرك تحدث معى مأمور القسم ودخلت مكتب طه زغلول وكان به عديد من مكاتب ضباط القلم السياسى

وسألت أول مكتب عن طه زغلول فقال: أنا

قلت: سيادتك عازونى فى حاجة

قال: هوه أنت وجيه أباظة.. اسمع قبل ما نتكلم فى الموضوع روح هات العربية الجيب وتعالى وبعدين نتكلم .

فجلست على الكرسى والتفت كافة الضباط ناحيتى وقلت له:

ـ هوّه يا أخى أنت مـا عندكش ذوق كدة ليه . . أنت بـكباش وأنا بكباشى (قـائد جناح) وأنا حـرارتى ٣٨,٥ وجاى بناء على اسـتدعـائك ولو كنت أعلم أنك سـتحـدثنى فى هذا الموضوع لما حضرت أبداً. أنا أعلم أن مـرتضى باشا وزير للداخلية . . وهو فى نفس الوقت وزير للحربيـة . . وليس من حقك لا أنت ولا أجعص منك يحضـرنى هنا حتى ولا الوزير بتاعكم ـ بوصفه وزيراً للداخلية . .

وإذا كان الباشا عاوزنى يطلبنى فى وزارة الحـربية عن الطريق السليم والتسلسل الطبيعى الذى تعرفه . .

وعاوزك تعرف كمان إن موضوع العربية ده داخل فيه نسوان وسهرات ورهان فابقى قول للباشا لا يصح هذا . .

الفدائيون يستشهدون فى القـنال، وأنتم فى القاهرة تتراهنون على عربة فى سهراتكم؟! وقمت من مكانى غاضبا، وكانت هذه آخر مقـابلة لى معه . . إلى أن تقابلنا فى البحيرة . . وحينما شاهدته عرفته فوراً بالمحطة فى دمنهور .

ولنرجع إليه فى دمنهور . . ولعلى قـد أطلت عليكم ولكنى أردت فقط أن أقول إن أول مقابلة معه وهو بكباشى كانت عاصفة . . وكـان عمله معى عاصفا . . كان دائما سيىء النية لم يقل فى أحد أبداً ـ وأقسم على ذلك ـ كلمة طيبة واحدة حتى على إخوانه الذين أحيلوا إلى التقاعد .

بل حتى على إخوانه الذين توفاهم الله .

يقول دائما : أنت عارف أبوه إيه . . عسكرى!

إنت عارف أبوه إيه ... بوسطجى!

إنت عارف أبوه ايه ... جزمجى!

ـ وأنا مالى يا طه بك . . ليكن ما يكون أبوه . . أنا عاوزه هوّه راجل كويس والا لأ . .

يقول : أبداً ده أصله كذا وكذا، فلان كان بيلعب قمار امبارح .

فلان عارف «بت مُدرّسة»!!

كان دائما أبداً ما ينطق إلا شراً

ولم ينطق كلمة مديح واحدة فى أحد!

كان دائما يجلس فى مكتبه ويجمع حوله لفيفاً من الناس ويقول:

شوفوا الراجل الطيب وجيه أباظة ده المحافظ بتاعنا اللى زى السكّرة.. شوفوا بيقولوا عليه إيه. بيقولوا عليه بيسافر اسكندرية، وأحياناً فى منزله يقيم سهرات حمراء، ويبقى الخمر للرُكَب.. والقمار والنسوان..

والله يا اخواننّا دا كله شائعات لكن حتقولوا ايه لأولاد الحرام..

وهكذا يستمر فى بث سمومه بين الناس.. وأنا لم أشرب الخمر فى حياتى ولا أعرف من الألعاب إلا «الطاولة»!!

ولكنه لم يكن يعرف ـ ولعله لأول مرة يعرف ـ أنى كنت أفتش مكتبه يوميا دون أن يعلم.. وأن جميع مكالماته التليفونية كنت أسجلها ولأول مرة يعلم أيضا.. كنت أضعه حتى ـ وهو فى بيته.. تحت مراقبة دقيقة.. أليس هو الرجل الثانى فى المحافظة..

مدير الإسكان لا أعرف والله اسمه كاملاً حتى الآن كان «جودت بك» وكفى..

كان طرازاً فريداً هو الآخر من الموظفين.. طرازاً عجيبا فى نوعه..

ـ فين ميزانيتك يا سيادة المدير؟

ـ موجودة عندى.يا «باشا»!! يقصدنى أنا طبعا لأنه لم يكن موجوداً بالمحافظة إلا سعادة «الباشا» المدير.. وسعادة «البيك» المحافظ.. وأحياناً يقولون «باشا» على سبيل المجاملة.

ـ هات الميزانية وتعال.

ـ حاضر يا فندم..

ويحضر «جودت بك» وللحق أقول إنه كان رجلاً مهذباً للغاية.. نزيهاً للغاية.. مهملاً للغاية..

واستعرضت معه الميزانية.

ـ ما هذا المبلغ يا جودت بك؟.

- آه.. هذا مرتبط به..

- مرتبط به.. يعنى إيه!

- يعنى أعلنّا عنه فى مناقصة ورسيت على أحد المقاولين وارتبط به.. ولم يبدأ العمل بعد!

- وهذا المبلغ؟!

- مرتبط به أيضا.. دا ثمن «مواسير المجارى» مرتبط بها منذ ثلاث سنوات، والمواسير وصلت.. لكن وحدات التشغيل لم تصل بعد من الخارج!!

- وهذا المبلغ؟!

- هذا أيضا مرتبط به.. ثمن وحدات (ماكينات) كهرباء ولكن الكابلات مرتبط بها من ثلاث سنوات ولم تصل.

- وهذا المبلغ..

- آه.. دى شوية عمارات سكنية لم ترسو على أحد من المقاولين حتى الآن.. وسنعلن عنها مرة أخرى!

- نحن فى شهر نوفمبر «يا جودت بك» هل تستطيع أن تنهى العمل فى ثمانية شهور!

فتلمع ضحكة استهتار على فمه ويبتسم فى أدب ثم يقول:

- لامش ممكن.. دى على الأقل تأخذ سنتين!

- طيب والخطة الخمسية يا جودت بك..

- جارى العمل بها..

فسألته فجأة: درجتك إيه؟

- مدير عام يا فندم.

- شوف يا جودت بك.. الظاهر إننا مش من طينة واحدة..

أنا مازلت شاباً وأنت وعمرك يدق على باب السادسة والخمسين.. فيه عندى حل واحد ولا بديل..

أنا عارف أنك راجل مهذب ونزيه صحيح.. لكن ربما العمل معى لن يكون مريحا لك

فإما أن تـطلب ـ أنت نقلك ـ وإما أن أطلب أنا نقلك ـ وعلى الفور ـ وليس هذا عـدم ثقة فيك ولكنى كما تعلم موظف جديد وعاوز جيل جديد يعمل معى . .

وفعلاً طلب نقله... وأجيب إلى طلبه .

وإذا بى أعين ـ وليس هذا من سلطتى – موظفـا فى الدرجة الثالثة يدير مـرفق مياه أبو حمص كانت ميزته الأولى . . أنه شاب وأنه عمل طوال حيـاته فى التنفيذ، و سمعته كانت طيبة فأصدرت قراراً بتعيينه مديرا للإسكان وجمعت موظفى الاسكان الآخرين وقلت لهم:

- اللى منكم أقدم من عبد العزيز الشريف يطلب نقله إلى جهة أخرى . .

حتى عبد العزيز الشريف ـ مدير الإسكان الجديد ـ فوجىء بهذا التعيين.

وقامت وزارة الإسكان على رجل . .

يا خبر . .

محـافظ البحيـرة جاب واحد درجة ثالـثة عينه مديـرا للإسكان . . وهوّه ضرورى يكون «مدير عام»!

والمصيبة أن المحافظ عين مـدير الإسكان دون علم الوزير! ولم آبه لهذا الكلام فقد كان وزير الإسكان فى ذاك الوقت الدكـتور مـحـمد أبو نصـير . . وكـان واسع المدارك . . ولما شرحت له وجهة نظرى وافق . . وانتهينا من التعيين!

ولكن هذا التحـدى قابلتـه تحديات أخرى من «الوزارة» نفـسها . . وكـيلها ومـوظفوها وطائفة «عجائز الفرح» وهيئة كبار المنتفعين . . ورابطة كبار الموظفين الذين أكل عليهم الدهر وشرب!!

ولم ألتفت خلفى؟!

بل اندفعت إلى الأمام بكل قوة وعنف وصراحة . .

قالوا: مفيش فلوس . .

قلت: فيه أرصدة فى مجلس المدينة .

قالوا: قالوا دى أرصدة «ثابتة»!!

قلت: نحركها.. وفوراً

وهنا.. «قبّ» المراقب المالى وقال:- ممنوع!

قلت له: من فضلك روّح على مصر واشتغل هناك

وحركت الرصيد الثابت.

ودقت ساعة العمل الثورى.. وبدأ العمل.

يأتى عبد العزيز الشريف ويقول: الأراضى فيها برسيم

أقول: «حشوّه» وأعطوا تعويضا لصاحب الأرض.. وابدأوا فى البناء.

- صاحب الأرض مش راضى.

- ليصدر قرار استيلاء مؤقت على الأرض.

وهكذا قرار إثر قرار.. وعمل تلو عمل وجهد متواصل..

وبدأت العجلة تدور.. واستبيح القارىء عذراً أن أتوقف هنا فللإسكان مثلا سأفرد فصلاً وربما فصلين أو ثلاثة.. بعضها نفذناه ولححنا فيه.. وبعضها نفذناه عن طريق المواطنين، وبعضها مازالت اقتراحات أرجو أن يمتد بى العمر حتى أراها فى بلادى!!

ولنعد إلى كبار الموظفين!

مدير الصحة مثلا.. الدكتور العظيم: مختار البرويل.

ومختار البرويل هذا كان طبيبا فى منيا القمح - بلدتى - وأنا لم أزل أدرس فى المدارس الثانوية..

كان يجلس مع أقاربى - الكبار - ولا أستطيع أن أجلس معهم... تقاليد موروثة!!

وكان عندنا ومازال كأحد أفراد أسرتنا رجلاً عظيماً شهماً!

لم أكن أدرى عندما قابلته بالمحطة - وكان ضمن المستقبلين السبعة لى - أنه مدير الصحة..

ولما طلبت الاجتماع الأول برؤساء المصالح همس فى أذنى السكرتير العام وقال كلهم جايين ماعدا مدير الصحة..

- قلت والله عال.. آدى اللى ناقص.. أطلب موظف ولا يريد الحضور

وفى عصبية أمسكت بسماعة التليفون وطلبت مدير الصحة..

ورد الدكتور مختار..

قلت: مين؟..

- أنا مدير الصحة

- مين يعنى؟. اسمك ايه؟.

- قال أنت مين الأول

- أنا المحافظ..

- يخيبك.. يا وجيه وبتشخط فيّ كدة ليه!!

- مين أنت؟

- أنا مختار.

«وكدت أطير من الفرح».

- قلت تعالى يا دكتور أنا عاوزك حالاً

- جاى.. جاى ما تشخطش..

وحضر الدكتور مختار.. وقابلته بالعناق والقبلات ودموع الفرح تكاد تنهال من عينى..

كنت وقتها كالغريق الذى تشبث بطوق النجاة.. وتخيلته تماما معى كأنه أخى ممدوح!

وانتهى الاجتماع.

ولم يفارقنى لحظة بعد ذلك!

كنا نبيت سويّا أنا وهو وعزت [1]- سكرتير عام المحافظة - أخذنى حوالى أربعة أشهر إلى أن حضرت الأسرة ولكنى لاحظت عند حضورى كل الليلة أنه وعزت يطلعان على القوانين وعلى شىء لم أطلع عليه حتى الآن - اسمه «الموسوعة» - ويبدأ حساب الملكين . .

ويقول الدكتور مختار: يا وجيه يابنى إنت عملت كذا وكذا ضد القانون وآدى الموسوعة.

وهات يا قوانين وكنت أصدق على كلامه . . وأقول:

- يا دكتور دى مخالفات خطيرة . . معلهش أعدك أنى لن أعود إليها

وفى اليوم الثانى يأتى حساب الملكين. فأتلقى منه نفس الكلام وأرد عليه بنفس الاعتذار . . وأخيرا قلت له:

- قول لى يا دكتور الحاجات اللى أنا بأعملها دى فى صالح الناس ولا لأ . .

قال: آه . .

أقول: طيب القانون بتاعنا عظيم ومرن وأنا دائما أنفذ روح القانون لا مواده الصلبة ولا كلماته الجامدة ولا اللوائح البالية ولا الفرمانات من أيام محمد على . . القانون عندى يا دكتور هوّه قانون الإدارة المحلية . . وإذا وقفت مادة ضد مصلحة المواطنين . . ليس هناك مانع من أن نتحايل عليه، المهم أن نصل إلى أهدافنا التى هى أهداف الشعب حلاً لمشاكله . . واستجابة لمطالبه، ورفعا للظلم الذى قد يقع على أحد ويتدخل عزت فى المناقشة وإذا بالدكتور مختار يقول: اسمع يا واد أنت يا عزت يلعن . . . على أبو الموسوعة على أبو الكلب . . الجماعة دول بتوع الثورة الظاهرانهم من طينة ثانية . . سيبه يا بنى ينطلق . .

- اسمع يا وجيه - والكلام هنا من الدكتور مختار - مش فيه يا بنى عندكم عيش وجبنة فى البلد... فأجبته بالإيجاب . . قال خلاص إعمل اللى أنت عاوزه وإذا رفدوك روح أقعد فى البلد وكل عيش وجبنة!

ومن هذه الليلة اختفت «الموسوعة» دفتر الحساب بل وانعدم . .

---

(١) عزت رايد

والنتيجـة . . أن السيد كمال الدين حسين افـتتح بعد أربعة أشهر ٢٩ مـشروعا، ووضع أحجار أساس لأربعين مشروعاً آخر

فلنترك أيضا الدكتـور مختار فلنا مع الصحة وقفـة طويلة فى هذا الكتاب . . ربما نفرد له فصلين أو ثلاثة هى الأخـرى كى نعالج المشكلة من أساسهـا . . من جذورها . . وليس من سطحها... فالصحة . . وعلاجها . . الوقاية . . ووسـائلها والعلاج ومستشفياته ووحداته فى محافظة مـترامية الأطراف لاشك تحتاج إلى حـديث طويل . . وإلى حديث صريح . . وربما إلى حديث خطير!!

يا لها من أيام!.

هل أحدثكم عن الأوقاف مثلاً؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . .

الشيطان نفسه لا يستطيع أن يتحايل على القانون مثلما تحايل بعض موظفى الأوقاف . .

وتحضرنى أمثلة ثلاثة . . وربما يأتى فى سياق الحديث مزيد، ولكن قبل أن ابدأ أحب أن أصف لك بعض الشخصيات . . التى تتصدر موظفى الأوقاف . .

فمدير الأوقاف رجل محترم للغاية ومن أسرة عريقة قديمة . . وهو رجل طيب . .

كلمـا سألت عنه قـالوا: إنه رجل طيب . . ما رأيك فى مـدير الأوقاف وتأتيك الأجـابة سريعة: رجل طيب.

- يا أخـوانا أنا لن أتزوجـه . . ولن أنـاسبـه . . مـا مـعنى رجـل طيب هذه . . هل هو مجتهد . . شغال . . نزيه . . عادل

وتختلف الإجابات . . وأخيراً تقابلت معه . .

فى أول الاجتـماع رجل فـارع الطول والعرض ثقـيل الوزن . . خفيـف الدم لا تفارق البسـمة شـفتـيه أبداً حـتى فى أشد الأوقـات شدّة . . هادىء الأعصـاب . . وأنا أحبّ هذا الصنف . . ولكن . . ما رأيك وهذا هو اسـمه فى أرض «أتوزير» . وأرض أتوزير هذه فى وسط دمنهور عـبارة عن أربعة عـشر فدانا تمتـد من النادى القديم إلى السكة الحـديد، ولها تخطيط وهو وقف أهلى . . وتقسيمها موجود، ولم يبق إلا التنفيذ .



ولكن هناك ثلاث عقبات ليس إلاّ:

الأولى أن هناك خلافا بين أصحاب الأرض ـ وعـددهم لا يقل عن مائة مستحق ـ وبين مجلس المدينـة هم يريدون أن يكون ثمن المتر ٢٣٠ قـرشاً مائتـان وثلاثون قرشـا ومجلس المدينة يقول ٢٠٠ قرش مائتا قرش فـقط ولا أدرى ما هو الاساس الذى قدّر عليه الثمن؟! لهؤلاء أو لهؤلاء..

فاستدعيت جميع المستحقين وفى جلسة واحدة انتهى كل شىء.. وبسرعة خاطفة..

قلت.. شوفـوا يا جماعة أنا مش مـحافظ أنا واحد منكم أحافظ على حـقوقكم وعلى حقوق مجلس المدينة فى نفس الوقت... ايه رأيكم لو أنهينا هذا النزاع كالآتى:

أنتم تتحملون ١٥ قرشاً خمسة عشر قرشـا نقصا ومجلس المدينة يتحمل ١٥ خمسة عشر قرشا زيادة فيكون ثمن المتر ٢١٥ مائتان وخمسـة عشر قرشا.. وإذا بالجميع يوافقون.. ثم يوقعون!!

وإذا بى أوقع عن مجلس المدينـة.. وانتهى الأشكال فى عشر دقـائق لا تزيد.. وتغلبنا على المشكلة الأولى وكنت أحسبها أشد المشاكل لكن جاء ما هو أمرّ وأدهى؟!

تلاعب عجيب يعجز الشيطان نفسه عنه..

فالأرض كانت منزرعة موالح!!

وإذا بخطاب من مأمـورية الأوقاف بالبحيرة يقـول للوزارة إن الشجر أصبح لا قـيمة له لأنه «معمر».. وعمرة يزيد على خمس عشرة سنة، ولا فائدة ترجى منه وأن الوزارة ترغب فى تقليعه وبيعه خشبا ثم تأجير الأرض كأرض زراعية!!

ويتقدم شخص من دمنهور أذكر اسمه تماما كـمشترٍ، فى مزاد صورى فيرسو عليه المزاد بمائتى جنيه على ما أذكر. وإلى هنا الموضوع ماشى عال جداً.. وقانونى جداً.

ثم يتقدم السيد أحمد القزق هذا لتأجير الأرض هذه. وإذا بالمزاد يرسو عليه بمعدل أربعة جنيهات للفدان .



وإلى هنا أيضا الموضوع عال العال والمزاد قانونى، وإذا بالأخ أحمد القزق يستأجر الأرض ويترك بها الأشجار المثمرة التى تُدرَ عليه أرباحاً طائلة كل عام..

وطلبت قوة من الشرطة للمحافظة على الحديقة على الرغم من علمى بهذا التلاعب الخطير؟!

وذلك لكى أشق طريقاً يعتبر مدخلاً جديداً.. أو بمعنى أصح مدخلاً رئيسيا لمدينة دمنهور..

وأحضرت «البلدوزر والجريدر»

وبدأت يوم الخميس مساءً على ضوء الكلوبّات تمهيد الطريق، وإذا بالناس تفاجأ بهذا الطريق صباح السبت.. فأصابتها دهشة بالغة.. وإذا بى أنا أيضا أفاجأ ببرقية من السيد أحمد القزق يقول فيها ما معناه إنكم تعديتم على حقوقنا دون وجه حق ودون سند قانونى.. فالمرجو إيقاف مثل هذا العبث!!.

فرددت عليه رداً عمليًا.. صرفت جنود الحراسة من على الحديقة وإذا بى أراها فى الصباح الباكر خالية من أى ثمرة على الإطلاق فقد انقض بعض الصبية والباعة على الحديقة وتركوها خالية الوفاض من الثمر خاوية على عروشها.. وإذا بالبلدوزر يشق باقى الشوارع فى وسطها ويحددها ويحدد القطع وإذا بى أيضًا أنشر إعلان بيع عن هذه القطع الموضحة فى خريطة فى الجرائد وفى لوحات إعلانية بالمدينة..

وتعهدت للمواطنين الذين سيقومون بالبناء بأن مجرد توقيع عقد الشراء المقسط على خمسة أقساط يعتبر ترخيصًا بالبناء على أن يوافق على التصميم من مديرية إسكان البحيرة..

وإذا الطلبات تنهال علينا من كل جانب.. زيادة عن ذلك فقد جاء فى نص العقد أن كل من يتم بناؤه خلال عام واحد يخصم ٥٪ من الثمن.

وإن أول شخص يقوم بالبناء قبل الآخرين بالشارع يسمى الشارع باسمه.. وسنساعد فى الحصول على مواد البناء..

وبيعت القطع على الفور وسيأتى تفصيل هذا المشروع فيما بعد فى «أبواب الإسكان».

وأضفنا إلى كل متر عشرة قروش للخدمات.. كالمسجد والمدرسة والوحدة الصحية والوحدة الاجتماعية.. وهكذا!!

أما التحفة الأخرى. فهو موظف تحفة حقًا.

حاجة كدة موديل القرن الماضى..

البدلة الشيك والكرافتة ودبوسها ذو الفص «اللولى» الذى تحكم وضعه «صامولة» من الخلف..

منديل جيب هفهاف.. ومنشة بيدها العاج الملتوية موديل شارع خيرت بالقاهرة فى قديم الزمان.. وكان سيادته مفتشًا لتفتيش أوقاف صفط خالد ويتبعه إسكان إيتاى البارود..

وكان قد بلغنى أن بايتاى البارود ستين شقة لم تجد أحداً يسكنها، أو بمعنى أصح لم يخاطر أحد أن يسكنها طوال ثمانية أشهر.

فاصدرت قراراً بتخفيض الإيجار عشرين فى المائة.

لكن لم يتقدم أحد فقمت بمعاينتها فوجدت أن المصمم الذى صمم هذه المبانى اعتقد أن الإسكان «الاقتصادى».. يجب أن يكون هناك «اقتصاد» فى مساحة الحجرة فأصبحت كالحجرة التى فى معتقل القلعة ـ لا أراكم الله إياها ٢×٣..

وتحدثت مع الأخ طعيمة[1] فخفضنا عشرة بالمائة أخرى لكن دون فائدة.

قلت لنفسى: يجب أن أحل أزمة الإسكان فى المدينة. فأصدرت قراراً بنقل كافة المصالح الحكومية من شققها المستأجرة والمتناثرة فى المدينة وأن يقوم مجلس المدينة أيضًا باستئجار بعض الشقق.. ولتترك الشقق الأخرى لسكن المواطنين وأعطيت مهلة للنقل. عشرة أيام فقط.. وإذا بوكيل فرع بنك التسليف يتوجه بسرعة لاستئجار ثلاث شقق.. وإذا بالسيد المفتش يقول له:

طيب سيبها هنا وأبقى مر عليّ بعد أسبوع.

فقال له وكيل الفرع:

---

(١) أحمد عبد الله طعيمة وكان وزيراً للأوقاف

يا أستاذ المحافظ محدد عشرة أيام

فقال مفتش الأوقاف العبقرى!

شوف يا أستاذ. أصل فيه أصول.. سيب الطلب وبعدين نبقى نعمل قرعة..

ولما بلغنى الخبر.. قلت: قرعة.. قرعة على إيه؟! على مبانى خالية.. ولم أصدق أذنى..

لم أصدق أن هناك موظفين بمثل هذه العقول التى تستحق الحرق فى الظهر الأحمر! واستدعيت سيادته

ودخل مكتبى وقمت محييا فى احترام:

ـ تفضل..

وتفضل سيادته وصورته لا تفارق مخيلتى حتى الآن.. البدلة الشيك.. والدبوس اللولى أبو «صامولة». والمنديل المهفهف والمنشة أم إيد عاج!

مظهره يدخل فى قلبك الاطمئنان على أن الدنيا بخير.. وهات يا جدع قهوة.. سكر إيه؟

ـ سكر شوية.. من فضلك ـ موجها كلامه للساعى ثم موجها كلامه لى: أصل أنا عندى سكر.

ـ لا أبدًا خير بإذن الله وإن شاء الله ربنا يديلك الصحة والعافية..

مع أنه كان يتمتع بصحة ثور.. وحيوية حصان أو حمار حصاوى جامح..

صحة وعافية؟! صحة إيه وعافيه إيه استنى يا واد ـ وأنا أخاطب نفسى ـ لما نشوف الكلام ده صحيح أم لا؟!

قلت:.. إيه حكاية الشقق بتاعت إتياى البارود

قال:.. مالها يا فندم.. كل شىء على ما يرام.

قلت:.. صحيح وكيل بنك التسليف جالك وركنت الورق عندك للآن

قال:. أيوه يا فندم لما نستوفيه

وكانت القهوة قد حضرت. فرشف رشفة من فنجانه ثم قال: أصل زى ما «سعادتكم» عارف فيه لوائح ضرورى تطبق.

قلت: . . وما هى هذه اللوائح؟!

قال: . . ضرورى نعمل قرعة. .

قلت متعجبًا: . . قرعة. . قرعة على إيه يا حضرة الفاضل. . دا أنت الشقق عندك فاضية وأنت فى عرض ساكن واحد؟!

قال: . . لا تؤاخذنى يا «سعادة» المحافظ فاللوائح لا ترحم.

قلت: لوائح إيه؟. . وهباب إيه؟

فاعتدل قليلاً فى جلسته ووضع فنجان القهوة. .

قال: . أمال أعمل ايه؟.

قلت: . يا أستاذ أجر على طول

قال: . . ما أقدرش يا فندم.

وضغطت الجرس فحضر السكرتير العام. .

قلت لعزت:

يا عزت أعمل معروف شيل «الجثة» دى من قدامى واشحنه فى أول قطار إلى القاهرة. . وإوعى ترجع تانى. . مش عاوز أشوف وشك تانى فى المحافظة.

وتحدثت مع الأخ طعيمة وقصصت عليه كل ما حدث فاستغرق فى الضحك. . ثم قال: . .

ـ دا الموظف ده تحفة. . وحياة أبوك أبعتو لي. .

قلت له: أنا مش أرسلته دا أنا شحنته من الباب للباب وهو فى الطريق إليك. .

وكان طعيمه رجلاً حاسمًا وحازمًا وسريعًا فأرسل لى غيره. .

ولا أدرى ما حدث لهذا الموظف «العبقرى» حتى الآن.. ولو أنى متأكد أنه ربما يشغل منصبًا آخر ليعقّد الأمور، ويطبق لوائحه وقوانينه الجامدة على خلق الله ولا من مجير!!

ولنقف هنا قليلاً فربما عدنا للأوقاف وأعتقد أننا سنعود فعلاً إلى الأوقاف بإذن الله فى فصول لاحقة أو ربما صفحات..... لا أدرى

ولنواصل الرحلة مع رؤساء المصالح.. مجرد إشارة لهم.. مجرد تقديم لهم..

ياه!! وحتى أقدم صاحب الجلالة السيد مفتش الرى والسادة أصحاب السمو مهندسى الرى بالمحافظة.. هل أقدمهم الآن؟.. أم أقدمهم بعد ذلك؟.. ولماذا؟.. فلنبدأ الآن ولنقدمهم. هل ترى نقدمهم فى مكاتبهم.. أم فى «مستعمراتهم»؟!

أقدم لك السيد مفتش المشروعات أم وكيله؟. هل أقدم مفتش الآلات البخارية؟.. أم أقدم مفتش المساحة؟.. فكل هؤلاء يتبعون وزارة كان اسمها الأشغال.. واسمها الآن وزارة الرى.. أما الصرف فله تفتيش آخر..

كل هؤلاء يتبعون إمبراطورية «فرحات»[1] القابعة فى القاهرة لا دخل لأحد منهم بعمل الآخر؟!

كلهم منفصلون عن بعضهم..

والوزارة نفسها منفصلة عن الجمهورية شكلاً... وهذا لا يهم.. وموضوعًا كذلك هذا هو المهم

ومن قلة بختى أن يقع اختيار وزارة الإدارة المحلية على بيت صاحب «الخشية» المفتش لكى يسكن به المحافظ!

ولا ذنب لى فى ذلك ولا لأحد من الأخوة المحافظين..

ولكننا دخلنا فى إمبراطورية فرحات من بابها الكبير..

إذن فنحن أعداء لهذه الوزارة..

---

(١) لعله يشير إلى رواية يوسف ادريس جمهورية فرحات

هل يعلم المواطن أن وزارة الرى لها قانون خـاص، منفصل تمامًا عن قانون الدولة.. أو بمعنى أصبح دولة قـائمة داخل الدولة!! وتوجهنـا إلى محافظاتنا نحـمل ـ دون ذنب ـ على أكتافنا اعباء اقتحام الجمهورية الثانية.

من تجربتى هناك وزارتان فى «مصر» يجب أن ينالهما شىء.. ولو بسيط من التمصير!!

وزارة الرى.. ووزاة النقل.. وأقصد هنا السكة الحديد!!

قلت لنفسي.. عندما ذهبت للمحافظة:

– إن لدى ـ كدفـعة أولى ـ ما يفوق المائة ألف جنـيه لبناء مقرات لمجـالس المدن وبيوت لرؤساء المجالس.

قلت: لن أنفق مليمًا واحدًا فى ذلك.

استوليت على استراحات الرى.

فى كل مدينة استراحة بل استراحتين:

الإستـراحة الأولى.. تصبح مـجلس مدينةوالاستـراحة الثانيـة سكنًا لرئيس المجلس. ووجهت المبالغ كلها للإسكان الاقتصادى .

وقمت أنا ببناء العمارات فعلاً..

وقامت قيامة وزارة الرى!!

لكن الأدهى والأمر من كل هذا أن مهندس رى شـبراخيت عنده ـ فيلا بحديـقة واسعة يخترق هذه الحديقة مروى لثمانين فدانًا تجاوره!!

إذا بالمهندس يردم المروى ويمنع المياه عن الفلاحين

وتحدثت مع مهندس الرى فتعجب !

وقال: سأعاين المكان بنفسى .

وقلت فى سياق الحديث: إذا كان أى سبيل لرى هذه الأراضى فلا مانع

ولم يكن هذا المهندس قد أكمل مسوّغات تعـيينه وأرسلت له شكوى وقع عليها عدد من ملاك ومستأجرى الثمانين فدانًا.

وفوجئت فى اليوم الثانى بأن الذين وقعوا على المحضر قد حكم عليهم ـ بمحكمة الرى ـ ألم أقل لك إن للوزارة قانوناً خاصاً.. وهى دولة داخل الدولة نظير جباية نقل أتربة.

وإذا بهم يغـرمون مـبالغ تـراوح ما بـين ٢٠ : ٥٠ جنيهـا.. يا حول الله!! حـتى هذه الأصوات التى تسـعى وراء لقمة العيش يغـرمون هذه المبالغ البـاهظة، وإن شيخ البلد وقع بالختم على المحضر!!.

ووجهت إنذاراً أخيراً لمفـتش الرى وقال فى كياسة هل تفكر فى هذا الموضـوع وسأنهيه بنفسى وهل لم ينته الموضوع؟.

الغرامات زى الرز لمن لا حول لهم ولا قوة.. والشيخ[1] باصم أو خاتم..

المصيبة إن الغرامات توقع على صغار الزراع.. أما كبار الزراع فهم حماية!!

وأحضرت الشيخ وقلت له: هل شاهدتهم وهم ينقلون الأتربة..

وتلفت حوله ثم قال فى همس: لا أبداً

قلت له: من العيب أن توقع على حاجة تحت ضغط..

قال: حنعمل إيه ياسعادة «الباشا» !! إحنا عبد المأمور. بقى يعنى سيادتك عاوزنى اقف فى وش مهندس الرى وأنا روحى فى إيده..

وهنا يتبادر إلى ذهن كل منا.. مامدى مسئوليتى عن الإنتاج الزراعى.

يقول المسئولون: أنت وحدك.

طيب لما أنا وحدى لماذا لم توضع كافة امكانيات الانتاج تحت تصرف المحافظ!!

يقولون: النيل من منبعه إلى مصبه تبع الرى ولا شىء غير الرى!

نقـول: يا أسيـادنا عاوزين مـية لـلقطن يبدأ مـعك النقـاش عن بحيـرات ألبرت نيـانزا وفكتوريا.. نياجرا والنيل الأزرق والأحمر والأخضر والأصفر.. وما إلى ذلك..

---

(١) شيخ البلد



وينتهى كل منهم من المناقشة ويقول لايمكن أبداً الرى يتبع الإدارة المحلية

ونقول: ياهوه.. المحافظون ليسوا طلاب سلطات ولكنهم طلاب اختصاصات - وليس لنا - بل لرؤساء المصالح كى تتصرف محلياً دون الرجوع إلى الوزارة فى أية ناحية من النواحى .. ولنا كامل السيطرة عليها . . هل تدخلنا فى عملهم أبداً ؟.

يقولون: لأ..

لماذا.. لأننى أعطيت رؤساء المصالح ورؤساء المدن كافة سلطات وصلاحيات المحافظ، كل يعمل فى ناحية ..

فالمفروض أن نربى جيلاً من القادة الشجعان ولانربى جيلا من الكتبة المتخاذلين.

وبلادنا للأسف كلها كتبة .. على الورق والدوسيهات اتفرج «ياسلام» !!

وعلى الطبيعة لاشىء.. مجرد صفر على الشمال .

ولنعد مرة أخرى إلى مهندس شبراخيت الذى لم يأبه لاى ترهيب أو تهديد وردم المسقى الموصلة إلى ثمانين فدانا

أما الذين كتبوا الشكوى فقد أخلوا محاضر نقل أتربة!!

وإذا بى بعد أن انتهى الإنذار أبنى سورا حول منزل المهندس وأخرج المسقى خارج حدود المنزل وأفتحها.

وهنا قامت القيامة .

واكفهر الجو..

واذا بخطاب يصلنى معنوناً باسم محافظ البحيرة - يعنى ليس شخصياً - فتداول بين أيدى كل الموظفين .

وكان من السيد وزير الرى - الذى لم يكن الموضوع قد أبلغ له بطريقة سليمة.

وكان يظهر ما فى الكتاب (أى أوقف مرة أخرى مثل هذا العبث)

وأنه قد نبه على جميع مهندسى الرى بعدم إطاعة أى أمر يصدر منى . .

وبمنتهى الهدوء من ناحيتى . . كتبت الرد وكان مطلعه كالآتى :

السيد وزير الرى . .

طبعا التحية الطيبة وإنى أسفت للغاية أنى تسلمت خطابه الذى بعد كثيراً عن أدب الكتابه واتسم بالعجلة والتسرع . .

وأخذت الخطابين وأعطيتهما للسيد كمال الدين حسين الذى عرضهما على الرئيس، فاستدعى السيد الوزير ولا أدرى ماذا حدث فى هذا الاجتماع . .

ولكنى سمعت من الأخ كمال الدين حسين بعد ذلك مادار فى هذا الاجتماع ولست فى حل ان اقول ماحدث . . ولو أنه على الرغم من كل هذا كان المهندس العظيم والرجل الشهم بكل مالحمل هذه الكلمة من معانى ولكن ما أستطيع أن أشير إليه أنها كانت مقابلة عاصفة للغاية!!

وليس هناك من داعٍ أن أسرد حكايتى كلها مع الرى، فهى عديدة ومتشعبة ومع مختلف الوزراء . .

حتى مع المهندس موسى عرفة الذى اشتهر دائما بالأدب الجم والكياسة. وتحملنا كثيراً!!

ولكنى أعدك أيها القارىء أن أعود بك مرة أخرى إلى الرى ومشاكله ومتاعبه ومشاغباته التى لم تنقطع بالمرة إلا بعد أن عينت محافظا للقاهرة . . وبرضه حدث شغب واحد فى القاهرة .

ونسترسل فى الحديث عن رؤساء المصالح .

عن السكة الحديد والطرق والكبارى مثلا . .

كان رئيس المصلحة «غلبانا» غلبا أزلياً .

كلما تقدم المجلس بمشروع يأتى فى الاجتماع ونسأله عما تم، فيقول بصوت كله ثقة:
سيادة المدير العام قال مفيش فلوس واقتراح آخر ونفس الاجابة . .
وآخر . . وآخر . . وآخر . . والاجابة هى . . هى .

وجمع المجلس مجموع طلباته فوجدها ٢٢٣ طلبا لم تسجب فيها وزارة المواصلات فى هذا الوقت - والنقل حاليا - إلى مطلب واحد .

وقرر المجلس بإجماع الأصوات «طرد» ممثل الوزارة من المجلس وكانت العلاقات وقتها بينى وبين الرجل المهذب مصطفى خليل سيئة للغاية شأنه شأن باقى الوزراء وحاولت أن أسأل المجلس عن رأيه تعديل كلمة «طرد» هذه فلم يوافق المجلس على الإطلاق. .

وترجع قصة الخلاف بينى وبينه - خلاف العمل طبعا - وليس خلافاً شخصياً لأن الدكتور مصطفى خليل من أقرب الناس إلى قلبى وأعزهم عندى، يمتاز بالادب الجم، من أسرة طيبة لها علاقات قديمة ووطيدة وصادقة بأسرتنا ومن بلدة تكاد تكون احدى بلاد محافظة الشرقية، ولهذا كان له معزّة خاصة فى نفسى . . ولكن «حَجَرى» لطش مع حَجَرهُ - كما يقول المثل الفلاحى - عدة مرات

المرة الأولى: من أجل سور السكة الحديد

والثانية: من أجل أرض الدلتا - وسكة حديد الدلتا نفسها فى وسط الدلتا .

والثالثة: من أجل أسلوب الاتصال بالمحافظين .

والرابعة: من أجل فتح شارع جديد .

والخامسة: كانت حادثة القطار

وآخرها كانت المقابلة العاصفة بينى وبينه بمكتب السيد كمال الدين حسين . .

آه . . أيها المواطن لو اتصلت برجال السكة الحديد .

ألم أقل لك إنها فى حاجة إلى «تمصير» !!

آه . . لو طلبت طلبـا . . لأجابك المسئـول بكلمة «لأ مش ممكن» حتـى قبل ان تكمل حديثك . .

أليست هى الجهة الوحيدة فى مصر اللى ماشية «شمال»!!

حتى الآن . . كل ما فى بلدنا بيمشى يمين . . ماعدا السكة الحديد فهى ماشية شمال . . فى قطاراتها . . وحتى فى عملها . .

عـاوزين تزودوا بعض من العـربات فى الصبـاح فى مـوسم المدارس من دمنهـور إلى الإسكندرية . . لتفادى الزحام الشديد فربما ربع طلبـة جامعة الإسكندرية من بلاد محافظة البحيرة وما يجاورها . . الإجابة طبعا لأمش ممكن . . مفيش عربات .

عاوزين نقدم موعد القطار كدا خمس دقائق أو نؤخر موعد قطار آخر لكى يتسنى لبعض الطلبة اللحاق بقطار الإسكندرية . . الجواب طبعا . . لأمش ممكن !!

وزارة الرى لهـا «حـرم» هل سمـعت عن حـرم وزارة الرى . . ووزارة المواصـلات . . النقل . . لها ايضا حرم . . هل سمعت عن حرم وزارة المواصلات .

إذا أردت أن تزرع أشجـاراً على حافة ترعـة أو مصرف يقـولون : ممنوع أو بمعنى أصح NO لأن قانون الرى بيقول كده ولأن ده حرم الرى . اذا أردت أن تزرع أشجارا على حافة طريق يقولون أيضا : «NO» لأن ده حرم السكة الحديد !!

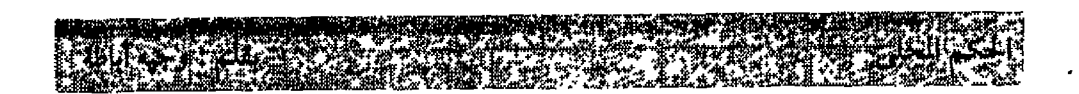
أو حرم الطرق والكبارى ورحمه الله المحافظ اللطيف عبد الحفيظ أبو غنيمة

عندما تحدث فى اجتماع المحافظين مع السيـد كمال الدين حسين فقال : ضرورى سيادتك تشوف لنا حل مع «حـرم» الرى، ومع «حرم» السكة الحديد وتفهمـهم أن النهارده كله بقى «حرم» المحافظ !!!

ونعـود مرة أخـرى إلى وزارة المواصـلات - النقل - وإلى الخلافـات التى نشـبت بينى وبينها . .

وأول هذه الخلافات كان من أجل سور فى مدخل مدينة دمنهور القديم . .

كان هذا السور يدخل فى الشـارع أربعة أمتار ومبنى بـالطوب الأبيض الجيرى الذى أكل



عليه الدهر وشـرب . . فعاق المرور من ناحيـة . فقد أصـبحت هذه المنطقة كعنق الزجـاجة كثرت فيها الحوادث . . وكان قذراً غاية فى القذارة . . وطالب المواطنون مراراً بإزالة السور فلم يستمع إليهم أحد . .

فى إحدى الليالى - وكنت أختار دائماً ليلة الجمعة - حتى لايكون أى أحد من المسئولين فى مكاتبه، خصوصا الوزراء.

وفى الساعة الثامنة تماماً بدأ العمل كـالآتى : خمسون بنّاءً يبنون سور المحطة من الداخل والبلدوزر يهدم السور القـديم والعربات تحمله لتلقيه «فى ترعـة الخندق» ـ ولنا عنها حديث فيما بعـد ـ وعمال الرصف يقومون بالرصف فى نفس الوقت، وفى الساعة الرابعـة صباحاً انتهى العمل . .

السور القـديم وقد أزيل . . والسور الجـديد وقد بنى بشكل لطيف يتـناسب مع مدخل مدينة دمنهور ومايجب أن تكون عليه . .

وفى يوم الجمعة السـاعة السادسة صباحاً بدأت فى فـتح الشارع الموازى للمحطة، وكان يعترض الشارع منزلان احـدهما لناظر المحطة والآخر لأحد موظفيـها . . أحدهما من أربع غرف والآخر من غرفتين وإذا بالعربات تـقف أمام المنزلين وتخليهما وأعطيت سكنا من أربع غرف لناظر المحطة وسكنا آخر من غرفتين للموظف الآخر .

وحتى الثامنة مسـاء كان كل شىء قد انتهى تماماً وبدأ الرصف وانتـهى فى صباح السبت فى مكان المنزلين . .

كانت إزالة السور - وكنـت أسميه حصن بابليـون - وفتح الشارع مدعـاة للسخرية من السكة الحديد من ناحية ومدعاة للإعجاب برجال الإدارة المحلية !

وطلبنى السيد مصطفى خليل صباح السـبت .

قال: إيه اللى أنتم عملتوه عندكم ده؟ .

قلت: والله دى طلبـات المواطنين ولدى دوسيه يزيد على مـائة صفـحة لم تصل فيـها البلدية والوزارة إلى اتفاق .

قال: يعنى إيه . . هيّه الحكاية فوضى ؟!!



قلت: الفوضى ياسيادة الوزير ألا نستجيب لمطالب المواطنين المعقولة . . الفوضى فى الذين يعقدون المشاكل، ويضعون الأسلاك الشائكة امام زحف المواطنين نحو حياة افضل .

قال: ويعدين؟ !

قلت: متأسف ياسيادة الوزير .

قال: وحآخد من متأسف بتاعتك دى إيه؟ .

قلت: والله اللى سيادتك عاوزه اعمله .

قال: انا أعطيت مدير السكة الحديد أمراً بابلاغ النيابة ضد رئيس المدينة .

قلت : رئيس المدينة لاشأن له بهذا الموضوع، أنا الذى أعطيت هذه التعليمات وأشرفت على تنفيذها بنفسى فإذا شئت فأبلغ النيابة ضدى .

قال: طيب أنا حاقول للناظر يبلغ النيابة فيك .

قلت: ياسيادة الوزير . . أنت طبعا عارف قانون الإدارة المحلية وتعلم تماماً أن الوزارات التى لاتتبعنا - ووزارتكم من هذه الوزارات - يكون موظفوها تابعون لنا فى الإدارة فإذا ما أبلغ ناظر المحطة النيابة فسأوقفه عن العمل فورا بقرار من عندى وسأحيله أنا للنيابة الإدارية . .

واحتدت المناقشة واحتدمت .

وانتهت المناقشة على أسوأ وجه .

كانت هذه هى البداية . .

وبعد شهر بالتقريب طلبت رفع «سكة حديد الدلتا» من داخل مدينة دمنهور لكثرة الحوادث وأعطيتهم مهلة ١٥ يوما، وبعد المهلة بدأت فى رفع القضبان من داخل المدينة وصنع الأخ انور حماد «سبية» ورفع القضبان .

وكانت معركة أخرى . .

ثم الادهى والأمرّ أنى وضعت يدى على أرض الدلتا كلها وشققت الشوارع . . وعملت تقسيما لها وقمت بالإعلان عنها وبعنا الأرض فى المزاد . .

وقامت القيامة !!

وهبت العواصف علينا من كل جانب .

ولم تختل أعصابى أبداً . .

قلت : هذه الأرض هى أرض الحكومة . . وليست ارض الدلتا أحضروا مستندات الملكية وسأسدد لكم ثمنها على الفور . . وأخذت حصيلة البيع وبنيت بها مساكن اقتصادية على جزء من هذه الأرض . .

يالها من أيام !!.

مرت علينا بحلوها ومرها وخيرها وشرّها . .

كان من حقى أن أحلم بدمنهور «جديدة»

ووجدت فى يدى فرصة التنفيذ فاقتنصتها وحولت هذه الأحلام إلى حقائق شامخة. .

وأرجو أن يفهم القارىء أننى عندما أتحدث بنفسى، فانا اترجم له مجموعة أفكار شباب شرفاء لم يسمع عنهم أحد حتى الآن وسيأتى الحديث عنهم فيما بعد .

وحدث فى هذه الأيام حادث تصادم مروع بالقرب من بلدية الرحمانية . . قطار منطلق من دسوق إلى دمنهور . . ومزلقان «مفتوح» وعربة أتوبيس تابعة لهيئة النقل تعبر المزلقان. . ويحدث التصادم المروع ولم ينج أحد من الركاب وكان عددهم ثلاثة وعشرين مواطناً.

وكنت عند المزلقان بعد الحادث بساعة.

واعتصرنى الحزن على أرهاق هذه الأرواح البريئة . .

وصرفنا معونات عاجلة لأسر المتوفين، ثم اتصلت بالدكتور مصطفى خليل . .

فقال: إن أمامه مذكرة كاملة عن الحادث وأن السكة الحديد لا مسئولية عليها بالمرة .

قلت: ليكن ياسيادة الوزير . . السكة الحديد غير مخطئة، إذن فالمخطىء سائق الأوتوبيس وهو أيضا يتبعكم، ألا تستطيع أن نعين اسر هذه الارواح البريئة . .

قال: أنـا ماليش دعـوة بالكلام ده . . على الإطلاق واعمل مـعروف مـاتفتـحش على فتحة . .

قلت: ياسيادة الوزير . . إن أرواح ٢٣ مواطنا قد أزهقتها وزارة المواصلات سواء الخطأ من السكة الحديد أم من النقل فكلا المرفقين يتبعانك . .

قال : اعمل معروف يا أخى سيبنى فى حالى وابقى ابعت لى مذكرة.

ووضع السماعـة - سامحه الله - فجـأة أى أنه اغلقها فى وجهى كمـا يقولون وانتهت المحادثة . .

وإذا بى أجمع واحداً من كل أسرة واحرضـهم على رفع قضايا على الحكومة، وأصرف لهم من صندوق الخدمات أتعاب المحاماه إلى أن علمت أنهم كسبـوا جميعا قضاياهم وكانت الغرامات تتراوح مابين ٥٠٠٠جنيه خمسة آلاف جنيه والعشرين ألف جنيه . .

وساءت العلاقات أكثر وأكثر بينى وبين السيد الوزير

وفى يوم طلبته تليفونيا . . ورد علىّ سكرتيره .

قلت: إدينى السيد الوزير .

قال: فيه إيه وأنا ابلغه له .

قلت: أدينى السيد الوزير من فضلك .

قال: أحنا عـندنا تعليمـات أن السادة المحافظـين يقولوا لى مايـريدون وأنا أبلغه للسيـد الوزير وسيرد عليك بعد ذلك . .

أسلوب جديد . . وطريقة حديثة فى اتصالنا بالوزير . .

قلت: وماذنب السكرتير أو مدير المكتب . . إنهما «عبد المأمور» كما يقولون . .

قلت: ده مش شغل . . ده موضوع خاص بى .

ورد علىّ الوزير . . وحتى هذه اللحظة لم أكن مصدقاً ماقاله مدير المكتب أو السكرتير.

قلت للسيـد الوزير: ياسيادة الوزير أنا اتصلت بك الآن علشـان شوية شغل فقـال مدير المكتب كذا وكذا . .

قال الوزير: أيوه دى تعليمات منى علشان أقدر أحضر نفسى !!

قلت: يعنى مش عاوز تتصل بينا مباشرة .

قال: آه فعلاً وده أسلوبى فى التعامل مع المحافظين من الآن

وفى هذه المرة لم أترك له فرصة وضع السماعة أولاً . . فقلت له شكرا ياسيادة الوزير . . واحنا بقى لنا كلام ثانى معاك ووضعت السماعة!!

وواحدة . . . بواحدة . . والبادى أظلم ؟!

وامسكت بالقلم والورق وكتبت له خطاباً صارماً قلت فيه مامعناه «إنك نبهت بكذا وكذا، ولم أصدق نفسى أو أصدق مدير مكتبك فى البداية ، ولكنى عندما تأكدت منك أصبح لزاماً على أن أتبع معك اسلوباً آخر فمن الآن وصاعداً، وقد أصدرت تعليمات لكافة المصالح الحكومية بعدم قبول خطابات صادرة من وزارة المواصلات حتى ولو كانت موقعة منك شخصياً . . وانني من الآن وصاعداً أيضا لن أقبل منك أو من أحد من وزارتك أيا كان شأنه اى خطاب أو مكالمة إلا إذا كانت محولة عن طريق وزارة الادارة المحلية وسأتبع هذا الاسلوب فى خطاباتى أو اتصالاتى معكم إلى ان نلتقى فنضع الأسلوب الصحيح للتخاطب معى ومع السادة المحافظين بما يضمن تماما الحفاظ على كرامتنا، وكرامتكم أيضا وسيبدأ بالعمل بقرارى هذا ابتداء من اليوم» .

وارفقت له مع خطابى صورة القرار . . وأرسلت خطابا آخر للسيد كمال الدين حسين ومعه نص القرار . .

واستدعانى السيد كمال الدين حسين واستدعى السيد الدكتور مصطفى خليل ودخل سيادته المكتب فقمت واقفا فسلم على السيد كمال الدين حسين ولم يسلم علىّ وجلس فى كرسى مقابل لى !!

وهز السيد كمال الدين حسين رأسه فى حزن ويأس !

وبدأنا الحديث وإذا به يوجه لى بعض الأسئلة فلم أرد على سؤال واحد منها . . ولكنه احتد ورفع صوته وقال: أنت مابتردّش علىّ ليه؟!

قلت: الله واحنا مش متخاصمين ياسيادة الوزير . .

انا قمت واقفـا احتراما لك فلم تسلم علىّ. فإذا أردت شـيئا منى فوجه كـلامك للسيد كمال الدين حسين وسأرد على السيـد كمال الدين وهو بدوره يرد عليك - ونسيت أن أقول أن الأخ الكريم النبيل على فوزى يونس كان يحضر هذه المقابلة العنيفة القاسية العاصفة . .

قال السيد الوزير: إزاى واحد وزير يكلمك ماتردش عليه ؟

قلت: وازاى انت تتبع هذا الأسلوب فى مـعاملة المحافظين أو بمعنى أصح فى مـعاملتى . . هل تعتقد ياسيادة الوزير أنى باشـتـغل موظف «محترف» . . انا راجل أهوى عملى هذا وأعشقه، وهذا مايشدنى إلى المنصب حتى الآن !

ياسيادة الوزير انت موظف محترف . . ولكنى موظف هاو بمزاجى باعمل ووقت ما أرى أنى لاأستطيع العمل فثق أنى سأخلى مكانى على الفور لمن هو أصلح منى .

وانتهت المقـابلة ايضا وقـد ازدادت العلاقـة سوءاً. كنت فى قرارة نفـسى أحبـه وأقدره وأحترمه ومازلت ولكنى لاأدرى من الذى بذر بذور الشك فى نفس الوزير ؟!

ولنقف هنا قليـلاً لنلتقط أنفاسنا وقـد سرنا مشـواراً بعيـدا مع وزارة المواصلات والنقل ولكن سيأتى دورها بعـد ذلك فى فصل أو فصلين من هذا الكتاب وأعـدكم أنى سأحدثكم بما فى نفسى، فقد آليت على نفسى ألا اقول إلا الحق . . والحق وحده أقول!!

ولنتـرك قليلاً وزارة المواصـلات - النقل - حـاليا ولنـطرق باباً آخر من ابواب رؤسـاء المصالح . .

وزارة الزراعة مثلا . .

وزارة التربية والتعليم .

وزارة الإصلاح الزراعى .

ووزارة الشئون الاجتماعية .

وزارة العمل . إلخ . . إلخ . .

ولنأخذ وزارة الزراعة مثلا . .

كان مديرها من أعز الأصدقاء.. لم أعرفه إلا فى محافظة البحيرة وكان «بكر» مثالاً رائعاً للمدير.. شخصية وعلم وحركة دائبة، وإتقان فى العمل مما جعلنى ألقى بحمل الزراعة على كتفيه كلية وكان أظهر ما فيه نشاطه ونزاهته - وعينه المليانة- كما يقولون..

كان من أحسن الذين عملت معهم

ولكن.. ما هو الجهاز الذى يعمل معه

المشرفون الزراعيون .. يتقاضى كل منهم ١٧ سبعة عشر جنيهاً وبجانبه مباشرة طبيب الوحدة الصحية يتقاضى ٤٣ ثلاثة وأربعين جنيها ما عدا السهو والغلط.. والسهو والغلط هذا هو الكشف بالمنازل. وسأفرد للصحة كما قلت فصلا أو فصلين او ربما يزيد من هذا الكتاب .. فيه تجاربنا وفيه اقتراحاتنا ولكن الحديث يجر بعضه .. فاستسمح القارئ العزيز عذرا إذا ما خضت فيما لا يجب أن أخوض فيه فى هذا المجال.. ولكن عذرى. أن الحديث يجر بعضه!

ولنعد إلى الزراعة ..

وقبل أن أبدأ فى حديثى هذا أحب أن أشير إلى حكاية كان لها خطرها فى هذا الوقت

فقد استأذنت فى أجازة شهرا لاقضيها فى بورسعيد، وهى أحسن المصايف عندى على وجه الإطلاق ..

أهلها جميعاً أمناء خدومون .. تشعر هناك بالراحة التامة والأمن الكامل وأهالى بورسعيد العظام الذين أكن لهم كل حب وتقدير واحترام ..

واحضرت رؤساء المصالح . وكان عام ١٩٦١. وسألتهم قبل سفرى عما يريدون فقالوا: كل شئ عال والحمد لله.. وروح انت صيف وانبسط..

وقد ارسلت زوجتى فى الصباح ووعدتها أنى سالحق بها فى المساء، وفعلاً وصلت الساعة ١٢ مساء إلى بورسعيد وإذا بى أرى زوجتى وقد أنهكها الاعياء والبكاء!

قلت فى لهفة: ماذا حدث..؟

قالت: ألم تعرف موضوع القطن ؟.

قلت: إيه موضوع القطن ..؟

قالت: الدودة خلصت عليه حتى أنه من كثرة الدود يضع الفلاحون فى آذانهم وأنوفهم قطنا حتى لا تتسلل الدودة من فتحة من هذه الفتحات.

فأمرت محمد السائق أن ينتظر ولا يسافر.

وذهبت الى الكابينة التى تجاورنى وسألت السيد المرحوم عبد الحميد الجندى . . قال:

يا بنى أجارك الله هذا العام أنا عندى ستين فدان قطن إذا قدرت أنى سأحصل منها على عشرين قنطارا يبقى الحمد لله . . القطن يا بنى بقى لونه أسود والدودة أكلته عن بكرة أبيه . .

قلت فى نفسى: يا خبر زى بعضه لما تكون الشرقية كده تبقى البحيرة ازاى

وأنزلت الشنط مرة أخرى وقلت: أنا راجع تانى ودلوقت أهه . .

قالت زوجتى : . خلّيك للصبح وبعدين سافر . .

قلت: أبداً سأسافر الآن. وبعد مناقشات تدخل تحت بند النقار الزوجى المعروف ركبت العربة ورجعت إلى البحيرة فوجدت المحافظة فى مأتم والفلاحين يلطمون الخدود أمام المحافظة . .

اتصلت بالمهندس سيد مرعى فقال: أنا مقدرش أعمل حاجة أبداً لانى زى ما أنت عارف انا وزير مركزى وفيه حساسيات بينى وبين الوزراء التنفيذيين . . اتصل بالمحروقى -رحمه الله- وحسن بغدادى- وكان وزيراً للإصلاح الزراعى.

وكان الأول يصيف فى رأس البر، والثانى فى مرسى مطروح يصيف أيضاً . .

اتصلت بالأخ المرحوم أحمد المحروقى - رحمه الله - فقال: يا وجيه دا كلام فيه مبالغة كبيرة، اطمئن كل حاجة عال.

وحاولت أن أثنيه عن رأيه فلم يأبه للكلام . . ألم اقل لكم إن الحكومة المركزية تأخذ معلوماتها من الورق. والحكومة المحلية تأخذ معلوماتها من الطبيعة.

ثم اتصلت بالسيد حسن بغدادى . . قال: طيب يا وجيه أنا حاجى بعد يوم او اثنين أشوف كل حاجة . .

قلت: يوم أو أثنين إيه يا سيادة الوزير إحنا عاوزينك الآن . . دلوقتى فوراً

ولم يكذب الرجل المهذب العظيم خبراً فحضر على الفورا

ولم أنم . .

اتصلت بالسيد كمال الدين حسين وشرحت له الموقف تماماً بعد أن مررت بنفسى على بعض الحقول فقال: يا وجيه ده كلام مش مضبوط . . والتقارير كلها بتقول إن الحالة عال . .

واذا بى فى حماس أقول له: يا سيادة المشرف - وكان مشرفا وقتها على الاتحاد الاشتراكى ورئيساً للوزراء - الحالة زفت وأية تقارير عندك مزقها وانزل الحقول بنفسك . .

ولكنه حوالى الساعة الحادية عشرة مساء اتصل بى وقال ان السيد والده كان عنده وشرح الموقف كما وصفته له . .

كما وصلت إلى السيد عبد اللطيف البغدادى صورة قاتمة عن حالة الدودة فقال: أنا مش لاقى حد يقدر يجمع لى المحافظين ولو بتوع بحرى باكر الساعة الرابعة مساء فى مقر مجلس الوزراء وسأنزل من الإسكندرية فى الصباح الباكر وأمر بنفسى على بعض الحقول لأستطلع الخبر بنفسى. واتصلت طوال الليل بالسادة المحافظين وعقدنا اجتماعاً عاجلاً بمقر مجلس الوزراء.

وكان اجتماعا عاصفاً للغاية.

وانتهينا إلى الآتى:

إنه لا توجد مبيدات بالمرة فأحضرنا على الفور الدكتور عزيز البندارى فاتصل بألمانيا التى وافقت على إرسال شحنات بطائرات من عندنا !!

واطمأن كمال الدين حسين نوعاً ما . .

ودعانى لتناول الغداء معه بالغرفة المجاورة لمكتبه قال: أظن كل حاجة كويسة . .

قلت: أبداً الحالة وحشة جدا

فبطل الطعام وقال: جرى إيه؟. إنت دائما متشائم كده ليه ؟.

قلت له: لا أنا مش متشائم يا سيادة المشرف أنا مشفق على بلدنا .. مشفق على ثروتنا القومية.

قال: عارفين..

قلت: لقد أحضرت المبيدات الحشرية من الخارج وستصل باكر .

قال: آه...

قلت: أين الرشاشات والموتورات؟

قال: رشاشات إيه وموتورات إيه؟

قلت: اللى حنرش بيها المبيدات..

قال: أيوه صحيح فين؟!

قلت: أنا عارف

كان المرحوم سليمان عبد المنعم غنام رئيس مدينة المحمودية وكان أصلا - من الإصلاح الزراعى - وقد أفهمنى قبل حضوره أن الاصلاح الزراعى له ٨٤ موتوراً فى جمرك الأسكندرية منذ عام مضى لأنها مخالفة للمواصفات:

مصر كانت تريد الموتورات بثلاث عجلات لسهولة نقلها... والموتورات التى وصلت كانت بعجلتين .. فقط..

فاحتد كمال حسين .. قال: مش دى تبقى مصيبة على البلد ؟ هات لى المسئول عن ذلك

فاحضرت له السيد الأخ المهندس عزت عبد الوهاب وكيل وزارة الإصلاح فقال له: .. إنتم عندكم فى الميناء ٨٤ موتوراً ؟

قال: فى هدوء: أبداً يافندم

قلت: أنا متأكد إن لكم ٨٤ موتوراًحكايتهم كذا وكذا

ونفى عزت عبد الوهاب كلامى هذا نفيا قاطعا

ولما أكدت له كلامى، قال له السيد كمال الدين حسين:

إنت راجل مسئول كبير ومش صغير إذا لم تعطينى فوراً الأخبار الصحيحة فسأحيلك إلى المعاش اليوم. . . ميزة كمال الدين حسين إنه كان حازماً حاسما قاطعاً كالسيف!

وكان قد أنهى غذاءه وتركنى أنا وعزت عبد الوهاب فى الغرفة وحدنا . .

ونفى بتاتا وجود هذه الموتورات وأكدت له ذلك . .

وإذا به يتصل بالوزارة فيؤكدون له صدق كلامى . . فاكفهر وجهه . . وقال:

كلامك مضبوط اعمل ايه دلوقت . .

قلت له: أبدأ اعطيهم أمراً فورياً بتسليم محافظة البحيرة ثلاثين موتوراً وسأنهى لك الموضوع مع السيد كمال الدين حسين . .

ثم قلت وعاوز أربعة أو خمسة أطنان مبيدات حين تصل المبيدات من الخارج فمد يده إلى التليفون وأصدر تعليماته بتسليم محافظة البحيرة ثلاثين موتوراً وخمسة أطنان مبيدات.

وهكذا انتهى موضوعه وبدأنا فى المقاومة الفعلية. . . ألغيت جميع الأجازات لجميع الموظفين وسلمت لكل رئيس مصلحة منطقة وبدأ العمل عندنا على الفور وأنقذنا ما يمكن إنقاذه.

كانت كارثة القطن فى هذا العام كارثة كبرى.

تبعها بالطبع نقص فى الكسب والزيت «مستخرجات من بذرة القطن» !!

وهكذا كانت تسير الأمور فى بلدنا. .

لا تخطيط!!

لا مبالاة!!

استهتار ما بعده استهتار!

ولكنى أقول إن سبب إنقاذ البلاد من كارثة محققة كان الفضل الأول فيه لرؤساء المدن، ورؤساء المصالح الذين ألغيت أجازاتهم وتطوعوا فى روح عالية للمكافحة

وهكذا نجحت حملة المقاومة فى محافظة البحيرة نوعا بالنسبة للمحافظات الأخرى . .

وأقسم للقارئ العزيز أن زوجتى كان تزرع ١٢ فدانا من القطن فى ذلك العام المشئوم وكان الإيراد باكمله لاثنى عشر فداناً ٣٧٠ ثلثمائة وسبعين قرشاً لا غير..

كانت الأزمة فى هذا العام أزمة عنيفة قاسية..

وفى القاهرة .. وزير «مركزى» .. ووزير «تنفيذى» ..

كل منهم يلقى اللوم على زميله ..

ومرت الكارثة التى دمرت الاقتصاد المصرى فى ذاك العام ..

ولم يسأل أحد عن السبب!!

من المسئول؟ .. لا تعرف!

من المتسبب؟ .. لا تعرف!

هل هو الوزير المركزى؟ .. أم الوزير التنفيذى؟ .. أم وكلاء الوزارات أم المديرون؟ .. لا تعرف!

بُحّت اصواتنا بالمطالبة بالتحقيق ..

ولكن لم يصدر أمر بالتحقيق.

الوزارة المركزية والتنفيذية فى القاهرة فى مكاتبهما المكيفة الهواء وعرباتهما الفارهة والفلاحون يحترقون ..

يا للمأساة..

ياالضيعة الأخلاق ..

ياالضيعة الوطنية .

ياالضيعة الإحساس بالمسئولية ..

كل واحد يقول وانا مالى اسأل فلان .. وتسأل فلان فيقول: وأنا مالى اسأل فلان..

ومصيبتنا الكبرى .. المصيبة الكبرى كما رأيتها وكما أراها هى المجاملة على حساب الشعب.. والتساهل فى حقوقه والاستهتار بمقدراته .. دون رقيب!

هل رأيتم دولة اشتراكية؟ ..

بل هل رأيتم أيه وحدة إنتاجية صناعية أم زراعية ليست لها معدلات إنتاج ..

كل العالم .. شيوعياً .. رأسماليا .. اشتراكيا .. لكل وحدة فيه معدلات انتاج .. ومعدلات خدمة ما عدا بلادنا .. وبالضيعة بلادنا فى وسط هذا «المولد» الذى له صاحب.. كل يلقى المسئولية على زميله .. كل يلقى العبء على اخيه .. وخلف هؤلاء إرهاب ما بعده إرهاب: مخابرات عامة .. ومخابرات حربية .. ومباحث عامة.. ورقابة إدارية .. ومخابرات رئاسة الجمهورية... ومباحث جنائية ..

الموظف لا يستطيع العمل وهو يتلفت خلفه أبداً ..

كل قوانيننا ..

وكل لوائحنا

وضعت وصيغت على أساس عدم الثقة فى الموظف..

والموظف معذور.. العمل أمامه .. وكل هؤلاء خلفه فأصبحوا كالأيتام فى مأدبة اللئام!

كنت أقول دوماً للجميع:

- إعملوا واخطئوا .. فاذا أحسنتم فالحسنة لكم .. وإذا أسأتم فسأتحمل المسئولية كاملة من جميع نواحيها ..

لا تهمكم هذه الأجهزة واتركوها لى .. وأنا كفيل بها..

فى مذهبى ..

الموظف الجبان لص والموظف الشجاع نزيه .. شريف

الموظف الجبان .. يتلفت خلفه وحواليه والموظف الشجاع يندفع ويعمل ولا يخشى فى الحق لومة لائم ..

كنت أشجعهم دائماً ..

وأدفعهم دائما للعمل ..

كنت اعطيهم ثقتى كلها ..

وكنت دائماً أقول لهم .. «اعمل ثم فكر»!

ضع نفسك فى وسط التجربة ..

فى أتون المعركة مع الروتين ..

دع اللوائح واضرب بها عرض الحائط

واستمسك بالحق وحده

كثيرون لم يصدقونى .. ولم يعملوا

بعضهم صدقنى .. عملوا وأجادوا وأبتكروا وأبدعوا وأنتجوا ونجحوا ..

حتى أنى عندما نقلت فجأة إلى أسوان .. كتبت ورقة واحدة .. عبارة عن شهادة .. قلت فى الشهادة :

«أشهد أنا فلان أنى مسئول مسئولية كاملة عن جميع الأعمال والأخطاء التى وقع فيها الموظفون خلال فترة وجودى بالمحافظة، سواء كانت هذه الاخطاء إدارية او فنية أو مالية» ..

ووقعت مئات الشهادات وأمرت السكرتير العام بتوزيعها على الموظفين

هذه الشهادة نفسها أعطيتها ثالث يوم من أيام اعتقالى لموظفى محافظة القاهرة قلت أيضاً: «اشهد أنا فلان نفس الشهادة ..»

وطلبت توزيعها على كافة موظفى محافظة القاهرة. .

نفس النقاش الذى دار بينى وبين السكرتير العام وبعض الأصدقاء فى المرة الأولى عند نقلى إلى أسوان . .

ونقلى إلى أسوان له قصة سأفرد لها فصلاً فى هذا الكتاب . . أقول نفس النقاش هو . . هو الذى دار بينى وبين ثلاثة من ضباط المباحث العامة بعد اعتقالى بثلاثة أيام. .

فقد طلبت ورقاً وقلماً . .

فقالوا «فرجت» . . الأخ -الذى هو أنا- سيعترف!!

وبعد ما كتبت الشهادة أنى متحمل كل المسئوليات، ومسئول عن كل الأخطاء التى وقعت من أىّ موظف من موظفى المحافظة خلال فترة عملى بها سواء كانت هذه الاخطاء فنية أم إدارية أم مالية . . إلخ . .

كالشهادة الأولى . . وناديت على الضابط وأعطيته هذه الشهادة

وطلبت منه ارسالها على الفور إلى المحافظة كى توزع على الموظفين وأخذ الضابط الورقة - الشهادة - هز رأسه فى أسف وخرج، ثم حضر ومعه ضابطان آخران . . ونفس النقاش دار بينى وبينهم !!

واحد منهم قال: وانت ناقص يا فندم . . ما كفاية اللى انت فيه . . عاوز تكركب حاجه ثانية على نفسك ليه؟

ورد آخر فقال: والله يا فندم ولا واحد فى المليون يعمل كده . .

وهز الثالث رأسه أسفاً . .

فكان ردى حاسماً فى المرة الثانية. . كردى فى المرة الأولى قلت: أنا مش عملت فى المحافظة رئيساً لجهاز يأتمر بأمرى؟

قالوا: نعم. .

قلت: إذن إما أن أكون غبيا وهذا ما لا أقبله . . وإما أن أكون شريكاً لهم وهذا ما أرفضه على الإطلاق . .

ثم أشرت لهم بالجلوس . .



وقلت لهم يا أخواناً إحنا واجبنا أن نربى جيلاً من القادة .. لا قطيعا من الكتبة .. يجب أن نربى جيلاً شجاعاً لا جيلاً جبانا.. أنا اللى كنت أعطيهم أوامر شفهية .. فما هو مركزى امام الله وأمام ضميرى إذا أضير أى واحد من اللذين كانوا يعملون معى ..

قولوا لى ما هو موقفى بالضبط .. هل تحبون أن أتركه يجارى بسببى وإذا كان الأمر الآن .. أمرى أنا سيئا إلى حد أن وجهت إلىّ تهمة الخيانة العظمى.. فماذا يضيرنى بعد ذلك أن تضاف الى تهمة أو تهم اخرى؟!

وصدق ما توقعته تماماً ..

فى يوم أثناء التحقيق وقبل الحكم علىّ -سامحهم الله- بخمس سنوات فى «جنحة» الخيانة العظمى!!

حضر أحد رؤساء النيابة وكان رجلاً عظيماً ومهذباً ووجه إلى سؤالاً:

لماذا أخذت عائد الفلاحين دون موافقة الجمعية العمومية .. بل اخذت موافقة مجلس الادارة فقط؟

قلت .. هل الأموال موجودة وصرفت فى وجوهها أم لا؟

قال: نعم موجودة وصرفت فى وجوهها للمجهود الحربى ..

قلت: عال .. هل حدث اختلاس أو سرقة من هذه الاموال ؟

قال: لا ..

قلت: اذن ما هو السؤال؟

قال .. السؤال هو كالآتى: قانون التعاون يقول إن التصرف فى عائد المعاملات يكون بموافقة الجمعية العمومية وأنت أخذت موافقة مجالس الإدارات فقط ..

قلت: لا اذكر تماماً ولكنى فعلاً أصدرت هذا الأمر ..

قال: وإذا رفض مدير بنك التسليف تنفيذه ..

قلت: كنت سأوقفه عن عمله على الفور وأحيله إلى التحقيق، فمدير بنك التسليف الغربية ولا مدير زراعتها ولا المشرفون الزراعيون ، أو التعاونيون مسئولون فأنا وحدى المسئول ..

ثم أضفت قائلاً : شوف سيادتكم اذا كنتم مش لاقيين تهمة معينة ضدى فى هذه القضية العجيبة فأمامكم مخالفات لا تعد ولا تحصي . .

أنا قعدت ثمانى سنوات ونصف فى البحيرة، وارتكبت فيها ما يزيد على الثمانية آلاف مخالفة

وفى الغربية سنتين وارتكبت فيها حوالى ثلاثة آلاف مخالفة . . وفى القاهرة أحد عشر شهرا وفيها ارتكبت ما يزيد على ألفى مخالفة.

وأنا أنصحكم إذا ما أردتم أن تسلمونى إلى حبل المشنقة وبصفة عاجلة كذلك فحققوا فى هذه المخالفات وثقوا أننى سأقبل الحكم وبسمة الرضا على شفتى وضياء الإيمان يملأ قلبى وصدرى ووجدانى . . . حياتى كلها مخالفات . .

ولكن حياتى كلها عمل . .

والقاعدة فى بلدنا أن الذى يعمل كثيراً يخطئ كثيراً.

والذى يعمل قليلا يخطئ قليلا.

والذى لا يعمل أبداً . . لا يخطئ ابداً . .

وأنا من الفئة الأولى المتازة . .

نعم لقد ارتكبت كثيرا من المخالفات ولكن فى الوقت نفسه سوف ترى بصماتى ـ وهى بصمات الثورة ـ فى كل قرية من قرى محافظة البحيرة.

وسوف ترى بعض البصمات فى قرى محافظة الغربية . .

قال السيد رئيس النيابة : نحن نعلم ذلك.

قلت: إذن أود أن أوجه سؤالا واحدا للمهندس سيد مرعى قل له، من أين أتيت بالمبالغ التى بنيت بها المعمورة . . أنا أعلم انه سوف يتهرب من الرد لأنه أخذ عائد المعاملات من فلاحى الإصلاح الزراعى وبنى به المعمورة!!

أخذ من الفلاحين الذين لا يكادون يجدون لقمة العيش، ويحارون فى الحصول على دواء إذا مرض أحذهم، ليبنى بها سيادته ولأصحاب السعادة والسيادة . . والخنافس من أبناء الطبقة الراقية «الجديدة»!!

قال: إنت بتقول الكلام ده علشان أكتبه؟.

قلت : نعم.. بل ضرورى من كتابته..!

ولم يصلنى رد سيد مرعى على تساؤلى حتى الآن..!

سيد مرعى «خالف الميثاق»، أخذ من «القرية» ليعطى «المدينة»!

ولم يأخذ من «المدينة» أبداً ليعطى «القرية»..

ثم قلت.. فى النهاية:

- كنت أود أن تكون محاكمتى علنية..

ليعلم الجميع أن وجيه أباظة الذى خدم بلاده طوال أربعة وثلاثين عاما يخرج من الخدمة ويصفى حسابه وإذا به كالآتي: ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف جنيه من بنك مصر واستبدال ٢٥ جنيهاً بالمعاش استطعت بالكاد أن أسدد منها عشرة، ومازلت أسدد فى الخمسة عشرة الباقية، ومدين لوزارة الخزانة بسبعمائة جنيه تقريبا.

هذا ما عدا السهو والخطأ..

وليعلم الجميع أن وجيه اباظة الذى كان يمتلك عربة وهو ملازم أول.. لا يتملك عربة الآن.

وليعلم الجميع ولو أن فى هذا التعبير قلة أدب.. ليعلم الجميع أن نعل حذائى أنظف وأطهر من وجوه الكثيرين.

ولماذا لم تنشروا قائمة المصروفات السرية كى يعلم الشعب أين تذهب الضرائب الذى يدفعها؟!.

وليعلم الشعب كم هو مهضوم الحق مهيض الجناح..

وقل لهم «لا يغرنك تقلب الذى كفروا فى البلاد مأواهم جهنم وبئس المهاد».

قل لهم يا سيادة الأخ.. إن الأيام دول والزمان قُلب.. وعجلة الدهر تدور...!

هل يرضيك أن يرسلوا من يسأل استراحة جيانولا فى طنطا: هل ادفع ثمن فنجان القهوة الذى شربه أم لا؟

هل وصلت الأخلاق إلى هذا الحد...؟

هل انحطت الأخلاق إلى هذا الدرك...؟

وهدأت بناء على إشارة من الرجل النبيل ولا أعرف اسمه حتى الآن، ولكنى أكن له فى نفسى كل احترام..

قلت: «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون»..

وكان هذا التحقيق هو أول وآخر تحقيق أجرى معى بالمستشفي.

فقد كنت وقتها فى اشد حالات المرض ولكننى صممت على ألا أقابل أى شخص من قبل النيابة او المدعى العام الاشتراكي.. أكرمه الله وأراك الله فيه.. وان غدا لناظره قريب مهما مر الزمان وتعاقبت الأيام.

ومالى ايها الإخوة القراء وقد سرحت بكم بعيدا بعيدا عن موضوعنا الأصلى...!!

ولنعد مرة أخرى إلى الزراعة.

ولنعد مرة اخرى إلى الإنتاج.

وتحضرنى هنا حكاية فريدة فى نوعها.. فقد قرأت فى إحدى الصحف الصباحية أن فدان الذرة فى ايتاى البارود «رمي» ٣٠ أردبا!!

يا للعجب واتصلت بالسيد الوزير وباركت له.. فقال دى حاجة عظيمة جدا وعندى هنا وثيقة موقع عليها من فلان وفلان وفلان..

طائفة العمد والمشايخ وبعض المنتفعين..

ولم يسكت السيد فتحى الشرقاوي.. وجد أن الفدان «رمي» ٣٠ أردبا.. وهو لا يعلم.. لا سيما وأنه من ابناء ايتاى البارود..

واتصل بى فقلت له حديث المهندس سيد مرعى وقلت له على الأفراد ..فأحضرهم وإذا بهم ـ أنفسهم ـ يوقعون على وثيقة أخرى تفيد أن إيراد الفدان كان ١٨ أردبا فقط وانهم كانوا خائفين نوعا.

فأرسلت فى إحضارهم.. ولما دخلوا مكتبى انهاروا واعترفوا أن الفدان «رمى ١٢ أردبا فقط»

هل هذا معقول..؟؟

وتريد مسئولاً يصرح أن محصول الفدان ٣٠ أردبا بشهادة بعض المواطنين.

.. وهؤلاء المواطنون أنفسهم قالوا إن المحصول لم يزد على ١٢ أردبا.

.. ولا أدرى لو كانوا وصلوا مكتب مدير الأمن أو مساعده كان المحصول بقى كام..

ليست هنا إلا كلمة واحدة تعبر عن ذلك أصدق تعبير..

«تهريج»!! ضحك على العقول!!

طيب بلاش هذا... ولا ذاك..

إمسكوا الجرائد من يوم أن تولى الأخ المهندس سيد مرعى وزارة الإصلاح الزراعى عدة مرات واقرأوا تصريحاته، واجمعوا ما صرح به أنه استصلح، ستجدونه يزيد على مساحة الجمهورية باكملها بما فيها من صحاري، وترع، وجبال، وتلال..

إذن الحالة بقت عال..

وتهريج فى تهريج!!

ومالنا ومال السيد مرعى وحده هنا..

والسيد مرعى أعرفه تماماً.

من بلدتي.. منيا القمح.. تارة يرشح نفسه فى القليوبية، لأن بعض أملاكه هناك...

وتارة أخرى يرشح نفسه فى الشرقية لأن البعض الآخر من أملاكه وأملاك أسرته هناك!

ولا أدرى هل سيرشح نفسه مرة أخرى أم لا؟.

وإذا رشح نفسه مرة أخرى فأين سيرشح نفسه ياترى فى الشرقية؟.. أم فى القليوبية؟.. أم فى الغربية؟.. أم فى المنوفية؟.. أم فى القناطر الخيرية؟.. فله أيضا أملاك هنا.. أم فى الجيزة؟.. لأن بعض أملاكه أيضا هناك..

وينقل بقى على «الصعيد» ويبقى كما يقول الفلاحون «يا دار مادخلك شر»!!



ومالى أيها القارئ الكريم وقد سرحت بك بعيدا عن الإدارة المحلية.. ودخلت فى مواضيع ـ ربما يعتبرها البعض شخصية ـ ولكنى فقط أردت أن أضع أمام القارئ صورة ولو بسيطة ـ ولكنها ليست مهزوزة ـ عما يحدث خلف الستار فى بلدنا!!

مالك أنت ومال السيد مرعى مثلا سواء رشح نفسه فى القليوبية أو الشرقية او المنوفية أو حتى فى شرم الشيخ؟!!

مالك أنت وماله؟!!..

اتركوه إذن لى فأنا كفيل به.. ونحن أبناء الثورة وصانعوها وبنّاؤها وحارسوها نتساقط واحداً اثر الآخر، وصراع السلطة قائم.. وسيظل قائما.. والضباط الأحرار.. الطليعة التى تركت بيوتها وأسرها وأبناءها فى ظلام ليل ٢٢ يوليو، وصبيحة ٢٣ يوليو تتساقط واحدا إثر واحد كأوراق الخريف ولكن المصيبة الكبرى أن من يحل محلنا صنف عجيب من الانتهازيين أحدهم قال علينا.. أطلت رؤوس الخيانة.. خيانة؟! خيانة لمن؟ له...؟! أم لثورتنا أم لأنور السادات؟!!

وأحدهم يظهر إخلاصه بأنه نام ثلاث ليال متوالية على سجاد غرفة جلوس أنور السادات.. ليحرسه منا.

فمن يحرسه منا نحن فهو شاء أم لم يشأ بأعيننا لا نسمح لمخلوق أن يمسه من قريب أو بعيد إلا على أجسادنا فهو واحد منا.. زميل كفاح ورفيق عمر.. ضحى وسجن واضطهد أكثر من أى واحد فينا!!

وثالث.. يتهمنا بأننا كنا نريد أن نحرق القاهرة؟!

نحن نحرق بلدنا... لماذا؟!!.. هل نحن فى غابة؟! أم نحن فى برارى كفر الشيخ!!

ومنافق من اعجب ممن أنجبت مصر من المنافقين!

وصحيح.. حافظ.. حافظ.. حافظ.. صم!

هى خطبة واحدة.. قالها لى عدة مرات ولدى شريط مسجل له فى حفلة تكريمى بمحافظة الغربية..

ورئيس المحكمة الدستورية العليا . . عضو يمين بمحكمة لم تستمر محاكمتى أمامها إلا ٥٠ دقيقة .

استمعت فيـها إلى أقوال شهود النفي، واستغنى المدعى العـام عن أقوال شهود الإثبات انتقلت ! !

وزميلنا حـسن تهامي . سامحه الله . . وغـفر له . . وأعاده إلى طبيـعته السمـحة بعد أن انفصمت شخصيته !

عضو اليمين بالمحكمة هو رئيس المحكمة الدستورية العليا !

وإذا كان عضوا فى المحكمة الدستورية العليا . . فلمن سنلجأ . . كان من الواجب عليه ألا يقبل ويحفظ لمنصبه هيبته وقداسته . . وإما أن يقبل ويستقيل قبل المحاكمة اما ان ينهى حياته هكذا فهذا ما لا لم أكن أقبله له ! !

وأما المدعى العام الاشتراكي ! فالاشتراكية سرت فى دمائه عندما عين بدرجة وزير !

وانا أذكره تماما فقد كان يريد شقة بالقاهرة !

وليس عندى شقق تليق بمقامه الرفيع . . . !

وهوايتـه . . الاعدام . . وحـبال المشـانق . . والخيـانة العظمى «روبسبـير» الـثورة . . أو «مارات» الثورة كما يحلو له أن ينتقي ! !

وإذا كان هو المدعى العام الاشتراكى .

والنائب العام ـ بالقطع ليس اشتراكيا !

وإلا فلم يكن هناك داع بالمرة لهذا المدعي .

المدعي . . . إنه اشتراكي .

المدعي . . . إنه ثوري .

المدعي . . . بإنه المحافظ على الثورة !

وليس عندى من تعليق عليه إلا أن أقول إنه جلاد . . معقد .

لا شك ان ظروفه الاجتماعية قد انحطت به إلى الدرك الـذى وصل إليه! يقولون عن أمثاله فى الفلاحين إنه هايف.. وأحيانا يقولون عنه: خيبة الأمل راكبة جمل!!

ومالك أيها القارئ، ومال هذه المسرحية التى مثلت ببراعة «كمسرح العرائس»

الخيوط تحرك من أعلى.

والعرائس تتمايل أمام الناظرين فتارة يرقـصون. وتارة يتحدثون. وتارة يلعبون والأصابع تحركهم من فوق والناس يضحكون.

ويضحكون، ويضحكون على هذه الصور المهزوزة من البشر!!

ولنترك هذا الهراء.

لنترك «الخيانة العظمي» ولا ندرى لمن.. وممن.. ولصالح من؟!!

ولنترك المحكمة.. وهل كانت محكمة حقا؟!

ولنترك المحكمة.. ولنترك المحاكمة.. إن كانت محاكمة حقا.

ولنترك المـدعي.. الذى يدعى عـلىّ حديثا طـويـلا عريضـا وإذا به يعلن بعد ذلك فى الإذاعة والتليفزيون إتهامه، فاذا بكلامه كله محض كذب وادعاء وافتراء ما بعده افتراء!!

ولأحنى رأسى ـ وأدعوكم معى ـ لأحنى رأسى للنائب العام محمد ماهر حسن بارك الله فيه وله.

فقد كان وسيظل أبداً رجلا مخلصا صادقـا مع نفسه يصفى حسابه مع ضميره كل ليلة، وكل يوم!!

أما من حـقق معى فلا يـستحق منى كلمـة واحدة.. إنه مثـال من الأمثلة التى تحـترف الوظيفة.. لاذوق ولا ضمير ولا ذمة ولا وفاء بالعهد.. مثال تافه... تافه كان أمامى كأنه فأر صغير وقع فى مصيدة!!

يكفى أن تعلم أنه كان يسألنى بكل جـدية: من أين كنت أشترى البطيخ؟.. وبكم؟.. وكيف يضـمن أن تكون البطيخة حمراء؟!

كان مثالا للهزؤ والزراية برجال القضاء، وعموما فقد عرفت الكثيرين منهم - ولكن كان هذا الوكيل نسيجاً وحده.

عقلية مهزوزة تدعوك إلى الرثاء له بل وخيبة الأمل فى رجل من رجال القضاء!

ياه.. لقد سرحت بك طويلا أيها الاخ القارئ ولعل الظروف التى أعيشها خلال العامين الماضيين فى ذهنى فأرجو أن تعذرني..

ولنعد مرة أخرى فنقدم باقى رؤساء المصالح..

المهندس عبد العزيز الشريف.

هذا هو المهندس الذى وقع أختيارى عليه ليكون مديرا للإسكان بالمحافظة وهو مازال بالدرجة الثالثة!

هذا واحد من الذين حولوا «أحلامي» إلى حقائق!

كان رأيه صائبا دائما.

عبد العزيز الشريف هذا - ثروة قومية - يجب أن نتعهدها ونحافظ عليها ونساندها دائما..

مخطط ممتاز..

منفذ ممتاز..

مفكر ممتاز..

شريف.. نزيه.. أمين.. لا يلتوى فى علمه بل يسير على خط مستقيم يعرف هدفه.. ويعمل جاهداً ليصل إليه..

ولا يتعجل فى الوصول إليه.. ولكن عيبه أنه يلح فى الوصول إلى هذا الهدف..

لا يملك شيئا.. وسوف لا يملك شيئا.

مرتبه يكاد بالكاد يوصله الى آخر الشهر.

ثروته كلها فى زوجته.. سيدة عظيمة تمتاز بخلق رفيع وكبرياء فى تواضع.. هى وحدها دعامة بيت عبد العزيز..

وصحيح أن خلف كل رجل ناجح سيدة عظيمة . .

عيب عبد العـزيز أنه ليس طموحا ولكنه يريد أن يحفظ لبيته كـرامته . . ويحفظ لأولاده عيـشا كـريما . .

وهذا ليس عيبـا ولكن عـيبه الوحيد أنه يخاف الآن من التنفـيذ بعد أن رأى المآسى التى حدثت أمامه!!

وهذا ربما كان عذراً له . . ولكنى أخشى أن يصـاب هو الآخر بداء «الورقية» . . . وكلمة داء الورقيـة هذه أطلقها المرحوم الدكـتور الاستـاذ الانسان «أنور المفتى» عندما كـان يجرى تجربته الرائعة الصادقـة العظيمة فى قرية «سحالى» والذى سيأتى الحـديـث عنها مطولا فيما بعد .

إن بلادنا مصابة بداء اسمه داء «الورقية» يعنى كثرة الـورق، وكثرة التوقيعات . . . !

وكان عبد العزيز من هذا الصنف كان دائما يطلب منى أن اوقـع على ورقة واحدة فكان يرجـونى فى إلحاح عـجيب أن أوقع عـلى أربعة صـور، ليحـتفـظ هو ولنفسـه وفى منزله بالصورة الرابعة حتى يكون دائما خالياً من المسئولية!!

ولكنه كان مفكراً . . ومبتكراً . . ورائعا . . وخلاقاً . . ومبدعاً يتخطى «حواجز» القـانون واللوائح دون أن يتخطى القانون واللوائح . كان دائما من ألصق الناس بى واعزهم عنـدى - ومـازال - ولكنه كـان صـاحـب رأى لم يقـل لى مـرة - حـاضـر يافندم - الا بعد تفكـير عميق وبعد أن نتبادل الرأى مرات ومرات .

فى بعض الأحيان كان رأيي هو الارجـح .

ولكن والحق اقول كان رأيه هو . . هو الأرجح وكنت دائما أنزل عند رأيه!!

وأنـا احـب هذا الصنف من الرجـال الذين لايقـولـون حـاضر يا فندم - مرة واحدة .

كـان دائمـا يصـارحـنى بالحقيقة عارية . . . وبالنصيحة صادقة

وكان ذلك هو أساس علاقتى به أنه أحـد القـادة العظـام الذيـن مشـوا معـى «المشـوار» حتى نهـايته

لم ييأس مرة واحدة.. وأنا بطبعي أحب الرجال الذين لا يتسرب اليأس الى نفوسهم.

ولا داعي لأن أفيض في الحديث عنه.. بل سيأتي الحديث عنه مرات ومرات.. في الإسكان والتشييد والمرافق.. بل وكل الأنشطة الأخري.

وكان كذلك أحد الشباب العظام الذين حملوا معي في أمانة وصدق وإخلاص أعباء العمل من خلف الستار فتحدث الناس عني..

وكتبت الصحف والمجلات عني..

ولكني بيني وبين ضميري عندما أرى في الجرائد والمجلات كنت أذوب خجلا.. لأني لم اكن انا الذي قمت بهذه الأعمال بل أحطت نفسي بلفيف من الشباب العظام في هذه المحافظة من الموظفين ومن الاهالي فعملوا معي في صدق وإخلاص.

وحان الوقت الذي يجب أن أضع النقط فوق الحروف وأن أعلن للناس أسماءهم..

بل وقبلي وقبل هؤلاء جميعا يجب أن نحني الرؤوس إجلالا واحتراما وتقديرا لموقف أهالي المحافظة عامة، وأهالي مدينة دمنهور خاصة، الذين أحاطونا برعايتهم وعملوا معنا في كل المجالات دون أن نعرف اسماءهم حتى الآن وسأتحدث عنهم بالتفصيل مستقبلا.

ولنترك عبد العزيز الشريف مؤقتا ونعود مرة أخرى إلى رؤساء المصالح..

أحمد رفعت مدير الشئون الاجتماعية.. رجل ممتاز لا تفارق البسمة شفتيه يعمل في كل المجالات دون ملل..

- أحمد رفعت ساعد مدير الزراعة.. حاضر يافندم

- أحمد رفعت ساعد مدير الأوقاف. حاضر يافندم

- أحمد رفعت عاوز تشوف الترعة الفلانية مليئة بالمياه أم لا.. حاضر يا فندم.. أحمد رفعت اعمل مع مدير الاصلاح الزراعي.. حاضر يافندم.

والبسمة لا تفارق شفتيه.. النكتة الخفيفة.. والكلمة اللطيفة للجميع.. دون التفرقة.. والصغير عنده كبيراً.. والفقير عنده ثرياً.. يحترم الجميع.. وانتشر في المحافظة يزرعها من شرقها إلى غربها من شمالها إلى جنوبها..

وأخطأت ـ على الرغم من كل هذا ـ فى حقه

أخطأت لأنى جعلته مرموقا فانهالت عليه المعاول من كل جانب لتهدمه.. لتحطمه.. أليست هذه هى طبيعتنا...؟

ثم كان الخطأ الأكبر فى حقه عندما اصغيت إلى التقرير الذى تقدم من بعض ضعاف النفوس وعرض على لجنة تنظيم المحافظة «التنظيم السري».. فقالوا: إنه يستقبل بعض السيدات فى شقته..

وحاولت أن أدافع عنه لأنى أعرف أحمد رفعت ولكن التصويت كان بالإجماع تقريبا لنقله خارج المحافظة..

ماعدا صوتى أنا.. ولعله لأول مرة ـ يعرف ذلك.

وطلبت نقله على الفور.. ونقل إلى الوزارة.

وهذه «التهمة»!... لصيقة به حتى الآن

ولعلهم تخطوه فى الترقية لهذا السبب فقد كان يجب ان يرقى إلى درجة وكيل وزارة..

ولكني.. ويا للأسف.. وبعد فوات الأوان.. وبعد أن أجريت تحريات واسعة من جميع الجهات.

وإذا بالسيدات اللاتى كن يزرنه فى شقته إذا بهن زوجته وكريماته..

ثم بعض أقاربه ومعهن بعض قريباته من نفس المحافظة... محافظة البحيرة...

واتضح أنه قريب لعمدة سيدى عقبة مركز المحمودية.. وعائلته نفسها تقطن هذه القرية ولكنه لم يقل لى مرة واحدة هذا ولم أعلم ذلك إلا بعد أن نقل إلى القاهرة، ولصقت به تهمة وهو منها براء..

وكان أول عمل عملته عند نقلى إلى محافظة الغربية أن طلبته مديراً للشئون الاجتماعية معي.. وقد كان هذا بمثابة اعتراف «ضمني».. بالخطأ الذى ارتكب فى حقه.

ولم اسكت بل كتبت تقريراً مطولا بهذا كله للسيد وزير الشئون الاجتماعية حافظ بدوي.

ولم يعرف أحمد رفعت حتى الآن هذا التقرير وكافحت طويلا لكى يرقى دون جدوي..

ولكنه ـ ولشدة عجبى وإعجابى ـ حضر وعمل معى والبسمة لا تفارق شفتيه.. نفس الروح.. نفس الجهد.. نفس الكلمة اللطيفة للجميع.. ولعله أراد أن يزيد فى عذاب ضميرى أكثر وأكثر فلم يفاتحني.

وعندما كنت أريد أن أفاتحه كان لا يسمح لى بذلك.. فأصبح موضوعه «كالديّن» فى عنقى هم بالليل ومذلة بالنهار!!

يا عزيزى أحمد رفعت..

لقد ظُلمت.

وثق أن جزءاً من المدة التى حكم على بها بالسجن كان جزاءً وفاقا لما ارتكبته فى حقك!

ولو أنى أعلم أنك لو خيرت لدخلت السجن بدلا عني.. وأرجو الله أن يغفر لي.

وأرجو اأضا أن تغفر لى أنت أيضا.. ولو أنى لن أغفر لنفسى هذا الخطأ الذى أرتكبته فى حق مواطن..

ولا اقول موظفا ـ عظيماً يستحق التقدير والإجلال والاحترام.

ولا اعلم ايها الاخ الكريم اين انت الآن.

ولكنى واثق أن بسمة الثقة مازالت مرتسمة على شفتيك.. وروحك المرحة.. وجهدك فى سبيل بلادك مازال يبذل كما كنت دائمـا ـ دون انتظار لمكافأة أخري.. ترقية.. أو حتى كلمة «شكراً».

واعترافاً منى بفضلك.

ورجوعاً إلى الحق.

اعتذر.. وأحنى رأسى إجلالا واحتراما لك.

قلت: إننى كنت ابعث بأحمد رفعت هنا وهناك.. زراعة.. ري.. إصلاح زراعى.. طرق.. الخ!

لم أكن افعل ذلك اعـتباطا بل كنت أحب أن يعـرف كل رئيس مصلحة جمـيع المصالح الاخرى وطبيعة العمل فيها.

ليس وحده الذى كان يفعل هذا بل كان الجميع يفعلون..

وكان آخر المطاف عندى بمنزلي.. حول طبق من الفتة..

أو حول اطبـاق من الفول والطعمـية كان جمـيع رؤساء المصالح يجـتمعون ويتـبادلون الحديث فى اخـوة ومحـبة خالصـة.. لم يتبـرم أحد منهم بالآخـر فيقـول: إنه تدخل فى عملي.. بل كان الجميع يعملون كفرقة واحدة متكاملة..

والعجيب.. أن زوجتى كانت تحمى «الجبهة الداخلية»!

كان واجـبهـا أن تتدخل بين سيـدات رؤساء المصـالح إذا ما نشب خـلاف بين احداهن والأخرى!

وهذا درس تعلمتـه من خبيـر الانتخابات العظيم المرحـوم «سيد أحمـد الخشن».. من دائرتى الانتخابية..

فعندما كنت مرشـحا للانتخابات فى عام ١٩٥٧، فى دائرة منيا الـقمح كان هناك خلاف شديد ومتشعب فى إحدى بلاد الدائرة.. والمصيـبة أنها كانت بلدة والدتى رحمها الله بلدة «كفر ميت بشار»!

خلاف فى بلدة «كفـر ميت بشار» كان جـدى لوالدتى عمدتها، وشيخ الطريـقة العنانية هناك وبها مـقام أحد العـارفين بالله من أبناء «عنان».. بلدة طيبـة.. طيبـة.. أهلها كلهم طيـبون مسـالمون.. وإذا ـ وعلى بختـى أنا ـ تشب خلاف وأكـثر من نصف البلـدة أقارب والدتى والباقون من الأنساب..

وطلبوا منى أن أعقد صلحاً بين الأطراف المتنازعة.. وقبلت على الفورا

وسـمع المرحوم «سيد احمد الخشن».. بأنى سأذهب لعقد الصلح فى اليوم التالي..

وحضر إلى.. وقال: أنت رايح بكره كفر ميت بشار.. فأجبت بالايجاب...!

فسب وشتم.. ماحلا له.. من قلة عقل.. وشغل عيال.. وما شاء الله ان يسب ويشتم

... وكان عم - سيد أحمد - هو الشخص الوحيد تقريبا الذى يستطيع أن يشتم اعظم شنب فى اسرتنا كلها من أول الباشوات إلى مادون.

قلت : أمال نعمل إيه...؟؟

قال: مفيش حد معانا هنا...

وكان رحمه الله ضعيف البصر فأجبت بالنفي..

فقال همسا: يا سيدنا الأفندي.. يا اللى عامل لى فهيم ومفيش حد زيك.. الخلاف اللى فى أى بلد بيكون دائما خلاف نسوان.. وخلاف «الكفر ده».. يقصد «كفر ميت بشار» أصله خلاف نسوان..

خلى «الحاجة» - يقصد والدتى رحمها الله - تبعت تجيب «مرات» فلان «ومرات» فلان «ومرات» فلان.. «وتصلحهم» على بعض.. وبعدين ابقى روح أنت بكره.. حتلاقى البلده زى السمن على العسل أمال عاملين متعلمين.. وفاهمين.. وانتهم ولا فاهمين حاجة فى الدنيا.. خليها تبعت لهم دلوقت على طول.

وفعلاً أرسلت الوالدة فى طلب من اشار بهن عم سيد أحمد رحمه الله..

ورجعت من جولتى فوجدت الجميع يتناولون العشاء مع والدتى رحمها الله.

وفى صباح اليوم التالي.. ذهبت إلى كفر ميت بشار فوجدتها فعلا سمنا على عسل!!

وهكذا كانت زوجتى تحمى «الجبهة الداخلية» بين سيدات الموظفين..،

وكنت أندفع بكل طاقتى بهذا الفريق من الموظفين العظماء إلى الإمام فى سرعة فائقة وتفاهم تام.

كانوا يسهرون معي، وننظم لليوم التالى حتى الثالثة صباحا، وكنا دائما فى مكاتبنا فى التاسعة صباحا.

وفى أرجاء المحافظة فى كل وقت.. الكل يندفع يداً واحدة وقبضة حديدية قوية فى موضوع واحد، ونحو هدف واحد، ثم لمجتمع مرة ثانية فى المساء ونستمع إلى ما حققنا ثم نستفيد من دروس التطبيق على الطبيعة، ثم تكون خطة العمل لليوم التالى

وهكذا كانت العجلة تدور.. وهكذا كان يسير العمل..

هكذا كنا نعمل من أول يوم إلى آخر يوم.

لكن اعظم من هذا كله.

وأشق من هذا كله.

كيف استطعنا أن نحرك الناس؟...

كيف استطعنا أن نشركهم فى التنفيذ؟...

كيف أصبح «الشعب».. الناس فعلا هم الذين يقودون... وتوارينا نحن خلفه.. ندفعهم إلى الأمام دفعا.. حتى وثق الشعب فى الحكومة.. ثم وثق فى نفسه فاندفع بكل طاقاته الخلاقة البناءة.. وكل إمكانياته العملية والعلمية.. والمالية أيضا.. فى زحف سريع منسق نحو حياة أفضل هذا ما سأتحدث عنه فيما بعد..

ولنعد مرة أخرى إلى رؤساء المصالح..

من يا ترى فى محافظة البحيرة ينسى.. كتلة الصدق والإخلاص والمحبة والصراحة والأخوة.. والأبوة للجميع.. من منا جميعا يستطيع أن ينسى المهندس الزراعى محمد لبيب محمود ـ مدير الإصلاح الزراعى لفترة.. ثم مديراً للزراعة فى المحافظة فى أحرج أوقاتها..

لقد كان المرحوم محمد لبيب محمود نسيجاً وحده، ولن أقول فيه «مرثية»!

بل سأقول عنه ما يخلده.. مع أنه ليس فى حاجة إلى هذا التخليد فقد كان ابا لكل الزراعيين بالمحافظة وأخا للجميع ولى ـ وهذا ما كنت اعتز به!

كتلة الصدق الصارمة

كتلة الإخلاص للمواطنين جميعا

كتلة الصراحة التى تدوس تحت أقدامها أشباح الرياء والنفاق والضعف والذل

كتلة الأخوة . . لإخوانه جميعاً . . . ولي

وكتلة الابوة . . لكل الزراعيين . .

لم يكذب مرة واحدة . . لم يلتو مرة واحدة . . لم ينافق مرة واحدة . .

كان عمله صارما فى لين . . قويا فى بساطة . . عظيما فى هدوء

كان من الأشخاص النادرين الذى يستطيعون أن يشقوا قلبك شقا . . . ويتربعون فيه ويغلقون عليهم الابواب فلا تستطيع الا ان تحبه كان حياً أم فى رحاب الله . .

ولا تستطيع إلا أن تحترمه واقفا على قدميه أو مسجى فى مثواه الأخير .

ولا تستطيع أبداً أن تخرجه من قلبك مهما مر الزمان

فقد كان . . . بقوته . . . وصلابته . . . وصراحته . . . وصدقه . . . قد شق قلبك شقا من حيث لا تدرى وتربع داخله وأغلق الأبواب عليه . .

رحمه الله . . ومع الشهداء والصديقين ايها الأخ الكريم

كان عضواً بمجلس المحافظة وعندما يتحدث أحد الأعضاء يصغى إليه إصغاء كاملاً فاذا ما وجد ثغرة كذب أو لف أو دوران حول الموضوع هب واقفا . . ومقاطعاً . . ودون استئذان ويقول . . إيه يا جدع الكلام الفارغ اللى انت بتقوله ده . .

أقول . : عيب يا لبيب . .

يقول . : لا مش عيب . .

أقول . : ضرورى تستأذن . .

يقول . : انا عارف بقى آهو أنا اتكلمت وخلاص . . وسيبنا بقي . . وحياة أبوك يا سيادة المحافظ من الرسميات دى وخلينا فى الجد .

وأضحك . . فيضحك المجلس . . وإذا به ينظر كالنمر المفترس لي . . وللمتحدث . . وللمجلس كله ويقول :

انتم والنبى بتضحكوا على إيه.. أخينا اللى بيتكلم ده مش عاور الكوبرى علشان البلد.. دا عاوز الكوبرى علشان قدام بيتهم وعلشان الناس تقول إن هوه اللى جابه.. وعلشان فيه كمان كلام إنه حيرشح نفسه فى الانتخابات الجاية لمجلس الأمة.

ويجلس مرة واحدة دون انتظار لرد.. فقد قام وأفرغ ما فى نفسه.

وكأنه يقول أنا قلت اللى عندى وروحوا بقى اعملوا اللى تعملوه.

وعندما أحيل الموضوع إلى لجنة لدراسته وأطلب ضم لبيب لها.. ينتفض مرة أخري.. ويقول: أنا عارف أنت عاوز تغيظنى وعارف أنى باكره اللجان.. طيب مش رايح اللجنة دي.. والكلام بتاعى كده وبس!

ويتضح دائماً أن كلامه صحيح.. لا لف ولا دوران ولا التواء.. بل الصراحة التامة والصدق حتى على نفسه..

عندما كنت أجتمع مثلا مع الزراعيين. ويتحدث أحد المهندسين الصغار أقصد الشباب - ويشط فى كلامه إذا بلبيب محمود يقوم أيضا فجأة.. ودون استئذان وينظر إلى المتحدث يقول له بكل ثقة:

- اقعد يا «وله» ...!

أقول: يا سيد لبيب.. اترك له فرصة..

يصيح لبيب: أصل الكلام بتاعه ده كلام فارغ.. كلام بتاع كتب وبس.. الموضوع كذا وكذا وكذا..

ويسأل المهندس المتحدث: مش كده والا لأ يا «وله»..

يقول: .. تمام...

ويضحك... ويجلس..

يقول لبيب: طيب اتنيل واقعد بقى، وتانى مرة ما تبقاش تتكلم كلام فارغ.

ويضج المجتمعون بالضحك ومنهم المهندس المتحدث.. ويدوى التصفيق له بالقاعة.. واعجب على قدرته الخارقة فى اكتساب حب الناس وثقتهم حباً أبويا صادقاً!!

مرة.. وصلت إلى لبيب الاخبار أن قطن الاصلاح أكلته الدودة، فأصيب بنوبة قلبية..
وكان الوزير ـ عبد المحسن أبو النور هو الذى أبلغه ذلك وتحدث معه حديثا قاسيا ورد عليه لبيب محمود رداً قاسيا.. قال له:

ـ يا سيادة الوزير انت بتقول الكلام من ورق كتبوه شوية موظفين عواطلية عندك، وانا لما اقول لك كلام ضرورى تصدقه لأنى لا أكذب ولا أجيد النفاق

وصمم عبد المحسن أبو النور على ايقافه وصممت عكس ذلك.

وإذا به يعلم ولا أدرى من الذى أوصله هذا الحديث واذا به يقع صريع نوبة قلبية.

وإذا به وهو المستشفى يقوم عبد المحسن بتعيين مدير جديد للاصلاح الزراعي

وحصل صراع حول هذا الموضوع بينى وبين عبد المحسن أبو النور انتهى إلى أن عين لبيب مستشاراً زراعيا بالمحافظة ـ كفترة انتقال.

تم تعيينه بعد ثلاثة اشهر مديرا للزراعة بالمحافظة كرد اعتبار له.. وعندما زرته بالمستشفى أول مرة وقبلته سالت الدموع غزيرة من كلتا عينيه فى عتاب مرير، ولكنى تشاغلت فى الحديث مع اسرته حتى لا يشعر أننى لاحظت على هذا الرجل العظيم لحظة الضعف التى مر بها عندما رآني..

والعجيب ان هذه السنة بالذات كان محصول القطن فى الإصلاح الزراعى أحسن منه فى اى عام مضي!!

كان رجلا عظيما بمعنى الكلمة.. جسوراً شجاعاً.. وطنيا مخلصا صادقا.. وكان أحد الأعمدة التى ترتكز عليها المحافظة!!

ومرضت انا.. بعد ذلك..

فاجأتنى نوبة قلبية.

ومنعت الزيارة عنى ما يزيد على الثلاثة أشهر

كان لايفارق فيها لبيب منزلى ليل نهار.

واخيراً قابلنى هو ولفيف من الموظفين وكان معهم الأخ أحمد عزت رايد.

وتحدث لبيب فقال: الحمد لله انت مستريح.

قلت: شكراً يا لبيب..

قال: واحنا كمان مستريحين.. وخليك نايم كمان شوية يا سيادة المحافظ علشان نستريح..

فحاول عزت أن يقول أن الاخ لبيب يقصد

.. فقاطعه لبيب وقال: اعمل معروف يا عزت اسكت.. أنا عارف أنا باتكلم ازاي.. وانا باقصد اللى أنا فاهمه وهوه الآخر فاهمه (يقصدني).. أصله. ولا مؤاخذة - راجل متعب واحنا مستريحين منك اليومين دول..

هل هناك صراحة.. أو صدق فى التعبير يعادل هذه الصراحة والصدق...!

كنت بطنطا وعرفت خبر وفاته..

وأقسم أنى شعرت أن الحزن يكاد يعتصر قلبى ويدمى فؤادي.. اصبت بذهول...!

كانت يومها بالذات إحدى قريباتى قد توفيت..

ولكنى شعرت أن فقد لبيب محمود كفقد أحد أشقائى سواء بسواء.. وذهبت إلى جنازته بدمنهور.. وأقسم أنى لم انقطع عن البكاء فى ذهابى إلى جنازته وفى عودتى منها..

رحمه الله رحمة واسعة.. ومع الصديقين والشهداء أيها الأخ العزيز الكريم!

وعرفة.. الأخ محمد عرفة مدير بنك التسليف بالمحافظة الرجل النزيه المستقيم الذى لا يعرف لفا ولا دورانا فى عمله كأنه كان صورة أخرى من لبيب محمود.

لا ينافق.. ولا يخادع.. ميزته الكبرى انه كان يقول لي: لا..

اقول نعمل كذا..

وإذا به يرفع يده ويقول «لا» يا سيادة المحافظ

كان كجندى المرور تماما يوقفك عند «حدك»... إذا كانت العلامة حمراء، ولا يتزحزح من مكانه مهما كانت الظروف. ويشير لك بالمرور بل ويساعدك بكل قواه إذا كانت العلامة خضراء!!

كنت دائما أعجب بالذى يقول «لا»! عندما يقتنع أنها «لا» فعلا . . . ولو من وجهة نظره .

وكان دائما يدخل معى فى نقاش فإذا وجد نفسه مخطئا جاءت ميزته الكبرى فيقتنع ويتحمس للرأى الذى كان يخالفه من لحظات

. . بل ويتحمس فى التنفيذ!

كان يتدخل فى الزراعة . . والإصلاح الزراعي . . والأوقاف والصحة . . والشئون الاجتماعية . . كما سبق وأن أوضحت . . ماذا اقول لك أيها القارئ؟

هل تعلم أن الأخ عرفة هذا كان يوقف ـ من الوزارة ـ عن عمله كل عام عشرات المرات أو أكثر!

وهو لا يبالى وأعلم من آخرين أنه موقوف!

فاكلمه تليفونيا أو أحضره إلى مكتبى وأحاول أن أطرق موضوع الايقاف من بعيد، ولكنه كان لا يأبه لهذا.

وعندما اضيق عليه الخناق يقول: آه أنا موقوف علشان كذا وكذا . . همه فى الوزارة والبنك رايهم كذا وانا رأيي كذا . . المهم عندى أنت - يقصدنى أنا ـ مع أى جانب هل أنت معهم . . ام معي؟!!

وسواء كنت انت الأخر معهم أو معى فان هذا لايهم . . . ! فإن الله دائما معي . .

أقول له: ايه الحكاية بالضبط؟ . .

ويحكيها بكل صدق ما له وما عليه واقول له:

ـ يا شيخ روح شوف شغلك ما تسألش عن حد . .

واذا به يقول فى ثقة: الجماعة اللى فى مصر بنشتغل عندهم . . بنشتغل فى العزب بتاعتهم . . ؟؟

احنا ياسيادة المحافظ موظفين فى الدولة، وطالما أنا أؤدى عملى خالصا لوجه الله فلا يهمني . . ثم ينفعل ويقف ويشير إلى يديه ويقول: طالما دول «نضاف» أنا لا يهمنى أى شخص!

أقول: لا تنفعل واذهب إلى عملك ولا يهمك ايقاف ولا غيره.

واتصل ـ بعد خروجه ـ بالبنك فيقـولون: والله ده مش سامع كلام حد ،احنا بنقول له ما تديش سلف للمدينين من صغار الفلاحين، ولكنه يخالف التعليمات، وعرضنا أمره على الوزير فقال: اوقفوه . .

وبعد يومين أو ثلاثة أجـد تصريحا للوزيـر باعطاء السلف لصغار الزراع كـالإجراء الذى اتبعه عرفة ولم يسأل عن أحد؟!

كنت أعتـقد أنه سـيعلق شامـتا مثـلا فى الوزير والوزارة وبنك التسليف بأكـمله ولكن «عرفة» كان نسيجاً وحده . . ليس عنده وقت لهذا كان دائما يتمسك بالحق وحده . .

ألم يقل عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه لولاته:

«إذا أرسلت إليك بأمر . . فاضرب به الارض . . واستمسك بالحق وحده!»

يا لها من أيام.

نماذج من البشر . . أمثلة من الواطنين الشجعان خاضوا معى «معارك» الادارة المحلية فى بدايتها . .

أقول معـارك ليس مجازاً ،ولكن حقـيقة كانت مـعارك لم يبق إلا أن يكتمل فـيها ركن إسالة الدماء!!

لقد كانت هى السنوات الخضر فى حياتي!

لقد تعملت كثيـرا من هؤلاء الأساتذة العظام . . . من رؤساء المصالح . . . والموظفين . . صغارهم وكبارهم . . . والمواطنين صغارهم وكبارهم.

. . ألم أقل لك إننى فـتحت مكتـبى وبيتى وقلـبى للناس أجمـعين، ولكنى فى الوقت نفسـه فتـحت أذنى فتـعلمت، ودرست، ونجحت، وفـشلت، وهُزمت، وهَزمت، ولكن حياتى كلها كانت تجارب والنجاح والفشل والهزيمة والانتصار هما أجنحة التجربة!!

فتـحت أذنى . . وفتحت عـينى أيضا . . كل حاسـة من حواسى تعمل كل جـارحة من

جوارحي: تجتهد وتثابر، وتنشط ولم يتسرب اليأس إلى قلبى أبداً.. حتى فى أشد الظروف قسوة وضراوة.. حتى فى اشد الظروف عنفا وظلاماً..

أحيانا كانت عيناى تغمض

ولكن الله أنار «بصيرتي» دائما.. حتى فى نومى كنت احلم.. احلم بعملي..

حتى فى أشد الظروف عنفا وشدة وقسوة وألماً..

هذه الظروف التى أمر بها الآن..

وأنا فى هذا السجن..

الذى نسميه المستشفي؟

حتى وأنا سجين المرض.. حبيس المستشفي..

لم يتسرب اليأس إلى قلبي..

كان وما زال وسيظل أبداً... الايمان يملأ قلبي... ويشع بنوره فى صدري... وحنايا أضلعى الله..

هل هذه الأيام التى أمر بها الآن؟!

هل هى بداية النهاية.. أم نهاية البداية

هل سأكون. بعد ذلك؟. أولا اكون؟

لا شئ يهم..

لا شئ يستحق.. حتى مجرد التفكير!

كلما مر بى الطبيب قال: اعمل معروف..أرجوك لا تفكر.. لا تفكر فى أى شئ..

قلت له: وإذا لم أفكر فما الفرق بينى وبين هذا المقعد الذى أجلس عليه.. وما الفرق بينى وبين هذه المائدة التى تمتد أمامنا.. هل أنا حيوان؟... أم بشر؟.. أو بمعنى اصح هل إنا إنسان... أم جماد؟!!

أنا هنا حر.. داخل هذه الجدران الاربعة حر، والحياة الرتيبة تمر علينا.. تمر كما هى منذ عامين!!

الاستيقاظ فى الصباح.. فى أى وقت أريد..

ألست من البشر الذين ينطبق عليهم كلمة «خالى شغل»؟!!.

والأفكار..

وتنظيف الغرفة..

والصلاة .. وقراءة ما تيسر من القرآن

والإطلاع على الصحف ثم الغذاء

.. ثم الصلاة..

ثم برامج التليفزيون

.. ثم النوم

.. أنا شخصياً لم أخسر شيئاً.. البلد هى التى خسرت: خسرت تجربتى.. وخسرتنى!

والأيام تدور.. وأسرتى تزورنى بتصاريح، والمفاتيح تدور فى الباب يفتح ثم يغلق.. ويغلق.. ويغلق ثم يفتح

كل يوم يمر.

كل مساء يمر.

والأبواب تغلق وتفتح..

وما لكم أيها القراء.. ومال هذا الكلام؟! ألم أقل لكم :إن وضعى هنا يسيطر على عقلى وذهنى؟..

آسف أيها السادة القراء..

ولنعد مرة أخرى إلى محافظة البحيرة..

فأنا لم أستكمل بعد رؤساء المصالح.

ولم أتحدث بعد عن المواطنين العظام الذى قادوا العمل السياسى والتنفيذى بالمحافظة.

وهل يمكن أن أتحدث عن رؤساء المصالح دون أن أتحدث عن الرجل العظيم ـ رحمه الله ـ الصديق والشقيق اللواء محمود الشافعى الذى نقل مديراً للأمن بمحافظة البحيرة مكان اللواء طه زغلول الذى نقل إلى القاهرة فى مصلحة ما من مصالح الشرطة، وقبل نقله هل أحكى لكم حكايتين طريفتين..

أما الأولى فكانت بخصوص مباراة فى كرة القدم بين نادى الاتحاد بالاسكندرية وبين نادى دمنهور..

وكان الأستاد لم يتم بناؤه..

وكان ملعب كرة القدم فى وسط البلد.. تطل عليه العمارات من كل جانب.. ولم تكن به مدرجات..

وقبل المباراة بأسبوع تقريبا علمت أن جميع الحدادين بدمنهور يصنعون «نبل»..

قلت لنفسى حدادون يصنعون «نبل»!!!. ضرورى تبقى حاجة زى المنجنيق!!!

لأننا كنا ونحن أطفال نصنع النبل من قطعة سلك صغيرة وقطعة أستك وحتة جلدة.. أما أن الحدادين هم الذين يصنعون النبال فهذا شىء يستحق النظر..

وسألت عن السبب فقالوا إن أبناء دمنهور عندما ذهبوا إلى الاسكندرية «أخدوا علقة جامدة».. اللعيبة والمتفرجون كذلك.. وأن دمنهور يجب أن تنتقم. ثم علمت أن استعداد أبناء الإسكندرية كان جامداً هو الآخر... جايين رجاجات الرمل إياها والعصى التى تنتهى بالأمواس وسكاكين.. يعنى تصورت الموقف «معركة» وليس مباراة!!

ودبرت أمراً فى نفسى لمنع حدوث أى حادث.. ولكن قبل المباراة بيوم واحد حضر لى اثنان من أذناب سعادة الباشا المدير.

وقالا لى: إن الناس بتعمل «نبل» عند الحدادين علشان يضربوا بتوع اسكندرية، وأن بتوع إسكندرية جايين مستعدين، ومعهم الاستعدادات إياها..

وانتهيا من الحديث فشكرتهما على معلوماتهما..

وقلت: لأداعب سعادة المدير، فكتبت له خطاباً كتبت فيه: إن فلاناً وفلاناً بمجرد خروجهما من مكتبكم بمديرية الأمن حضرا إلى مكتبى مباشرة وابلغانى بكذا وكذا.. وإنك ولا شك تقدر معى خطورة الموقف فأرجو الإفادة الآن وكتابة عما إذا كان هناك «كفاية» فى قوات الأمن للمحافظة على النظام من عدمه.. وفى حالة عدم «كفايتها» أرجو الإفادة لإلغاء المباراة!!

وبلع سيادته الطعم فقال: إن من رأيه عدم إقامة المباراة

ولم يذكر شيئاً عن القوات فتحدثت معه تليفونيا وقلت له: إنك لم ترد على خطابى ولم تذكر شيئاً عن قواتك

فقال: إن قواته لا تستطيع المحافظة على النظام

وأمسكت بالتليفون وطلبت الوزير وتحدثت معه وأحطته علماً بكل شيء..

وكان السيد عباس رضوان. فضحك. وقال: وأنت عاوز إيه دلوقت..

قلت: إن عندى ما يثبت أن قوات الأمن بالمحافظة لا تستطيع المحافظة على الأمن فى مباراة فى كرة القدم، فكيف تستطيع المحافظة على النظام فى محافظة تعدادها ٢ مليون..

وضحك مرة أخري. وقال: يا وجيه... طه زغلول مش قدك.. وأنا هانقله فى الحركة القادمة فإيه رأيك نلغى المباراة؟!

قلت: أبدا. أنا أريد منك شيئا واحداً.. أريد منك أن يبتعد طه زغلول وقوات الأمن كلها عن المباراة وألا يظهر ضابط أو حتى جندى فى ملابسه الرسمية فى المباراة أو حتى بالقرب منها، وأنا شخصيا مسئول مسئولية كاملة عما قد يحدث.

وبعد أخذ ورد وافق سيادته وأمر مدير الأمن بعدم حضوره أو حضور أى شخص بملابسه الرسيمة هذه المباراة..

وقمت على الفور بنفسى ورفعت الأسلاك «والرباطات».. من الشوارع، وأصدرت التعليمات بوضع ميكرفون فى دائرة الستر.

واخذت معى ولدى «حسين.. وممدوح»..

ووجهت «الهورنات».. المكبرات إلى أعلى حتى تصل إلى اسطح العمارات وإلى المتفرجين كذلك.

وقبل بدأ المباراة بخمس دقائق نزلت ومعى ولدى الى دائرة «السنتر» وتحدثت فى الميكرفونات وقلت:

- يا إخوانا.. هذه ثانى مباراة احضرها فى دمنهور.. ومنذ أسبوع .وعندى معلومات كذا وكذا عن دمنهور وكذا عن الاسكندرية وإذا كان حدث اى شئ فى الاسكندرية فقطعا هذا خطأ سأتولى بنفسى إزالة اسبابه بعد ذلك.. والآن أنا أعلم أن كل المواطنين اللى واقفين فوق الاسطح معهم «نبل».. وزلط.. إلخ

وأن المتفرجين من الإسكندرية معهم زجاجات وعصى وسكاكين. والموضوع ليس موضوع معارك.. ولكن الموضوع موضوع رياضة.. واليوم فقط طلب مدير الأمن الغاء المباراة ولكنى رفضت واتصلت بالسيد الوزير وتفاهمت معه على إقامة المباراة تحت مسئوليتى الخاصة..

وكان فى إمكانى أن أفتش المتفرجين قبل الدخول وأن أنزل كل المتفرجين من الأسطح ولكنى رفضت التفتيش، وأرجو أن تلتفتوا حواليكم وسوف لا تجدون ضابطا واحداً أو جندياً واحداً.. ولثقتى الكاملة بكم جميعا، وأن كل شئ سينتهى على مايرام فأرجو أن تسمحوا لأحد ابنائى بالجلوس مع المتفرجين من الاسكندريه، وان تسمحوا للآخر بالجلوس مع المتفرجين من دمنهور، وأنا أعلم أنهما فى رعاية الله ورعايتكم جميعا..

ودوى الملعب بالتصفيق الحاد وإذا بالفريقين ينزلان سوياً واحد من الإسكندرية وواحد من دمنهور وهكذا.. وقبل المباراة قبّل كل لاعب من دمنهور اللاعب الذى يقابله فى الإسكندرية.. فدوى الملعب بالتصفيق، وهُزمت دمنهور يومها بهدف واحد!!

وانتهت المباراة.. وتعانق اللاعبون مرة اخرى واذا بى لشدة اعجابى أرى المتفرجين من هنا وهناك يقبلون بعضهم بعضا ولم يقع حادث واحد على الإطلاق!

وشرب سـعادة البـاشا المدير هذا الدرس السـاخن ونزل عليه وكـأنه كمـا يقولون «دش بارد» . .

أما الحكاية الأخري . . فقد كانت هي القاضية!!

فبعـد ذهابى إلى البحيرة بشهرين تقـريبا اصدرت قراراً باستـقرار الموظفين كل فى محل عـمله طوال العام، وألا ينـقل أى موظف من مكان عـمله، الا اذا كـان فى بقائه اضـرار بالأمن، او إضرار به، وعلى أن أوقع أنا شخصيا على النقل . .

وامتثلت كل المصالح حتى الري؟! ما عدا الأمن فـقد أصدر أربعة حركات تنقلات على مدى ثمانية اشهـر . . ولكنى أمسكته من رقبته فى الحركة الأخـيرة كانت عبارة عن نقل ١٣ ضابطا وثلاثة صف ضباط . .

وكان النقل قبل العيد مباشرة . .

قلت لنفسي: ما معنى ذلك . .

هل يلبس الضابط أو الجندى ملابسه الرسمية لإذلاله بحـجة إطاعة الاوامر . . أم يلبسها للحفاظ على هيبته وكرامته؟!

وإذا بى ـ وكنت قد سافرت إلى بلدتى قبل العيد ـ أسـتدعى السكرتير العام وكتبت قراراً بإلغاء هذه الحركة فوراً وعدم تنفيذها وتوزيع القرار على كافة مراكز الشرطة والنقط . .

وإذا بالسكرتير العام يقول: على مهلك يافندم شوية أنت عارف أن الأمن لايتبعنا.

قلت: أعلم ذلك . . ولكن حانت الساعة التى يجب أن نعرف فـيها هل هناك محافظ أم لا . .

هل أنا موجود؟ . .

هل أنا المسئول الأول أم لا؟

. . وحاول أن يثنينى عن رأيى فلم يتمكن

وأمرته بإصدار القرار وتوزيعه على الفور

.. وإذا بالسكرتير العام بدلا من توجهه إلى دمنهور يتوجه إلى القاهرة ويأخذ قرارى إلى السيد عباس رضوان..

شعرت بعد أن مشى عزت من عندى، أنى أرحت ضميرى تماماً، وإذا بالتليفون يدق فى بلدتى وإذا بالمتحدث السيد عباس رضوان .

كان دائما دمث الخلق..

قال: كل سنة وانت طيب

قلت: وانت طيب ياسيادة الوزير

قال: إيه ياوجيه القرار اللى انت عاوز تصدره ده؟!

شرحت له الموقف تماما ومن كل جوانبه.. وقلت له: هل انعدمت الإنسانية عندنا.. هل تسمح بأن يهان الضباط والجنود بحجة تنفيذ الأوامر.. كل واحد من هؤلاء له أسرة وله أبناء.. وأبناؤه بالمدارس وأسرته لها ارتباطات مع الجزار والبقال.. وغيره..

وهل ياترى سيجد سكناً أم لا.. إلخ

وقاطعنى سيادته قائلا: رأيك أيه..؟؟

قلت: لقد أصدرت القرار.. وهذا هو الحل.. الحل الوحيد هو الإلغاء..

قال فى هدوئه المعهود: طيب.. أيه رأيك ننقل الضباط «العزاب» وبلاش المتزوجين.

قلت: أبداً وشرفك.

وضحك.. ثم قال: ننقل الثلاثة صف ضباط بس علشان نحفظ للراجل شيئا من كرامته..

قلت: وهمه الصف ضباط دول هم اللى يتداسوا.

قال فى جد: شوف ياوجيه.. أنا والله مقتنع برأيك من الأول بس كنت بشوف السبب..

ثم قال:

ـ أيه رأيك تأجل النقل؟

قلت: وأنا الآخر سأؤجل القرار.

قال: طيب ياوجيه.. سألغى أنا النقل من هنا ومفيش داعى للقرار..

كان موضوع الخلاف على النقل قد شاع فى المحافظة حتى أن بعض الضباط تراهنوا.. ناس قالوا ستنفذ الحركة يعنى ستنفذ.. والآخرون قالوا لن تنفذ!!

قلت: شوف ياسيادة الوزير.. سأقبل حلاً واحداً.. إذا أردت الإلغاء من عندك فيجب أن تصدر إشارة من مكتبك بالإلغاء.. أما أن تحدثه أنت تليفونيا ليلغى هو الحركة كلها.. فلا

قال: لك حق وستصدر الاشارة الآن.. وفعلا صدرت إشارة إلغاء الحركة من مكتب الوزير فكانت فرحاً لدى الجميع... ولم تتم الحركة.

وتوجهت فى اليوم التالى إلى دمنهور.. وعلمت أنه تسلم الاشارة بالأمس ولم يصدر أوامره حتى وصولى.

وإذا به يتصل بى تليفونيا عند حضورى مباشرة.. ويطلب المقابلة معى وكانت الساعة حوالى الحادية عشرة مساء.

قلت: هل ألغيت الحركة أولا أم لا؟

قال: ما أنا جاى لسعادتك..

قلت: لأ.. إلغيها أولا وبإشارة ثم تعال بعد ذلك.

قال: ما أنا حالغيها حالا بمكالمات شخصية

قلت: متأسف.. يجب أن تلغى بإشارة ويجب أن تبدأ إشارتك كالآتى: بناء على الإشارة الواردة من مكتب السيد الوزير تلغى كذا وكذا..

قال: مش شايف إن دى فيها اهانة لى ولكرامتى

قلت: أنا شخصيا مش شايف.. وعلى العموم اتصل بالوزير ثانية.. وليكن فى علمكأأنه إذا لم تصدر الإشارة بهذا الشكل فسأوزع قرارى الليلة على جميع المراكز والنقط بالمحافظة..

وأرسل الإشارة.. وكانت هى الضربة القاضية.. ثم حضر إلى منزلى ومعه عزت.

قال: أنا زعلان..

قلت: اتفضل استريح

قال: أنا زعلان

قلت: احنا حتتكلم وأحنا واقفين، ولا واحنا قاعدين... وجلس..

ثم قال: سعادتك زعلان من إيه؟

قلت: ما تخلّى الكلام ده لما تروح المكتب إلا إذا كنت عاوز تعتبر منزلى هنا جزءا من مكتبى.

قال: لا يافندم اتفضل اتكلم.

قلت: الموضوع يتلخص فى كلمتين

قال: تحت أمرك

قلت : شوف يا أخ طه.. أنا وأنت مختلفين فى الطباع اختلافاً كليا.. «أنت» الناس كلهم عندك وحشين وسيئين.. و«أنا» الناس عندى كلهم كويسين حتى يثبت انهم وحشين.. وحتى لو بقوا وحشين ضرورى أعطيهم فرصة مرة، واثنين، وثلاثة، وأكثر.

أنا كالأب الذى يخطىء أولاده.. ولكنهم رضى أم لم يرض فهم أولاده.. وأنت عكس ذلك تماما..

وسادت فترة سكون

ثم قلت: شـوف ياسيـد طه أنا فكرت كـثيـرا.. وأنت تعلم أنى باشـتـغل مع الجن الأزرق.. ولكنى بعد أن فكرت وجدت حـلاً واحداً لا بديل له على الإطلاق ولن أتراجع عنه أبداً..

قال فى لهفة: وما هو؟!.

واصغى عزت باهتمام

قلت: إمـا أن أقعـد أنا فى المحافظة أو تقـعد أنت... أو بمعنى أصح وأوضـح إما أن اذهب أنا... أو تذهب أنت ولا حل عندى غير هذا.

ووجدت عزت وقد كاد يغمى عليه.

وسادت فترة سكون..

ثم قال: أمشى أنا يا أفندم أنا مستعد أكتب أستقالة..

قلت: أحنا مش بنشتغل فى شركة.. أنت مدير أمن قد الدنيا.. وممكن تقدم استقالتك الى وزارتك

وكانت ليلة.. انتـهينا من الحديث حـوالى الساعة الثانيـة صباحا، وأوصله عـزت حتى الباب..

وعاد مرة أخرى ويكى..

قلت: جـرى إيه ياعـزت انت بتـعيط ليـه.. أنت مش عـارف الراجل ده عـمل ايه.. وبرجل لنا العمل قد ايه، وأنا مش فاضى اتلفت إلى الخلف.

قال.. ابداً والله.. دا أنا مبسوط.. دا كان كابوس وانزاح من على أكتافنا، وأنا أبكى فرحاً.. ليس لشىء إلا لأسر الضباط والجنود الذين نقلوا وأوقفت أنت نقلهم.. بارك الله فيك..

وهجم على يقبلـنى فى جنون... وتظهر الحركـة.. حركة المديرين فـيتنقل... وإذا بالذى يليه هو المرحوم اللواء الـعظيم، والإنسان العظيم قبل كل شىء محمـود الشافعى..

رجل ريفى أصيل.. من أسرة ريفية أصيلة من بلدة شرشابة محافظة الغربية..

يكفى أن أقول: إن طه زغلول كـرّهنى فى عيشـتى ،ومحمود الـشافعى حبـبتى فى كل رجاله حتى الخفراء!!

فرق السماء والأرض..

لا سبيل للمقارنة بينهما

أولهمـا مازال على قيـد الحياة.. لا ذكـر.. ولا ذكرى له.. والثانى تـوفاه الله ولكنه مازال يعيش ليس فى قلبـى وحدى، بل فى قلب كل مواطن من أبناء محافظة البـحيرة بل فى قلب كل من احتك به فى حياته..

عندما نقل إلى محافظة البحيرة وجدته رجلاً عـادياً وطبيعيا.. وصريحاً.. يحضر بعض الأوراق، معه ويحضر إلى مكتـبى ويقول: هل يرضيك هذا.. هل يرضيك ان يرسل مدير مكتبك خطابا لى بهـذه اللهجة؟ هل تقبل أنـت أن يصلك خطاب من مدير مكتب وزير أو حتى من وكـيل وزارة.. الأصول أن توقع كـافة الخطابات لى، يعـتب على فى أدب جم وأرى نفسى أمامه كأنى أمام أخى ممدوح.. لا يعتب.. ولكنه ينصح، وينصح فى أدب.. ولكن أيضا فى حزم فأقول له: أحضر أنت الموظف هنا، نبه عليه بما تريد..

ويحضر هو مدير المكتب وينبه عليه..

هكذا كانت الأمور تسير بيننا..

صراحة مطلقة..

أما مقياس رجولته.. فقد ظهرت رجولته فى مواقف تستحق الإعجاب والتقدير..

أطلعت على تقرير.. يقول: إن محمـود الشافعى ـ رحمه الله ـ يذهب الى الاسكندرية خصيصا لمقـابلة السيد محمد صلاح الدين، أحد أقطاب الوفـد، السابقين، ووزير الخارجية السابق فى حديقة لوكاندة البوريفاج..!

وفى جلسة خاصة جمعت بعض الأصـدقاء همست فى أذنه بما سمعت وإذا به يقول فى صوت عال ومتعمّد:



ـ فعلا ياسيادة المحافظ أنا أقابل محمد صلاح الدين بين وقت وآخر ليس بدعوة منه.. وليس بناء على طلبه. ولكن بدعوة منى ويطلب منى شخصيا..

محمد صلاح الدين صديقى من أيام الوفد.. وكنت دائما أخرج مرافقا له فى كل رحلاته للخارج.. هل تقبل أن اتخلى عنه الآن؟!

هل تقبل أن أدير له ظهرى الآن؟ إنه ليس فى حاجة إلىّ.. ولكن هناك دوافع انسانية أخرى.

فليس من الرجولة فى شيء أن اتجاهله الآن

هل تقبل ـ إذا لا قدر الله ـ وخرجت من عملك هذا ألا أسعى إليك وأن أدير ظهرى لك..

هناك معان ومثل أخرى ياسيادة المحافظ يجب ألا أتخلى عنها أبداً...أنا مستعد أن أتخلى عن عملى ولكنى غير مستعد أن أتخلى عن رجولتى فأنا رجل ريفى أعرف تماما معنى الوفاء!

أنا مستعد أن أتخلى عن حياتى.. ولكنى غير مستعد أن أتخلى عن أصدقائى، أو أتنكر لهم مهما كانت الأسباب..

وكبر الرجل فى نظرى.. وجدته وهو يحدثنى كأنه ليس من طينة البشر الذين تقابلت معهم.

وكان ذلك درساً عظيما للإخوة رؤساء المصالح الذين كانوا معنا..

قدرته.. واحترمته.. وأعجبت بشخصيته..!

وبعد يومين اتصل بى.. وقال ضاحكا أوعى تدوّر علىّ النهاردة بعد الظهر.. لأنى رايح أزور صديقى عبدالحميد الوكيل فى سمخراط لأنه زارنى مرتين ولم أرد له الزيارة حتى الآن وأنا فى الحقيقة مكسوف منه..

عبدالحميد الوكيل.. من سمخراط من أسرة الوكيل.. بسمخراط!!

كانت أسرة الوكيل فى هذا الوقت من الأسر التى يخاف أى موظف حتى أن يقرىء

أحداً منهم السلام!

وأعجبت بالرجل.. أعجبت بالشجاعة النادرة لمحمود الشافعى مدير الأمن.. يزور أسرة الوكيل جهارا نهاراً عيانا بيانا، هكذا دون اكتراث لأى شيء.. ولا تقدير لأية نتيجة قد تترتب على هذه الزيارة..

يالها من رجول نادرة؟!

أعجبت بالرجل.. ودخل قلبى من أوسع أبوابه!

محمود الشافعى هذا كان رائد المدرسة الحديثة بالشرطة واسمها مدرسة «الوفاء»

لايهمه عملاً..

لايهمه منصبا

لايهمه شيء على الإطلاق..

يهمه شيء واحد هو «الوفاء» والوفاء لمن؟! الوفاء لأمثال.. محمد صلاح الدين.. وعبدالحميد الوكيل.. الذى كان مجرد الاتصال بهما، ولو من بعيد يعتبر جريمة لاتغتفر فى هذا الوقت!!

ولكن حدثت حادثة كبرى بل.. وكارثة مروّعة.. فى بلدة سمخراط بعد زيارته..

فبعد زيارته بأسبوع تقريبا أبلغوه أن البلدة قائمة على قدم وساق.. وكان الوقت ليلا.. وكانوا يحملون المشاعل فى طريقهم الى منزل عبدالحميد الوكيل.. وتحريض سافر من المتزعمين لحرق بيوت أسرة الوكيل؟!

أما محمود الشافعى... فقد تصرف كرجل أمن حاسم حازم نادر المثال.. طوق البلدة بالجنود وقبض على المحرضين، وزج بهم فى غرفة الحجز بيلاد شبراخيت والمحمودية ودمنهور..

وأنا لاأدرى شيئا عن هذا على الإطلاق.. وأخيراً علمت حوالى الساعة الواحدة صباحاً فتوجهت إلى مكتبه.. واستقبلنى ببشاشته المعهودة.

وفتحت الموضوع فقص علىّ القضية، وقال :إن المتزعم لهذا التظاهر هو أخ



لـ«عبدالحميد الوكيل» فى الرضاعة وابن ناظر زراعتهم، وأنه تربى معه، ولكنه تنكر لهذا وقاد المظاهرة ليحرق المنزل الذى تربى فيه!!

ولم أجد. ياسيادة المحافظ - والكلام هنا للمرحوم محمود الشافعى ـ قال: لم أجد إلا أن أتبع هذا الاجراء حتى لاينتشر فى القرى الأخرى. . وربما انتشر إلى المحافظات الأخرى. .

وفى الصباح الباكر أرسلت له خطابا بتاريخ مسبّق قلت له فيه «أنه قد بلغنى كذا وكذا (عن موضوع سمخراط) ولما لهذا الموضوع من خطورته وإنه يعتبر بذلك سابقة خطيرة لم يحدث مثيلها من قبل، وربما تمتد إلى القرى الأخرى، إذا حدث فأرجو اتخاذ إجراءات الأمن الكافية والمشددة والقبض على من تسول له نفسه العبث بالأمن ومحاصرة القرية وعمل كذا وكذا، أو بمعنى أصح كافة الاجراءات التى اتبعها هو بنفسه دون الرجوع إلى أحد وذلك لكى أتمكن من (تغطية موقفه). .

ثم أرسلت له خطاباً آخر بتاريخ نفس اليوم وشكرته على تنفيذ ماسبق وأن أخطرته به مما كان له أبعد الأثر فى استتباب الأمن.

وإنى لأنتهز هذه الفرصة لأوجه الشكر له خاصة وللسادة الضباط وكذا للصف والجنود الذين أسهموا فى هذه العملية. .

وكان هذا فى الخطابات بمثابة تغطية لموقفه نظرا لعلاقته المعروفة بأسرة الوكيل، وبالسيد عبدالحميد الوكيل بالذات. .

وإذا به يحضر الخطابين ويدور بينى وبينه حديث لن أنساه مدى حياتى وكان درسا عظيما لى فى الوفاء للعمل أولاً والوفاء للنظام ثانيا. . وليس للوفاء لأسرة الوكيل كما خيّل الىّ!!!

وقبل أن يتحدث معى أغلق الباب وأمر بعدم دخول أحد وانخرط فى بكاء مرير. .!

وكانت حالته العصبية غير مستقرة. . .

قال: إيه الجوابات دى ياسيادة المحافظ؟!

قلت : الخطاب الأول كان يجب أن أكون متيقظاً لكل مايحدث بالمحافظة، ولكنك كنت

أكثر منى يقظة، وأصبحت أمام ضميـرى مهملاً ، فكتبت الخطاب الأول وأرجو أن تتجاوز عن التاريخ حتى يستريح ضميرى .

قال : طيب والجواب الثانى .

قلت: هذا أيضا خطاب رأيت من الواجب علىّ أن أكتبـه لك لأشكرك والسادة الضباط وكذا الجنود وحتى استطيع أن أغطى به خطابى الأول.

قال: ياسيادة المحـافظ أنا أشكرك. . وما كنت أعتقد أن الدنيا مـازالت بخير. . والناس همُ همُ. . . والرال دائما راجل فى كل شىء.

وحاولت الحديث فـقاطعنى وقال: أرجو أن تتـرك لى فرصة الحديث فـانى لم أقاطعك أثناء حديثك.

ثم اسـتـرسل فى الحـديث. . قـال: ثق أننى رجل. . واننى اسـتـطيع أن أتحـمل أية مسئـولية. . واننى استطيع أن أقف فى أى مكان ولأى فـرد كان، وأقول له. . «لا»! قف عند حدك

ياسيادة المحافظ. . أنا الآن فى نهاية خدمتى. . وفى نهاية عمرى كذلك. . والانسان منا يعيش مرة واحدة إما أن يكون رجلا. . وإما أن يكون عكس ذلك. .

وثق أن ما اتخذته من إجراءات أمس فكرت فيها جيداً بل وفكرت، فى كافة الاحتمالات وفيما يقال من أننى على علاقة بأسرة الوكيل أو بغيرها. .

لم اتصرف أمس بعواطفى، ولكنى تصرفت بعقلى. .

لم اتصرف تلقائيا أو عفويا ولكنى تصرفت بعد تفكير عميق. .

تصرفـت بالأمس كرجل أمن، ولم اتصـرف كانسـان تجمعـنى بهذا أو بذاك صـداقات. ثق. . أن هذا لم يخطر لى على بال. .

لقد تصـرفت أمس كاللواء محمـود الشافعى مدير الأمن فى هذه المنطقـة، ولم أتصرف كالانسان محمود الشافعى. .

وحاولت مقاطعته لأهدئه ولكنه قال:



ويعدين أعـمل معـروف اتركنى أقول لك مـافى نفسى. . . لأن اللذى حز فـى نفسى بل وأبكانى أنك لم تعرفنى على حقيقتى حتى الآن. .

ثم استرسل فى حديثه فى حماس قائلا: محافظتك دى تفتكر فيها كام قرية؟؟ فيها ٤٥٠ قرية. . ثم فيها ٢٧٠٠ عزبة. .

فلو تم حريق بهذا الشكل فى مكان ما من المحافظة ـ واركن سمخراط دى على جنب لقامت الحرائق فى كل مكان من البلاد والعزب. .

وسكت قليلا. . ثم عاد إلى حماسه واسترسل فى حديثه أنا استطيع أن اسيطر على كفر الدوار ـ أقصد المصـانع ـ وأصر أى اضراب بداخلها. . ولكنى لا اسـتطيع أن أحصر ثورة الفلاحين إذا ما احتـرق منزل واحد فى المحافظة فستحتـرق المحافظة فى يومين ولن استطيع أن أسيطر عليها أبداً ولا أنا ولا عشرة زيى ولا وزارة الداخلية كلها. .

لقد أديت واجبى كرجـل أمن ليس إلا. . وثق أن الصداقة عندى شىء عظيم. . ولكن العمل عندى شىء مقدس. . شىء كالعبادة. . ان أحافظ على الأمن. . أن أنفذ القانون. . أن أسهر على العدالة. . هذا هو عملى. .

ومعلهش غدا ستعرف من هو محمود الشافعى. . . .

وترك الخطابين على المكتب وقال:

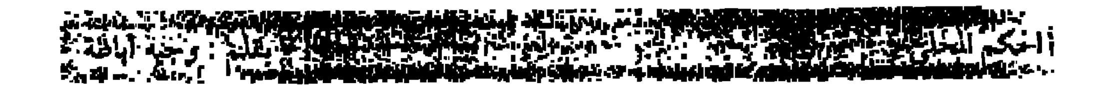
أشكرك ياسـيـادة المحافظ على هذيـن الخطابين ولكنى ولو فـيهـا قلة أدب منى ـ فـإنى أرفضها. . مع الشكر. .

وقام مسلمًا ومقبلا ومحييا. . وقال: يمكن بكرة تعرفنى. .

وغـادر المكتب، وأنا فى ذهول، وقـد ارتبكت من المفـاجـأة وهول الدرس الذى ألقـاه علىّ. . وكأنه ضرب السياط!!

وفى اليوم التالى طلبنى السيد على صبرى. . وتحدث معى تليفونيا وقال:

ـ ايه الموضوع اللى عندك ده بتاع عيلة الوكـيل. . دابيقولوا ان المدير «وفدى قديم»وراح هناك وعذب الأهالى. . إلخ. . . . من الكلام الذى يقال دائما فى بلادنا « نما إلى علمنا»!!



وأخذت الخطابين وذهبت للسيد على صبرى وشرحت له الموضوع وقلت له ماحدث تماماً قال.. غريبة أمال محمود الجيار بيقول انه «مدير وفدى».

قلت: أبداً هذا ماحدث.. وانتهى الموضوع عند هذا الحد.. وأخذت درساً عظيما من محمود الشافعى، ولكنى قلت لنفسى.. ماسبب هذا العداء المستحكم بين الأهالى وبين أسرة الوكيل؟..

ماهو السبب ياترى؟..

وندبت السيد عبدالمنعم غنام، والسيد عبدالكريم حمادى رئيسى مدينتى المحمودية ورشيد لمعايشة الناس فى القرية ودراسة الموضوع وإفادتى بما يمكن أن يزيل الخلاف..

واتضح أن هناك سببا واحداً..

هذا السبب هو «الديون القديمة»!!

الأهالى مدينون لأسرة الوكيل بمبلغ اثنين وأربعين ألف جنيه كديون قديمة!!

اثنان وأربعون ألف جنيه ديون قديمة؟!!

قلت باستعجاب: ماذا تعنى هذه الديون ياغنام؟.. سألته أنا

قال: مديونيات فى دفاتر وكمبيالات..

وهى سيف مسلط على رقبة الفلاح على الدوام: وصدق عبدالكريم على حديثه

قلت: والحل؟!..

قالا فى وقت واحد: تصالح..

قلت: تصالح على أى أساس

قال: يتنازلوا عن شوية من الديون دى

وأخذت أوراق البحث معى..

فلاح مستأجر ثلاثة أفدنة ومدين بمائة جنيه

فلاح مستأجر ثمانية أفدنة ومدين بخمسمائة جنيه

قلت لنفسى: طيب والمستأجر ده.. حيسدد منين؟

والمصيبة أن فى إيد المالك أن يأخذ أية زيادة فى الإنتاج.

والمصيبة الكبرى أن المالك يستطيع أن يقدم مستنداته سواء كمبيالات أو دفاتر.. ويستصدر حكما بطرد المستأجر!!

وفكرت طويلا.. وعزمت أن «نقطع الموضوع من دابره»! كما يقول الفلاحون.. ونقتلع هذه الكراهية من جذورها بين الطرفين..

وأرسلت فى طلب صديقى عبدالواحد حافظ الوكيل دفعتى فى الكلية الحربية، وأحد الأصدقاء الذين أعتز بصداقتهم وشقيقه مستشار - على ما أعتقد - وهو رجل عاقل وعادل، وبعض كبار الأسرة واجتمعت بهم.. وعرضت عليهم نتيجة البحث.

قالوا: طلباتك؟..

قلت: التنازل عن كل الديون.. ونزلت الكلمة عليهم كالصاعقة.. وهاجوا.. وماجو.. ودار النقاش بينهم فى مكتبى، هذا مقتنع بالربع، وهذا بالنصف، أما «الكل» فلا.. وألف مرة لا... وليكن مايكون!

قلت لأكثرهم حماسا لعدم التنازل وأظنه كان العمدة:

- فى هذا الوقت.. أنا عاوز أسألك سؤال تجاوبنى عليه بصراحة.. وأنا راجل فلاح.. ومن عيلة برضه.

قال: اتفضل اسأل!

قلت: الراجل اللى مستأجر ثلاثة أفدنة وعليه ماتتا جنيه تفتكر حيقدر يسدد؟

قال: ما افتكرش.. لكن ياسيادة المحافظ دا كرت فى إيدى أقدر ألعب به وقت ما أنا عاوز... إذا تأخر فى السداد مثلا؟! اطرده.. إذا قلّ أدبه.. برضه..

فقاطعته: وإذا رشح نفسه ضدك فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى..

قال: دا أنا أطرده.. وأطرد أبوه كمان!!

قلت: إذن هنا.. مربط الفرس ياعم حلمى.. ده هو السبب الأول الذى قامت من



أجله الثورة..

وفى الوقت نفسه هذا أهم أركان قانون الإصلاح الزراعى.. ثم استطردت فى حزم.. أنا على العموم عملت اللى علىَّ.. ولا أطلب منكم رداً الآن ولكن أطلب الرد بعد أسبوع.. واذا تنازلتم عن الديون بأكملها.. فسأضمن لكم سداد الإيجار السنوى، وأنا مسئول وثقوا أنكم بهذا تعيدون المحبة والصفاء للجميع.. أنتم وهم!

«وأنت ياحضرة العمدة.. آدى شكوى ضدك عندى أهى، وأخرجتها له من درج مكتبى تقول إنك أثناء سيرك فى الشارع وأثناء خطاب الرئيس أغلقت راديو كان مفتوحا وسبيت الرئيس.. وأنا أعلم أن هذا كذب.. وإذا كان صدقا فليس هناك قانون يحمى الرئيس.. بل الذى يحميه هو عواطفنا .. شعورنا.. حبنا له ولما قدم لبلاده..

وقاموا مُسلّمين..

وقلت: شروطى.. «كل الديون» ولا يبقى على أى فلاح مليم واحد.

وأثناء توديعهم.. قلت:

انا شايف ان عندكم بيوت كثيرة والحمد لله فى البلد.. ممكن التبرع بمنزلين أحدهما كمدرسة والثانى كمركز تدريب.

قال العمدة: آهو ده اللى ناقص.. نطلع من بيوتنا كمان.

قلت: ياحضرة العمدة.. أحسن ما البيوت تتحرق؟!

وبعد ثلاثة أيام وصلتنى البرقية التالية من الصديق عبدالواحد الوكيل قال «طلباتكم اعتبرناها تعليمات وأوامر واجبة التنفيذ وقد قبلناها بأكملها!! نحضر بعد باكر»

وقد أصدرت التعليمات اللازمة لعقد اجتماع لأهالى سمخراط ـ ليس فى «صيوان» ولا داخل قاعة الاجتماعات ولكنه كان على قش الأرز..

وحضر لفيف كبير من أسرة الوكيل فى الصباح إلى مكتبى، واتفقنا على أن نتقابل فى الاجتماع..

وكنت أحس بينى وبين نفسى أنهم مظلومون فى اسقاط كافة هذه المديونات ومنها

مديونيات بنك التسليف عن نفس العام، ولكنى على الرغم من هذا أصررت على إسقاط كافة المديونات حتى مديونيات هذا العام . .

وقبلوا ولكنى بعد أن شرحت لهم الموقف تماما اقتنعوا اقتناعا كاملاً . .

وتحدثنا فى موضوع التبرع بالمنازل فتبرعوا مشكورين بمنزلين، أحدهما خصصته كمدرسة والآخر كمركز تدريب، وكانت الوحدة الصحية أو بمعنى أصح المجموعة الصحية ممتازة فاقتطعت منها جزءاً وخصصته كوحدة اجتماعية بالبلدة . .

وفى المساء جلسنا سويا على القش، وأذعت للمواطنين هذا الخبر وإذا بهم ينفجرون صراخاً وبكاء من الفرح . .

وتوطدت من هذا اليوم أواصر المحبة بين الملاك والفلاحين . .

وبعدها . .

لم تصلنى شكوى واحدة من هذه البلدة التى يبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نسمة . . ووضعتها تحت الاشراف المباشر للأخ المرحوم عبدالمنعم غنام الرجل الصادق الجرىء الشريف . . كما سيأتى الحديث عنه عندما أتحدث معكم عن رؤساء المدن والقرى . وتعالت الهتافات والزغاريد من كل جانب وساد الوئام هذه المنطقة - حتى الآن - على ما أعتقد!! وئام صادق ومحبة مخلصة، وتعاون بناء بين الملاك والمستأجرين . .

قابلنى عبدالواحد الوكيل بعدها وقال لى: الله يخليك ياشيخ أنا واخواتى بندعى لك . . تصور إن الفلاحين يسددون الإيجار دائماً مقدماً.

كان الإجراء الأول حاسماً حازماً.

وكان البحث دقيقا غاية الدقة، فالأخوان غنام وحمادى من الأفراد القلائل الذين كانوا يقولون ما يعتقدون، وكان غنام بالذات محبوبا فى هذه المنطقة لأنه كان مندوب الاصلاح الزراعى فيها، وقد أخذته رئيسا لمدينة المحمودية لإعجابى الشديد به، ولهذا قصة سأسردها عليك عندما نتحدث عن رؤساء المدن والقرى . وعن الجهاز الذى كان يساعدنى فى المحافظة!!

يالها من أيام . .

مرت بشدتها وقسوتها بحلوها ومرها بخيرها وشرها، ولكنها مرت كالنسيم العطر حينا وكالريح العاصف أحيانا أخرى، ولكننا صمدنا ـ لست وحدى ـ بل هؤلاء الرجال العظام من رؤساء المصالح ورؤساء المدن ورؤساء القرى وجهاز المحافظة والتنظيم السياسى . .

كنا نعمل كما قلت . . ولكن لماذا سرحت بك بعيداً عن المرحوم اللواء محمود الشافعى ولى عنه حديث طويل . . . طويل ولكن اسمح أيها القارىء أن أوجز فى الحديث ولو أن محمود الشافعى كان يستحق أن يؤلف عنه كتاب وحده!

كان يملك ثروة عظيمة لاتعد ولا تحصى . .

ولا أقول ثروة من المال أو العقار فهو لم يترك شيئاً يذكر . . ولكنه ترك ثروة عظيمة من أحبائه وتلاميذه ومريديه!

ليس المهم فى أن ضباطه وجنوده كانوا يحبونه إلى درجة العبادة فقد كان قدوة صالحة لهم، تخرج من تحت يديه جيل نظيف نزيه عظيم من ضباط الشرطة.

ولكن المهم أنه كان يمتلك ثروة ضخمة من الناس . . من حب الناس له . . كان يعرف الضباط الكبار . . وأصغر الجنود وأقل الخفراء شأنا فكانوا يحبونه . .

كان يعرف المستشارين ورؤساء النيابة والقضاة وأعضاء النيابة . . وكان فى الوقت نفسه يعرف جيداً النشالين واللصوص وقطاع الطرق . . يحبهم جميعا ويحبونه جميعا . . كان يعرف الموظفين الكبار . . والصغار فى نفس الوقت. وكان يعطف على هذا وعلى ذاك يؤدى لكل منهم واجبه أحسن الأداء.

اقرأوا كيف كان يتعامل معى مثلا . .

كان تفتيش الرى قد أوصل ماسورة جنابية لرى خمسمائة فدان بأبى المطامير . . ولم يوصل ماسورة أخرى للجانب الآخر لرى خمسة آلاف فدان تقريبا . . لماذا؟!

لأن الأولى كانت تخدم ثلاثة من كبار الزراع، والثانية كانت تخدم مئات من صغار الملاك، وحضر وفد من هؤلاء الصغار لى وذهبت معهم واطمأننت إلى صدق ماقالوا . .



قلت لمفتش الرى: لماذا لم تركب الماسورة؟..

قال: مفيش مواسير

قال الفلاحون: عندنا المواسير

قال: مفيش أوامر..

قلت للمفتش: طيب اشرح الموضوع للسيد الوزير ولاشك أنه سيأمر بإحضار المواسير اللازمة..

وانتحيت جانبا بالفلاحين وقلت لهم:

هل تستطيعون عمل الماسورة فى ليلة واحدة..

فأجابوا بالإيجاب

قلت: إذن اعملوها سرقة وسوف أرصف لكم الطريق الذى ستقطعونه وأعيده كما كان فى ليلة واحدة..

فقام الفلاحون بتركيب الماسورة وانتهى الموضوع.

إلا أن السيد وزير الرى ركبه ستون عفريتا ولم يتحدث معى وتحدث مع الأخ محمود الشافعى، وقال له فيه ناس فلاحين عملوا ماسورة سرقة دون إذن من الرى، وذلك بتحريض من المحافظ..

وأرجو أن تقوم فورا بإعادة الحال الى ماكانت عليه..

ورنت كلمة تحريض من «المحافظ» فى أذن محمود الشافعى، وإذا به يتحدث معى فيقول ضاحكا:

فيه بلاغ ضدك ياسيادة المحافظ..

قلت: خير..

قال: السيد وزير الرى اتصل بى

فقاطعته وقلت: يبقى علشان الماسورة..

قال ضاحكا: فعلا، ثم أصدر أمراً برفعها وعقد محكمة - حسب قانون الرى الإلهى - استغفر الله العظيم، وتغريم المتسببين..

قلت: أعمل زى ما انت عاوز يا أخ محمود..

قال: بالصراحة كده إنت عاوز تشيل الماسورة أم لا؟..

قلت له: لأ طبعا..

قال فى شجاعة: وأنا راخر مش شايلها.. وملعون وزارة الرى..

وهكذا بقيت الماسورة وسمّاها المواطنون «ماسورة المحافظ» فاشتهرت بهذا الاسم، وهكذا كان دائما محمود الشافعى بجانبى يساندنى.

وهكذا كان يتصرف معى!!

رحمه الله.. وأسكنه فسيح جناته..

فقد كان فلاحا أصيلا ورجلاً وشهما وشجاعا وقدوة يقتدى بها رجال الشرطة، ولكن قبل أن أنهى حديثى عن المرحوم اللواء محمود الشافعى أحب أن أقول إننا فى عهده توجهت أنا وهو، توجهنا إلى السيد الأخ الكبير عبدالعظيم فهمى وكان وزيرا للداخلية فى هذا الوقت وطلبنا منه أن نبنى نقط الشرطة مرة واحدة فى أنحاء المحافظة

وقال الوزير: بس الفلوس لجيبها منين

قلت له وأنا والأخ محمود: أترك لنا نحن تدبير المبالغ واختيار المواقع على أن تحول لنا أى مبالغ متوفرة فى ميزانيتك قبل نهاية العام، وبذلك وبعد المرور على المراكز والنقط اقترحنا بعض التعديلات الطفيفة وتمكنا من بناء ثلاثة مراكز شرطة وثلاث وعشرين نقطة شرطة فى عام واحد

ووفى السيد الوزير بوعده فحول إلينا المبالغ المتوفرة من ميزانيته وبذلك تم البناء.

وقد تمكنا بعد اعادة تصميم مبانى المراكز ونقط الشرطة تصميما عمليا وأهمها أبعاد مكان اقامة ضابط النقطة عن النقطة نفسها.

أقول تمكنا من تخفيض التكاليف فوفرنا من كل مركز ثلاثة آلاف جنيه ومن كل نقطة



ألف جنيه.

إن الفضل فى بناء هذه المراكز والنقط.. يرجع إلى العلاقة القوية.. التى كانت بينى وبين مدير الأمن من ناحية وبيننا نحن الاثنين وبين السيد الوزير من الناحية الأخرى.

وقد كان أملى أن أكمل باقى النقط والمراكز فى المحافظة بل وقد كان أملى أن أعيد التقسيم الإدارى بالمحافظة، ولكن محمود الشافعى كان قد نقل إلى الإسكندرية وحل محله السيد اللواء عبدالمجيد حسانين..

الرجل عاد مرة أخرى وجعلنى لا أطيق جهاز الشرطة بأكمله إلا من بعض رجاله الأفذاذ.

ومالنا ومال عبدالمجيد حسانين فهو رجل طيب.. طيب فعلاً.. ولكنه كما يقول الفلاحون «قليل الحيلة» كان رجلا مهذباً للغاية ولكنه لم يكن من الصنف الذى يستطيع أن يعمل معنا كفريق بالمرة..

ولنحك عنه حكايتين اثنتين:

الأولى.. أنه كان من الصنف الذى ينتقل الى مكان الحادث ويبدأ فى التحقيق وينهيه.. وطبعا.. يبدأ بكلمة «لما إلى علمنا «وينتهى»... «والبحث جار عن الجناة»..

وطالما أنه يبحث عن الجناة.. يقولون.. جالك الفرج.. فتحقيقاته متشعبة مترامية الأطراف واهية الحقائق ضائعة الأركان..

وكان من سوء حظى أنى أعطيت مبنى النادى القديم للشرطة، ولكنى عندما أردت بيع الأنقاض، والأرض حضر لى وقال:

ياسيادة المحافظ.. احنا لنا «حق الارتفاق»... ولا أدرى ماهو «حق الارتفاق» هذا.. ولا غيره من القوانين واللوائح.. كانت كل إجراءاتى تعتمد أساسا على روح القانون.. فعندى أن قيمة القانون فى روحه وروح القانون فى عدالته فإذا لم يكن القانون عادلا فليس للروح قيمة وليس لقيمة القانون وزن أو احترام!!

القانون عندى هو الصالح العام للمجموعة الكبرى من المواطنين فإذا كان القانون ظالما

فلا يقف فى طريق تنفـيذه فليس هو «القـانون الإلهى». . بل هو قانون وضعـه اناس مثلنا تماما فى ظروف ربما كانت تختلف اختلافا تاما عن ظروف القانون. .

لقد قمنا بالثورة وهى ضد القانون.

وطردنا الملك وهذا ـ على مـا اعتقـد ـ ضد القانون بل ضـد الدستور ايضـا. . . سواء دستور ٢٣ أو ٣٠ أو أية دساتير أخرى؟!

سيادة القانون!

على العين والراس!!

ويكفينى أن أحد أعضاء المحكمة الدستورية العليا بعد أن اطلع على كافة الإجراءات التى اتبعها قال: إسمع إذا شكاك أحد فى أى وقت فسأتقيل من منصبى وأتولى الدفاع عنك!

وبدأ الأخ عبدالمجيد. . وقال لا يافندم دا احنا لنا حق الارتفاق!

وأحـضـرت رئيس المدينة وطلبـت منه إغـلاق النادى ، فـلم يكذب خـبـرا فـأغلق الأبواب. .ولكنه لسوء الحظ. . . أغلقها بالبناء.

ولسوء الحظ أيضا كـان بعض الضباط فى الدور الثانى ولم يجدوا المنفـذ الذى يخرجهم من النادى الا بعد ان احضروا سلم الحريق ونزلوا عليه وكان منظرا مريبا للغاية!!

وكان هذا مثار الهزؤ بحكاية «حق الارتفاق» هذه!!

وانتشـر خبر خـلافى مع مدير الأمن، انتـشار النار فى الهشـيم، كما يـقولون، ولكنى حفاظا على وحدتنا أمام الناس. . ذهبت الى مكتب السيد مدير الأمن، وكان بيننا رجل من رجال الإدارة العظام وهو المـرحوم اللواء رءوف قرة وأمـضيت حوالى السـاعتين فى مكتـبه وقمت مسلماً وإذا به يقول لى فجأة:

ـ ياسيادة المحـافظ أنا بلغنى أخبار مؤكدة أن الأسـتاذ يوسف الهمشـرى بيعمل بيت فى «العصافـرة» من حاجات مأخوذة، يعنى مـسروقة من مجلس المدينة، وبعـمال وعربات من مجلس المدينة. . وكـان الحاج يحيى (ملاحظ فى مـجلس المدينة) يبنى عمارة من حـاجات مجلس المدينة. . وأنا بس بأبلغ سيادتك. .

قلت له: مش معقول أبدا.. والا علشان «همه الاثنين» دول اللى قفلوا النادى؟!

قال: أبداً.. دا حاجة مؤكدة..

قلت: طيب حاشوف الموضوع ده وحالا.

قال: لأ مفيش داعى وربنا أمر بالستر.. بس باديلك خبر!

وذهبت إلى مكتبى، وكتبت له خطابا.. قلت له «إنت قلت كذا وكذا أمام فلان وهذا ليس اتهاماً لفرد أو فردين، ولكنه اتهام للحكم القائم ونزاهته، وقد أمرت على الفور بإيقاف رئيس المدينة والحاج يحيى وتحويلهما إلى التحقيق» وشكلت فورا لجنة قانونية برئاسة المستشار الجمهورى بالمحافظة، السيد محمد عبدالعزيز ملوخية، وأرسلت له صورة من القرار، وكذا أرسل السيد رئيس اللجنة ـ المستشار الجمهورى ـ خطابا لمثول سيادته فى لجنة التحقيق.

وفى الحقيقة كان خطابى شديد اللهجة، فقد سردت عليه فى مقدمة الخطاب ماقاله لى وقلت له فيه أننى شكلت هذه اللجنة فور وصولى إلى المكتب لخطورة الأقوال التى أدلى بها سيادته كما سبق وأن أوضحت، واختتمته بأن قلت «حتى إذا ثبت ذلك اتخذت من الإجراءات مايكفل للحكم النزاهة والشرف، وإذا ثبت عكس ذلك اضطررت آسفا لاتخاذ ما أراه لازما للمحافظة على سمعة موظفى الدولة، وسمعة الحكم بالتالى، وعدم استعمال السلطة فى غير موضعها وتحرير الموظفين من قيد التحريات والشائعات الكاذبة، بما يضمن لهم الحفاظ على حاضرهم ومستقبلهم..»

وبعد حوالى نصف ساعة طلب سيادته مقابلتى فأجبته على الفور، وحضر معه السيد نائب المدير فى هذا الوقت المرحوم اللواء قرّة الذى حضر المناقشة بيننا كما سبق أن أوضحت فى البداية ودار بيننا حديث لن أنساه أيضا..

قال: إيه الجوابات دى يا سيادة المحافظ

قلت: والله دا اجراء رأيت اتخاذه فور وصولى من عندكم.

قال: أنا طبعا.. كما تعلم لا أستطيع أن أدلى بأقوالى لأنها أقوال وتحريات سرية وأنا



قلتها لك بصفة استثنائية

قلت: أشكرك على ثقتك.. ولكنى لا اعترف بالذى يسمونه «بالسرية» فيما يختص بسمعة الناس، وكرامتهم والمساس بحاضرهم ومستقبلهم.. وأنت ربما لاتعلم أن رئيس المدينة هذا مرشح لدرجة وكيل وزارة لأنه مدير عام منذ سبع سنوات.. وتحريات مثل هذه إن صحت فلا يجب أن يرقى، بل يجب أن يقدم إلى النيابة العامة وعلى الفور.. وإن كانت كاذبة ـ وأنا شخصيا اعتقد ذلك ـ فلا شك أنها ستضر به ضررا بليغا.

قال: أنا كنت بأقول الكلام ده.. بس للعلم.

قلت: علم يعنى إيه.. عاوز تقول لى إنك واثق أن واحد مدير عام حرامى.. ولص. ومستغل ثم يخيل لك أنى سأتركه.. أنت مفروض أنك ـ قبل أن توجه إلىّ هذا الحديث ـ أن تكون متأكدا منه..

قال: أنا ما أقدرش أعطى المعلومات اللى عندى لأحد

قلت: خلاص.. رد على رئيس اللجنة قول له كده..

قال: ولا كمان أقدر أرد عليه!

قلت: أنت حر ماتردش.. وهوّه طبعا سيرسل لك استعجالا أو استعجالين فإذا ما عجز هو فساضطر آسفا لمخاطبة الوزير رأسا، فإذا لم يجب الوزير طلبى فسأقوم بإبلاغ النيابة العامة فى رئيس المدينة بناء على المعلومات المؤكدة والمستندات التى تقول إنها عندك.. وكذلك فى الموظف الآخر؟!

قال: يافندم أنا ما أقصدش.. احنا عاوزين نحلها حبّى

قلت: إذا تنازل رئيس المدينة عن حقه وحلها حبّى معك كما تقول فسوف لا أتنازل إطلاقا عن حق الدولة... عن حق سمعة الحكم بأى حال.. يجب أن أصغى جيداً لمثل هذه السفاسف..

قال: تبقى سيادتك اللى عاوز الموضوع يكبر.

قلت.. أنا لا عاوز الموضوع يكبر ولا عاوزه يصغر أنا عاوز الحقيقة.. عاوز الحق..

وأنا بمنتهى الصراحة وأنت تعلم تماما أننى المسئول الأول هنا، أود إما أن أقدم رئيس المدينة للنيابة.. وإما ـ واسمح لى ـ أن أقول لك كلمة قد تكون جارحة ولكنها صريحة.. إما أن أقدمه للنيابة كما قلت وإما أن أضع حدا للبلطجة الإدارية على الموظفين.

قال: يعنى إيه يافندم.. إحنا بلطجية؟..

قلت: أنا لا أعتقد ذلك فيك أبدا ولكن إذا كانت المعلومات والمستندات كاذبة تبقى عملية بلطجة إدارية.. لا أقبل إطلاقا أن يتلفت الموظف الكفء حواليه.. لا أقبل أن ينظر إلى الخلف بل أريد موظفين شجعان.. لا أود أن أخلق طبقة من الجبناء ـ ولكنى أود أن أخلق طبقة من الشجعان المندفعين.. والموظف النزيه الشريف يجب أن أوفر له الجو المناسب.. والمناخ الهادىء.. لكى يستطيع أن يندفع بكل طاقته ليعمل ويخلق ويبدع ويبتكر وينتج..

قال: يعنى مفيش فايدة؟..

قلت: فى إيه؟!!

قال: فى سحب هذه الخطابات واعتبار الموضوع كأنه لم يكن..

قلت.. فيه فايدة.. تحت شرط واحد أن ترسل لى خطابا تقول فيه أنك أبلغتنى كذا وكذا وأنك بعد التحرى اتضح لك كذا وكذا سواء كان له أم عليه..

قال: ما أقدرش أبدا اعمل كده.

قلت: خلاص.. خلى الموضوع ماشى.

فوقف فى عصبية وقال: طيب يافندم اسمح لى بقى أنا مش حارد..

قلت فى هدوء.. كما تريد.. اتخذ أى إجراء تراه مناسبا لك، ولكن ثق من شىء واحد.. أننى سوف لا أترك هذا الموضوع يمر هكذا..

لقد أوقفت اليوم رئيس المدينة ونبهت عليه بعدم دخول مكتبه وكذلك الموظف الآخر وقد ذهب رئيس اللجنة وشمع مكتبهما وأصبح هذا الموضوع على كل لسان.

قال: دى بقى تبقى مصيبة.. ما تتكلم يارءوف وتشوف لنا حل مع السيد المحافظ فى الموضوع ده

كان رءوف قرة رجلاً ممتازاً مهذباً محتفظاً بكرامته دائما.

هناك أصناف من البشر تشعر بالاحترام لهم من أول نظرة، أو من أول مقابلة، وكان رءوف قرة من هذا الصنف من الرجال.. كان يجلس من أول الحديث والبسمة الخفيفة لاتفارق شفتيه طوال الحديث..

لقد شم بحاسته البوليسية.. أنى تركت الأخ عبدالمجيد حسنين مرة ومرتين وثلاثة بل وأكثر.. ولكنى هذه المرة أمسكت مقاليد الأمر فى يدى وأحكمت القبضة تماما على السيد المدير..

ورد رءوف قرّة وقال: حل إيه ياسعادة المدير.. احنا اللى غلطانين حنعمل إيه بقى.. وانا شايف السيد المحافظ متشدد.. ومش عارف أقول إيه..

لقد كان يعلم أن رءوف قرة له منزلة كبيرة عندى وأحضره معه لمساندته.. ولكن الرجل.. بعد أن سمع كلامى.. اقتنع به تماما..

قال المدير: يعنى ياسى رءوف مش عارف دلوقت طيب ما الكلام والتحريات كانت قدامك وانت شايفها بنفسك..

وإذا بى أفاجأ برءوف قرة يقول على الفور: آسف يا سيادة المدير.. أن أقول لك إن المعلومات التى قلتها للمحافظة فى الصباح غير حقيقية بالمرة.. بل هى معلومات كاذبة.. أنا أعذرك لأنك ـ ولا تؤاخذنى ـ تسرعت قليلا فى الإبلاغ من ناحية.. وجانبك الصواب عندما ابلغت المحافظ هذا الكلام فى مكتبك وكان فى زيارة ودية لك..

وانا اعلم انه حضر بنفسه لمكتبك لكى يزيل من تفكير المواطنين أن هناك أى خلاف بينك وبينه. وأنا شخصيا أشكره على هذا، ولهذا فأنا أعتقد أننا لم نجد الوقت المناسب لإبلاغ سيادته بهذا الكلام الذى ثبت عدم صدقه بل وكذبه من أساسه..

وقد حذرت سيادتكم من ذلك وحذرك عبد الحليم حتاتة.. ولكنك مشيت وراء كلام

اثنين عيال.. واحد من المباحث العامة وواحد ضابط مباحث..

وكان رءوف قرة يقول له هذا وكأنه يلقى عليه درسا وأعجبت بالرجل ايما اعجاب وقدّرته كل التقدير على شهامته ورجولته ووقوفه إلى جانب الحق..

وفى لحظة واحدة وقبل أن تتأزم الأمور أكثر وأكثر.. تمكنت من تغيير موضوع الحديث...وتناول البحث موضوع لجان الانتخابات ومقار هذه اللجان..

وانتهت المقابلة على لاشىء..

وأرسل رئيس اللجنة خطابا آخر ـ استعجالا لحضوره فلم يحضر.

ثم أرسل له خطابا ثالثا استعجالا لحضوره أو لإرسال تقرير بكلامه، ومعه المستندات فلم يرد..

فاتصلت بالسيد الوزير..

وفى اليوم التالى اتصل بى الأخ اللواء المرحوم الشهيد حسن كامل محافظ البحر الأحمر الذى استشهد هناك، وكان فى ذلك الوقت مديرا للمنوفية، وحضر ومعه المرحوم اللواء أحمد على محافظ الغربية.. وقالا: إحنا جايين نتعشى عندك اليوم..

وبعد العشاء فتحا موضوع عبد المجيد حسانين.. وقالا أنت عارف أننا إحنا الأثنين «شراقوة» وجايين مخصوص علشان نحل موضوع عبد المجيد منك..

قلت أنا تحت أمركما.. فأراد الأخ حسن كامل أن يتصل به للحضور فقلت أبداً.. اتصل به وقل له إحنا جايين.. وأنا جاى معاكم ففوجئا بالعرض وقبلاني..

وقالا: هكذا يكون التعاون وذهبت معهما.. وجلسنا فى الحديقة وتناول الحديث هذا الموضوع.. وطلبا منى الحديث فقلت لهما: أبداً أرجوا أن تسمعا الحديث من طرف واحد ـ وهو الاخ عبد المجيد ـ وبعدها أرجو أن تحكما.. وأقسم لكما أننى سأقبل ما تحكمون به.. وعلى الفور!!

وفوجئا أيضا بذلك.. وطلبا منه الحديث.. فتحدث طويلا وسرد فى صدق ما جرى

من البداية للنهاية دون تحريف!!

وإذا بهما يقولان فـي صوت واحد.. طيب يا عبد المجيد المحـافظ ما هو له حق.. ما كتبتش الجواب اللى قال لك عليه ليه وينتهى الموضوع..

قال ما اقـدرش أبداً.. واستمـرا معه فى مناقشـة طويلة امتدت ساعـتين وأنا جالس لم أتحدث على الإطلاق..

كان هدفي.. أن أذهب «أنا» إليه.. حتى أريهـما الأخ عبد المجيد على حقيقـته وانتهيا أخيراً إلى لا شئ!!

وخرجنا من عنده مرة أخرى إلى منزلي.. وقالا لى: اسمع.. أنت عندك حق.. كنت اعتـبر المرحـومين حسن كـامل واحمد علـى كإخوتى الكبـار ولذلك كنت صادق النـية فى الموافقة على ما يحكمون به واذا بهما يقولان:

ـ اسمع.. أنت لك حق.. أمـشى بقى فى هذا الموضوع حتى نهايتـه.. ولا تسأل عنه ولا عن غيره.. انت على حق.. وربنا معاك!

ولكنى فوجئت فى اليوم التالى بتليفون من الأخ المرحـوم اللواء محمود الشافعى ـ مدير الأمن العـام فى هذا الوقت ـ يقول إنه حـاضر عندى للغـداء «وعاوزك تدبح من النـهاردة وماتقولش فول وطعمية وكلام من ده».. وتغدينا سويا فى اليوم التالى .

البناء صناعة العمالقة
والهدم حرفة الأقـزام

حكمة صينية

هذا جزء جديد
لـم يكتمـل أيضــاً
كتبـه وجيه أباظـة
عن تجربتـه
فى الحكم المحلى
فى محافظة البحيرة



كانت مذبحة « التطهير الحكومى » مازالت ماثلة فى الأذهان .

وعلى الرغم من انقضاء ما ينوف عن السبع سنوات إلا أن آثارها كانت ومازالت تقض مضاجع موظفى الدولة خصوصاً العاملين منهم . . خصوصاً فى قطاع التنفيذ !!

وانتهى الأمر بالأجهزة الحكومية بأكملها وقطاع التنفيذ بوجه خاص إلى التهاون . . ثم الإهمال . . ثم التقصير . . ثم « معلهش » ثم «وأنا مالى»!!

وعلى الرغم من هذا فقد بدأت شبه مطاردة لكل من يعمل . . ففى الوقت الذى بدأ التهاون والإهمال يخيم بشبحه المخيف على الأجهزة التنفيذية . . وفى الوقت الذى اقتنع فيه كل عامل فى الحكومة أو غيرها بأن الذى يعمل كثيراً يخطىء كثيراً . . والذى لا يعمل إلا القليل يخطىء قليلاً، والذى لا يعمل بالمرة لا يخطىء أبداً .

فى هذا الوقت نشطت أجهزة الرقابة والأمن والمخابرات فى تتبع خطى العاملين والسؤال عنهم وكتابة التقارير التى بعدت كثيراً عن الحقيقة، بل أن الكثير من هذه التقارير خضع للأغراض والأهواء والدسائس . . وتصيد الأخطاء البسيطة التافهة وتضخيمها ونشرها فى الجرائد بشكل أفزع كل موظف وجعله يبتعد بقدر الإمكان عن الخلق والإبداع . . والتطبيق والتنفيذ !

فى هذا الوقت الذى بدأ كل عامل فى قطاع الحكومة أو القطاع العام يقول لنفسه . . «انجو بجلدى » !!

فى هذا الوقت بدأت طائفة من الاستغلاليين والانتهازيين وذوى الوساطات فى تولى المناصب العليا دون خبرة سابقة، وبدأت الخبرات تختفى بعيداً عن الميدان، والكفاءات تبتعد عن التنفيذ !!

فى هذا الوقت الذى سيطر فيه الشلل . . وتسيدت فيه طائفة التابعين والأقارب والأصدقاء، يتسلق فى سرعة بيد كانت تبطش بذوى الخبرة والكفاءة . . وباليد أخرى كانت ترفع الأدعياء والمنافقين ؟

فى هذا الوقت، ظهرت فئة هدامة مخربة للجهاز الحكومى بل وللمواطنين أيضاً . . كانت أشدها خطراً وهى طائفة «الواصلين» أو الذين يدعون أنهم واصلون.

كانت كل الأجهزة التنفيذية ، والتنظيمات الشعبية ينظر إليها بحرص شديد فى البداية،

ثم بخوف أشد بعد ذلك . . وكان لدى محافظات الأقاليم العدد الكبير من هذه الفئة الضالة المنحرفة التى استطاعت أن تنحرف أيضاً بالجهاز الحكومى إلى مزالق الرشوة والفساد واستغلال النفوذ، وعندما ذهبنا إلى محافظاتنا وجدنا حالة الموظفين هكذا . .

خوف . . حذر . . ترقب !!

ثم . .

الصمت المطبق !

ثم

الركود والنوم العميق !

الذى يعمل كثيراً يخطىء كثيراً . . والذى لا يعمل . . لا يخطىء ؟!

الذى لا يعمل سيرقى فى دوره

والذى يعمل ستقابله العقبات والمشاكل ؟!

وكادت هذه الأجهزه تنام إلى الأبد . . . بل كادت تسلم نفسها إلى العدم ذاته ؟

وعندما توجهت إلى محافظة البحيرة . . كانت الحالة كباقى المحافظات هكذا !!

إن أمامنا الخطة الخمسية . . . بدأت عام ١٩٥٩ ولم تنفذ منها كلمة واحدة، ولم يوضع فيها حجر بناء واحد، اللهم بعض « أحجار الأساس » التى زرعها السادة الوزراء فى المدن والقرى كشواهد القبور ؟!

وأصابنى يأس شديد كاد يعدنى عن العمل !

كنت عندما أسأل عن موظف فكان الرد يأتيك :

- رجل طيب!

- ثم ماذا ؟

- رجل نزيه

كأن النزاهة فى هذه العصر أصبحت ميزة !

كأن طهارة الأخلاق وبراءة النفس ، ونقاء الضمير ، والنزاهة أصبحت من الممنوعات، ووجودها أصبح كسباً أو ضرباً من المحال ؟!

كأن القاعدة أن تكون سيئ الأخلاق، سيئ السمعة، مبتذل النفس والضمير ، وأن نقاء الأخلاق وطهارة اليد أصبحت هي الشذوذ بعينه!

وبدأنا في العمل في هذا الجو الخانق . . .

بدأنا في طمأنة الأجهزة الحكومية والمواطنين على السواء . . . !

بدأنا في أن نزيح شبح حركة التطهير . . . ؟!

ثم بدأنا جميعاً في علاج أمراض الجهاز الحكومي ، فقضينا على التهاون والإهمال «ومعلهش»و «وأن مالي»، ثم أبعدنا أجهزة الضغط والكبت التي كانت تطارد الموظفين ، ثم أبعدنا الاستغلاليين والانتهازيين وذوي الوساطات، وقضينا على « الشلل » ! وعلى طائفة الأقارب والأصدقاء ، ثم ضربنا معاقل من كانوا يحيطون أنفسهم بهالة «الواصلين» والأدعياء ، ثم هززنا جذع الجهاز الحكومي من جذوره . قلنا لا خوف . . لا ضرر . . لاترقب . . لا صمت مطبق . . لا نوم عميق . .

ثم بدأنا في الأخذ بيد هذه الأجهزة . . وإيقافها على قدميها . . وتشجيعها كي تسير في الطريق الصحيح المنتج .

وبدأنا نقول: من يعمل كثيراً يستحق الحياة . . ومن لا يعمل لا يستحق حتى الحياة ؟!

دقت ساعة العمل الثوري . .

من شاء منكم أن ينضم إلينا . . إلى صفوف المجاهدين الشرفاء . . إلى صفوف ذوي الأيدي النظيفة . . والقلوب الشجاعة والأفئدة الجياشة بالعمل الثوري . . هذه يدنا . . وهذا حقنا . . وهذا هدفنا . .

بدأت الرؤس تطل في ترقب .

ثم انطلقنا معاً نبني ونعمر ونزرع . . ونجني . . ونسير بسرعة البرق دون خوف أو ملل أو كلل!

بدأ التفكير والتدبير . . . الخلق والإبداع . . التطبيق والتنفيذ . . واتخذنا شعارنا : أقصى ما يمكن من الخدمة بأقل ما يمكن من مصروف.

أعظم ما يمكن من إنتاج بأقل ما يمكن .

بدأ صف العمل الخلاق ينتظم صفاً واحداً . . ويعمل ويعمل . . ويشيد ويبني . .

وهكذا بدأنا العمل فى إقامة بناء السنة الأولى فانتهينا منه فى ثلاثة أشهر.

وكان هذا العمل ضرباً من المحال . . . أو هو الإعجاز نفسه . .

وعندما حضر السيد كمال الدين حسين ـ أبو الإدارة المحلية - لافتتاح أربعة وثلاثين مشروعاً وضع أحجار أساس أربعين مشروعاً أخرى خلال يومين . . ووقف الموظفون والمواطنون ينظرون إلى ما أقاموا وشيدوا من بناء وهم فخورون بما أقاموا وشيدوا .

وبدأنا بعد ذلك فى البناء والتشييد فى السنة الثانية من الخطة الخمسية الأولى وانتهينا منها أيضاً فى ستة أشهر لا تزيد .

بدأ الناس يتساءلون من أين أتى هذا الرجل بالمال . . من أين أتى بالرجال ؟

كيف حرك الجهاز الحكومى؟ كيف أسهم المواطنون عملاً ورجالاً عن طيب خاطر . . كنت أقول لهم:

الثقة . . بذرت بذور الثقة . . ووقفت أحمى ظهر كل بناء شريف.

إذا أخطأ تحملت خطأه . . . وإذا أصاب ونجح دفعته أمامى فى زهو. . . وقلت :

- هذا هو الرجل.

وأرجو أن يعذرنى القارىء لهذه المقدمة الطويلة فى الإسكان والتشييد والمرافق .

ولكننى فضلت أن أكتب هذه المقدمة فى هذا الباب بالذات . . لأن التشييد والبناء كانا محفوفين بالمخاطر محاطين بالشائعات بين المواطنين، كيف إذن بدأ البناء . . وكيف سرنا حتى وصلنا الى الهدف ؟!

من أين إذن أتينا بالمال؟ !

كيف توفر لنا الوقت؟ !

كيف أقمنا وبنينا وشيدنا ؟

من أين الأرض . . ومن أين القرض ؟

الحديث سوف يطول ولكن لنبدأ من البداية . .

كان من الواجب علينا بادىء ذى بدء أن نعيد النظر فى عدة نقاط .

● الأولى : أن نعيد النظر فى الخطة الخمسية نفسها .. فى أسعار مواد البناء .. وبالتالى فى أسعار المقاولين ؟

● الثانية : أن نعيد النظر مرة أخرى فى هؤلاء الرجال الذين سيقومون بالتنفيذ خصوصاً من المديرين .

● الثالثة : أن نوفر المال اللازم وبسرعة، ونظراً لسرعة ارتفاع أسعار مواد وأراضى البناء.

كانت الخطة الخمسية الأولى قد وضعت على أساس أن تنفذ فى بداية عام ١٩٥٩ .

وكانت - على ما أعتقد - قد قدرت الأسعار على أسعار عام ١٩٥٧ أو ١٩٥٨ على أكثر تقدير.

وعندما أعدنا النظر فيها وجدنا أن الأسعار وقد زادت بنسبة ثلاثين فى المائة.... هذه واحدة.

أما النقطة الثانية: فقد كان المديرون خصوصاً فى قطاع الإسكان والتشييد والمرافق بدرجة مدير عام أو ربما تزيد .

وكان الطموح منعدماً فيهم بوجه عام تقريباً .

منهم من سيرقى «أوتوماتيكياً» إلى درجة واحدة أعلى ثم الوقوف إلى الأبد فى طريقهم إلى المعاش خلال شهور قلائل .

وعلى هذا فقد انعدمت فيهم روح الخلق والابداع ، بل وحتى روح العمل ذاته.. فركنوا إلى الهدوء والسكينة، انتظاراً للترقيات والدرجات والمعاشات !!

وحاولت أن آخذ بيد من كان معى فى هذا الوقت إلى العمل .. إلى تأدية الواجب بالسرعة العادية .. وليس بالسرعة الخارقة والمطلوبة فى هذا الوقت فلم استطع بل استطيع، أن أقول إننى عجزت!

والحق أقول: إن الرجل كان طيباً .. وكان هادئاً ولكن نقطة انعدام الوزن عنده .. كان انعدام الشعور بعامل الوقت الذى يسير بل يجرى .. بل يطير وهو فى مكانه يقول دائماً المثل المشهور «طول البال يبلغ الأمل»!

أى بال هذا .. وأى أمل ؟

وصارحته بعد ذهابى بشهر واحد .. قلت فى أدب جم .

إن عمرى يقترب من الثانية والأربعين .. وعمرك يقترب من الستين وأنا رجل ثورى وأنت رجل نظامى . وأنا لم أعمل فى الحكومة « موظفاً » قبل هذا .. أما أنت فقد كنت موظفاً لخمسة وثلاثين عاماً على الأقل ؟!

واستطردت قائلاً : هناك قوانين وهناك لوائح .. وفى نيتى ألا أخالف القانون بل ربما تحايلت عليه «للصالح العام» .. ولكن فى نيتى أن أضرب ببعض اللوائح عرض الحائط .. هل تستطيع؟

قال : لا .. لا يمكن أن أسير فى هذا الطريق .

قلت : مع كل احترامى لك ولسنك .. فأنت فى سن أخى الأكبر، وأنا أحترمه من أعماق قلبى ، مع كل احترامى لك أرى أننا يجب أن نفترق .. إما أن أذهب أنا .. وإما أن تذهب أنت .. وفى حالة ما إذا فضلت أن تذهب أنت .. فإما أن أطلب أنا ذلك أو تطلب أنت .. ماذا تفضل ؟! إن هذا متروكاً لك وحدك أن تقرره ..

وقد كان ... وطلب الرجل الطيب .. الهادىء « المدير العام » الذى يؤمن بالمثل القائل «طول البال يبلغ الأمل » .. أن ينقل .. وتم نقله .

لم أضع الوقت . وكنت قد تعرفت على أحد المهندسين الشباب درجة ثالثة - وتحدثت معه طويلاً وتلاقت أفكارنا وآمالنا - لم أضع الوقت وأصدرت قراراً بتعيين المهندس عبد العزيز الشريف .. وكيل وزارة الإسكان الحالى بمحافظة القاهرة مديراً للإسكان بمحافظة البحيرة ..

ولم أكن أدرى أن مثل هذا القرار سيقيم الوزارة، ويقعدها .. ويثير مثل هذا السخط بين كبار موظفى الوزارة .

- هل من حق المحافظ أن يعين مدير الإسكان بالمحافظة؟ وإذا كان هذا من حقه .. فهل من حقه أن يعين المدير - درجة ثالثة - ولدينا العديد من مديرى العموم ؟!

وصممت على موقفى .

وصممت الوزارة على موقفها .

ولم يحسم الموضوع سوى السيد كمال الدين حسين، الذى اقتنع بوجهة نظرى، وكذا

السيد الدكتور محمد أبو نصير وزير الإسكان فى هذا الوقت، والذى وقف يساندنى فى قوة وفى اخلاص كان لهما أعظم الأثر فى تلك الدفعة القوية لجهاز الإنشاء والإسكان والتعمير والمرافق بالمحافظة!

وإنى لأنتهز هذه الفرصة لأوجه للدكتور محمد أبو نصير الرجل العظيم الذى وقف يساند المحافظين ويدفعهم إلى الأمام ويمدهم بالإمكانيات والخبرات فى صدق وإخلاص، مما دفع المحافظين أيضاً إلى التعاون الأكيد معه ، فأتى هذا التعاون الصادق بأعظم النتائج التى أذهلت العاملين والمواطنين والموظفين .

وكان مثار الحديث بين الجميع .

ولقد كان بودى أن أوجه له الشكر . . وأن أنسب إليه - وحده - كل الانجازات التى تمت فى قطاع الإسكان والتعمير والمرافق فى سائر انحاء المحافظات دون تمييز . . ولكننى فوجئت بأن الرجل متهم بما يسمى - بمذبحة القضاة - وللأسف الشديد أن الرجل لم يشأ أن يدافع عن نفسه خوفاً على آخرين أو خوفاً من آخرين . . ولكنى أقول - والحق أقول - إن الدكتور محمد أبو نصير للتاريخ وحده - لم يكن مسئولاً عن مذبحة القضاة . . بل إن شخصاً آخر كان هو المسئول ولست . . . فى حل أن أفصح عن اسمه لا خوفاً منه بل خوفاً عليه . . سامحه الله !!

أخى الدكتور أبو نصير .

إن الثورة . . أى ثورة .

يخطط لها الفلاسفة والمفكرون وينفذها الشجعان .

ويستفيد منها الجبناء .

وسوف يسجل التاريخ لك أنصع الصفحات !!

وأعود فأقول إن الدكتور أبو نصير ساندنا مساندة صادقة مخلصة وفعالة . . بل ووقف يحمى ظهرنا ضد هذا التيار .

. . ولم يكمل وجيه أباظة ذكرياته . . وتوقف عند هذه الكلمات

أربعة لقاءات مع وجيه اباظة حول الحكم المحلي

كثيرة تلك الأوراق التى تركها وجيه أباظة.. ولكنه رأى.. وتلك كانت إرادته.. ألا تنشر، بل تظل للتاريخ بين يدى الأسرة وحدها..

والأوراق التى كتبها للنشر ـ ولم تكتمل ـ كانت فقط حول تجربته الأولى فى الإدارة المحلية..

ولقد بدأ كتابتها وهو فى السجن.. ولكنه توقف..

وعندما ذهبت لإجراء حوار شامل معه، حملت معى جهاز تسجيل صغيراً..

ورأى الرجل أمانة للتاريخ أن يجيب عن كل سؤال طرحته..

ولقد بدأت معه... من حيث بدأ العمل العام.

منذ أول تنظيم سياسى سرى داخل القوات المسلحة... له هدف واحد... هو مواجهة الإنجليز الذين كانوا يحتلون الأرض، ويستعمرون البلاد...!

وتوقفت معه طويلاً عند تجربته فى الحكم المحلى.. تلك التجربة.. البارزة.. والمميزة فى تاريخ الحكم المحلى فى مصر كلها.

وكانت له رؤية، وفلسفة.. عمل على تطبيقها بمنطق الثورة، لذلك ظلت التجربة حية.. ونابضة حتى الآن.. كما ظلت رائدة أيضا..!!

وفى حوارتى مع وجيه أباظة حول الحكم المحلى، لابد أن الحديث تشعب بنا أحيانا.. وخرج عن مساره إلى أمور أخرى قد تكون قريبة.. وقد تكون بعيدة عن الموضوع، ولكنها فى النهاية تعكس جوانب من رؤية وجيه أباظة، ومن تجاربه المتعددة فى الحياة السياسية..

ولقد رأيت أنه حتى تكتمل رؤيته للإدارة المحلية... لابد أن يكون هذا الجزء من الحوارات معه، ضمن صفحات هذا الكتاب.. لتغطى جوانب أخرى

لم تصل إليها السطور التى خطها بيده.. وهو يحاول أن يضع تجـربته ورؤيته على الورق بقلمه...

لقد كانت الظروف التى بدأ فيها الكتابة صعبة، وعسيرة.

لقد وجد نفسه بعد كل ماقدمه.

وبعد هذه الحياة الحافلة بالنضال، والكفاح من أجل مـصر، حريتها وعزتها واستقلالها، ورفاهية أبنائها.. وجد نفسه سجينا... بين أربعة جدران.

وكانت هذه المحنة السـياسـية على يد سلطة مصـرية، كفيـلة بأن تهز ايمان الرجل. وتزعزع القيم التى عاش بها ومن أجلها.

ولكن ذلك لم يحدث... فقد أمسك بالورقة والقلم.

ووضع انفـعالاته فى سطور - لم تكـتمل - يروى فـيهـا تجربتـه الأولى فى الحكم المحلى.

ونحن نحاول معه استكمال هذه التجربة من خلال أجزاء من الحوار الطويل مـعـه، نقـتطع منه ردوده على كل الأسـئلة التى وجـهت اليـه حـول الادارة المحلية..

حتى وان كانت هذه الأسئلة لم تغطى كل الجوانب..

ولم تشمل كل شىء..

فقد كان حديثا مرتجلا..

لم يتم التحضير له من قبل..



٤ لقاءات مع وجيه أباظة



وجيه أباظة





عبد الله إمام

اللقاء الأول

كانت بداية هذا الجزء من الحوار، كما حمله شريط التسجيل عندما قلت له:

■ عند أول تطبيق لنظام الإدارة المحلية فى مصر كانت لوجيه أباظة تجربة متميزة ورائدة، مازال الناس فى البحيرة يذكرونها حتى هذه اللحظة من ناحية اقامة منشآت وتوفير كل الخدمات وحل مشاكل الإسكان. . . اقامة الاستاد، والمستشفيات. . حتى الفنادق. . حتى فرقة الفنون الشعبية. . وكانت رائدة. وكانت بداية فرق الأقاليم للفنون الشعبية فى البحيرة.

هل يمكن من خلال مسيرتكم فى الحكم المحلى. . . ومن خلال هذه التجربة التى يذكرها الناس وهى علامة مضيئة فى تاريخ ثورة يوليو، أن نرصد تاريخ الإدارة المحلية ونعطى نموذجاً كيف تكون الإدارة المحلية الناجحة حتى يمكن أن تستفيد الأجيال وتستفيد تجربة الحكم المحلى أساسا.

■ بداية كيف علمت أنك عينت محافظا؟

ـ كان السيد كمال الدين حسين قد سألنى قبلها بقليل:

هل لديك مانع من أن تعين محافظاً؟

قلت له بالعكس أنا أرحب جدا. . . لسبب أنى كنت فى وقتها خلصت خبرتى فى إدارة

القوات المسلحة... ثم انتقلت إلى شركات... وأقمت شركات وكان دورى فى هذا المجال قد انتهى.

وكنت أيامها أحصل على مرتب جيد من دار التحرير.. وكانت سنوات ٥٧، ٥٨، ٥٩ بالنسبة لى سنوات حية جدا. سنوات فيها حياة...

المهم بعدها بقليل.. بشهر مثلا وجدت محمد أحمد يتصل بى بالتليفون فى البلد ويقول لى:

- مبروك ياسيادة المحافظ أنت اتعينت..

قلت له: فين..؟

قال: فى البحيرة

قلت له: كويس

فأنا قعدت أقول فى نفسى إشمعنى يعنى فى البحيرة ده أنا أقدم واحد فى الجماعة اللى جايين دول كلهم..

إشمعنى يعنى أروح البحيرة لكن أنا بينى وبينك تربيتى الريفية كانت هى التى ساعدتنى. وأنا ميال ان أكون فى وسط جماعة يفهموننى، وأفهمهم وأقرب ناس لى هم الفلاحون.

وعلى هذا رحبت بالقرار وذهبت للمحافظة، ولكنه قبلها وقع خلاف بسيط فى القاهرة.

قبل أن نتوجه إلى المحافظات ذهبنا إلى معهد الإدارة العليا... فى شارع رمسيس لنحضر دورة عن الإدارة المحلية، وكانت تجربة جديدة، وكان المحاضرون دكاترة متعلمين فى أمريكا.

وقال الدكتور فى محاضرته لابد لكل محافظ من صيغة معينة، عندما يحضر أحد لمقابلته، يعمل ورقة فيها فورمة... وزعها علينا.

والفورمة فيها خانات الاسم.. البلد.. سبب المقابلة.. وأشياء من هذا القبيل، هذا قبل أن تحدد له موعدا... بعد ذلك يقابله المحافظ سواء فى هذا اليوم أو فى اليوم التالى. عندما أن يأتى دوره.



لا أذكر اسم الدكتور الآن، فقمت وقلت له:

- يادكتور أنا غير مستعد ان أنفذ هذا الكلام

قال: كيف

قلت له: والله كده، أنا فيه ناس مرضاش أكتّبهم الكلام ده خالص... وفيه ناس لاتستطيع الكتابة فى الأرياف... يمكن هنا علشان فى القاهرة - وكان صلاح دسوقى قاعد جنبى - قلت له مثلا فى القاهرة الناس اللى عايزه تروح للمحافظ ناس متعلمين قوى أو سفراء أو وزراء أو بتوع حاجات زى كده يمكن هنا فى القاهرة

قام صلاح الدسوقى قال له: لا ولا انا فى القاهرة منقدرش نمشى الكلام ده.

ثم رفضت ان أذهب لاستكمال هذه المحاضرات.

وسألنى كمال الدين حسين عن سبب عدم ذهابى ؟

قلت له: حصل كذا وكذا.

فقال: طيب متروحش... وراح لاغى البرنامج...

وقال لى: ورق إيه وبتاع إيه. بعدها بقليل قلت للريس: لقد حدث معى كذا وكذا قال: أنت على حق طبعا.

قلت له: ده عايز شعب من أمريكا... وعايز ناس متعلمين زى الأمريكان لكن مش عايز ناس بسطاء جدا... ضرورى الواحد إذا كان متعلم ينزل لمستواهم وبعدين يطلع بيهم لذا فانا معنديش استعداد أن أعمل حاجة زى كده أبدا.

وظلت العملية فى ذهن الرئيس حتى أنه عندما تقابل معنا ونحن نحلف اليمين، وكان بعد حوالى شهر كنا خلاله هنا فى القاهرة .

قال لى الرئيس: الحقيقة أنا كنت عاوز أقعد معاكم بعد ماحلفتم اليمين، لكن مش عايز أعطلكم، مش عارف أنتم قاعدين هنا لغاية دلوقتى ليه؟! كل واحد يروح يشوف محافظته ويشتغل...

إحنا مش عارفين إحنا حنشتغل فى ايه..

قال الرئيس: وأنا أعتقد أن فيه وزارات عندكم حتشتغل ضدكم أنا مش عايز محافظين موظفين بتوع مكاتب أنا عايز محافظين بتوع شوارع... وبتوع حوارى... بتوع مصاطب. ده كل اللى أقدر أقوله لكم إنكم تنفذوا الحاجات مادام شايفينها لمصلحة الناس.

كان هذا كلامه.. أن ننفذ مافيه مصلحة الناس.. فقط مافيه مصلحة الناس... مادام أى أمر فيه مصلحة الناس لابد أن ننفذه، وإذا وجدنا عقبات علينا أن نتصل بالرئيس شخصيا، هكذا كانت توجيهاته لنا فقد قال:

- حاجة فيها مصلحة الناس مش قادر تنفذها اتصل بى مباشرة وقول لى فيه كذا وكذا... وده كل اللى أنا عاوزه منكم.

قال لنا الرئيس أيضا: أنا عندى آلاف من الموظفين موجودين فى المكاتب لكن أنا عايز موظفين يروحوا للناس.

وكمان قال: أنا مش عايز يدخل المفهوم بتاع الحاكم فى مخ أى واحد يشتغل معايا... عايز يدخل مفهوم بتاع الخادم... إحنا بناخد مرتباتنا من الناس فمش معقول أن آخد مرتب من واحد عشان أتأمر عليه أو حاجة زى كده.

قالها بضحك كده وراح ماشي

بعد هذا الاجتماع ذهبت إلى المحافظة.

■أول مرة تذهب إلى البحيرة؟

- أول مرة.. فلم أنزل دمنهور من قبل ولا رأيتها... أظن نزلنا دمنهور عندما كنا ذاهبين لرشيد.

مرة كان الريس جمال ذاهب لرشيد ولا أذكر متى، وكنت معه للاحتفال بذكرى معينة بمناسبة ما فى رشيد ومشينا من نصف دمنهور لكن لم تترك فى نفسى أثرا، ولا أذكر منها شيئا.

لا أذكر أننى رأيت دمنهور أبداً.. أبداً

■لم تكن تعرف أى شىء عن دمنهور؟

ـ لا أعرف، ولا عندى أى فكرة إلى ان ذهبت الى هناك.

لقد فضلت أن أذهب بالقطار، ولا أذهب بالسيارة فلم تكن لدينا سيارات خاصة بنا، فيما بعد استأجرت سيارة.

وصلت إلى محطة السكة الحديد وجدتهم... كانوا ثلاثة منتظرين... حتى مدير الأمن لم يكن ينتظرني، أيامها كان هناك نوع من افتعال المشاكل بين مدير الأمن والمحافظ.

أنا طبعا لم أعط فرصة لهذه العملية أبدا.. نزلت وجدت واحداً من المحافظة، أظن أنه كان يعمل مدير الصحة.. واسمه كمال.. الراجل المشهور العظيم من العائلات الكويسة قوى.

عيلة كويسة قوى من الوطنية.. وبعدين أهلا وسهلا..

وسلمت عليهم وقلت على فين..

وطلعت ركبت عربية حنطور قلت: فين المحافظة

قالوا : المكتب فى مجلس المدينة. رحت مجلس المدينة أنا كنت قايل لهم قبل ما أروح من يوم ما اتعينت قلت لهم على المكتب اللى حيعملوه لى.

قلت مش عايز أى تغيير... واحد يروح يعمل بويه ، يعملوا كده بالرش كنظافة والمكتب بتاعى إذا كان مفيش مكتب يجيبوه لى من إيديال

ويجيبوا لى سجادة من السجاد المحلي.. سجاد دمنهور.

المهم.. رحت مجلس المدينة يومها وقعدت وبدأ الناس يتوافدون على.. أهلا وسهلا.. حمداً لله على السلامة... وأشياء من هذا القبيل .

وسألت عن المكان الذى سأقيم فيه هل هناك فنادق مثلاً، فرد أخ كان اسمه محمد عرفة مندوب بنك التسليف: أنا عندى مكان فى الاستراحة.. ذهبت معه وأمضيت حوالى شهر تقريبا فى استراحة بنك التسليف..

وبعد ذلك بدأت تحضر السيارة... سيارة مستأجرة... وبدأت جولة فى الصباح داخل المصالح الحكومية.. ولم يكن أحد يعرفنى .

بدأت بعملية غريبة نوعا ما... واحد موظف كبير جاى ـ وهو المحافظ ـ حضر ليزور مثلا الشهر العقارى.

الشهر العقارى باللدات كانت له مشكلة معى.

وكان وزير العدل أيامها الله يرحمه ويحسن اليه رجلاً أميراً جدا اسمه الأستاذ أحمد حسنى ، دخلت الشهر العقارى.. لا أعرفه... مصلحة مكتوب عليها الشهر العقارى.. وجدت الصالة مكتظة بالناس.. فتحت أول باب وجدت ٢ موظفين قاعدين أحدهما يرتدى جاكتة.. والثانى بنطلوناً وقميصاً وقاعدين يتكلموا مع بعض سألت أحدهما:

إنت بتشتغل ايه وانت مين؟؟

ورد على قائلا: أنت اللى مين؟

قلت له: انا فلان الفلانى

قال لى: أهلا وسهلا

قلت له: إنتم بتشتغلوا هنا

وقال لى: آه

قلت: بتشغلوا إيه؟

قال لى: مش عارف مدير مأمورية... ولا مش عارف ايه

قلت له: طب يا أخى بدل ما أنت قاعد تقول الحكايات ديه... فيه ناس قاعدة بره أطلع شوفهم... هو انت اسمك ايه

أنا أحصل على الأسماء على أساس أنى آخذ الاسم وأضعها فى جيبى، وينتهى الأمر، لن أتخذ إجراء فى أول زيارة... وقد هالنى بعد أن أخذت اسمه ونسيته أنه فى نفس الليلة ـ وانظر السرعة ـ اتصل بى تليفونيا السيد وزير العدل أحمد حسنى قائلا: يافلان اريك... وانت ماشى كويس؟

قلت له: الحمد لله انا لسه جاى امبارح

قال لى: انت مش عارف...؟

قال لى كده: انت مش عارف انت رحت الشهر العقارى

قلت: آه

قال: مش عارف ...؟

قلت له: ايوه يافندم عارف طبعا

قال لى: مش عارف ان وزارة العدل ديه ماتتبعش المحافظين

قلت له: عارف بس أنا بعرفها بمفهوم تانى خالص، سيادتك أنا أعرف انى لا أروح نيابة، ولا أروح محكمة، ولا أروح حاجة زى كده، ولا أروح فى الشهر العقارى... أقول له غير التوثيق ده... اعمله باسم فلان، مش عارف ايه، أنا بشوفهم فى عملية الانضباط نفسه أما فى الشغل بتاعهم ماليش دعوة بالباقى.

قال لى: لا.. لا

قلت له:ـ وأنا عارف هو يرمى على إيه عندما قال لى ـ أنت مش عارف أن الشهر العقارى تبع وزارة العدل. قلت له طيب أنا عاوز أقول لسيادتك حاجة انت مش عارف أننى تابع الحكم المحلي.

قال لى: آه

قلت له: إنت بتكلمنى ليه... انت عندك وزيرالحكم المحلى إتصل بيه

قال لى: يعنى مافيش فايدة...

قلت له:

ـ لو كمال الدين حسين قال لى، مش حاسمع كلامه أنا حامشى حسب مخى... الإدارة المحلية أنا حامشيها كويس قوى... سكت.

وواصلت: إذا رحت محكمة وتدخلت تبقى مسألة ثانية، أنا مش عارف إيه الكلام

الفارغ ده، وهو كل واحد متغاظ من حـاجة يقول لك ده المحافظ راح لهم النهارده، وعمل كذا وسوا كذا وكذا.

وبدأت.. بدمنهـور فى وقت محـدود جداً يعنى زى مـاأكون قد طفت المحـافظة... أذهب إلى مركز ثم اذهب إلى مركز بعيد عنه بـ ١٠٠ كيلو الناحية التانية

أذهب رلى المدارس النهارده وأذهب مثلا المستشفيات تانى يوم الصبح.

وكانت نتائج الزيارات كلها إما مكافأة وإما محاسبة...

وهكذا بدأت عملى.. واحسست ان هناك تجاوبا من الناس، لقد تعبت فى الأول

وجدت عددا من المعوقات سأرويها لك فيما بعد.

أول هذه المعوقات: كان السيد محمود الجيـار مدير مكتب جمال عبدالناصر ـ وكان مدير مكتب رئيس الجمهورية للشئون الداخلية.. أى وزير الداخلية.

كان دائمـا يرسل لى خطابات من هناك من مكتـبه، وكـان كل خطاب يأتينى منه أمـزقه فورا...«ملهاش لازمة».

كانت له اتصالات لم تعجبنى، كان له سهراته وجلسـاته.. ولم تكن لى أية علاقة بذلك وكان هو رئيس الاتحاد القومى أراد أن يحدد لى خط سيرى.. ولكنى رفضت.. وقلت له لا تستعمل ذلك معى.. إياك وان تفعل ذلك..

ثم بدأت المتاعب مع الشرطة.. كان هناك مدير أمن ـ رحـمه الله ـ سألوه قائلين: ماذا تفعل مع المحافظ؟

قال بعد أن أشار إلى جيبه:

ـ المحافظ هنا فى جيبى ده.

عندما سمعت قلت: زى بعضه فى جيبه مش فى جيبه بس المهم الشغل يمشى.

وجدت أنه عنيف جدا مع الضباط، وعلى طول أخذت قرارات سريعة، قلت إنه: ممنوع حركات التنقلات للضباط أثناء العام، وأثناء السنة الدراسية.

فهو قال اللى بيشتغل فى الحتة الفـلانية تنقله آخر المحافظة الناحية التانية يقوم يرتبك. . عليه فلوس للبقال. . . وأولاده يخدهم، ويغير مسارهم، يعنى شغلانة. . .

منعته ـ فنقل فى البداية ٥، نقل بعد كده ١٦ واحد قبل العيد بشويه. . .

أصدرت أنا قرارا بإلغاء النقل ده وذهبت إلى بلدنا للعيد. . . اتصل بى وزير الداخلية فى البلد وقال لى انت ياوجيه لغيت حركة التنقلات.

قلت له: آه

قال: أنت مش تشوف مدير الأمن الأول؟

قلت له: هو اللى يشـوفنى. . . أنا بعت قـرار يسـرى على الجمـيع يعنى أنا مـاعنديش تنقلات خلال السنة إلا لما ييجوا يتفاهموا معايا. . . ليه هم ناقلين فلان وفلان من الأمن ما اتبعش ديه معلهش هو بقى مصيبته أنه مخلاش له صديق

أصررت على أن يعود هؤلاء الضباط إلى أعمالهم وألا ينقلوا. . .

بدأت العملية تزداد، فقد كان مدير الأمن يريد وضع عقبات. .

كان فـيه على ما أعـتقد مـاتش كره هناك بين الاتحاد السكنـدرى وبين دمنهور، والاتنين كانوا متـحضرين لبعض، فـفيه واحد من الجـماعة الحواريين بتوع مـدير الأمن قال لى: ده حيحصل حوادث، وأرسل إلىّ مدير الأمن يطلب إلغاء الماتش، فأرسلت له خطابا قلت له

ـ هل عندنا عدد كاف من قوات الأمن لكى يحافظوا على أمن الماتش .

قال: لا

كلمته وقلت له: إذا كنت مش قادر تحافظ على ماتش كورة كيف تحافظ على الأمن فى المحافظة ؟ طب إبعد خالص أنت وأنا ح أمشى ماتش الكوره.

وأرسلت إلى الأولاد الكشافـة من المدارس، وذهبت أنا إلى ماتش الكرة وأخـذت معى أولادى الاثنين، وكانا صغيرين.

وقفت فى سنتـر الملعب وقلت لهم: ياإخواننا انا بلغنى أن أنتم حتـضربوا بعض، ودى طبعا مش رياضة، وفيه ناس واقفين فى السطوح، ووراكم هنا عاملين «نبل» عند الحدادين،

وعاوزين يضربوكم، وإنتم جايبين «أزايز» معاكم فيها رمل، عايزين تعملوا مجزرة، ولكن أنا واثق أن مافيش حد حيعمل حاجة.

أنا أولادى صغار..

ابنى سيجلس مع دمنهور.

وابنى التانى سيجلس مع إسكندرية.

وتركت ولديّ الاثنين كل واحد ذهب إلى حيث أشرت.

واحد ذهب ليجلس مع مشجعى دمنهور، والآخر ذهب ليجلس مع مشجعى الإسكندرية.

وانتهى ماتش الكوره بدون أيه كلمة نابية..

وكنت قد قلت: مش عايز أشوف صنف بدلة رسمى هناك فى الملعب... وفعلا.

ثم اتصل بى عباس رضوان وزير الداخلية قال لى: ماذا تريد بالضبط

قلت له: أريد أن تنقله من هنا.

قال لى: سوف أنقله، ولكن انتظر حتى تصدر الحركة فى شهر أغسطس.

قلت له: لا ولا يستنى شهر واحد.

المهم... نقلوه وقتها... واحد يجى كويس جدا... وواحد يجى وحش جدا، مفيش وسط، ديه برضه تفاديناها بعدما حصل نوع من الاختلاط الشديد بين الشرطة وبيني.

وعرفوا ان من غيرى انا مشّ حيعرف يمشى، من غير محافظ الشرطة مش هتعرف تمشي.

وأنا عرفت أن من غيرهم برضه مش حنقدر نمشى.

أو من غير التنظيمات الشعبية اللى موجوده اللى كانت بدأت مش هنقدر نواصل العمل.

الحقيقة محافظة البحيرة خدت فى الوقت ده حظ مخدتهوش محافظة ثانية.



■انت ذهبت للبحيرة، وجلست فى مقر مجلس المديرية؟

ـ نعم.. ثم قابلتنى مشكلة بسيطة فى الأول سوف أذكرها أيضا فى البداية، كانت هناك عائلة اسمها عائلة الوكيل غير عائلة الوكيل فى مدينة سمنود. هؤلاء كانوا أصحابى، أما عائلة الوكيل من دمنهور عائلة لم أكن أعرفها وكان يرأس هذه العائلةواحد اسمه أحمد بك الوكيل

كان شخصا ممتازا للغاية اعتبرته عندما جلست معه مثل أبى

ثم بدأت أختلط بهم... وكان من بين واجبات المحافظ أن يختار عشرة أشخاص لمجلس المحافظة بالاختيار.. اخترت أحمد بك الوكيل من بينهم..

لكن أحمد بك الوكيل ده كان رئيس اللجنة العامة للوفد بالمحافظة جاءنى الرجل وقال انا كنت رئيس لجنة الوفد العامة وأنا لا علاقة لى الآن بالسياسة فأنا لا أفهم فى السياسة، وأنا تحت أمرك عايزنى اشتغل فى النواحى الاجتماعية اشتغل مش عايز خلاص أقعد فى بيتنا.

ولأنه كان رجلا ممتازا فقلت له:

ـ لا.. حنشتغل سوا.

وفى هذا الوقت وضعت اسمه ضمن العشرة الذين سيعينون فى مجلس المحافظة.

وأرسلت أسماءهم، وكانت الجرائد ستنشر أسماءهم فى اليوم التالى، وقد علمت من جريدة الجمهورية أن الأسماء وصلت الجريدة، وليس فيها اسم أحمد الوكيل.

وأسرعت الى القاهرة، وإلى الجريدة وتأكدت من الخبر.. وسألت على كمال الدين حسين لينقذ الموقف..

كان كمال الدين حسين فى ذلك الوقت فى نادى الجزيرة حيث كان هناك احتفال بملك أفغانستان. وكان صعباً خروجه من الحفل، ولكنه خرج وجاءنى.

قلت له: اذا ماجاش أحمد بيه الوكيل انا مش راجع المحافظة.

وأخذت أسأل من الذى عمل هذه الحكاية حتى عرفت أنه محمود الجيار.

وكان قد أحضر عددا من العيال أى كلام كده.

اعترضت عليهم، وقال كمال الدين حسين: ده ماسك التنظيم الشعبى هناك وهو اللى مقترح.

قلت له: لكن القانون يعطينى الحق أنى أختار ١٠ ،وأنا اخترت ١٠، والقانون لم يقل مثلا أن الاتحاد القومى يختار... انا مختار اللى حيشتغلوا معايا.

قال لى: أيوه لك حق... ووقف طبع الجرائد وقال إحنا حنغير... وتم التعيين، وعين أحمد الوكيل.

■ألم يكن هناك مبنى للمحافظة... وكان مبنى المحافظة عبارة عن مجلس المديرية السابق، وقد رفضت من الأول الذهاب اليه.؟.

- لم أكن أريد بناء مبانٍ جديدة او أن آخذ خطوات فى مبنى جديد إطلاقا، لدرجة أن كل ماكان مرصودا فى الميزانية أن أبنى مبنى للحافظة، ومبانى مجالس المدن فى المراكز ومبانى وسكن رؤساء مجالس المدن لها ميزانيات، أصدرت قرارا بإلغاء كل هذه العمليات، وأخذت بيت مفتش الرى، ثم استوليت على استراحات الرى كلها، عملت جزءاً منها مجلس مدينة، وجزءاً سكناً لرئيس مجلس المدينة..، ولم أقم أى منبى لمجلس المدينة، ولا مبنى للمحافظة، حتى أنهم عندما جاءوا يعملون المحافظة وأصروا عليها قلت:

ـ طيب تتعمل المحافظة وتتعمل مجمع حكومى.. وأنا آخذ مكتب فيها، وجاءت معى إدارات الإسكان والشئون الاجتماعية وحاجات زى كده.

والفلوس كلها التى كانت مخصصة لهذه المبانى استخدمتها لمشروعات أخري، كانت أول تجربة إدارة محلية.

فوجهت الأموال كلها للإسكان الاقتصادى

وبدأت التجول فى المدينة ثم خرجت إلى المدن ومنها إلى القرى بحيث أن الناس ابتدت تاخد علىّ.

لقد نسيت أقول لك فى البداية انى لما رحت ابتدأ محمود الجيار والجماعه حوله يقولون : ده وقع فى براثن أحمد الوكيل..

وكنت أتمنى أن أقع فى براثن أحمد الوكيل.

كان رجلا ممتازا جدا، وللتحدى كنت أذهب لأجلس معه فى الجامع وأقول: كلهم بيقولوا ان أحمد الوكيل حاططنى فى جيبه، هنا أهو أنا قاعد قدامكم لاحطنى فى جيبه ولا حاجة وبالعكس إحنا بنشتغل سوا، الراجل ده جالى وقال لى: شوف. فيه تبرعات موجوده عندنا بـ ٩٧ ألف جنيه ، ها أحطها تحت أمرك وأحط عليهم ٣٠٠٠ يعنى يبقى ١٠٠ ألف، وعندك فيه رصيد ثابت من زمان من أيام الشاذلى باشا.

رصيد ثابت ومجمد، اسحبه وضعه فى البنك وخد الفوائد واشتغل به على طول.

كانت الميزانية فى الأول بيقول لك متحولش من هنا إلى هنا، متنقلش من بند الى بند.. أنا ضد هذه العملية.. لماذا؟

انا مثلا مكنتش أعمل مدارس أثناء الشتاء... أبدا.. مكنتش أبنى مدارس أثناء الشتاء.

كنت أبتى المدارس أثناء الصيف فى الأجازة الصيفية ٣، ٤ أشهر أعمل مدارس فيها، وميزانية إقامة المدارس أثناء السنة أقيم بها وحدات صحية، وحدات بيطرية

كان مطلوبا فى البحيرة ٤٠ وحدة صحية فى الخطة الخمسية طوال السنوات الخمس.

فى السنة الأولى عملنا ١١٢ وحدة صحية... هذه الوحدات أقامها الأهالى والناس الذين تبرعوا، والذين ساهموا فى البناء.

كنت أعطى الواحد فى أى بلد كذا مبلغ وأقول له: روح ابنى الوحدة الصحية وفلان معاك يروحوا يبنوا الوحدة الصحية..

وساعدنا قوى قوى الله يرحمه ويحسن اليه الدكتور النبوى المهندس وزير الصحة، أعطانا ١١٢ طبيباً، وجهز لنا الـ ١١٢ وحدة صحية.

حتى اليوم لاتجد المحافظة محتاجة لوحدات صحية لأن فيها وحدات صحية.. ووحدات مجمعة.. ومجموعات صحية.. ومستشفيات وغيره وغيره..

ثم كان هناك أولويات فى المشروعات، مثلا النهارده لكى نقيم مشروعات للمياه، لابد أن أعرف كيف سيكون الصرف الصحى.

إذن أبتدئ بالصرف... قبل أن أوصل المياه أو الكهرباء... يعنى عملية تقديم حاجة على التانية تحت ضغط، مثلا الناس عندما يقولون «عايزين مياه» تروح عامل لهم مياه... مش ممكن... ويعدين حتعمل برك بعد كده.

وبمناسبة البرك، كانت الدولة تخصص ميزانية اسمها ردم البرك والمستنقعات.

كانت ميزانية كبيرة..

أنا قلت والله أنا بدل ما أردم البرك والمستنقعات ما أنا أعملها مزارع سمكية، مثلا فى القرى.

فيه حته اسمها «جعيب» فى ايتاى البارود عملتها مزرعة سمكية، وقلت للناس فى إمكان كل واحد أن هو يروح يصطاد وياخد السمك، وبدأ الناس يتعلمون الصيد!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللقاء الثاني

■ فى اللقاء الماضى وقفنا عند حديثك حول تعليم الناس الصيد، وتحويل المستنقعات إلى مزارع سمكية .

ـ نعم وقد شجعنا على ذلك المرحوم الدكتور أنور المفتى.

كان قادما للبحيرة . .

وبهذه المناسبة سأقول لك حكايته كاملة . .

أولاً سأقول لك ماذا قال الدكتور أنور المفتى عن البرك والمستنقعات . . قالى لى:

- شوف إنت بتردم البرك والمستنفعات وبتعمل فيها كذا وكذا ، كانت الصلة قد توثقت بينى وبينه تعرفنا على بعض وقعدنا مع بعض وسميت القرية باسمه . . قرية سحالى أسميتها قرية أنور المفتى.

قال لى:

- شوف إنت وربنا هاتدخل الجنة . . . والله يافلان.

قلت له: ليه . . ؟؟

قال لى: انا عاوزك تكتر من موضوع البرك، موضوع المزارع السمكية ينوبك ثواب لو خليت الفلاح ياكل مرتين سمك فى الأسبوع . .

وخصوصا العيال الصغيرين الجيل الجديد.

قلت له: ليه ؟!

قال لى: لأن ده الحاجة الوحيدة اللى بتمنع لين العظام اللى هو شلل الأطفال وانت عندك هنا فيه ناس كبار عندها شلل أطفال.

قلت له: ازاى كبار وشلل أطفال

قال لى: آه تلاقى عندهم شلل الأطفال بس انت مش واخد بالك.

لذلك كان اهتمامنا بموضوع الصيد... اى واحد عنده شوية ميه نروح محوطين عليهم عملين له مزرعة سمكية، وممنوع إن أى أحد يتحكم فى هذه الأرض أو أن يقول أنا ليّه من الحتة الفلانية إلى الحتة الفلانية، مفيش كلام من ده.

حتى كان هناك ناس فيه برك فى الأرض التى يملكونها استأذناهم وأخذناها للمنفعة العامة حتى نمنع السيطرة ونمنع بيعها بعد ذلك.

الدكتور أنور المفتى بالذات عمل أحسن بحث طلع فى مصر حتى اليوم، وحتى تاريخ الساعة للقرية المصرية، هو الذى قام به أنور المفتى، ذات يوم كلمنى الدكتور النبوى المهندس الله يرحمه. وقال لى:

يافلان هايم عليك الدكتور أنور المفتى علشان عنده مشروع بتاع البلهارسيا والأنكلوستوما.

قالت له: طيب

أنا قلت إيه.. ده راجل من الجماعة اللى قاعدين فى مصر جاى ياخد عندنا شوية صور... ويتكل.

فقلت ياجماعة جاى الدكتور فلان الفلانى مش عايز أشوفه، وزعوه أنا مش عايز أضيع وقتى... وزعوه أول مايجى. خدوه يتصور زى ماهو عايز ـ والله زى مابقولك كده... ومشّوه.

وبعدين فجـأة كده لقيت داخل على أنور المفتى فى المكتب. . السـلام عليكم قال لى: أنا لى طلب عندك قلت له، آه أنا مديلهم تعليمات بره علشان يجهزوا المصور

قال: لا انا مش جاى أخد صور أنا عايز منك تشوف لى أوضه بسرير، ـ كنا فى أغسطس ـ تشوف لى أوضة بسرير. وتشوف لى كلوب علشان اقعد هناك

قلت له: انت هاتقعد معانا؟؟!!

قال: آه

قلت له: تقعد قد إيه. . . هتقعد شهر أغسطس

قال لى: آه ها أقعد

قلت له: هاتقعد كام يوم .

قال لى: أنا قاعد على طول

قلت له: طب مادام قاعد على طول هاتبات معانا ليه روح بات فى وسط القرية.

قال: ما أنا ها اعمل كده

فقلت له: طيب . . .

وعملت له وحدة صحية فى ١٩ يوماً

وقلت له: اتفضل نام هناك كان رجلا عظيما جدا .

ذات مرة: قلت له يادكتور إنت لحقت تحبب الناس فيك بالشكل ده اراى؟

قال: أنا قاعد معاهم طول النهار وعمال أجيب لهم وأعيد لهم

وقلت له: إنت إزاى بتقدر تكسب الناس بالشكل ده؟

قال لى: أنا عايز أقولك حاجة.

قلت له: اتفضل

قال لى: أنا عايزك تقعد مع الناس

قلت له: ما أنا قاعد مع الناس أهوه باعمل لهم كل حاجة بس مش واثق ان كل الناس كويسين معايا زى ماهم كويسين معاك

وصل حد أنه يقول ياشيخ حسن بطل الشكاوى المجهولة دى.. ياشيخ حسن بطل بقه.. وصل لغاية ماعرف مين اللى بيكتب الشكاوى المجهولة، عرف الناس فى القرية بالواحد بالاسم، وكان هو فى الحقيقة عامل لهم أولوية فى العيادة بتاعته فى مصر، يجى الواحد، لا فلوس ولا بتاع، ويدخلوا أول ناس.

قال لى: شوف ها أقولك حاجة إنت عمرك تزعل من واحد مريض أوعى تزعل منه.

قلت: لا ما أزعلش

قال لى: مهما طلب منك

قلت له: لأ مازعلش

قال لى: مهما اعتدى عليك يعنى

قلت له: مهما يعتدى عليّ

قال لى: طيب أنا عايز اقولك حاجة أنا وانت مرضى...

الناس اللى انت شايفهم قدامك دول عاملهم على انهم مرضى، وأنا وانت منهم، أنا مريض بالعظمة، وانت مريض بكذا، وده مريض بكذا ، وده مريض بالقلب، وبتاع... فاحنا نعامل أنفسنا على أن كلنا مرضى وكلنا نبقى كويسين مع بعض.

كان رجلا ذا تفكير إنسانى ممتاز وسليم.. بعد أن جاء دخل فى أرقام مذهلة: فى بلد ٢٧٠ كيلو متر مربع، وجد بها ٤٢٠ كيلو متر مجارى إذا ما نظرنا اليها نظرة مجردة لما صدقنا.

كان يذهب ليجلس مع الناس على شط الترعة، وأحضر فريقا من الفنيين يعملون معه؟... وكنت أرسل لهم الغذاء فيقول: لا.. إحنا اتغدينا.. أى أنهم كانوا يعيشون على الكفاف. وفى نهاية عمله، وبعد أن أتم مهمته، عقد مؤتمرا فى دار الحكمة وقدم للأطباء خلاصة تجربته وعمله فى الريف، فى قرية سحالي..

■أين كان جمال عبد الناصر من تجربة أنور المفتي؟

- أنا أفهم مغزى سؤالك، أنت تقصد الكلام الذى تردد حول علاقة أنور المفتى بجمال عبد الناصر.

وهذا الكلام كله كذب.. كان عبد الناصر يقدر العلماء أمثال أنور المفتى وغيره.

كان تقديره عظيماً لكل العلماء، ولكل المفكرين.

أذكر ذات مرة سألنى عن عثمان أباظة..

قال لي: هل عثمان أباظة قريبك؟..

قلت له: نعم.

قال: هو.. متخصص فى القطن؟.

قلت له: نعم.

قال: طيب أنا عاوزك تجيبه لى علشان نسمع منه شوية حاجات عن القطن..

وكان ذلك فى اجتماع، حضره أكثر من ثلاثين شخصا.. وكنت أجلس أمامه على الناحية الثانية من المنضدة.

وكان جمال سالم يجلس إلى جواري، وقد كرر عبد الناصر:

- أنا كنت عاوزك تجيبه علشان نتكلم شوية فى موضوع القطن.

رد جمال سالم: ده حرامي..

كلهم نظروا إليّ.. وقلت:

- طيب وماله: حرامي.. حرامي.. نشوف كان بيسرق ازاى علشان مفيش حد يسرق تاني..

وتأسف لى جمال سالم بعدها، ولكنى لم أهتم..

الحقيقة أنه لم يكن هناك عمار بينى وبينه..

بعد أن خرج جمال سالم قال لى عبد الناصر:

- معلهش يا وجيه أنت عارفه.

وقلت له: لا.. معلش أنا عارفه من زمان..

قال: طيب أنا عاوزه يجي.

كنت أذهب مع عثمان أباظه إلى منزل جمال عبد الناصر فى الأسبوع ربما ثلاث مرات..

وكنت أنا «أرهق» من طول الجلسات.. فأتـركهما إلى الخارج.. وأنا أسـمـعه يقول له: حدث كذا .. وكذا.. وكذا

وكانت إلى جانبه كرّاسة يدون فيها ملاحظاته.

لقد كان جمال عبد الناصر يحترم كل الناس خاصة المفكرين، والناس الكبار.

سأروى لك واقعة عن الناس العتاولة المفكرين.. ذات مرة وكنت فى الجمهورية قال لى جمال:

- يا وجيـه أنا عاوز الناس تعـارض.. أنا فكرت فى ٣ أشخاص إذا قـدرت تجيـبهم لى يبقى كويس.

قلت له: حاضر..

قال لي: عاوز فكرى أباظة.

قلت له: سهل جدا.

وقال: وطه حسين ومحمد صلاح الدين.

قلت له: قوى .. قوي.

وقلت لفكرى أباظة.. ووافق..

واتصلت بمحـمد صلاح الدين، وقلت له أنـت كنت وزير خارجيـة ونريد أن نستـرشد بأرائك... وأن تكتب...

فقال أن هذا تشريف وليس تكليفا..

وقد وقعت أحداث بعد ذلك منعت محمد صلاح الدين من الكتابة.

أما طه حسين فقد صحبته إلى جمال عبد الناصر وقال له:

- كان لك رأى فى التربية والتعليم، وكان الناحية الثانية اسماعيل القباني... وأنت كنت فى ناحية وهو فى ناحية.. ده بتاع شرشر... وده مش بتاع «شرشر» أحنا عايزين الحاجات دى الناس العلماء اللى ريكوا يكتبوا أمال ها نعمل إيه؟!.

قال له: طيب أنا مستعد أكتب.

... وقال له جمال عبد الناصر أنا ها أخلى الأخ وجيه برضه يتفق معاك يعنى أراى هاتساهم معاه، وهو يقدر الحاجات ديه ويتكلم معاك فى هذه المواضيع، بس أنا كنت عايز فى الأسبوع صفحتين أو تلاتة.... ونفتح مجال للناس تتكلم..

قال طه حسين: طيب يا سيادة الريس لو سمحت أنا ها اتفق مع الأخ وجيه أباظة علشان يشوف اللى ها اكتبه.

ورد الرئيس: اللى تكتبه... بقى يا دكتور... الدكتور طه حسين العالم العالمى اللى زيك يعرض كتاباته على الجاهل وجيه أباظة، يعنى أنت ترضى برضه.

قال له: استغفر الله

- صحيح ما اللذى يجعلك وأنت عالم طه حسين ثم ما اللذى تخاف منه يا دكتور؟

قال لى بعدها: تفتكر أن أنا ها أقدر أقرب لطه حسين؟ دى تبقى مصيبة أنا أودى وشى من الناس فين... وقال لطه حسين: يعنى إحنا كلنا بنخدمك وكان قد أثار مشكلة أخ أو قريب له خرج فى التطهير وقال له عبد الناصر: وكلنا بنحبك وحل له المشكلة..

كانت هما مقالتين وزرجن على الباقي، وكنا نعطى له فى الصفحة كام... كام تفتكر قدرها أنت كصحفى

- ١٠٠ جنيه مثلا فى الوقت ده..

- ١٢٠٠ والله العظيم ١٢٠٠ جنيه وهو اللى طلبهم بنفسه.

وأعتقد أنه كان طالبهم على سبيل التعجيز

- كان سنة كام؟

- فى الخمسينات قبل أن أعين محافظاً بالضبط.

وصلاح الدين ماكتبش. جه اجتمع بالسياسيين وحصل اجتماع وقرروا إيه ... طلبوا سنة ٥٦ إعدام الضباط الأحرار إحنا.

وكان بيرأس هذا الاجتماع محمد صلاح الدين.

كانوا قد عينوه رئيسا للوفد فى وقتها ورئيس وزارة......... ضحكوا عليه.

ونعود إلى الإدارة.. للإدارة المحلية.. سبب نجاح الإدارة المحلية فى هذه المحافظة ـ إن جاز لنا أن احنا نقول إنه نجاح ـ هو أننى عرفت ربنا ودفعنى أن أختار عدداً من الشباب النظيف المتحمس ذى التفكير الجديد.

وكنت أسلمهم المشروع وأجلس معهم.

ونقول «إحنا عايزين إيه»..

■ الأول.. كيف فكرت فى المشروعات؟

- المشروعات كانت موجودة لكن لا أحد اهتم بتنفيذها... سأضرب لك مثلا.. هناك فى دمنهور الجديدة كانت أرض فضاء العمل واقف فيها على أشياء غريبة جدا... لأنها أرض وقف فموظفو الأوقاف كان لهم مستشارون قالوا المتر بـ ٢٣٠ قرشاً أو بـ ٢٤٠ قرشاً ومجلس المدينة قال لا ثمنه ٢١٥ قرشاً فقط.

لا أعرف على أى أساس قدر هؤلاء الثمن، ولا على أى أساس قدر الآخرون الثمن.

طلبت من مدير الأمن إحضار جميع الورثة. قلت له: «كلهم ـ إن شاء الله تكون سيدة، تتنقل وتجئ إلى هنا، نحن نقابل مثل هذه الأشياء فى عائلتنا وفى عائلات تانية».

أحضرهم جميعا وجلست معهم وعرضت عليهم الموضوع.

قلت لهم: إحنا مش عايزين نخرج من هنا إلا وإحنا موافقين.

قالوا: طيب

فقلت لهم : خلاص أنتم دلوقتى مقدرين ٢٤٠ على أى أساس، أنا عن مجلس المدينة هانتنازل وها نعمل المتر ٢٢٥ وأنتم تنازلوا واعملوا المتر ٢٢٥... أنتم تنزلوا ١٥ وأحنا نطلع ١٠ قروش لفوق وخلاص.

فقالوا: خلاص موافقين.. طيب امضوا كلكم قبل ما تخرجوا... مضوا جميعا وانتهينا.

ووقعت عن مجلس المدينة... وعن المحافظة.

وبدأنا نستعد للعمل... وواجهتنا مشكلة غريبة، كان أحد الأشخاص قد وضع يده على الأرض بطريقة لا يمكن شيطان يفكر فيها... ولا كيف وضع يده على الأرض، هناك شخص أذكر اسمه جيداً جدا اسمه أحمد القزق.

وجدته قد استأجر هذه الأرض من الأوقاف الفدان بأربعة جنيهات، والأرض عبارة عن حديقة موالح قلت: الله إزاى ياخد الأرض بـ٤ جنيهات الفدان وكله موالح.

قالوا : لا.. ده هو عامل طريقة تانية خالص بالاتفاق مع بتوع الأوقاف.. هو لما جه يأجر الأرض، قال أنا عاوز آأجر أرض زراعية.. قالوا له ده فيها جنيهات... قال نشيلها لأنها لا ديه تصلح للزراعة وتعوّق الزراعة.

ولكنه طبعا لم يرفع الإشجار، ودفع الإيجار، وترك أشجار الموالح التى كانت تدر له مبالغ هائلة. شوف بقة ٤٠ فدانا جوه دمنهور فى وسط البلد،ويقدر يبيع منهم من غير لا نقل ولا حاجة.

أنا أحضرت الشخص ده وقلت: يا أخ تعالى أنا عاوز آخد الأرض

قال: لا.

قلت له: طيب... وأقمت سوراً وأحضرت البلدوزرات من الناحيتين لتعمل فى الأرض طوال الليل شققت طريقاً يمين وطريقاً شمال يومى الخميس والجمعة.

جاء الناس يوم السبت وجدوا شارعا ممهدا. . . وشارعا نافذاً إلى الناحية التانية فى وسط الأرض.

أرسل الرجل لى برقية تقول «نرجو إيقاف مثل هذا العبث».

قلت: مادام عبث بعبث بقى يا جماعة يا بتوع الأمن.

كان هناك أشـخاص من الأمن يحرسون الأرض، قلت لهم: كل واحـد يعمل اللى هو عايز يعمله.

خرج الناس على الجنينة ولم يتركوا فيها شيئا. . . خلاص انتهت. .

. . . . .لكن انظر أى مخ يتصور أن واحد يأجر الأرض على أنها أرض زراعية، وبسبب الشجر موجود، وعندما قالوا له سنحاسبك على الخشب يحاسبهم على الأخشاب. .

كله طلع بـ ٢٠٠جنيه أو ٣٠٠ جنيه، حاجة زى كده.

الحقيقة يا أستاذ عبد الـله هى دى كانت دمنهور الجديدة. . . كانت دمنهور الجديدة ماذا حدث؟، وكيف وزعتها؟.

كانت كلها طريقة جديدة جدا.

أولا الأرض مقسـمة جاهزة، مخططة تخطيطا جـيدا، وأعلنا عن بيعها لحساب مجلس المدينة، وقد كسب مجلس المدينة فى هذه العملية ربع مليون جنيه.

بعنا المتـر بـ ٢٠٠ جنيـه و ٣٠٠ جنيه علـى الشارع ويتناقص المـبلغ ببعـد الأرض عن الشارع الرئيسى قلت لهم إن توقيع العـقد يعنى أخذ رخصة البناء مجرد توقـيع العقد عبارة عن رخـصة المبـانى ولا أحد يسـأل عن رخصـة، يذهب يبنى على طول مع وجـود الناس المختصين من المحافظة. . .

وقبل البناء كنت قد اتفقت مع مكتب الدكتور على صبرى المهندس المشهور لعمل جسات على الأرض كلها. . .

ثم قلت أول واحد سيبنى فى الشارع سأسمى الشارع باسمه.

أنا اعطيتهم سنتين يبنوا فيهما و الذى يبنى فى سنة واحدة سأخصم له ٥٪.

نفسيا يكون الشخص راضياً. . . لكن فى الوقت نفسه أنا أعطيه خصماً ٥٪ ثم أقمت حيا ممتازاً.

الحقيقة الناس بنت كويس. . . فيه باركيه وأسانسيرات. . وكل حاجة.

. . . الذى اذكره أننى لم أحدد سعر المتر المباني. . . وكان هذا سبباً ثانياً للإقبال الشديد أن تبنى الناس. . .

ناس دمنهور مليانين جدا، وكانت الشقة عبارة عن ٥ غرف باركيه، وصالة بـ٢٣ جنيهاً، فكان الناس يقولون مش عارف خميس العشر أو سعد العشر أقام العمارة ويأجرها ٥ غرف بـ٢٣ جنيهاً.

أقول: كويس عايز وفى إمكانك تدفع روح ادفع. . . ليس فى إمكانك تدفع أمشي.

يوم ما انتقلت تركت الحى كله عمارات تعلق لافته «شقة للايجار». . .

كان فيه نوع من التشجيع بالنسبة للناس وفى نفس الوقت الناس الذين لا يملكون، أخذت قطعة ٧ فدادين فى منطقة تانية عند بنك التسليف كانت ملك الإصلاح الزراعي، ووزعتها على الناس الذين يريدون البناء بدون مقدم ثمن وعلى أربعين سنة بدون فوائد.

كنت أقول لهم «صهينوا يعنى هو مقدم الثمن ده لو دفعه مش هايقدر يبني»

لقد رأيت بنفسى مدرساً وزوجته مدرسة وأولادهما اثنين ينقلون تراباً ويضعونه داخل الأرض يعملون يومى الخميس والجمعة لبناء بيتهم.

وكانت هذه تجربة جيدة جدا، طبقتها هنا فى القاهرة بعد ذلك لعمال شركة النصر للسيارات، كانت الأرض خلف الشركة أرض بناء ويجب أن تقام هناك منطقة سكنية، ووضبوها وأجروها للألمان أو للطلاينة هناك، . ولكنى فكرت أن تتحول إلى مدينة سكنية لعمال الشركة ،الحقيقة لم نترك بابا إلا وطرقناه.

■ **والمستشفى يا فندم؟**

- أنا أقول لك لم نترك باباً إلا وطرقناه. . . الحقيقة كانت هناك أفكار جديدة. . . كانت عندى مجموعات من الشبان، ومن الناس الكويسين جدا كانوا يجلسون ويتحدثون بصراحة عن كل المشاكل أنت تسألنى عن المستشفي. . نعم وجدت المستشفى كالآتي: عبارة عن عزبة الباشتمرجى هو الذى كان يتحكم فى كل شيء.

وكان أيامها فى البلد مسيحى ومسلم وبتاع، قلت لا لا لا ما ينفعش الكلام لأن مدير المستشفى كان مسيحيا، فكان الباشتمرجي يقدر يحرك الجماعة المسلمين برضه من الناحية التانية. . ولقيت أن أهالى دمنهور بالذات جامعين أنا متذكر الرقم - ٦٧ ألف جنيه على أساس أنهم يريدون إقامة مستشفى عاماً على قطعة أرض ٦ فدادين. . .

كانت أرض أحمد بك الوكيل. . كان حلم من أحلامي. . فكان التفكير أن أبيع فى وسط البلد بأثمان عالية، وأخرج بره البلد وأعمل ما أريده قلت طيب، أعمل مستشفى بعيداً عن البلد وأرض المستشفى نبيعها.

بعنا المستشفى لعمر أفندى على ما أذكر فى منطقة بوسط البلد وخدنا القيمة مع الـ٦٧ الف جنيه.

وكان قد جاء كمال الدين حسين يومها. وأنا الحقيقة قلت له: إن أهالى البلد يريدون بناء مستشفى فجاء إلى القاهرة، وفى اليوم التالى نشرت الصحف أن جمال عبد الناصر وافق على إقامة مستشفى بدمنهور.

وأنا اعتبرت أن كلام كمال الدين حسين - وكان رئيس وزراء - عبارة عن قرار جمهوري، واشتغلت على طول. . .

لم أنتظر أن يصلنى قرار جمهورى وبدأت العمل وقامت وزارة الصحة بأكملها. . كيف سنهدم المستشفي؟. . لأنى هدمت النظام الذى يسيرون عليه. .

ساعدنى فى هذه العملية الدكتور النبوى المهندس، كان شخصا ممتازا جدا، ساعدنى كثيرا سأقول لك - كيف بنيت المستشفي. . . ذات يوم وأنا أفتش على الوحدات الصحية كان فيه شكوى وصلت من بلد اسمها «الرحمانية» التى فيها عائلة محمد محمود وكان منهم عبد الواحد وحامد الذى كان وزيرا للإدارة المحلية، جاءتنى شكوى منهم أن الدكتور

هناك يرفض الذهاب إلى البيوت، وأنا كنت مرحباً جدا بهذا الصنف من الدكاترة الذين لا يذهبون إلى البيوت فذهبت إلى قرية الرحمانية فجأه لأرى الدكتور الموجود هناك وجدته يعمل بنشاط، وأنه حوّل المستشفى المجموعة الصحية إلى مستشفي... كان هناك إلى جانب المجموعة الصحية بيت للدكتور عبارة عن ٤ غرف و٤ كمان فقلب الاثنين دول وعملهم مستشفى ووضع فى كل غرفة ٤ سراير وضمهم... أصبح عنده ١٢ سريرا ثم ٢٤ سريرا، أصبحت مثل المستشفى المركزى سألته أين الدوا؟!

فقال لى أهو يا فندم

وقال لي: أنا عامل احتياطى ٦ شهور للدواء

قلت له: آه برافوا عليك.. طيب أين الأكل؟

وجدته قد أقام مخزنا للأكل فيه كل شيء، واحتفظ باحتياطى للمستقبل، والمفاتيح فى جيبه لا يأتمن عليها أحداً.

قلت له: عايز اقولك حاجة.. ما تجيش تشتغل معايا مدير عام مستشفى دمنهور العام؟.

قال: يا فندم ده فيها.... وفيها.

قلت له: لا المستشفى الجديدة .

حتى لما أصدرت القرار كان قراراً خيالياً... تعيين الدكتور محمد مردان محمد مديرا لمستشفى دمنهور العام الجديد.

لا كانت عندنا الأرض ولاكان عندنا كل الفلوس..... جاء وجلس معايا فى المحافظة

قلت له: ها نبتدى سوا.

جلس معى وجاء أحمد بيه الوكيل وخدنا الـ٦ فدادين منه وبدأنا العمل وهو معي..

كان مدير المستشفى يتابع البناء معى من أول ما وضعت الأساسات حتى انتهى العمل فى المستشفى... وكان تجربة فريدة من نوعها......



اللقاء الثالث

تجربة وجيه أباظة فى الحكم سوف تظل بارزة..

لقد انتشل محافظة كاملة.. أقام فيها المرافق، والخدمات.. المستشفيات والفنادق والاستاد وذهب إلى كل القرى.. افتتح مراكز لمحو الأمية، أقام مركزا لتدريب الأطفال المشردين والمتسولين على الحرف.

وأنشأ فرقة للفنون الشعبية بالمحافظات، هى فرقة البحيرة التى سافرت بلادا كثيرة فى العالم، وبهروا بها. وكانت تجربة رائدة!

وعندما نقل وجيه أباظة من البحيرة، قام الأهالى بمظاهرات، ورفضوا أن يتركهم المحافظ الذى أحبوه والذى أنشأ لهم الخدمات لأول مرة..

وعاش بينهم فى المدينة وفى القرية، وأنجز فى محافظة البحيرة مالم ينجز قبله بمائة عام.. فى هذا اللقاء بعض من ذكريات محافظ البحيرة وجيه أباظة.. والحديث حول مركز التدريب الذى جمع فيه الأطفال المتسولين والمشردين يقول وجيه أباظه:

- أخذنا ندرب هؤلاء المتسولين وغيرهم على ثلاث وأربعين صنعة مثل صناعة الأحذية، والحدادة، والنجارة وغيرها، حتى عمل الطعمية دربناهم على عملها.

لم نكن نعطى شهادة، ولكننا كنا نمنح الذين يتمون التدريب أدوات وآلات ليتمكنوا من فتح محلات.

ولم نتركهم بل كنا نساعدهم ونقف إلى جوارهم حتى يثبتوا مواقعهم. . .

كانوا جميعا سعداء ولم يفكر واحد منهم فى الهرب.

وكان هناك أيضا اهتمام بهم كآدميين، حتى أننا أنشأنا منهم فرقا رياضية، أقمنا من بينهم خمسة فرق باسكت بول، وكرة القدم، وتنس الطاولة، وغيرها من الألعاب الرياضية.

ثم فكرت فى أن أنشيء منهم فرقة للفنون الشعبية، وأنشئت الفرقة ونجحت وقدمت عروضها فى مصر ثم سافرت إلى الاتحاد السوفيتي، وقدمت هناك عروضا لقيت إقبالا واستحسانا وحصلت على جوائز.

■كيف فكرت فى عمل أول فرقة لفنون الشعبية فى أقليم مصر؟

- - إنشاء هذه الفرقة قاومه الكثيرون ومنهم الأخ عبد القادر حاتم من القاهرة، وكان هناك رأى يقول إنه بدلا من إنشاء فرقة للفنون الشعبية فلماذا لا تقام مدارس مثلا. وفضلا عن أننا كنا نقيم المدارس فعلا فقد غاب عن ذهنهم أن التعليم شيء. . والثقافة شيء آخر.

وكان لإنشاء هذه الفرقة معنى آخر، هو الثقة فى أبناء العمال والفلاحين وأنهم يستطيعون القيام بكل شيء. أقمنا الفرقة ونجحت، وكان الناس يجيئون إلى البحيرة لكى يحضروا عروضها. . وكنت سعيداً جداً عندما كان من القادمين لمشاهدة الفرقة بعض الأجانب.

وحققت الفرقة إيرادات كبيرة، وأذكر أنه عندما قدمت عروضها على مسرح الجمهورية بالقاهرة حضرها رجل أجنبى، وبعد أن شاهد العرض. قال أنه ستقام فى لندن مسابقة للفنون الشعبية العالمية تحت رعاية إحدى الإميرات وأنه اختار هذه الفرقة بالذات لتشترك فى هذه المسابقة، بعد أن حضر أكثر من عرض لفرق أخري، وطلب أن تسافر الفرقة معه إلى ألمانيا أولا ثم إلى انجلترا. . .

وطلب عدداً من موظفى وزارة الثقافة بتكليف من ثروت عكاشة أن يصحبوهم فى الرحلة، ولكننى رفضت أن يصحبهم أحد. . وقلت إننى سوف أتحمل نفقات الرحلة كاملة. .

واتفقت مع الدكتوره حكمت أبو زيد على أن تصحب الفرقة بصفة شخصية.

كانت تجربة غنية جدا. . . وكان الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة ضرورياً. . . حتى أننى أحضرت سيدة أجنبية لتعلمهم استخدام الشوكة والسكينة، والطريقة السليمة لتناول الطعام. . ثم أن الاختلاط بين الأولاد والبنات كان ناجحا.

■ **من الذى علمهم الفنون الشعبية؟**

- فى البداية حسن خليل ثم كمال نعيم. وكان أحمد عسكر مسئولا عنهم وهو شخص ممتاز.

ونجحوا فى كل شيء لدرجة أن الفتيات تعلمن الكوافير، حتى لا يضطررن للسفر إلى الإسكندرية يومين فى الأسبوع للذهاب إلى الكوافير، الذى لم يكن متوفرا فى دمنهور.

بعد ذلك أحضرت من يعلمهن الكوافير بعد أن وفرنا جميع الأدوات اللازمة.

وعندما كان جمال عبد الناصر فى زيارة لدمنهور قال إنه حريص على رؤية فرقة الفنون الشعبية.

■ **هل سافرت الفرقة إلى انجلترا؟**

- لم تسافر بسبب حرب ١٩٦٧ التى نشبت بعد الحصول على الموافقة.

■ **هل حصلت هذه الفرقة على جوائز؟**

- جوائز كثيرة. . وعندما كانت الفرقة فى موسكو قاموا بحجز شاب من أفرادها وقالوا إنهم لن يتركوه حتى تقوم الفرقة بعمل عرض إضافي. .

وفى الحقيقة كانوا فنانين عظام.

ولقد طلب منى على رضا ومحمود رضا وفريدة فهمى إرسال الفرقة إلى مسرح البالون لتقدم عروضا بالتبادل مع فرقة رضا ووافقت، وقدمت عروضاً فعلاً على نسرح البالون.

كان مشروعا ممتازا وناجحا. . حتى أن بعض أفرادها انشأ فيما بعد فرقا مستقلة سواء فى مصر أو فى بعض الأقطار العربية.

■ إذا تركنا فرقة الفنون الشعبية التى تركت بصمة فى الحياة الفنية فى ذلك الوقت وتحدثنا عن بقية الصناعات التى تم تدريب الأطفال عليها فماذا تقول؟

- كانت الصناعات ممتازة جدا فصناعة الأحذية مثلا تفوقت على غيرها، فقد أحضرت لهم مدربا فنيا متخصصا ودارساً صناعة الأحذية من مدرسة صنايع سنة ١٩٠٨. وأنتجوا بأيديهم أحسن أحذية فى مصر مثل الأحذية الانجليزى تماماً.

■ وماذا عن مصنع السجاد؟

- كان المصنع موجودا من قبل فى المنازل وأقمنا مصنع السجاد اليدوي، وأذكر أننا كنا نريد نوعا من الخشب لعمل هذه الأنوال لم يكن متوفرا ووجدته فى أسقف المساجد القديمة فأخذت هذه الألواح لعمل الأنوال. وأقمنا أسقف المساجد بالمسلح. ومن كان يتفوق فى صناعة السجاد اليدوى من الأولاد أو البنات نعطيه نولاً فى منزله مكافأة له، كان لى هدف وضعته أمامى أحاول الوصول إليه. وأصبح هذا الهدف أمنيه، وهو أن أجعل دمنهور مثل دمياط فكل منزل فى دمياط به مصنع.

■ وماذا عن الفندق؟

- الفندق كان عمارة واستخدمناها بطريقة مختلفة.. وحددت أجر المبيت فى الليلة بخمسة عشر قرشا. الفكرة جاءتنى عندما كان وكيل النيابة أو ضابط الشرطة لا يجدون منزلا يقيمون فيه فيذهبون إلى الإسكندرية...

■ أذكر فى تلك الفترة، وقد زرناك،أنك نزلت معنا نتجول فى شوارع مدينة دمنهور مرات وأنت تقود سيارتك أو على قدميك معنا وكنت تحيي الناس. وقد لفت نظرنا أن أحدا لم يتقدم إليك بطلب أو شكوى؟

- كنت أخصص يوم الاثنين من كل أسبوع الساعة الرابعة يوميا لأقابلهم، فضلاً عن مقابلتى معهم فى مرورى الدائم.

■ هل كنت تقابل أصحاب الشكاوى؟

- أقابلهم وأتحدث مع أى شخص وتحل جميع المشاكل.

أقول لك إننى مؤمن بأنه «مالم تحب الناس . . فلا يمكن أن يحبـوك» مهما فعلت . فلابد أن يكون حب الناس نابعاً من القلب إلى جانب الإخلاص فى العمل من أجلهم .

وكلما كان الإنســان بسيطا مثل سائر الناس، يكون قريبــا منهم جداً، وكنت أمشى بينهم ومعهم على قدمى فى الطرقات وألقى السلام وآكل فى أى مطعم صـغير وأشعرهم بسعادتى بذلك .

■ من أين أتى لك هذا الأسلوب فى التعامل؟

- من الناس

■ عند قراءتى لمحاضر لبعض الاجتماعات المغلقة لجمال عبد الناصر وجدت أنه قال: إن وجيه أباظة قطع الطريق واستولى على الحديد المخصص لمصر؟

- هذه الواقعة لها قصة وأنا فى الحقيقة لم أقطع الطريق. كان لدينا اختناق وأزمة شديدة فى حديد التسليح فالمشـروعات كثيرة والعمل يدور، وفجـأة توقف العمل وتعطل المقاولون والعمال بسبب نقص الحديد .

وقال لى أحـد الأشخاص إن خط السكة الحديد من دمنهور إلى حـوش عيـسى حوالى عشرين كيلو متراً، كان يسير عليها قطار، وألغى خط الدلتا، ويمكن أن نأخذ حديد القضبان ونعيد سحبها مرة أخري .

وقرر الخبراء أن ذلك ممكن . . وقبل أن أصدر القـرار عرفت أن أحد المقاولين قد اشترى هذه القضبان باثنين وعشرين ألف جنيه .

فأرسلت فى طلبـه . . وأخذت اتفاوض معه لشـراء صفقة القـضبان . . . وأفهـمته أننى أريدها لمشروعات مـن أجل الخدمات فى المحافظة، ومع ذلك فمن حـقه أن يربح . لذلك عرضت علـيه أن أشتـريها بخـمسة وعـشرين ألفـا، ولم يوافق الرجل . . فكتبت لـه شيكا بالمبلغ . . . وأصدرت قرارا بالاستيلاء على الحديد، ورأيت أن هذا إجراء عادل .

فالرجل ربح خلال أيام ثلاثة آلاف جنيه . ومشروعات المحافظة تستمر .

وكنت أرسل كل يوم جمعة عشرة أطنان من القضبان للقاهرة ليتم إعادة سحبها . ودفعت للورشة التى تقوم بذلك على مسـئوليتى عشرة آلاف جنيه لتتم استـعداداتها وتشترى الآلات

اللازمة لسحب الحديد، وهكذا استمر النقل يوميا لمواقع العمل، وتكلف سعر الطن علينا فى ذلك الوقت اثنين وعشرين جنيها، بينما كان ثمنه لدى المقاولين بثلاثة وخمسين جنيها ونصف، ومرة ثانيه انتهى الحديد.. ولم تنته عمليات الإنشاء.

وكان البحث يجرى عن حديد التسليح ووجدت أن كل الحديد القادم لمصر من الخارج عبر ميناء الإسكندرية، لابد أن يمر على محافظة البحيرة.. سواء من الطريق الزراعى أو الصحراوى وفكرت فى أن أحصل على حصة منه.

وأوقفت السيارات التى تمر بالبحيرة حاملة الحديد، وفى عملية إغراء كنا نعطى مكافأة للسائق خمسين جنيها، وإذا كان معه اثنين من التباعين نعطيهم خمسين جنيها أخري، وإذا كان تباعا واحدا نعطيه عشرين جنيها، ويمكن أن نعطيه حموله من عندنا ليوصلها للجهة المطلوب توصيل الحمولة لها، ونعطيه شيكا بثمن الحديد. أى كنا ندفع ثمن ما نحصل عليه فلا توجد أى أخطاء فى هذا. حتى أن الدكتور حاتم اتصل بى قائلا: أنت منعت عنا الحديد.. والرئيس الآن ذاهب إلى أسوان.. ونحن نجهز محطة هناك... وإذا سأل عن سبب عدم تجهيزها سنخبره أن وجيه أباظه هو السبب.

قلت له: قل ما تشاء... فماذا أفعل؟

وجاءنى الوزير الدكتور أحمد محرم وطلبت منه أن يحضر ومعه المهندس حسين الشافعى من وزارة الإسكان لبحث الأمر.

وبعد أن شرحت له ما حدث وأننى أسدد الثمن قال: ولماذا إذن يقولون إنه أخذ الحديد؟

وبعد ذلك أراد الدكتور محرم أن يوقف العملية. فقلت له أوافق على أن تعطينى حديدا زيادة على باقى المحافظات بثلاثمائة طن.

■ **هل كان الحديد مستورداً؟**

- نعم كان مستوردا. وبعد أن استوليت على أشياء أخرى مثل الزلط فلم يكن عندى محاجر فعملت محاجر خاصة، ومنعت أن يأخذ منها أى شخص شيئا، لأن عندى مبانى أكثر من كل المحافظات المجاورة.

.. وفى النهاية كـانوا يطلبون منى بعض الأشيـاء، فمثلا عصـام حسونة وكان محافظا لأسيوط طلب مني أن آخذ وحـدات بيطرية مخـصصـة للمحافظـة فى الميزانية ولكـنها لم تقام... فأنا رفضت أن آخذها كلها، وأخذت منه عـشرين وحدة فقط وأنشأتها، وكان هذا يرهق ويتعب الذين يعملون معى تعبا شديدا. ولكنى كـنت معهم باستمرار، ولـم آخذ أجازة لا صيفا ولا شتاء، حتى لا أتركهم أبدا.

وكان العمل يستمـر ثلاث عشر ساعة فى اليوم، وكنت سعيـدا بأن أرى المشروعات تكبر أمامى مثل شعور الأب حينما يرى أبناءه يكبرون أمامه بالتدريج

■ **ما هى المحصلة النهائية لعمل وجيه أباظه لمدة أربع سنوات فى البحيرة؟**

- ذهبت للبحيرة فى عام ٦٠ والخطة الخمسـية بدأت عام ١٩٥٩ ولم يكن قد وضع فيها مسمارا واحدا.

وبدأت خلال عام ١٩٦٠وأقـيمت جميع مشروعـات السنة الأولى من الخطة، وفى عام ونصف أكملت مشروعات العامين.

ولم يحدث اطلاقا أنى استوليت على أرض أحد دون رضائه، كنت أذهب إلى الشخص نفسـه واحدثه حول مـدى الاحتيـاج إلى فدان من الارض لعمل مـدرسة أو خلافـه وكان يوافق.

■ **ولكن أنت سبقت الخطة بكثير؟**

- نعم سبـقت الخطة لأن المحافظة كلهـا كانت تحـتاج مشـروعات كثـيرة وليـست مدينة دمنهور وحدها، وقد سـمعوا كثيرا كلمة «حاضـر» ولا تنفيذ لأى من المشاريع لا فى الخطة القادمة ولا فى التى تليها.

■ **هل كان وجيه أباظه يطوف بقرى المحافظة؟**

- نعم كلها ولا توجد قريه لم أذهب إليها وأسـير على قدمى فى كل حواريها فى بعض الأحيان كنت أذهب وحدي.

■ **لماذا عندما يتحدث الناس عن الإدارة المحلية يذكرون دائما وجيه أباظة فى البحيرة؟**

- أريد أن أذكر شيئا نسيته وأفخـر به جدا.... وهو مشروع محو الأمية وهو لم يكن

مشروعا من تفكيـري، فقد لفت نظرى فلاح «غلبان» لا يعرف القـراءة ولا الكتابة اعترض سيارتى قائلا بصوت عال «نريد أن نتعلم» وكان عمره حوالى ثلاثين عاما.

وقال لى أريد أن أتعلم أى شيء فـأنا لا أعرف أن أقرأ ولا أكـتب كان لرغبتـه أثر شديد جدا فى نفسى فسألته وأين تتعلم وليس هناك مكان؟

فقال فى المسجد.

وكان من حسن حـظى أن شيخ المعهد الدينى «فى المعـاش» ومعه شخصـان كريمان على المعاش، ومنهما الأستاذ الشيخ إبراهيم أبو النصر، وهو والد زوجة الدكتور مصطفى الفقى فعرضت عليهما الأمر فوافقا.

وأسرعت بفتح تسعمائة مسجد للتعليم، وصرفت عليها السنة الأولى فقط. أما فى العام التالى فقد تولت الصرف الجمعيات التعـاونية فى القري، وكانت كل جمعية تخصص ١٠٪ من أرباحها فى الخدمات.

وأحضرت سيارتين صغيرتين وسلمـتهما للشيخ ابراهيم بدير. وأحضرت لهم «تخت» فى جانب من المسجد، وألواحـا وكراسات وأقلاما، وجعلت أئمة المسـاجد هم المدرسون وكان الأمام يأخذ أربعة جنيهات فى الشهر.

وكان املا كبيرا بالنسبة للإمام وكنت أعطيه ثلاثة جنيهات فقط واحجز الجنيه المتبقى لكى أضبط عملية التغيب عن الحضور.

وكنت أخصم من الإمام عشـرين قرشا عن الفتاة التى تتغيب وأخـصم منه عشرة قروش عن تغيب الفتي.

لقد كنت شديد الاهتمام بتـعليم البنات، وكنت أعطى أجازة نصف العام فى وقت خدمة الزراعة وجمع المحصول، والأجازة الأسبوعية كانت فى يوم السوق.

■ **من هم الذين كانوا يتعلمون... من الصغار أم الكبار؟**

- الكبير مع الصغير. . . والرجل مع ابنه ويذاكر معه.

يدرسون القرآن الكريم والحساب والقراءه فـقط وينظفون المسجد ثم يصلون المغرب وبعد ذلك يبدأ اليوم الدراسى بعد صلاة المغرب.

وتولى رؤسـاء المدن الإشراف عـلى هذه العمليـة بعـد ذلك، وجعـلت رئيس المدينة هو رئيس المركـز أيضا، فلم أفصل بـين المركز والمدينة، فكان الاثنان مـعا حتى لا يـقال رئيس مدينة ورئيس مركز كذا، وكان هذا خارجا عن القانون نوعا ما.. ولكنه خروج غير ضار.

ثم نتـحدث بعـد ذلك عن الطرق، هناك شيء يسـمى قطع جبل. عـملنا تجربة واحـدة بواسطة أحمد الجارحى وكان عضـو مجلس الأمة من بولاق فكر فى أن يقدم لى هدية بعد عودتى من المرض فعمل طريق قطع جبل هذا.

■ **هل هو بدل الرصف؟**

- نعم بدل الرصف وكان الطريق غير موجود فى الخطة.

■ **فى هذه الفترة كـان التنظيم السياسى هو الاتحاد الاشتـراكى وكان هناك صراع بين لجنة الاتحاد الاشتراكى والمحافظة؟**

- كنت رئيس الاتحاد القومى قبل أن أعين محافظا وكنت أعرف المشكلة، وكان اهتمامى الأول بالتنظيم السـياسى وكان أمين الاتحـاد الاشتـراكى يرأس أى اجتمـاع، وكنت فى أى احتـفال أجلس عن يمينه ومـدير الأمن عن شماله، وكـان هذا بالاتفاق مما أشـعر الناس بأن هناك قوة وبأن التنظيم السياسى هام.

ذات مـره ذهبنا لزيارة بلدة تسمـى «كفـر بولين» وكان يزورها أمين الاتحـاد الاشتـراكى بالمحافظة واستعجب ناظر المدرسة حينما وقف ورأى رئيس الاتحاد فى الوسط وأنا على يمينه المحافظ ،ومدير الأمن على شـماله فانتظرنا ماذا يقول فإذا به يقـول «السيد المحافظ الأمين والسيد الأمين المحافظ».

ومرة كان جمـال عبد الناصر مسافرا فعـملوا ضغطا عليّ لأنهم يريدون أن يترك إبراهيم آدم الاتحاد الاشتـراكى، وأحضروا شخـصا من البحيرة اسـمه عاطف عبده ليـجعلوه رئيس الاتحاد الاشتراكي، ولم أجد سببا لذلك فرفضت التغيير لأن الأمور كانت تسير على ما يرام فلماذا التغيير؟

وكان عز العرب والليثى عبـد الناصر يريدان خلع إبراهيم آدم. وجاء لى ابراهيم قائلا أنا أعلم ما فعلته من أجـلي، ولكن لا تتعب نفسك فإذا لم يعد جمال عـبد الناصر هذه الليلة فسوف «اتشال»

وجاء جـمال عـبد الناصـر فى نفس الليلة وعرضـت عليه الأمر ورفـض أن يتم تغيـير ابراهيم آدم وأمر ببقائه.

■ **هل كانت هناك صلة بينك وبين جمال عبد الناصر؟**

- نعم.... وكنت أرفض أن أحملـه أى شيء كشكاوى أو غيـر ذلك، لأنه فى البداية كان كـمال الدين حسين يحل لنا مشـاكلنا، وعندما يـألنى جـمال عبد الناصـر عن الأحوال أقول له بخير.

وفى حركة المحافظين قـال: إن وجيه اباظة هو الوحيد من المحافظين جـميعهم الذى لم ينتقل، وقيل لأنه منتخـب انتخابا شعبيا...، وفهم على صـبرى الموضوع خطأ فنقلت إلى أسوان.

نعم.. صدر قرار جمـهورى بالنقل وألغاه الرئيس بالليل، ونواب البحيـرة هجموا عليه فى مجلس الأمة، واعترضوا على هذا النقل.

وفى دمنهور أشعلوا النار عند منزل مدير الأمن وأحرقوا دور السينما وعملوا أشياء كثيرة احتجاجا على نقلي، وأعلنوا الإضراب حتى أعود، وكان هذا الموقف من بسطاء الناس.

■ **وما هو سبب صدور قرار النقل إلى أسوان؟**

- فى الحقـيقة والله على ما أقـول شهيد كـان سببه أنـه جاءنى ثلاثة خطابات من على صبـرى تقول إننى كنت أريد أن أنجح إبراهيم آدم فى الانتـخابات، وأننى اذهب من «تحت لتحت» للناس واطلب ترجيح إبراهيم آدم.

■ **هل يدخل فى ذلك موضوع عضو مجلس الأمة، الذى كان يهاجمك داخل المجلس؟**

- ربما... وكان فيه عمر الوكيل... وكان فـيه قريب زوجة شوقى عبد الناصر ولكنهم يعلمون أننى أريد إبراهيم آدم، ثم رسب إبراهيم آدم فى الانتخابات، وفى الحقيقة أن ممدوح

سالم استدعى المسئولين عن اللجان وكان منهم شخص من أتباع حازم الشرقاوى وسألنى من تريده أن ينجح؟

قلت إبراهيم آدم . . فقال لن ينجح فقد صدرت لنا اوامر أن يرسب.

■ هل كان ممدوح سالم مدير أمن؟

- كان مسئولا عن المباحث العامة فى الإسكندرية ولكن لم تكن صورة الموضوع الكاملة لديه .

وعندما سقط إبراهيم آدم فى الانتخابات أرسلت خطابا لعلى صبرى وقلت له إننى لم أنتظر أن يحدث هذا منك.

وقابل جمال عبد الناصر وفى اليوم التالى بالليل جاء نبأ نقلى لاسوان.

وكان جمال عبد الناصر مسافرا إلى أسوان ففكرت أن أصل إلى أسوان قبل جمال عبد الناصر وأجهز له الاستقبال هناك.

وبعد ذلك أعود معهم فى نفس القطار وأذهب إلى بلدنا.

وفى الصباح سمعت تجمهرا من الناس احتجاجا على نقلي. . . من بسطاء الناس ومنهم شخص قفز إلى حجرة النوم «وحلف طلاق» إذا انتقلت فسوف يرمى نفسه من أعلى المنزل فقد ظنوا أننى الذى أطلب هذا النقل بسبب رسوب إبراهيم آدم.

وذهبت إلى البلد ـ وكنت مجهدا جدا ـ لآخذ قسطا كبيرا من النوم من الساعة العاشرة مساء إلى الساعة العاشرة صباحا.

بعد أن استيقظت أخبرتنى والدتى بأن على صبرى تكلم من مصر ثلاث مرات. . . وهو الآن على التليفون فكلمته. . . ولم يكن بينى وبينه عمار. . . فقال لي: أنت تعلم أنك منقول؟

فقلت له: طبعا أعلم.

فقال: وماذا أنت فاعل؟

قلت له: سأسافر طبعا.

فقال لي: أنا أقول لك هذا لأنى لا أريدك أن تحضر جلسة مجلس الشعب.

فقلت له : من الطبيعى أننى لن أحضر الجلسة وسوف أسافر إلى الأقصر وأنزل على أقارب لى هناك. وأمكث هناك حتى الصباح ثم أسافر إلى أسوان فى اليوم التالي.

ورأيت فى التليفزيون جمال عبد الناصر يكلم عبد الجليل الزينى وعبد المولى عطية قائلا: أريد أن تعتمدوا على أنفكسم ولا تعتمدوا على أى أحد.

وكان المسئول عن المباحث العامة قد أرسل أن ما يحدث من رفض لنقلى أى كلام، وذكر أنهم مائتا شخص ثم عاد فى المساء وصحح الرقم وقال ألفى شخص، أرسلت المباحث الجنائية تحذر من الحالة هناك وأن الناس لن تنقطع فى النزول فعلا. والحديقة فى منزلى أصبحت ممتلئة حتى السلالم والدور الأسفل ممتلئ بالناس..

■ **هل سافرت إلى أسوان ثم عدت؟**

- لا.. بل فى نفس الليلة قبل السفر قالت لى زوجتى إن عبد المحسن عبد النور يريدك وكان معه عباس رضوان فقال لى «يخرب بيتك» نقلك به مشاكل ومجيئك به مشاكل.

الرئيس يقول لك لا تسافر ومن الضرورى أن تظهر غداً فى صلاة الجمعة فى دمنهور فأنت لا تعلم ماذا يحدث هناك.

وذكر لى ما فعله الناس هناك.

واتصل بى أنور السادات يقول: يا وجيه الرئيس جمال يقول لك ارجع وفى الصباح تصلى فى مسجد شعبى بدمنهور، ضرورى تتجول فى المركز هناك.

وكان الفلاحون قد تجمعوا مع أحمد يونس وقالوا: سوف ننام فى طريق السكة الحديد ونقطع الطريق الزراعي.

فقد كانت عملية كبيرة وأكبر مما أتصور أن يحدث وذهبت فى حوالى الساعة الثالثة صباحا ووجدت الناس ينتظرونني.

وفى الصباح ذهبت لمدير الأمن وكان شخصا «مش كويس» فوجدته يقول اتفضل يا أفندم ويرحب بى فمن الظاهر أن وزير الداخلية كلمه عني، وطلعت معه وأثناء السير

وجدت العساكر على الجانبين، والناس مختفية فطلبت منه أن يبعد العساكر ويسبقنى وسوف اذهب بمفردى وانتظرنى هناك.

فقال: يا فندم قالوا لى أن أصطحبك.

فقلت له: إننى لن أذهب معك فانصرف هو والعساكر .

فإذا برجل يدعى الشيخ على يقول: نحن اجبرنا جمال عبد الناصر أن يرجع فى قراره قوه الشعب اجبرته على ذلك، وذهبت إلى مسجد عبد الله فى منطقة شعبية جدا ومزدحمة وأديت الصلاة مع الناس وعدت إلى منزلى لأستريح وطلبت ألا يتصل بى مدير الأمن لا هو ولا أى أحد.

وفى وقت العصر جاء أشخاص آخرون إلى المنزل فأخبرتهم أنه كان هناك سوء تفاهم وانتهى وأردت أن ألاعب على صبرى فكلمته وقلت له: أنتم عملتم لى «فضيحة»فى الجرائد وقلتم إنه صدر قرار جمهورى بنقلى فمن اللازم أن يصدر قرار آخر بإعادتى، فصدر قرار جمهورى بإعادتى فى اليوم التالي.

■ أثناء هذا الموقف لم يكلمك جمال عبد الناصر أو لم يتصل بك؟

- لا... ولكن أريد أن أقول لك إننى أحب جمال عبد الناصر حباً شديداً جداً، وعلى ما أتوقع أنه كان محرجا مني، هذا هو شعورى وربما أكون مخطئا ولكن أحب أن أبرر هذا أمام نفسى على أنه نوع من الكسوف.

■ ما هو التنظيم الطليعى وما هى حكايتك معه؟؟

- كنت فى اللجنة العامة فى التنظيم وكان عدد أعضائها اثنان وعشرون شخصا، وكان بها ثلاثة محافظين أنا وحمدى عاشور وحمدى عبيد، وكان بها من الوزراء أنور سلامة والدكتور عبد العزيز السيد وغيرهم وأهم ما فيها كان السرية التامة لأن هناك ناس أفكارهم سيئة وأناسا رشحت اشخاصا ممتازين وأخذت الموافقة عليهم وبدأت أشكل مجموعات كل فرد معه أربعة أو خمسة أشخاص وبدأ التنظيم بديمقراطية كاملة لدرجة أن سكرتيرى الخاص، وكان على أخلاق كريمة جدا ولكن لم أدخله التنظيم، فلم أستطع أن أدخل أحمد

حمـزة التنظيم إلا بعد أن انتـقلت إلى الغربية لأنهم كـانوا يعترضـون عليه بحـجة أنه ليس جماهيريا.

أقمنا التنظيم الطليعى وبعد أن راجعنا أنفسنا ثمان مرات، وفى كل مرة نستبعد أشخاصا أنا كنت لا أحب أن ينقل لى شـخص أى شيء عن شخص آخر يمكن أن يبـلغنى عن أزمة لحوم مثلا ولكن لا علاقه له بالمتسبب فيها.

ولابد أن تكون هذه المعلومات دقيقة جدا... ابتـدأنا التنظيم الطليعى بالبحيرة بدقة وعلى أسس سليمة جدا، ولذلك فـأحسن العقليات كانت بالتنظيم وكذلك فى الغـربية فقد انضم ثلاثة آلاف وسبعمائة فرد وهؤلاء مازالوا حتى الآن يعيشون معنا.

■ **ألم يتغيروا؟**

- لا

■ **هل كانت مهمة هذا التنظيم هى كتابة تقارير عن الناس؟**

- أبدا... ولا فى يوم من الايام... لقـد كانت تأتى لى آراء ضد جـمال عبـد الناصر وضد إخوته وعمه وأشياء من هذا القبيل وكنت أنا أكتبها بخط يدى وأرسلها له.

■ **هل كان يتخذ فيها إجراء؟**

- طبعا كان يتـخذ فيها إجراء وعلى سبيل المثـال كنت موجودا فى إحدى المرات وطلب منه عمى خليل شيئاً فقال له: «لا».

وكان يوم العـيد فقـال له يا سيـادة الرئيس توجد قطعة «زنقـور» على الأرض فى طريق الوادى الجديد فقـال له قلت «لا» فسكت عمى خليل. وقـال له الرئيس أتريد أن تعمل فى قطعة الأرض محطة بنزين من أجل أن يمون الجميع من الحاج خليل؟ فهذا مثال.

والذين يدعون أن معاملة عبـد الناصر كانت سيئة لأقاربه كاذبون ويسـتحقون الحرق فلم أجد احتراما كامـلا إلا من عبد الناصر لأقاربه ولكل الناس فقد كان يحتـرم الإنسان احتراما كاملا من القلب.

وأنا أتعجب من الذين يقولون عن اعضاء التنظيم «إنهم يكتبون تقارير فى بعض» لم تكن توجد تقارير.

■ قيل :إن الشخص كان يكتب تقارير حتى فى أبيه؟

- هذه اشياء «قذرة» وكلها غير صحيحة وهناك أشياء مؤسفة جدا .

معظم الدروس التى أخذتها فى الادارة المحلية كانت فى البحيرة وكانت المدرسة الأولى بالنسبة لى فى الإدارة المحلية هي: أولا الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكي، فكنت أحب أن أكوّن مجموعة جيدة لكى تكون مسئولة عن العملية، وكنت أحب الشجعان أدفعهم للأمام وأساندهم. وكانت هناك عدة أجهزة رقابية وبعض من الأشخاص المتطوعين وحدثت بينى وبين الأمن مشكلة، فقد قدم لى تقريرا بأن رئيس مدينة دمنهور استولى على أخشاب، وأخذ عمالا لكى يبنى منزلا فى «العصافره»، وكان ضروريا أن أضع حدا لهذه العملية. أحضرت رئيس المدينة وهو كان مدير عام لمدة سبع سنوات، وسألته عن الأشياء التى نقلها للعصافرة لبناء المنزل فقال عصافرة إيه؟

قلت له: العصافرة فى الإسكندرية؟

فقال: لا أعرف شيئا عن العصافرة فأين تكون هي؟

فوجدته خالى الذهن تماما ولا يعرف أين تقع العصافرة نفسها، فكررت السؤال هل أنت أخذت اشخاصا من هنا لكى يجهزوا لك منزلا فى الإسكندرية؟ ونفى تماماً، وتأكدت من عدم صدق الرواية.

فأحضرت مدير الأمن ومعه الحكمدار وقلت له: إننى تحريت عن هذا التقرير وهو غير صحيح، ولذلك فإذا تنازل هو عن حقه فلن أتنازل أنا عن حق الدولة، لأن سمعة الحكم معلقة بمثل هذه الأشياء. فحاول أن «يفلت ورأيت أنه من الضرورى أن تحدث مواجهة»

• وكان أصل الخلاف حول نادي، ورئيس المدينة رفض أن يسلمه له وأشياء من هذا القبيل

وغضب من رئيس المدينة له وهكذا كتب هذا التقرير الظالم ضده، وحاول مدير الأمن أن يتراجع، ولكنى أصررت على التحقيق وفعلا أجرى التحقيق ولم يكن فى صالح مدير الأمن.

■ **هذا يطرح سؤالا عن الخلاف الدائم بين مدير الأمن والمحافظ فكيف تحل هذه القضية؟**

- فى الحقيقة أنا لا تهمنى القشور... هذا تأخر... وذلك لم يتأخر... أو هذا ..مكانه هنا وذلك مكانه هناك... فأنا لا أنظر إلى مثل هذه الأشياء، ولكنى كنت أنظر إلى ما يقع بعد ذلك،ولذلك فعند التنقلات كلمنى عباس رضوان فقلت له «هل أنا محافظ أو لست بمحافظ» ولا شك أن مدير الأمن كان هو كل شيء، وكان مبدأ الإدارة المحلية أن يحل مدير الأمن محل المحافظ فى رئاسة جلسات مجلس المحافظة فى حالة تغيب المحافظ. ولكنه ليس برئيس لأن هناك من هو أقدم منه.

■ **ذن هذه ثغرة لأن معنى ذلك أنه نائب المحافظ؟**

- لأن الأمن مركزى ويتبع الداخلية مباشرة وكان بعض الأخوة المحافظين يخافون بعض الشيء من الأمن بحجة أن معهم الأجهزة ويكتبون التقارير.

وعندما صدر قرار بنقلى إلى أسوان كتبت إقراراً على نفسى بأننى مسئول عن جميع التصرفات المالية والإدارية التى تمت فى المحافظة فى عهدي، حتى لا تقع أى مسئولية على أحد وتحملت كل شيء ،وسافرت وبعد ذلك عندما رجعت وجدت أن هناك ناس «عتاولة» بدأ يظهر شغلهم معى ويقولون، لأننى كتبت اقرارا على نفسى بأننى مسئول عن كل شيء إذن لابد أن نعمل، ونفس الإجراء قمت بها فى اليوم التالى الذى قبض عليَّ فيه فى أحداث مايو ١٩٧١ فقد علمت قبل ذلك بيومين أو ثلاثة أن أنور السادات سوف يقيم قصر الحكم هنا فى عابدين ،وأثناء مرورى وجدت عامل الرصف يقوم برصف الشارع وعندما سألته لماذا؟ أخبرنى بأن هذا من أجل مرور أنور السادات فرفضت، ثم كتبت نفس الورقة

وطلبت من الضابط ـ وكنت محبوساً ـ أن يوصلها للمحافظ، وطلبت طبعها وتوزيعها على كل الموظفين بالمحافظة وفوجئت أن الضابط يقول لى أن الموظفين «حرامية ومرتشون» وأننى سوف أضع نفسى فى مسئولية بدون مناسبة خاصة فى هذه الظروف..

فطلبت من الضابط وكان اسمه ممدوح أن يطبع منها نسخا على مسئوليتى ويوزعها على جميع الموظفين بالمحافظة، وفعلا نفعت هذه الشهادة عددا من الموظفين وكان منهم رئيس حى غرب أنور أبو العطا.

لقد كان مقصدى خلق موظفين شجعان بقدر الإمكان، لأنه كما قال جمال عبد الناصر «إننا عندنا ثلاثون مليون مخطط... وثلاثون مليون ناقد... ولا يوجد عندنا منفذ».

وكان المقصود أن يتحمل الرجل المسئولية... وأن يعرف كيف... وأين يضع قدميه. بهذا الأسلوب وجدت بعض الأشخاص الذين تعاونوا معى فى التنفيذ.



اللقاء الرابع

استدعى جمال عبد الناصر وجيه أباظه محافظ البحيرة، وأخبره أنه سوف ينتقل محافظا للغربية.. وأن له مهمة أساسية فى المحافظة الجديدة، هى أن يعمل على إقامة تنظيم سياسى قوى وفعّال، وحدد لهذه المهمة عامين بالضبط.. وبعدها سوف يكون قريبا منه.

وبعد عامين بالضبط.. صدر قرار بنقله محافظا للقاهرة.. كان صدور القرار يوم شم النسيم، وهو يوم عطلة، وتعجب وجيه أباظه من هذا التوقيت فى النقل.. ولكنه سرعان ما اكتشف أن العامين قد مضيا بالضبط.

خلال هذه المدة البسيطة.. كانت لوجيه أباظة بصمة فى محافظة الغربية، وحاول ـ بقدر الوقت أن ينقل الملامح المميزة لتجربته فى البحيرة إلى محافظة الغربية.

وسألته عما إذا كانت هذه المدة البسيطة كافية لكى يطوف بكل قرى المحافظة ويتعرف عليها؟ فقال:

ـ هذا ما فعلته بالضبط.

■ فى الغربية.. ذابت تماما الخلافات بينك وبين السيدة أم كلثوم، ودعوتها لإقامة حفل فى طنطا.

– قبل ذلك كنت قد دعوتها إلى محافظة البحيرة لتقيم حفلا ضخما جدا هناك. وكانت

حصيلة الحفل فى الغربية ٣٠٠ ألف جنيه.. بينما فى البحيرة كانت الحصيلة ١٨٥ ألف جنيه، ولقد تعجبت هى من ضخامة هذا المبلغ،ولكنى قلت لها إن الغربية بها مليونان ونصف من السكان بينهم القادر، ومن يتظاهر بالمقدرة.. وهناك أشخاص كثيرون مثل الحاج عبد الحميد قادوس، وعبد الحميد الشيشيني، وغيرهما يحبون فعل الخير خاصة وهم يعلمون أن هذه الاموال من أجل المجهود الحربي.

أحب أن أذيع لك سرا فأثناء عدوان ١٩٥٦ قام العدو بغارات على أهداف محددة فى محافظة الغربية مثل كوبرى روزتا والمحلة الكبرى وكفر الدوار، لذلك عندما عينت محافظا أقمت لهذه المواقع الحيوية غرفة عمليات مجهزه، وقائمة بذاتها أسفل معهد التثقيف التابع للاتحاد الاشتراكى لأنى كنت أخشى أى عملية تخريب، وقد تكلفت الغرفة خمسة آلاف جنيه.

■ **أقمت فى محافظة البحيرة مركزا لتدريب الشباب الضائع والتسرب من المدرسة الابتدائية فهل نقلت هذه التجربة إلى الغربية؟**

- نعم واستعنت بالذين أقاموا مركز تدريب البحيرة لكى يعطوا خبرتهم فى الغربية.

■ **وأنشأت هناك فندقا فاخرا؟**

- نعم.. ولكن الغربية كان بها فنادق كثيرة لأنها فى وسط الدلتا.

■ **وجيه أباظة فى محافظة الغربية، وضع يده على مفتاح هام لمخاطبة أهالى الغربية، وهو وجود ضريح السيد أحمد البدوي؟**

- كانت طريقتى فى مخاطبة الناس أن أدخل لهم من باب الاحتياج الشديد لفعل هذا الشيء، فمثلا فى الشرقية تحدثت معهم عما إذا جاء لنا أحد فأين نطعمه،وأظهرت نقطة الكرم والرغبة الشديدة فى إكرام الضيوف، فيسألون عن المطلوب فأقول لهم.. المطلوب هو إنشاء نادي، فيوافقون على عمل النادي.

وفى البحيرة كان الناس عمليين كرماء، كان أحمد عبد الوكيل يتحمل مسئولية عدد كبير من ضيوفنا، وكان فى دمنهور نادى كبير ممتاز، فكنت أقول لهم إن الأسكندرية يقيم فيها حوالى ٢٠٠٠ موظف يعملون فى البحيرة، وبدل من أن ينفقوا نقودهم هناك ممكن أن

ينفقوها عندنا فى دمنهور ،فيسألون أيضا وما هو المطلوب؟. . . فأقول نعمل نادى ومدرسة، فيوافقون، ويتبرعون على الفور، لأنهم يعلمون أنه خلال أربع أو خمس سنوات سوف تأتى أضعاف مضاعفة لهذه الأموال.

الغربية ،ويفصلها عن البحيرة قناة واحدة للنيل لا يوجد بها هذا ولا ذاك وإذا لم تأت سيرة السيد البدوى فى أى شيء فلن يجدي.

فقلت لهم: إنه لابد أن تستغلوا وجود السيد البدوي، ـ وإن كانت كلمة جارحة نوعا ما ـ فهناك كتب صوفية فيها بعض الوقت «شطحات» ، وهناك مؤلف لأحد الكتب الصوفية أحضرته وأردت أن استفيد منه ولكن الوقت لم يمكننى لأننى نقلت من الغربية إلى القاهرة.

من الممكن أن يستغلوا الآن هذا المؤلف الذى يقول أن زيارة السيد البدوى هى مفتاح الحج».

هذا قول جميل وأستطيع أن أقول للناس سواء من مصر أو غير مصر: مروا علينا فى طنطا قبل الذهاب للحج طالما أن السيد البدوى هو مفتاح الحج. . . ونبدأ فى الحديث عن السيد البدوى ولكن الوقت كان قصيرا بالنسبة لي.

هل تعلم أن أكبر إيرادات لصندوق النذور فى أضرحه مصر كلها هى ايرادات مسجد السيد البدوى ولكن لهم طريقتهم فى توزيعها وكنت أريد أن أستغلها جيدا لكن الوقت لم يساعدني.

■ بعد العامين نقلت أجزاء كبيره من تجربة البحيرة إلى محافظة الغربية سواء على مستوى الخدمات أو على مستوى الإنجاز الكبير.

وكما هو واضح أنك تعتز باستطاعتك إقامة تنظيم سياسى قوى داخل هذه المحافظة لأول مرة... وأن هذا التنظيم مازالت أصوله وقواعده موجودة ، ويحتفظ بولائه لثورة يوليو، هذا الانجاز الكبير تم فى عامين كما قلت بموجب اتفاق مع عبد الناصر تقرر بأن تأتى مع عبد الناصر إلى القاهرة فكيف كانت هذه الرحلة؟

– يوم شم النسيم. . . وبعد مرور عامين، وفى هذا اليوم بالتحديد جاء فى الصحف أننى سوف أعين محافظا للقاهرة اعتبارا من اليوم، فتساءلت مع نفسي، ولماذا يوم الأجازه

بالذات فوجدت أنه يمر عامان على وجودى فى الغربية بالضبط، كما قال لى عبد الناصر ولم ينس الوعد أبدا. ومحافظة القاهرة صعبة جدا... وأنـا أشفق على كل من يتولى مسئوليتها إنها مـتداخله أيضاً مع كـل الوزارات، وحدود العمل فـيها مـتداخلة، فمـثلا إذا زار وزير التربية والتـعليم مدرسة ما، ولم يخبرنى أنا كـمحافظ، فكنت أطلب منه ألا يذهب إلى أى مدرسة إلا بعد إخطارى لأنه يقع فى مسئولية المحافظة ذهابا وإيابا... ومن الممكن أن نجهز له أمنا أو غيره.

فكان بعض الوزراء يتـفهمـون والبعض الآخر لا يتـفهم مما خلق نوعـا من المشاكل... ولكن هذه المشاكل على كل حال تدل على أن هناك حركة.

■ **كان هذا سنة ١٩٧٠ أى قبل وفاة جمال عبد الناصر بشهور قليلة؟**

- أمضيت محافظا للقاهرة حوالى ١١ شهرا ونصف.

■ **ما هى الفترة التى قضيتها محافظا للقـاهرة فى حياة جمال عبد الناصر قبل أن ينتقل إلى رحاب الله؟**

- حوالى ستة أو سبعة شهور.

■ **هل التقيت بجمال عبد الناصر فى هذه الفترة؟**

- نعم كنت ألتـقى به يوميـا فى المطار فى توديع الرؤسـاء أو استـقبـالهم، والتقـيت به لقاءات خاصة ثلاث مرات.

وعندما كنت أذهب له لا أتكـلم فى العمل، لأنى كنت أشفق عليـه ولا أريد أن أضيف إلى مشاكله مشاكل أخري، فكان يقول ألا تريد أموالا للمحافظة؟

كنت أقـول له لا أريد أموالا، فكان يقـول لى ضاحكا:... أنت سـوف تبيع القـاهرة كلها. ولكن أريد أن تبيعها قطعة قطعة ولا تبيعها كلها مرة واحدة.

وهو يعلم أننا كنا نبيع الأراضى القديمة وثمنها كبير جدا وعندما نبيعها وزاره الخزانة تأخذ جزءاً، وننشئ المصالح جـديدة بدلاً منها، فى مناطق نائية بتكلفة أقل مما يوفـر مالاً وجهداً ويصنع مرافق جديدة فى أماكن هى أكثر احتياجاً.

■ **كنا نتحدث عن مشاكل القاهرة؟**

- لم أضع إطلاقا مشكلة تحت إذن جمال عبد الناصر إلا مشكلة شخصية بسيطة كانت بينى وبين سامى شرف وأتخذ فيها اجراء ونحن واقفون مباشرة.

■ **هل وقع احتكاك بينك وبين أنور السادات وأنت محافظ القاهرة؟**

- طبعا. . . وكان أول احتكاك عندما صممت على أن يضع حجر الأساس لمستشفى جمال عبد الناصر يوم الأربعين لوفاته وهو المستشفى الذى يسمى معهد ناصر، وصحبت مقاولا من أكبر المقاولين، فقال لى إنه لا يمكن وضع حجر أساس إلا بعد ستة أشهر.

وكان معى الحكمدار والد ناصر الأنصارى فقلت له «هذا مقاول ابن كلب لا يفهم شيئا».

فقال: إنه أخى، وضحك. .

فقلت له: أنه لابد من وضع حجر الأساس فى الموعد.

ودعونا جعفر النميرى ومعمر القذافى مع أنور السادات لوضع حجر الأساس.

وفى هذا الوقت استوليت على المنطقة الموجودة هناك ومساحتها ٢٥ فدانا وكانت أرض وقف لرجل من أصل أرمنى يسمى كازنيجان.

وكان التخطيط أن هذه المساحة تكفى لاقامة مستشفى وفندقا للعرب الذين يأتون للعلاج بها.

وقبل الافتتاح بيوم رآنى السادات جالسا فى سرادق العزاء لجمال عبد الناصر وكان بجانبه كرسى خال فطلب أن أجلس بجواره فجلست مع أنى لم أكن أريد ذلك لمدة خمس دقائق.

. . لم يكن يريد أن يحضر وضع حجر الأساس، ولكنه أحرج ووضع فى مأزق عندما علم أن النميرى والقذافى سيحضران. . كان يعارض فى وضع حجر الأساس فذهبت إليه فى قصر الطاهرة فوجدته فى الصالون ومعه حسن التهامى.

وعندما وصلت قال لى: هل يقف أحد فى طريقك اعمل مـا تشاء فأنت محافظ القاهرة فافعل ما تشاء.

فقلت له: لا أستطيع أن أعمل بمفردى وأريد تعليمات أيضا.

فقال حسن التهامى «تعليمات يعنى إيه؟»

فلم أرد عليه وواصلت الحديث مع أنور السادات فقلت:

- مجرد أن يعلموا أن سيادتك ذاهب إلى هناك وأيضا القذافى والنميري.

فقال: تريد أن يذهبوا أم يتبرعوا؟

فقلت: ولماذا يدفعون تبرعات؟ نحن لا نريد تبرعات.

وفى تلك الأيام جاء شخصان من أفاضل الكويت هما السيد عبد العزيز صقر رئيس الغرفة التجارية ويوسف الغانم وهو مسئول عن فرع للأدوية أو المستشفيات وطلبا التبرع لمستشفى جمال عبد الناصر فقلت لهما:

أبقيا النقود معكما، لأنى خشيت أن آخذ النقود فتضيع فى مشروعات أخرى، وقلت إن شاء الله عندما نبدأ سوف نحسب ثمن التجهيزات، وكم تتكلف ونطلب ما نريده وحددا لى ٢ مليون دولار ثم قالا لى:

ـ طالما الموضوع هكذا فهناك ٢ مليـون دولار أخرى، وبعد ذلك بقليل سافر عبد المجيد مرتجى، إلى عبد العزيز صقر وقال له: أنا أريد التبرع وطلب ٤ مليون دولار وقال عبد العزيز صقر نريد إرسالها لوجيه أباظة شخصيا يتفضل هنا لكى أسلمه.

وكان يعلم أننى فى السجن ورفض أن يدفع ولكنه دفعه بعد ذلك.

■ **نعود إلى سبتمبر سنة ١٩٧٠ وجمال عبد الناصر وما هو اللقاء الأخير بجمال عبد الناصر وما جرى فيه؟**

- للأسف الشديد فى هذا اليوم كنت فى المطار مع الرئيس منذ الصباح.

وكان يبذل جـهدا أكثر من طاقـته، كانت هناك اقتـراحات ببقائه فى المطار فـهناك رؤساء وملوك يغادرون ولكنه رفـض، ولقد وجدته ليس طبـيعيـا وأثناء فترة الظهـر وجدته يرتعش وكما رويت لك من قبل توجد عندى صورة أخذتها معه قبل وفاته بست ساعات.

■ **هل كانت تجربتك فى محافظة القاهرة قصيرة؟**

- نعم... لكنى أقـمت فيهـا سبع مراكـز تدريب وأول مركـز تدريب سلمتـه لأم كلثوم وكانت سعيدة جدا.

■ **أين هو هذا المركز؟**

- هنا وهو مركز تدريب نمرة ١.

■ **مركز تدريب على ماذا؟**

- على جميع الحرف وصناعتها مثل ورش السكة الحديد وورش الأتوبيس وغيرها.

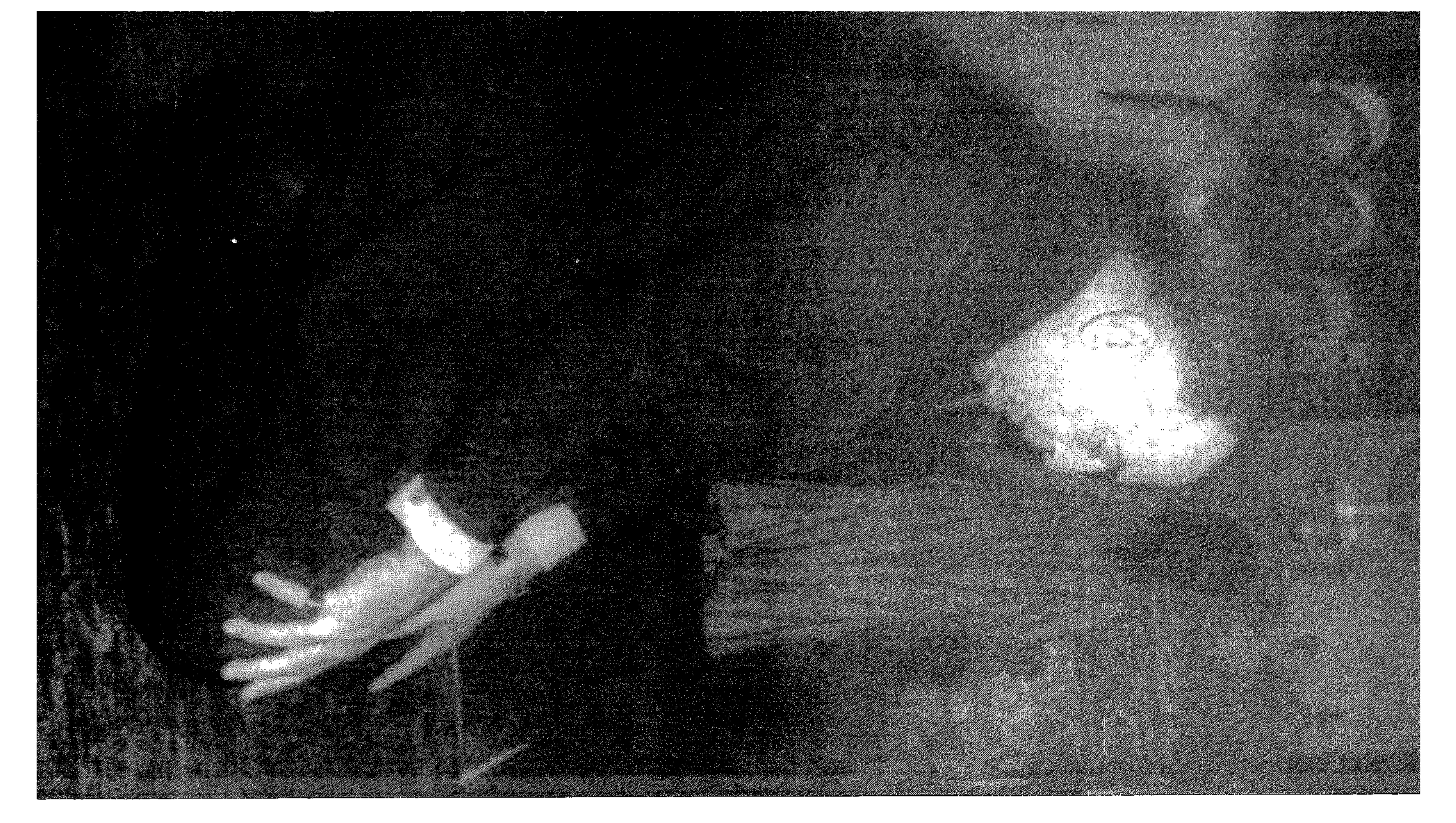
■ **هى نفس تجربة البحيرة التى نقلت إلى الغربية ثم إلى القاهرة؟**

- نعم نفس التجـربة فقد قـال لى الرئيس: يا وجيـه خلال عامين لا أريد طفـلا واحدا يمشى فى مصر بلا مصدر رزق ولا عمل.

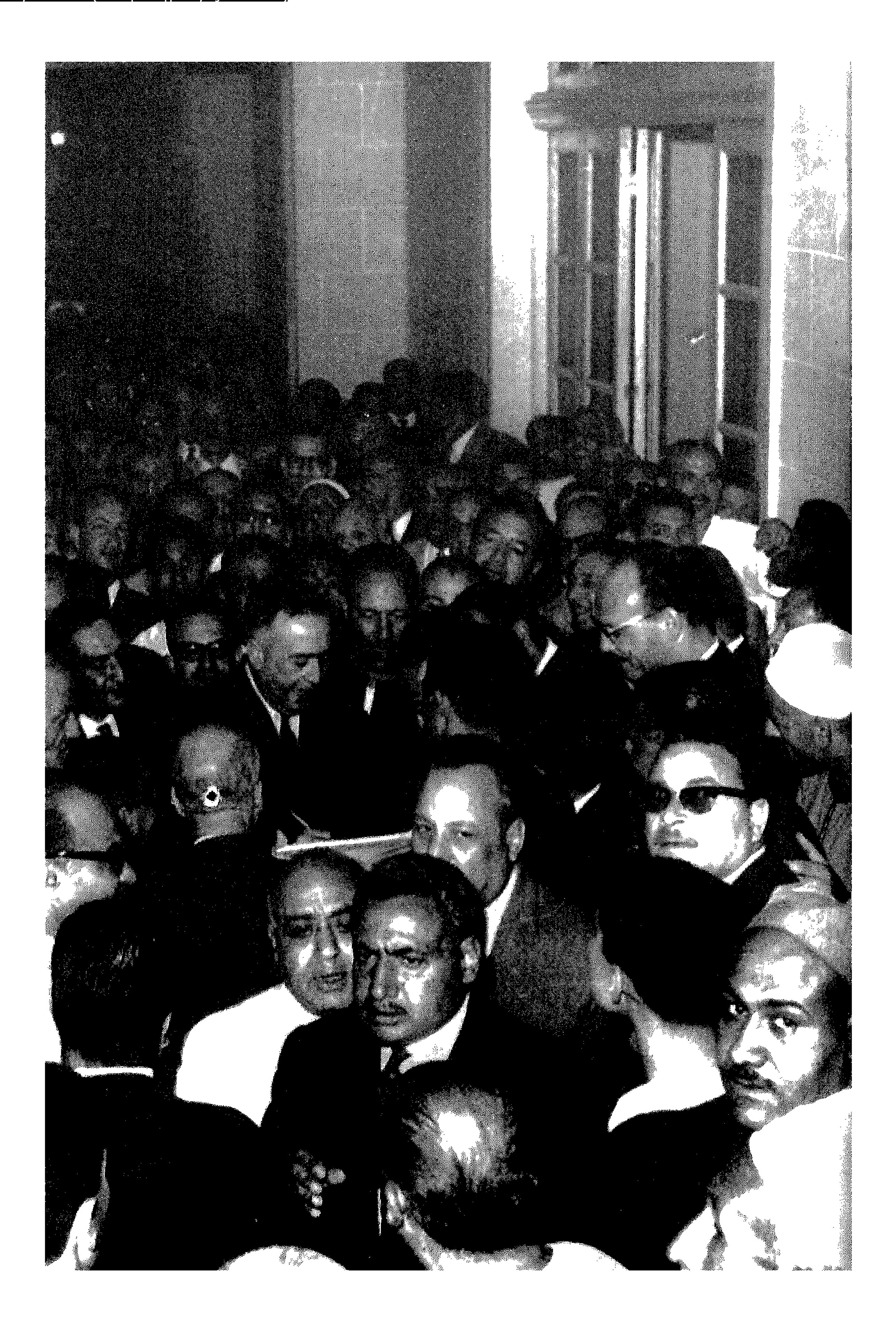
ولابد أن يتعلموا جمـيعا فكانوا يتدربون فى الصباح، وبعـد الظهر يذهبون إلى المدرسة والعكس بالعكس.

ويتخـرج الطفل بعـد ذلك يعرف القـراءة والكتابة ويتـعلم صناعة، وعندمـا تذهب إلى دمنهـور سـوف تجـد منـهم الآن من يملك مـحـلات، وعندهم نـفس الآلات والعـدد التى اشتريناها لهم يشتغلون بها.



































هو.. وسنوات الحكم المحلى

كانت الصفحات السابقة تحمل رؤية وجيه أباظة..

بعضها سجلها بقلمه، وإن كانت شهادته لم تكتمل.

وبعضها سجلها بلسانه فى حوار معى استغرق ساعات شمل جوانب حياته المختلفة والقضايا الكبرى التى شارك فيها.

والصفحات التالية تحمل مجموعة من الشهادات حول تجربته فى الإدارة المحلية من الذين عاشوها وعاصروها..

وأصحاب هذه الشهادات، مختلفون.. أساتذة، ومحافظون.. عمال وفلاحون.. رجال كانوا فى قمة المسئولية، وأشخاص عاديون تزاحموا علينا وأصروا على أن يقولوا كلمتهم، ويدلون بشهادتهم خالصة لله، وللحق، والتاريخ.

لقد كان ـ ومازال ـ وجيه أباظة فى قلوبهم جميعا، وفى عيونهم جميعا.. يرونه كل لحظة فى الأعمال التى تركها وراءه فى المحافظات التى تولى مسئوليتها..

وما زالت هذه الإنجازات ربما تكون الوحيدة فى بعض المحافظات.. لم يضف إليها شئ..

ونحن نقدم شهادات الذين عاشوا معه تجربة السهر والمعاناة، والعمل والبناء.. مسئولين، ومواطنين عاديين... لابد أن نضع أولاً عدداً من التحفظات التى نراها ضرورية..

■ إن هذه الشهادات ـ فى بعض سطورها ـ تخرج إلى آفاق أخرى سواء من العمل السياسى، أو الجوانب العامة أو الخاصة، مما تصلح لتكون أحد المراجع أو المصادر الهامة لهذه الفترة الناصعة من تاريخ مصر من جميع النواحى..

■ إن جميع الذين التصقوا بوجيه أباظة، أو عرفوه، أو عملوا معه، ظلوا على وفاء، ولم تنقطع صلته بهم أبداً بتركه للمسئولية، فأغلبهم زاره فى بيته، وبعضهم ذهب إليه فى السجن، وكلهم ظلوا على علاقة وثيقة به، فقد كان شخصيته قادرة على تجميع الناس حوله مهما كانت عمق الاختلافات بينهم.

■ إننا قد اختصرنا جوانب عديدة من هذه الشهادات لأننا لم نتمكن من نشر أكبر قدر منها. بعدما وجدنا أمامنا العديد من الشهادات، لم نستطع استيعابها كلها، ثم أعدنا مرة ثانية وثالثة ورابعة اختصار الشهادات ووصل الأمر إلى عدم استيعاب عن الشهادات بالكامل.

لقد كانت كل شهادة تستغرق على الأقل شريطاً واحداً مسجلاً تحتاج إلى عشرات الصفحات اختزلناه ليكون سطوراً محدودة...

■ إننا لن ننسى أبداً ذلك المنظر الفريد، الذى عجزنا عن تسجيله، بل وتقديره..

هؤلاء الرجال الذين اجتمعوا... ليتحدثوا معنا عن وجيه أباظة فإذا بهم ينهارون، وتخونهم شجاعتهم، ولا يستطيعون التماسك، فيجهشون بالبكاء الشديد.

ذلك وحده أبلغ تقدير للـرجل، ولأعماله، وأقوى شهـادة على أنه ـ هو وتجربته قد حُفـر فى قلوب الناس، وأن أعماله التى يرونهـا بعيونهم كل ساعـة تذكرهم به. وهى موضع ما هو أكثر من الأعزاز، وما هو أكثر من التقدير.

ذلك منظر فريد ومـستحيل لن ينسى أن يبكـى الناس العاديين ـ الذين لا تربطهم أية صلة شخـصية ـ بدمـوعهم وجيـه أباظة بعد رحيله بشـهور. . كلما ورد اسـمه هاجمـتهم ذكـرياتهم معـه، وكيف كان إنسـاناً، وعطوفاً، وكـيف غرس المحـبة فى نفوسهم. . . بما قدمه لكل منهم سواء على المستوى الخاص أو العام. .

■ إننا نرصد أعمالا وعلاقات، مضى عليها أكثر من ربع قرن، لذلك فان الخلاف فى الرؤية. . . وفى رواية بعض الأحداث وارد.

وكل الاختلافـات فى الرؤى، تلتقى فى النهاية حـول نفس الهدف، وتصب فى نفس الاتجاه، هو حب الرجل والاعتزاز بإنجازه، وطريقته الفورية فى العمل والبناء.

هذه هى رؤية بعض الذين عايشوه، وعايشوا تجربته فى الحكم المحلى

فى محافظة البحيرة. .

وفى محافظة الغربية. .

وفى محافظة القاهرة.





إبراهيم آدم

إيمان اسطورى بدور الجماهير

فى تجربـة جديدة لم تحـدث من قبل.. عـملا معا... وظلت علاقتهما وثيقة شديدة الارتباط.

وجيـه أباظة محافظا للبحـيرة على قمة الجـهاز الإدارى بالمحافظة.

إبراهيم آدم... أمينا للاتحـاد الاشتراكى وعلى قمة التنظيم السياسى.

لم يقع بينهمـا خلاف، لم يتصـارعا.. بل أن إبراهيم آدم يقدم شـهادة حق خالصـة لوجه الله، يعرض خلالها لإنجازات وجيه أباظة المحافظ الذى تمسكت به الجماهيـر بعد أن نقل إلى أسوان وأعاده عبدالناصر استجابة لرغبة الجماهير.

ويقـدم إبراهيم آدم عدة تفـسـيرات لهـذا النقل المفاجىء والعـدول عنه لأول مرة فى تاريخ الإدارة المحلية، بل وفى تاريخ مصر كلها..

إن أعظم ما فعله وجيه اباظة من وجهة نظر إبراهيم آدم هو إيمانه بالجماهير وبأنها قادرة على أن تقوم بحل مشـاكلها لو وجدت القيادة الجادة المخلصـة التى تقف معها وتسير معها وتعمل معها بدون تكبر ولا استعلاء.

وبهذا الفهم الواعى لطبيعة المواطن المصرى قاد وجيه أباظة جماهير محافظة البحيرة نحو إنجازات عديدة يتحدث عنها بسرعة مسئول التنظيم السياسى الوحيد فى تلك الفترة.

عن المحافظة والرجل الذى التقى لأول مرة بوجيه أباظة مـحافظا للبحيرة ولكن صلته به لم تنقطع أبدا، فقد كان مستحيلا على شـخص عرف وجيه اباظة جيدا وخبره عن قرب أن يفترق عنه، أو يتخلى عن صداقته. قال لى إبراهيم آدم...

«لم أكن أعرف وجيه أباظة قبل أن يعين محافظا للبحيرة وكان أول لقاء لى معه باعتبارى منتخباً كسكرتير للاتحاد القومى.

كنت منتخباً سنة ١٩٥٨ وقد عين أوائل إبريل ١٩٦٠ وكان قد مضى علينا عامان ونحن نحصى مشاكل دمنهور. كنا نضع لها أولويات فتقدم بها إلى كل المسئولين ولا مجيب. حتى جاء وجيه أباظة محافظا للبحيرة فعـرضنا عليه هذه المشاكل، فوجدنا لها كلها حلولا سريعة فورية، وكانت أهم المشروعـات إنشاء المستشفى العام لأن المستشفى الـقديم كانت حالته لا تليق حتى بجراج.

وكان السنترال سيئاً للغاية بالإضافة إلى أن العـاملين فيه كانوا يتجسـسون على المكالمات. فكنا نطالب بإنشاء سنترال أوتوماتيكى. فسـعى له على الفور وأقام الاستاد الرياضى والنادى الاجتـماعى. لكن أعظم هذه المشـروعات هو موقـفه من ترعة كـان اسمهـا ترعة «الخندق الشرقى» وكانت مجرى ملاحياً.. لكن هذا المجرى قـد تغير وخرج عن مدينة دمنهور فترك مكانه مستنقعا بطول ٤ كيلو مترات يشق مـدينة دمنهور من أولها حتى آخرها. مستنقع راكد ملأ البلد بالناموس وبالتالى ملأها بالملاريا وانزعجت الأهالى من استمرار وجوده.

كانوا يظنون أنه يمكن إزالته لكنهم وجدوا استحالة ذلك لأن وزارة الرى أكدت أنه ليس لديها اعتمادات لهذا المشروع.

وعندما جـاء وجيه أباظة تـقدمنا إليه بطلب، وفـوراً تقدم لوزارة الرى بصـفته مـحافظا فكانت نفس الإجابة «لا يوجد اعتماد».

لم يكن قد مضى على وجيه أباظة شهران فى دمنهور، وهذا هو الملفت للنظر، أى أنه لم يكن قد استطاع أن يحكم: هل يتجاوب الناس معه أم لا؟ ولكنه أخذ الموضوع بجرأة وشجاعة وقال: إننا سوف نردم هذا المجرى وبالجهود الشعبية. . . وأهالى دمنهور هم الذين سيقومون بالردم.

وأعلن التعبئة لهذا العمل وأمسك بالفأس وبدأ هو بنفسه وخلفه ألوف من الشباب والكبار وتطوع أصحاب سيارات النقل غير الحكومية بسياراتهم للمشروع، وتعاون أهالى الغربية فأرسلوا لنا بعربات نقل، وجاءت قوافل من محافظتى الغربية والإسكندرية كذلك، وكلهم أحسوا بهذا المشروع وانفعلوا به. وتم ردم الترعة بحوالى عشرة ملايين متر مكعب فى شهرين. وأقيمت مكانها متنزهات ومساكن بارتفاع ١٠ طوابق و١٢ طابقا. كان صهرى مهندس رى وكان فى ذلك الوقت مدير أعمال رى البحيرة. فكان مفتشو الرى والمسئولون عنه يأتون إلينا فى البيت يزوروننا ولما بدأنا الحديث. . قال: وجيه سوف يردم الترعة.

وأنا متذكر أن مفتش الرى قال ـ وبالمناسبة كان مفتشو الرى يأخذون جانباً لأن المحافظين عندما أتوا أخذوا مساكن مفتشى الرى ـ وكانت هذه المساكن أحسن مساكن فكانوا دائماً غير منسجمين مع الحكم المحلى. وباعتبارهم وزارة مركزية وغير محلية.

قال لى: المحافظ بيقول إنه سيردم الترعة بالمجهود الشعبى. وشبهه بالذى يشق البئر بإبرة.

قلت له: ربنا يوفقه.

وهذا الموضوع كان من أخطر وأجل الأعمال فلم يكن كل محافظ يستطيع أن يفعل ما فعله، خاصة وأنه فى بداية عمله بالمحافظة.

ولو تحدثنا عن الإنشاءات سيقال إن المحافظ كانت لديه اعتمادات وأموال لكننى أميز دائماً الأشياء التى لا يستطيع عملها إلا محافظ مثل وجيه أباظة، أنا دائماً أتمثل بحديث شريف مامعناه" إن لله عبادا اختصهم بقضاء حوائج الناس حببهم فى الخير وحبب الخير إليهم إنهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة"

الحديث ينطبق انطباقاً شديداً على وجيه لأنه كان شغوفاً بقضاء حوائج الناس. كنا نتقدم له بطلب على طريقتنا كمحامين نقول طلب أصلى وطلب احتياطى. فكنا نستكثر الطلب

الأصلى ونقول له إن لم تستطع الاستجابة للطلب الأصلى فعليك بالاحتياطى فكنا نجده قد تخطى الطلب الاصلى.

ويقول: لماذا لا نفعل هذا أيضاً. . . كان شغوفاً فعلاً بالعمل على راحة الناس.

عبر عنه أحد الكبار فى دمنهور فى ذلك الوقت وقال:

إن هذا الرجل ينطبق عليه قول الشاعر "فليتقى الله سائله"، فلم يكن يحب أن يقول "لا" أبداً. . .

■ هناك فى الحقيقة بعض الوقفات التى نحب أن نتبينها فى حديثنا معك عن وجيه أباظة. أولها بناء التنظيم السياسى فى محافظة البحيرة. وعلاقة هذا التنظيم السياسى بالمحافظة والإدارة عموماً، لأننا نعلم أنه فى هذه الفترة شهدت المحافظات صراعاً حاداً بين المحافظ وأمين الاتحاد الاشتراكى ..؟؟

- كما قلت عندما جاء وجيه أباظة كنا اتحاداً قومياً وعشنا معه كاتحاد قومى وقدمنا له طلباتنا. ولا أستطيع بأى حال أن أقول إننا قدمنا له المعونة لأن الحقيقة أنه وحده أخذ كل هذه المواقف الإيجابية.

ثم حدث الانفصال بين سوريا وتم حل الاتحاد القومى وبدأ الاتحاد الاشتراكى على أساس عزل بعض الناس. وفى ذلك الوقت خضنا الانتخابات ووصلنا إلى لجنة المحافظة، بعد ذلك قالوا أوقفوا الانتخابات بالنسبة للأمناء وسيتم تعيين الأمين بواسطة القيادة السياسية.

وفى هذه الأثناء اختارونى أميناً للجنة المحافظة. والذى أذكره جيداً أننى كنت محامياً فى دمنهور فجاءنى إخطار بأن أذهب إلى النادى الاجتماعى، وكان فى طور البناء ولم يكن قد تم تشطيبه. فذهبت ووجدت ثلاثين شخصاً تقريباً من كبار الشخصيات فى محافظة البحيرة. رؤساء الشركات. . ومديرى التعليم. . وشخصيات كبيرة.

وكان زكريا محيى الدين جالساً ـ كما علمت فيما بعد ـ مع المحافظ فى إحدى القاعات يستقبل فرداً فرداً من الساعة ١٠ صباحاً حتى الساعة ٧ مساء وكان يتحاور ويتناقش مع كل واحد من هذا الجمع.

عندما جاء دورى دخلنا فى نقاش طويل. وبعد هذا التحاور بيومين اتصل بى وجيه

ولم تكن هناك أزمة مساكن.

■هل نتكلم عن إعادة بناء قريةالأبعادية؟

- شب حريق أتى على كل صغيرة وكبيرة فى قرية الأبعادية وعندما علم وجيه أباظة توجه فوراً إلى القرية، فقد كان يحب أن يكون دائماً فى موقع الحدث نفسه، وذهب معه عدد من المسئولين عن المرافق المختلفة بالمحافظة.

نظر وجيه أباظة للعمدة ،وكان من عائلة رجب، والقرية هى قرية إصلاح زراعى، وقال له: أنا سأبنى القرية مرة أخرى.

فقال له: كيف ذلك يا سيادة المحافظ؟!

كنا فى ذلك الوقت فى بداية عملية إنشاء جمعية الإنشاء والتعمير، وكان يشجع المقاولين المحليين.. وهناك بعض الناس لم تكن تعرف من هو المقاول.

المقاول فى نظر دمنهور هو الذى يبنى بيت من دور أو دورين أو ثلاثة، ولكن كمرافق كانت إسكندرية والمحافظات الأخرى هى التى تقوم بهذه العمليات.

نظر إلى المهندس عبدالعزيز الشريف مدير الإسكان ذلك الوقت وقال له: ما رأيك يا عبدالعزيز؟ فقال له: حاضر يافندم.

هذا الرجل لم يكن خياليا، ولكن الذى حدث الآتى:

اجتمع مع المختصين وقال: نريد أن نبنى القرية فى ٢١ يوماً. أخذنا الرغبة كنوع من الأمل قد يتحقق وقد لا يتحقق لكنه قال القرية ٣٠٠ أو ٤٠٠ بيت تصمم بالنظام الذى يتلاءم مع ظروف الفلاح. حجرة أو حجرتين وحوش كبير وزريبة مجمعة للبهائم. فقسم ٣٠٠ بيت على ٢٠ مقاولاً وفى ذلك فليتنافس المتنافسون، وكانت أزمة الحديد والأسمنت على أشدها فماذا يفعل؟

اتفق مع المرور على أن يوقف على الطريق كل السيارات التى تحمل الحديد القادم من ميناء الإسكندرية، وأخرج ممثل الخزانة ومعه الشيكات يحصل على عشرة أطنان حديد ويكتب شيكاً بثمنها.

لم يكن يستولى على الحديد والأسمنت

كنت أرى أن هذه العملية ليست اغتصاباً ولكنه يدفع ثمنه، وفعلاً تم البناء بعد ٢١ يوماً

وقال لى:

إنهم يتقابلون معك من أجل اختيار الأمين، وهذه المسألة تم حسمها وأصبح الاختيار بينك وبين عبدالعظيم درويش، وكان درويش وكيل وزارة التربية والتعليم فى ذلك الوقت... وجيه كان صريحاً وقال: هو يرجحك فى الاختيار.

عبدالعظيم درويش كان مدرس رياضة أو إنجليزى لا أتذكر على وجه التحديد، وكان يدرس لجمال عبدالناصر والمجموعة التى معه فى الكلية الحربية وكان موضع احترامهم وغالباً سيختارونه.

بعد ذلك تم عرض الموضوع على الرئيس فقال إن عبدالعظيم درويش رجل عظيم وكلنا نجله ونحترمه لكننى أفضل أن يكون الأمين من الشباب. فى هذا الوقت كان سنى ٣٣ عاماً ففضل الرئيس اختيار شاب على اختيار عبدالعظيم درويش، وكان سنه يقارب سن المعاش.

وتم اختيارى ولا أستطيع أن أنكر دور وجيه فى التزكية،

الشىء الثانى أنه كان يوجد انسجام بينى وبينه وكنا معاً فى التنظيم السياسى الطليعى.

فتم هذا الاختيار وتم اختيار لجنة مكتب تنفيذى أسموه مكتب تنفيذى المحافظة.

كان فى هذا المكتب العمال وفيه الفلاحون وكان عندنا بالطبع فى محافظة البحيرة نوعيات مختلفة من الأنشطة، والمحافظة مترامية الأطراف، من رشيد والإسكندرية حتى إمبابة، ففيها المجتمع الزراعى وهو الأساس بمشاكله.. مشاكل الزراعة والرى والصرف والطرق، وفيها مجتمع السواحل وهو رشيد وإدكو (مجتمع الصيادين). اتذكر أنه أيام الكوليرا ومنع الصيد عرضت علينا مشاكل الصيادين فكانت هناك سبعة آلاف أسرة تعيش على صيد أم الخلول وحدها، وهناك مجتمع صناعى فى كفر الدوار والحرير الصناعى والبيضا، وكانت تضم خمسة وثلاثين ألف عامل يتجاورون، وكانت الشائعة تنتشر بينهم بسرعة البرق، وفيه أيضاً مديرية التحرير الشمالى والجنوبى أغلب سكانها من الوافدين من الصعيد والمنوفية ويمثلون بذلك مجتمعا حديثاً وفيه الحضر وهو يمثلون عواصم المدن... وفيه مجتمع البدو بالكامل.. مثل أبو المطامير، وكنت تجد العائلة نصفها فى مصر ونصفها فى ليبيا. كان هذا المجتمع من المجتمعات المتنوعة. وكان العمل السياسى فى هذه المحافظة من أصعب ما يكون. لكننا فى الحقيقة استطعنا أن نشق طريقنا بالتفاهم والانسجام الكامل

الذى كان بيننا وبين الناس، وكنت ألاحظ أنه واهب كل حياته وكل طاقته للعمل.

كنا نسير بالليل بعد أن شـفى من أزمة قلبية كنا نتمشى حتى السـاعة ١٢ فأجده يقول: كان المفروض أن نعمل فى المكان الفلانى كذا وكـذا. كان يضع كل طاقته فى العمل لدرجة أنه داهمته أزمة قلبية وهو فى سن الأربعين فى شرخ شبابه من كثرة العمل والتفكير.

■ **معـنى ذلك أننا نستطيع أن نقـول إنه لم يكن هناك أى نوع من الصـراع أو التناقض أو الخلاف بين المحافظ وبين التنظيم السياسى؟**

- بالطبع كان يحدث خلاف فى الرأى فقط.

■ **حدثت واقعة لوجيه أباظة كانت الوحيدة فى تاريخ الإدارة المحلية فى مصر.. وهى انه صدر قرار بنقله فاعتصم الأهالى على الفور وعارضوا قرار النقل، مع العلم إننا تعودنا دائماً أن يكون الناس ضـد المحافظ، ونعـلم أيضاً أن جـمال عـبدالنـاصر لـم يكن الشـخص الذى يرضخ للضغوط. وكان هو الذى أصدر قرار النقل.**

- هذا القرار كان فـيه كلام كثـير وأنا فى هذا الوقت كنت قد دخلت انتخـابات مجلس الأمة.

■ **كان هناك قرار بألا تنجح فى الانتخابات؟**

- لا . . . لم يكن كذلك بالضـبط وإنما الذى حدث أننى دخلت الانتخـابات وكان هناك شخص استاذ لنا جميعاً هو الأستاذ عمر الوكيل. وكان أستاذنا فى مرحلة الثانوية وكان من الشخصيات المحترمة، كان وكيلاً لوزارة التربية والتعليم بالدقهلية وكان يوشك أن يحال إلى المعاش. فسمعنا أنه يرتب نفسه لدخول انتخابات مجلس الأمة، وبالطبع لو دخل الانتخابات فلم أكن لأدخل منافسا له، لأنه كـان أستاذى، وكلنا كجيل فى دمنهـور ندين له بالأستاذية والاحتـرام. ولكن ما حدث هو أن القـواعد التى كانـت موضوعـة وقتـذ كانت تمنع نقل العضـوية العاملة من محـافظة إلى محافظة أخـرى، وكانت عضـويته العاملة فى مـحافظة الدقهليـة، وبالتالى لا يسـتطيع أن يدخل الانتخـابات فى البحيـرة. . بناء على ذلك دخلت الانتخـابات، ولكنه بعد دخولى وترشـيحى أصدر رئيس الاتحـاد الاشتراكى قـراراً مفاجـئاً بالسماح بنقل العضوية. فنقل الأستاذ عمـر عضويته ودخل الانتخابات فى دمنهور. فأصبح الموقف صعبـاً لأننى لا أستطيع التراجع بعد أن بدأت الدعـاية، ففى ذلك الوقت حدثت له

أزمة قلبيـة وأدخل مستشفى "المبـرة" بالإسكندرية ورشح نفسه وهو فى المستشـفى. وكما قلت لك كان رجـلاً له وقار، وكانت كل الناس تحـبه وتقدره. وكان لديه طفـلان كانا يمران علىّ الناخبين نيـابة عن والدهم، فكان هذا المنظر لايقاوم، وكان من الصـعب علىّ النجاح إزاء هذه الظروف.

وجيه كان ملتزمـاً كمحافظ، وأمين المحافظة كان مرشـحاً، لكنه وجد أن هناك تياراً فى التربية والتعليم كلهم انحازوا إلى عمر الوكيل وأخذوا الموضـوع بعصبية شديدة فاجتمع بهم وقال لهم: لـو كنت مكانكم لكنت أخذت مـوقفكم. أنا لست ضـد الولاء بل بالعكس أنا معجب به..

حاول أن يقول للناس إنـنى لست منحازاً وأن المعركة نزيهة وكـان ذلك أقوى دليل على أن الانتخابات فى سنة ١٩٦٤ كانت نزيهة ١٠٠٪ فقـد كان الفرز يتم أمامنا وقد فاز علىّ - وأنا أمين المحافظة - بخمسمائة صوت ثم صدر قرار نقل وجيه أباظة محافظاً لأسوان وهاج الناس هياجاً شديداً جداً حتى أنهم اقتحموا عليه غرفة نومه قائلين: لن نتركك..

أحضـر حقـائبه وهو يعـرف أن أمراً كـهذا واجب التنفـيذ، أى أن المراوغـة فى تنفـيذه مستحيلة فقد كان فى عصر عبدالناصر حزم فى اتخاذ القرارات واحترام لها.

وكان قد بدأ أول برلمان فيــه تجربة العمال والفلاحين... نواب البحيـرة أحاطوا بجمال عبـدالناصر لدرجـة أن أحدهم جـذبه من ذراعه وقـال له: يا ريس نحن لا نريد أن يرحل وجيه أباظة فقال لهـم: إذن فليبق وجيه.

وسألنا قبل إلغاء القرار وبعـد إلغائه عن سببه، واختلفت الآراء وسمعنا كـلاماً كثيراً.. مثـلا حسين الشافـعى قال: أسوان الآن تريد مـحافظاً مثل وجـيه أباظة فى هذه الأثناء لأن خروشوف سوف يزور أسـوان بمناسبة السد العالى ومعنى ذلك أن قـرار النقل لأسوان كان تقديراً لوجيـه. لكن هذا الكلام لم يقنعنا وذهبنا إلى السادات بعد أن استدعـانى أنا ووجيه فى بيته، إذ كان مريضاً فجلسنا معه فى غرفة نومه.

قال وجيه: إنه تم نقلى فى أعقاب الانتخابات... ما الذى فعلته فى هذه الانتخابات؟. ولم يحدث أننى ضغطت على الناس لانتخاب أحد.. فقال له السادات: هذه غلطتك لأنك

دخلت بقدم واحدة ووضعت الأخرى فى الخــارج، فلو كنت قد دخلت بالقدمين والجمحت ابراهيم لما كان حدث لك شيء. لكنك لم تفعلها ونحن نعرف إنك تستطيع فعلها.

فقلــت له: . . . إننى لست متــأزماً مما حــدث والذى لجح عليّ يشرف دمنهــور كنائب. وأعتقد أن هذا كان اجتهاداً من السادات ولم يكن هو السبب الحقيقى لنقله من دمنهور.

ثانياً: فى اجتماع الهيئة البرلمانــية أثير هذا الموضوع أمام الرئيس. قال أحد الأعضاء: إن هناك أمناء سقطوا فى الانتخابات فى المحافظات.

وجمال رد قائلاً: هناك البعض يريد الأمــين أن يكون عضواً فى مجلس الأمة وأنا أريده فى مــحــافظتــه، ولا أريده هنا فى القــاهرة يمكث ثلاثة أيام كل أســبــوع، أنا عــايز الأمين والمحافظ راكــزين فى محافظتهــم. وظل هذا رأيه حتى انتخابــات ١٩٦٩ فأعلنه فى اللجنة المركزية بعد هذا التصريح.

وقالوا لى بعد هذا التصريح: لقد أصبحت أمينا بقرار جمهورى.

■ هل عمل وجيه أباظة فى بناء التنظيم السياسى فى محافظة البحيرة؟

ـ نعم وكان التعاون فى العمل وفى إعــلاء دور التنظيم السياسى لأنه كان رجلاً يحب أن ينسب إلى التنظيم الشــعبى مــا يفعله هــو، وكان يلتــزم بكل آراء التنظيم حتى لو خــالفت صمــيم ماهو مــقتنع به. ولا أنسى أان الــتنظيم مره انتــقد تصرفــات سكرتيره الخــاص فلم يغضب ونزل على رأينا.

■ ذات ليلة كلمت وجيه اباظة وكان محافظاً فى الغــربية ـ أى بعد نقله من البحيرة ـ هل تذكر هذه الواقعة؟ ثم ذهبت إليه فى الليل لأمر يخص مــحمود أبو وافية وأنور السادات .. هل تذكرها؟

– نعم أتذكرها جــيداً كانت بخــصوص حديث نقله لى مــحمود أبو وافــية وهو أن أنور السادات قلق على مــستقبله ويقــول: إذا حدث شيء لجمال عــبدالناصر فعلى صــبرى لديه التنظيم الطليعى، وحسين الشافعى لديه من يسانده فى الجيش وسوف أخرج (بخفى حنين) فأنا نقلت هذا الحديث لوجيه أباظة وكان لنا عليه تعليق وقد أثبتت الأيام صحة تأويلنا.

■ هل استمرت علاقتك بوجيه بعد نقله من البحيرة؟ وماذا كان شكل هذه العلاقة؟

- كانت الصلة موجودة كـصداقة وعندما نقل إلى الغربية أحس بفـارق شديد واختلاف عن التنظيم السياسى فى البحيرة سواء فى التنظيم الطليعى أو فى التنظيم المعلن.

وكان وجيه يعيش بروحه فى البحيرة، وأحسسنا نحن بفراغ كبير. وكنا باستمرار نزوره، وكثـرت هذه الزيارات لأننا كنا نستعـمل الطريق الزراعى فلم يكن قـد تم توسعـة الطريق الصحراوى - فكنا فى كـل زياراتنا للقـاهرة نمر عليه ونقيم عنده بعض الوقت وكنا فى كل المناسبات متواجدين معه..

■ هل نستطيع أن نعتبر أن وجيه أباظة هو منشىء دمنهور الحديثة؟

- نعم بالطبع.

■ كان هناك نوع من الخلاف مع وجيه على إنشاء فرق فنون شعبية؟

- مثل أى وقت وزمن.. كان هناك حـزب أعداء النجاح وكان حـزباً هزيلاً ولكن الحقد كان يحركـهم، وكان هذا الحزب تقريبا علـى صلة بشخصية كـبيرة لأنه، قبل تعيـين وجيه اباظة محافـظا للبحيرة كان يـأمل أن يكون محافظا. واعتـقد أن جمال عبـدالناصر لم يكن ينوى أن يعينه محافظـاً، للبحيرة لأنه من أبنائها. هذا الحزب كان مـوجوداً وكان يحاول أن يحطم كل المزايا لدرجـة أننى أتذكر أن الدكتـور سليمان الطمـاوى وكان محـاضراً فى أول دورة تدريبية للمحافظين قال لى: أنا أحب وجيه اباظة منذ الدورة التدريبية لكن كنت أسمع كلاماً أن مشروعـاته كلها مظهرية. وأنها بعد عدة شهـور سوف تنهار ولكن ذلك لم يحدث كنت أعرف أن السـرعة - بحكم الظروف - ليس مـعناها الإهمال. كان يشـجع المقاول بكل الطرق وكان يمده بالخامات وبكل ما يلزمه وكـان ذلك حتى ينتهى من عمله بأقصى سرعة. ولم يكن ذلك على حساب العمل السليم فهذه المنشآت قائمة منذ ٣٥ عاماً ولم تنهار.

■ هناك ثلاث تجارب أريد أن أسألك عنها وهى:

١- تجربة محو الأمية

٢- تجربة بناء قرية الابعادية

٣- تجربة الاستيلاء على الحديد

ـ من ناحية محو الأمية كان وجيه مهتماً بنظام الكتاتيب ومقتنعاً به تماماً وكان يتمنى أن يعمم فى مساجد مصر كلها. فعلا أقام هذا النظام وجعل المشرف عليه شيخ المعهد الدينى والذى أحيل إلى المعاش ولا يوجد شك أننا جميعاً تربينا على الكُتاب.

أما من ناحية الاستيلاء على الحديد فهذا موضوع دار حوله كلام كثير جداً ولكنه لم يكن يفعلها دائماً. ذات مرة حدث نقص فى حصة الحديد. كان موضوعاً هاماً وعاجلاً لأن هناك قرية أحرقت وكان ضرورياً أن يتم بناؤها فوراً وفى ذلك الوقت ترك مكتبه وأقام فى خيمة فى «الابعادية» ونقل رؤساء المصالح المعنيين فى خيم إلى جواره حتى تم بناء القرية فى عشرين يوما.

■ لم نتحدث عن مراكز التدريب؟

– مركز التدريب كان من الموضوعات التى وضعها فى أولويات إداراته لكى يضم الأطفال المشردين الذين كان يمكن أن يتحولوا إلى مجرمين ونشالين.

وكان هذا العمل عملاً نموذجياً وجميع المسئولين فى الدولة قدروا هذه التجربة، ولكن الأجانب الذين زاروا مصر قدروها وأعجبوا بها أكثر، وكل الوفود الأجنبية التى كانت تزور مديرية التحرير واستصلاح الأراضى والسد العالى. عندما كنا نستضيفها فى دمنهور ـ كانت زيارة مركز التدريب بالنسبة لهم أكثر جاذبية من باقى الزيارات وكانوا يقولون عن المركز: إنه عملية إحياء لبشر ضائعين ولقوى عاملة تائهة.

ومن هؤلاء الشباب خرجت فرقة للفنون الشعبية كانت تضارع الفرقة القومية للفنون الشعبية، وقامت بعروضها فى كثير من دول العالم الغربى والشرقى وكانت موضع إعجاب شديد.



عبد المنعم بدوى

حاكم مع الشعب دائماً

عبدالمنعم بدوى عمل مع وجيه أباظة فى شركة الإعلانات، وذهب معه لأول مرة إلى محافظة البحيرة التى ارتبط بها بعد ذلك وظل بها حتى أصبح رئيساً لمجلس مدينة دمنهور.. وكان قريباً من وجيه أباظة يرصد من خلال هذه العلاقة القريبة إنجازات فى مختلف المجالات.

ويتوقف عند وجيه أباظة الإنسان، الذى آمن بالشباب ودفعهم إلى مواقع المسئولية فى أول تجربة لقيام نظام الإدارة المحلية فى مصر.. عندما ذهب وجيه أباظة إلى دمنهور كان أول محافظ لها...

وبدأ فيها من الصفر، وفى لمسة وفاء نادرة رأى أن أبرز الأعمال التى تمت فى مديرية البحيرة سنة ١٩٣٠ قام بها مدير المديرية عبدالسلام الشاذلى، فأطلق اسمه على أول شارع جديد شقه فى مدينة دمنهور الجديدة التى أقامها وأقام معها العديد من المنشآت.

يقول عبدالمنعم بدوى:

لقد بدأت علاقتى العملية بوجيه أباظة بعد حصولى على ليسانس الحقوق عملت معه فى شركـة الإعلانات المصـرية، وفى منتصف ١٩٦٠ طلب منى الذهاب إلى دمنـهور لأنه عين محـافظاً للبحيـرة. كان قانون الإدارة المحليـة قد صدر فى مـارس ١٩٦٠ وطبق ابتداء من أكتوبر من نفس العام.

فلم أتردد أبداً فى الذهاب إلى دمنهور وكنت أول مرة أدخل فـيها هذه المدينة فى يوم ٧ أكتوبر ١٩٦٠ على وجه التحديد. انتظرته فـى ديزل الساعة الحادية عشرة والثلث ونزل من الديزل وكان ينتظره استقبال حافل رغم أنه على المستوى الشعبى غير معروف لكنه كان على المستوى السياسى والمستوى القومى «أشهر من نار على علم».

ونزلنا فى مجلس مدينة دمنهور أو ما كان يسمى بالمجلس البلدي.

وهو المكان الوحيد اللائق ليبدأ منه المحافظ الجديد عمله حتى يتم تجهيز مجلس المديرية.

استدان وجيه أباظة من البنك حـتى يستطيع شراء أثاث مناسب له، ولم يجدوا له مكاناً إلا مكان مفتش الرى مما كان سبباً فى خلاف بينه وبين وزير الرى لأخذه لهذا المكان .

الواقع أنه باشر عمله كمحافظ لفترة طويلـة وعدد العاملين فى مجلس المديرية ستة عشر عاملاً بجانب عبدالمنعم بدوى سكرتير المحافظة أو مدير المكتب.

ولقد تعلمت كـثيراً جـداً وتتملذت فى مـدرسة وجيـه أباظة، فقد خـرجت إلى المعاش كوكيل وزارة بعد أن كنت رئيساً لمدينة دمنهور.

كان وجـيه أباظة يكره الروتين وأذكر أنه قـال لى: اكتب خطاباً خاصـاً للسيد مـدير عام الإسكان وكان بينى وبينه شارع، فمكان الإسكان مواجه لمجلس المديرية.

وعندمـا علم أننى أرسـلت الخطاب بالبـريد عـاتبنى، كـيف أرسله بالـبريـد وبيننا وبين الإسكان بضع خطوات.

لقـد دخل وجـيه أباظـة قلوب أهل دمنهـور، وهم على وجـه التـحديد يعـرفـون أين مصلحتهم، ويستغلون وقتهم على خير وجه، ومن يتعامل معهم يجد صعوبة، ولكنه دخل قلوب أهل دمنهور بصفة خاصة وأهل البحيرة بصفة عامة

فتح باب مكتبه يوم الإثنين من كل أسبوع لمقابلة الجـماهير والحوار معهم فكان يخصص حجرة بها اخصائيون اجتمـاعيون ورؤساء المصالح، وكان واحد واحد يدخل بدون وساطة

أو ورقة وأذكر أنه أُكتشـفت فى التربية والتعليم حالة تزوير، حيث قام فـلاح بتزوير إمضاء وجيه أباظة محـافظ البحيـرة. . . فلاح عادى لا يقرأ ولا يكتـب من مركز كوم حـمادة هو الذى قام بتزوير توقيع وجيه أباظة.

■ما سبب التزوير؟

- رغبته فى إدخال ابنه المدرسة كحـالة استثنائية أقل من ثلاث شهور عن السن المحددة، وعندما علم وجيه أباظة طلب الرجل. فوجىء به وكـان رجلاً متهالكاً جداً من أبناء الريف وعندما دخل وهم بالجلوس على الأرض ثار وجيه وقال له: اجلس على الكرسى.

وسأله: لماذا زورت أمضائى؟

فرد عليه قائلاً: سـيادتك أعطيت اسْتثناء للطبقة العليـا وأنا رجل فلاح ليس فى وسعى الوصول إليك، فأرشدنى رجل إلى إنه يستطيع تقليد أمـضاء سيادتك بالضبط لاستثناء ابنى فى المدرسة.

كان رد فعل وجيه أنه أخذ الورقة منه وكتب عليها يعتمد التوقيع ووقع عليها ووضع يده فى جيبه وأخرج عشرين جنيهاً وأعطاها للرجل.

وقال له: عندما تريد أى شىء تأتى إلى هنا فى مكتبى. فمكتبى مفتوح فى أى وقت.

وكان الجميع يتصورون أن الرجل سيخرج من مكتبه على النيابة العامة بتهمة الزوير.

وهذا يعطى فكرة عن شخصية وجيه أباظة ومدى شعبيته ومدى حبه للناس.

عندما عـين هو فى وضع حارس على الأمـوال الخاضعـة للحراسـة بالمحافظة حـضرت مكالمة تليفونـية بينه وبين السيد عبـدالمحسن أبو النور، فهمت من كـلام وجيه أباظة أنه يرد على مسائل أخرى معناها: أنت من عائلة كبيرة وتتعاطف مع هؤلاء الناس؟.

فقال له: أنا أحافظ على سمعة الثورة ... وأحـافظ على سمعة جمال عبدالناصر. . . ولن أنتظر الناس حتى تقول إننا نسلك طريقاً غير مشروع.

■ما هى القصة..؟

- كان وجيه يراعى ظروف الأسرة. . . وكان يبـعث فى كل المواسم الزراعية على سبيل المثال الأرز للعائلة التى تحت الحراسة وكان يتحمل المسئولية كحارس خاص.

فكان يعارضه عبدالمحسن أبو النور على أساس أن هذا تصرف خاطىء وظل وجيه أباظة متمسكاً فى هذا حتى رفعت الحراسة عن هذه العائلة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت هناك شيكات شخصية أحملها لناس حتى ماتوا ولا يعرف أحد من جيرانهم أن وجيه أباظة كان يرسل لهم شيكات شهرية من صندوق الخدمات لظروف مروا بها فى زمن الحراسات، لأن المبالغ التى خصصت لهم فى الحراسة لم تكن تكفيهم.

أتذكر فى يوم من الأيام أنه وقف ضد أحد مديرى مكتب رئيس الجمهورية وقتذاك - جمال عبدالناصر - وهو من أسرة عريقة فى البحيرة فكنت أتباسط معه كابن من أبنائه. فأقول كان دائماً يقول لى أنت ابنى الكبير فيقول له يا فندم لا داعى أن نناطح هذا العالم.

أتذكر حينما نقل إلى أسوان يومها صمم جميع أعضاء مجلس الشعب على عمل مسيرة وكنا كأجهزة تنفيذية بعيدين تماما عن هذه الحركة. لأننا كنا نخاف عليه من أن يصيبه شىء.

وخرجت البحيرة كلها عن بكرة فيما أبيها لا يقل عن خمسين أو ستين أتوبيساً، وتجمهر عشرات الألاف فى مصر الجديدة أمام رئاسة الجمهورية. وأحد أعضاء مجلس الشعب وهو عبدالمولى عطية كان فى اجتماع مع الرئيس فى مجلس الأمة، وكلمه وعاد وجيه محافظاً للبحيرة.

ويوم نقله اكتشفنا شيئاً غريباً . . . لقد كتب فى ورقة:

إلى من يهمه الأمر إذا حدثت هناك تجاوزات من السادة المعاونين أو رؤساء المصانع والمصالح كل فى موقعه فقد تصرفوا بناء على أمر شفهى منى شخصياً. إمضاء وجيه أباظة.

وكان ذلك دليلاً على أن وجيه رجل قوى.

شىء آخر: أتذكر فى سنة ١٩٦٢ واقعة المهندس/ سيد مرعى. وأنت تعلم أن هناك نسباً بين الأباظية وبين جماعة نصير أو مرعى. يومها وجيه كون غرفة عمليات واعتمد فيها على الجهاز الشعبى الجهاز التنفيذى، كان يقول: إن الحالة مطمئنة، والجهاز الشعبى يقول الحالة سيئة للغاية.

وفعلاً كان محصول القطن سيئاً للغاية.

هذا الأمر يؤكد أن وجيه كان لا يرعى إلا الله ومصلحة الشعب.

الواقعة الثانية: حدث كلام كثير جداً عن «شون» بنك التسليف والانحرافات الموجودة به وكان بمحافظة البحيرة ما يزيد على عشرين شونة فشكل لجاناً من الشباب فى أول السلم الإدارى، وكنت منهم، وكانوا مجموعة من المفتشين يدخلون بأمر مفاجىء شونات بنك

التسليف، كان أيامها موضوع «الكُسب»، يعتبر ثروة الفلاح. وبنك التسليف هو المسئول عن توزيعه على الجمعيات التعاونية

وكان الشباب يقومون بجرد شامل مفاجىء بجميع الشون.

النتيجة أنه دخل ١٥ فرداً السجن وقتها... وكان ذلك نتيجة ثقته فى شباب مصر.

أعطانا قرارات على بياض وقع عليها وجيه أباظة، قرارات للتحفيز وللمكافآت

ولوجئنا إلى مجال آخر وهو مجال البناء والتشييد.

رفض أحد المسئولين أن يحضر مع وجيه أباظة ليضع حجر الأساس باعتبار أن هذا مكان نائى وأن وجيه يعذب الناس فى اختيار مبنى المحافظة الجديد..

وضع هو حجر الأساس وأطلق على الشارع اسم عبدالسلام باشا الشاذلى الذى لم يره وجيه أباظة ولكنه كان يعرف أنه كان مديراً لمديرية البحيرة ١٩٣٠ ووجيه جاء بعده بثلاثين عاماً. فوجد أن كل المرافق قد تمت أيام عبدالسلام الشاذلى فقال إنه من الواجب أن نخلد ذكرى هذا الرجل، ورأيته وهو يركب «بلدوزر» وهو الطيار وقائد الجناح ويشق الطريق الجديد للمحافظة.

■**المختصون فى إدارات الشباب والرياضة يقولون إننا نعتبر أستاد دمنهور من الطبقة الأولى كأى أستاد على مستوى الجمهورية. كيف أنشأه؟**

- كان لدينا ناد اجتماعى مخصص لكبار الموظفين فقط.

استقطع من هذا النادى ١٠٠٠ متر، بيعت هذه الألف متر بسعر المتر الواحد ٢٥ جنيهاً وأخذ الحصيلة من البيع وبنى بها النادى الاجتماعى الذى يقدر بعشرة أو خمسة عشر مليون جنيه الآن.. حتى هذه اللحظة.

وكان الناس متخوفين من النادى الجديد على سمعة النادى القديم، فحوله إلى سهرات قرآنية فى رمضان ودخل الشعب ورأوا ماذا يجرى داخل النادى الجديد.

أصبح الآن النادى محاطاً بمساكن فأصبح طريق عبدالسلام الشاذلى هو عبارة عن دمنهور جديدة.

منطقة اوتوريير التى كانت تخضع فى وقت من الأوقات للملكية أحد الأجانب اشتراها بملاليم، باع المتر بأربعة جنيهات، وهى أرض المشتل وكان أول من يبنى يطلق على الشارع اسمه، حتى يشجع الناس أن تبنى، وصل الآن سعر المتر إلى ١٥٠٠ جنيه.

وجاء على صبرى، وكان رئيس المجلس التنفيذى، وافتتح هذا الصرح الكبير وهو قرية الابعادية.

لم يقتصر هذا على البناء التقليدى للفلاحين ولكنه أقام دواراً لكل عائلة.

أقام دواراً كبيراً، وبناه بنظام المصاطب وعليها شلت.

الشىء الثانى فى مجال التعليم. كانت لأنور المفتى عزبة على الطريق السريع وهى إحدى العزب التابعة لقرية «سحالى» فدعا الدكتور المفتى لعمل مسح صحى شامل لهذه القرية وجاءتها القوافل الطبية وتحولت إلى قرية نموذجية، وأقام فيها مراكز تدريب للفلاحين للتدريب على عمل الكليم والسجاد، فأصبحت قرية نموذجية وأسماها قرية «أنور المفتى» بدلا من «سحالى». وكلها بالجهود الذاتية.

عندما صدر القرار التنفيذى من السيد/ كمال الدين حسين بتعيين أول مجلس محافظة كان يضم ثلاثة أنواع:

- أعضاء منتخبين من الاتحاد القومى.
- أعضاء معينين بحكم وظائفهم.
- أعضاء مختارين كفاءات تسد الفجوة التى حدثت فى الانتخابات.

فعين وجيه أباظة، أحمد محمد الوكيل فـفوجىء بشطب اسمه فسافر ولم يمر على تعيينه أكثر من ثلاثة شهور وقدم استقالته.

كان هناك اعتراض عليه لأنه وفدى ولأنه صاحب مضارب أرز أممت.

كان وجيه يتزاور معه فى سهراته الرمضانية، يدخل عنده يشرب فنجان قهوة ويخرج بعشرة أو عشرين ألفاً من الجنيهات وقيمتها كبيرة فى ذلك الوقت.

فقال لهم: لو لم يأت أحمد الوكيل كعضو مجلس المحافظة فسوف أقدم استقالتى كمحافظ.

كان صاحب مبادىء وقيم، وإذا تبنى قضية يدافع عنها أحسن دفاع.

وكان حريصاً على مشاركة الناس، لا يمر عزاء إلا ويذهب له ولا يتزوج موظف إلا ويشاركه فرحته بباقة ورد.

رأيته مرة فى حوش عيسى جالساً على قش الأرز يعزى فى شخص، حيث تصادف مروره فوجد مأتما.

وجاء على صبرى، وكان رئيس المجلس التنفيذى، وافتتح هذا الصرح الكبير وهو قرية الابعادية.

لم يقتصر هذا على البناء التقليدى للفلاحين ولكنه أقام دواراً لكل عائلة.

أقام دواراً كبيراً، وبناه بنظام المصاطب وعليها شلت.

الشىء الثانى فى مجال التعليم. كانت لأنور المفتى عزبة على الطريق السريع وهى إحدى العزب التابعة لقرية «سحالى» فدعا الدكتور المفتى لعمل مسح صحى شامل لهذه القرية وجاءتها القوافل الطبية وتحولت إلى قرية نموذجية، وأقام فيها مراكز تدريب للفلاحين للتدريب على عمل الكليم والسجاد، فأصبحت قرية نموذجية وأسماها قرية «أنور المفتى» بدلاً من «سحالى». وكلها بالجهود الذاتية.

عندما صدر القرار التنفيذى من السيد/ كمال الدين حسين بتعيين أول مجلس محافظة كان يضم ثلاثة أنواع:

- أعضاء منتخبين من الاتحاد القومى.
- أعضاء معينين بحكم وظائفهم.
- أعضاء مختارين كفاءات تسد الفجوة التى حدثت فى الانتخابات.

فعين وجيه أباظة، أحمد محمد الوكيل فوجىء بشطب اسمه فسافر ولم يمر على تعيينه أكثر من ثلاثة شهور وقدم استقالته.

كان هناك اعتراض عليه لأنه وفدى ولأنه صاحب مضارب أرز أممت.

كان وجيه يتزاور معه فى سهراته الرمضانية، يدخل عنده يشرب فنجان قهوة ويخرج بعشرة أو عشرين ألفاً من الجنيهات وقيمتها كبيرة فى ذلك الوقت.

فقال لهم: لو لم يأت أحمد الوكيل كعضو مجلس المحافظة فسوف أقدم استقالتى كمحافظ.

كان صاحب مبادىء وقيم، وإذا تبنى قضية يدافع عنها أحسن دفاع.

وكان حريصاً على مشاركة الناس، لا يمر عزاء إلا ويذهب له ولا يتزوج موظف إلا ويشاركه فرحته بباقة ورد.

رأيته مرة فى حوش عيسى جالساً على قش الأرز يعزى فى شخص، حيث تصادف مروره فوجد مأتماً.

هذا هو وجيه أباظة.

قـال لى : إنه عاش حـتى اليوم الذى وجـد فيـه أحد أبنائـه يعين رئيس مدينة دمنهـور وأوصانى بمراكز الخدمة وهى قصة قديمة ، فقد اكتشف فيها القيادات الشعبية .

وأقام وشيـد جمعيات ومراكـز خدمات بالجهود الذاتية، كـما أقام مراكز تنميـة المجتمع ووحدات صحية وكان من بينها: مركز خـدمة أبو الريش أحد المراكز التى قام بزيارتها جمال عبدالناصر عندما وطئت قدماه أرض دمنهور.

وقد انتخب المهندس سعد الخولقـة رئيساً لمجلس إدارة هذا المشروع. وكانت هناك ثلاثة مراكز على هذا النمط وهى مراكز:

صلاح الدين ـ أبو الريش ـ شبرا.

هذه المراكز التى أفرخت قيادات العمل المحلى والشعبى والسياسى والتنفيذى.

وكانت تقام الندوات وفيها تظهر كفاءات نادرة المثال يتبناها وجيه أباظة.

وعندما كان يريد تنفيذ شىء يستـدعى هذه الكفاءات ويعرض عليهم الأمر ويأخذ رأيهم ويتبادلون الحوار والنقاش، وعند الوصول لفكرة ما يقول لهم: ادرسوها وسوف اتبناها.

كان فى ذهنه تقوية الجناح الشعبى ليعمل مع الجهاز التنفيذي.

وكان سر وجيه أباظة أنه تعاون مع الجميع... والجميع تعاونوا معه وضمت هذه المراكز كل القيادات فى ذلك الوقت.

فى عام ١٩٦٦ طرأت على ذهن وجيه أباظة فكرة جديدة وجريئة:

أن يختـار عشرين شاباً ليـعينهم رؤساء مدن ومـديرين لفروع البنوك فى البحيـرة حسب مؤهلاتهم ... وقتها اتهم وجيه أباظة بأنه خيالى.

كيف يأتى بشاب جديد ، ويدفعه إلى موقع المسئولية والرئاسة ؟!.

هذا يدل على تطور ذهن وشخصية وجيه أباظة.

■وما الذى وصل إليه مركز التدريب؟

ـ مركـز التدريب يحزنـنى أن أتكلم عنه؛ فقد كـان هدفه أن يأوى المتـسولين والذين لم تتسع لهم فرصة التعليم.

أنشىء سنة ١٩٦٠ وجـمع ما يقـرب من ٣٠٠٠ من الأولاد حتى أصـبحت مـشكلتنا

كيف نستوعب هذه الأعداد فقد كان وجيه يميل إلى الطبقة الفقيرة والبسيطة.

وكان المركز أرض فضاء تحتلها فرق الأمن، وأقام الأقسام التى سيتم فتحها فى مركز التدريب وهى: الحلاقة ـ الحدادة ـ الجلود ـ ميكانيكا ـ الطباعة ـ النجارة وغيرها.

وأحضر المدرسين للورش وكان يلتقى مع الناس بمراكز التدريب، وصمم استمارة خاصة وأقنع الناس أن يتقدموا بطلبات.

وكان الولد يدخل فى اختبار شخصي وتحدد على أساسه ميوله أو اتجاهاته. وتوسع فى المركز حتى أقام مخبزاً بالداخل وعين له مدير ومديراً مساعداً، وكان يعطى الولد ثلاثة قروش كل يوم.

فى السنة الثانية لم نستطع أبداً قبول جميع الطلبات المقدمة لكثرة العدد وبعد ذلك اتصل بالشركات والمصانع الكبرى بالمحافظة لمعرفة احتياجاتها من العمالة المدربة حتى يوفرها لهم كل عام، فكان الولد يتخرج من المركز ليجد وظيفة فى انتظاره.

ونجح المركز وانشأ من هؤلاء الأولاد فرقة فنون شعبية كانت الأولى وسافرت إلى الدول العربية والأوربية .

وبعد وجيه أباظة اختلفت الاهتمامات وأهمل مركز التدريب، حتى أن الأرض التى أقيم عليها تآكلت وكل يوم يأخذون من أرض المركز لينشئوا مساكنك. وأصبح مركز التدريب مجرد ثلاثة أو أربعة أقسام، منها الطباعة بطريقة جمع الحروف.

وقسم المكرونة يكاد يكون قد أغلق

وقسم الجلود لم يعد فيه غير اثنين أو ثلاثة أشخاص، حتى المدربين تركوه

■ **كيف تعرفت على وجيه أباظة منذ البداية؟**

ـ سنة ١٩٥٧ كنت فى ليسانس الحقوق، وتوفيت أمى، وجاء يعزينى وكنت أصغر إخوتى فى القرية الجديدة التابعة لمركز مينا القمح، قال: أنت تعرفنى يا عبدالمنعم؟

أجبته أنا أعرفه لأننى كنت مسئولاً عن النادى الريفى وهو مر علـى وهو قائد جناح وكان فى شركة النيل للإعلان والنيل للسينما فى أواخر الخمسينات.

وفى سيره لاحظ وجود لافتة على المحطة فى بيت خالى عن النادى الريفى الجديد، فدخل ووجدنى أعطى دروساً لأطفال سيدخلون المدارس الإبتدائية بالمجان.

ووجد شاباً يلعب تنس الطاولة فنزل يلعب معه وأعطانى خمسة وعشرين جنيهاً من جيبه

تبرعا للنادى. وأنا أعرف إمكانيات وجيه المادية. وكانت عائلته مشهورة بالكرم والجود... وأنهم من نوعية غير عادية فقال لى: عندما تتخرج تعال إلي فوراً.

وعندما تخرجت عرف بشكل ما ولحقنى بالعمل معه فى شركة الإعلانات وعندما صدر قانون الإدارة المحلية أخذنى معه، كما قلت، وعيننى على درجة سادسة، وكانت هذه خطوة خير بالنسبة لى

وطلبنى ذات يوم فى المنزل وقال لى: أنت لا تصلح أن تكون سكرتيراً. مؤهلاتك وقدراتك لا تصلح فى هذا المنصب أنت تحتاج موقعاً قيادياً تستطيع أن تبرز فيه إمكانياتك فعيننى مدير إدارة المجالس المحلية والانتعاش الاقتصادى.

وكان دائماً يطلب مني أن اعمل بمجهودى الذاتى، ومع ذلك أقول إن وجيه أباظة هو السبب فيما أنا فيه.

عندما أخبرنى أنه ذاهب إلى دمنهور قبلت على الفور وخلال شهور أحضر المرحوم أحمد حمزة وعينه سكرتيره الخاص.

وكنت أنا مدير مكتبه لشئون الاتصال فأنا مسئول أمامه عن العمل السياسى والشعبى... وهذا جعلنى قريباً منه مع أنى لم أعمل فى مكتبه مباشرة إلا شهور قليلة.

وأذكر أنه عندما توفى جمال عبدالناصر ورشح أنور السادات من قيادة التنظيم بعثت لقياس الرأى العام حول ترشيح أنور السادات رئيساً للجمهورية.

■ **كانت البحيرة رافضة ترشيح أنور السادات رئيساً خلفاً لجمال عبدالناصر؟**

نعم كانت رافضة وكنت أمين التنظيم وكان معنا المستشار محمد عبدالعزيز رئيس هيئة قضايا الدولة وإبراهيم آدم. كنا نحن ثلاثة فى لجنة المحافظة ومعنا عشرون عضواً ويرأسها وجيه أباظة.

واستعرضنا المحاضر وكنت المسئول عن التنظيم، وإبراهيم آدم مسئول العمل السياسى وكان معنا سعد الخولقة على المستوى القيادى للمحافظة ووجدنا رفضاً تاماً، وقال وجيه أباظة رحمه الله يا إخوانى أنتم مدركون أنى أنا المفهوم لدى القيادة العليا، وعند أنور السادات المسئول عن ذلك.

ولكن اللجنة أصدرت قرارها. وكتبت المحاضر كما هى برفض ترشيح أنور السادات وهذا سبب أزمة لوجيه أباظة.

وكان وجيه ديمقراطياً حتى فى التنظيم الطليعى وسأقص عن ذلك واقعة.

اختلفت اللجنة القيادية للتنظيم الطليعى على اختيار من يمثل الفلاحين فى الاتحاد الاشتراكى.

فلجأنا إلى على صبرى وشعراوى جمعة وعقد الاجتماع فى مقر مجلس الثورة وكان الاختلاف بين حسن معاذ وجابر الأنصارى.

وكان صوتنا ضد وجيه... فى تلك الجلسة كان منفعلاً حتى كانت إصبعه تكاد تدخل فى عينه وهو يطالب باختيار أمينا للفلاحين عند التصويت.

وانتصر الجهاز الشعبى على قمة الجهاز السياسى والتنفيذى.

إن لوجيه أباظة ـ رحمه الله ـ دين فى عنقى حتى ألقاه عند الله سبحانه وتعالى.





د. سعد الخوالقة

شعاره: التنظيم الشعبي أولا

الدكتور سعد الخوالقة

عضو مجلس الشعب ونائب رئيس جامعة الإسكندرية، بدأ حياته العملية بين الجماهير بفضل وجيه أباظة الذى آمن بالشباب وأعطاه كل ثقته حتى كان كل منهم كما لو كانت له صلاحيات المحافظ، يستطيع أن يصدر القرار أو أن ينفذ أحد المشروعات.

وكان الدكتور الخوالقة قد عاد إلى الوطن بعد بعثة دراسية إلى الاتحاد السوفيتى لمدة خمس سنوات حصل خلالها على درجة الدكتوراه، فكان سياسيا متميزا بين الطلاب العرب بموسكو، لفت نظر الدكتور مراد غالب سفير مصر، ومع عودته بعث الدكتور مراد غالب إلى محافظ وجيه أباظة ينصح فيه برعايته باعتباره عنصرا سياسيا نشيطا... إنه فى أول لقاء بين وجيه أباظة والدكتور سعد الخوالقة، عهد إليه بأول مشروع لتنمية حى كامل بالمناطق الهامشية على أطراف مدينة دمنهور.. كان محروما من جميع الخدمات مما كان يعتبر تحديا لقدرات أى مسئول لذا كان أول سؤال يوجهه وجيه أباظة إلى الدكتور الخوالقة (لماذا لا تهتم بالحى الذى تقيم فيه؟)

وكانت هذه هى بداية العمل السياسى للدكتور التى أوصلته بعد ذلك إلى مواقع سياسية مختلفة، من خلال عمل دؤوب. يرويه من البداية قائلاً:

«كنت أدرس الدكتوراه فى موسكو لمدة خمس سنوات، وكان لى نشاط فى اتحاد المبعوثين العرب بالتنسيق مع السفير، وكان رجلاً مستنيراً عظيماً وهو الدكتور مراد غالب.

وقد أرسل هذا المعنى فى رسالة بعث بها إلى وجيه أباظة محافظ البحيرة. وذات يوم بعد أن عدت، كنت فى صالون الحلاقة فى نهاية النهار جاءت إشارة: الدكتور/ سعد بالتنبيه عليه باستلام مستشفى البلهارسيا والانكلستوما والتى كانت قد تحولت إلى مخازن.

ذهبت إليه وسألته عن المستشفى، وأنا لست طبيباً. فقال لى: افعل كما شئت. وبدأ التنفيذ بأن تعاونت مع طلبة الجامعة وأبناء الحى، وكتب لى يصرف ١٠٠٠ جنيه، وكانت تمثل بالنسبة لى رقماً كبيراً. فكنت وقتها مازلت خريجاً وراتبى ٤٥ جنيهاً. ذهبت إلى رعاية الشباب. فقالوا: كيف يتم صرف هذا المبلغ كله. وقابلته فقال لى: هل أخذت المبلغ؟ فقلت له: لا.

فقال لى: فلتأت معى!

وذهبت معه فكتب لى شيكاً آخر بألف جنيه من صندوق الخدمات. هذه المرة أخذت شيكاً بالمبلغ. وكنت أتعامل مع هذا المبلغ بوعى شديد. وبدأنا نشيّد المنطقة بجهودنا، وقد تعجب الأهالى والطلبة أن أستاذاً فى الجامعة يعمل معهم بيديه ورويداً رويداً بدأ الأهالى يخرجون ويعملون معنا.

باختصار شديد تم تحويل المستشفى إلى مركز خدمات عامة، به عيادة تحوى كل التخصصات والخدمات. . . فأصبح لهم مخبز، وبه مكتب بريد ومركز توزيع سلع مستوردة، مدرسة إعدادية، و١٥ محلاً تجارياً، ووحدة اجتماعية لخدمات الحي.

بدأ المركز نموذجيا حتى أن السيد رئيس الجمهورية زاره بنفسه، كما زاره كل المسئولين ابتداءً من المشير وحتى أصغر مسئول.

لقد كان وجيه أباظة حريصاً أن يزور الرئيس هذا المشروع الفريد أى مسئول يحضر للمحافظة.

وفى ذات مرة كنت عائداً من الجامعة بالسيارة. فقالوا لى عند وصولى إن السيد المحافظ كان هنا ويقول لك، أنشىء مسجداً هنا. فقلت لهم أنا موافق. . . ولكن لماذا المسجد؟

عاتبنى قائلاً: لقد قلت لك ابن المسجد فلماذا لم تفعل؟

فقلت له: يا سيادة المحافظ على بُعد ١٠٠ متر مسجد أبو الريش وهو أكبر مسجد فى دمنهور ونحن نرغب فى إنشاء خدمات إضافية للأهالى.

فرد قائلاً: أنا أريد حمايتك. فقد كان هناك وفد يزور المركز يضم اللواء المصيلحي.. من مكافحة الشيوعية وكان تعليقه: حتى الكراسى فى المستشفى كلها حمراء.

وكان هناك إعلان عن صيدلية جديدة بالمركز اسمها أجزاخانة «السلام»، وهى ملك للدكتور كمال مسعد.

فكانت الكراسى الحمراء والاجزاخانة اسمها «السلام».

فقال أحمد مصيلحى: أنا أرى اللون الأحمر هو الغالب على العمل هنا.

فقال له وجيه: الخوالقة ليس شيوعياً.

وأمرنى وجيه ببناء المسجد لحمايتى... وتم فعلا بناء المسجد.

كانت هناك مواقف كثيرة ومتعددة من وجيه أباظة.

كان الحى محروماً من كل الخدمات وبالجهود الذاتية استطعنا أن نعيد إليه كل الخدمات...

وأنا ابن هذا الحى أعمل فى جامعة الاسكندرية، وأسكن فى دمنهور فى هذا الحى تم تعيينى سنة ١٩٦٦ فى هيئة المكاتب التنفيذية أميناً لمكتب تنفيذى دمنهور فى دور قيادى حتى أصبحت مسئولا عن دمنهور فى التنظيم الطليعي.

وبعد فترة تعرفت بكل الناس وأصبحت قيادة فعلاً.

وأذكر أن وجيه - رحمه الله - أرسل لى كشفا يضم المرحوم أحمد حمزة والمرحوم مدحت أباظة ابن عمه - ومدير المستشفى - ومدير مركز التدريب المهنى - غريب عمارة وأحمد عسر.

وكان المطلوب هو ضم هؤلاء للتنظيم الطليعى، لكننا اعترضنا ورفضنا ضمهم.

وقال لى: هل تعرف سكرتيرى أكثر منى. قلت له: لا... فهو سكرتير عظيم وأنا أحبه ولكن لا أوافق على ضمه للتنظيم الطليعى، وفعلاً لم يضم..

وعندما ذهب إلى الغربية ضموا أحمد حمزة. وفوجئت به يتصل بى ويقول: يا سعد لقد أخذوا أحمد حمزة فى التنظيم الطليعى فى طنطا..

كم كان وجيه أباظة يحترم الديمقراطية.

كنا نختلف معه فى بعض الأحيان لكننى كنت أدخل عنده حتى حجرة نومه هل هناك محافظ يستطيع أحد أن يدخل حجرة نومه؟.

وكان يتصل بى تليفونياً ويقول ماذا تفعل؟ فأقول له: تحت أمرك:

فكان يقول لى: اذهب وأحضر لنا طعمية وجبنة وبطيخ.

كان يستشيرنى فيقول لى: ما رأيك فى الموضوع الفلانى لو عملنا فيه كذا وكذا...

أيام دمنهور لم يكن مرتبه يكفيه فكان يرسل سكرتيره أحمد حمزة إلى شقيقه الأكبر ممدوح أباظة يطلب دعما ماديا بصفة شهرية.

بيان ٣٠ مارس قال: إن الاتحاد الاشتراكى سيعاد تشكيله من القاعدة للقمة.. ولم يكن تم نقله إلى طنطا بعد.

كان قد أقيم مؤتمر شعبى، فطلب منى أن أقف وأطلب منه طلبات وأعارضه معارضة شديدة وقال لى: تقف مرة ثانية وتعارض وتصر على طلباتك وتهاجمنى وأنا استجيب لك.

كان ذلك لكى يقنع الناس كيف يناقشون المحافظ ويعارضونه، وبعد ذلك يغير قرارته..

■هل استمرت علاقتك به بعدما ترك البحيرة؟

- طبعاً عندما نقل إلى الغربية كان يتصل بى ويقول أريدك. فكنت أذهب إليه فوراً.

ذهبنا نسجل للتليفزيون برنامج «شريط تسجيل» حضره.. عبد الحليم حافظ، وفى إحدى المرات الشيخ النقشبندى والدكتور سعد الخوالقة كضيوف له.

هذا البرنامج كانت تقدمه سلوى حجازى لكن هذه الحلقة بالذات قدمتها نجوى إبراهيم لأن سلوى حجازى كانت مريضة.

كان حديثاً ممتعاً مع الشيخ النقشبندى، ومع عبد الحليم

سنة ١٩٧١ كنت ذاهباً إليه فى الصباح فقابلنى مقدم شرطة وقال لى: لقد اعتقلوا وجيه أباظة.

وأريد أن أقول فى النهاية: إن وجيه أباظة كان شخصية فريدة لن تتكرر.. كان سياسياً متمكنا... استطاع فى كل موقع مسئولية أن ينجز فيه مشروعات لم يقدر عليها غيره.

حسن قاسم

أحببنا الثورة من خلاله

حسن قاسم واحد من المثقفين الثوريين، من ابناء دمنهور التصق بوجيه أباظة.. عمل معه.. كان بجانبه.. ومعه فى كل مكان بعد أن عينه مديراً للعلاقات العامة في المحافظة.. وحسن قاسم شاعر، وفنان، وصاحب رؤية..

لم يفقد حماسه أبداً..

فمازال نابضاً، تتدفق مع الكلمات، فى انفعال، عندما انفتح الحديث أمامه عن رجل يحبه حباً خالصاً، لأنه أحب وطنه، وأحب مدينته، وأحب المحافظة التى قدم جده إليها ذات يوم، وأصبح هو جزء منها، بل جزء نابضا يحمل همومها، وأمانيها.. ووجد فى وجيه أباظة الرجل الذى يحمل هذه الهموم، وفوقها هموم الوطن.. وبعدها هموم المثقفين الذين هم بطبيعتهم ينشدون الكمال.

قال لى حسن قاسم

اعتبر نفس دمنهور يا لحماً ودماً. هاجر جدى منذ مائتى سنة تقريبا من قرية ميت رهينة تاركا دياره وركب مركبا شراعياً يمخر به النيل إلى الشمال ومعه أسرته ومتاعه. ورست المركب عند كوبرى إقلاقة أمام مدينة دمنهور

واشترى جدى منزلا بحارة موصلى وصاهر وناسب وتزوجت البنات واستقرت به الأمور وطاب به المقام فى هذه المدينة الطيبة.

وكانت دمنهور فى ذلك الوقت قرية كبيرة تتكون من خمس شياخات هى فقره وسكنيده وفرطا وطاموس التى بها مسجد أبى الريش، وشبرا التى فصلها شريط السكة الحديدية عن المدينة. وتضم هذه الشياخات مئات الحوارى والأزقة التى تقطنها عائلات دمنهور

■ما هى الصوة التى كانت عليها دمنهور قبل وجيه أباظة؟

وجاء وجيه أباظة محافظ للبحيرة والمدينة على نفس هذا الحال ولم يزد عليها غير بعض المنشآت الحكومية التى شيدها عبد السلام الشاذلى باشا مدير مديرية البحيرة وهى: مبنى المديرية وديوان بلدية دمنهور وسينما ومكتبة البلدية ومبنى الأسعاف وكان بالمدينة شارعان رئيسيان واحد يقطعانها إلى محطة السكة الحديد والثانى يصل إلى استراحات الرى والمدارس الثانوية.

وجاء وجيه أباظة ودمنهور مدينة وفدية لحماً ودماً صحيح أن الثورة قلمت أظافر الوفد إلا أن دمنهور ظلت على عهدها. وكان يتربع على عرش الوفد فى الماضى أسرة الوكيل وتنافسها أسرة بلبع والتى تنتمى إلى الحزب السعدى

وكانت الأسرتان تسكنان حى أبو الريش (طاموس) ويضم الحى قصور الاسرتين ومحالجهما وشون هذه المحالج ثم بيوت وعشش وأكواخ الأهالى والذين يعملون فى محالج الأسرتين كعمال موسميين أثناء فترة الحليج ولم يكن يتقاضى العامل فى ذلك الوقت أكثر من ثلاثة قروش يوميا.

ويغدق الملاك على الإجراء فى المواسم والأعياد فيذبحون الذبائح ويوزعون الأقمشة والكساوى على الجميع وكانت أسرة الوكيل أكثر كرما وأكثر تفريطا وأكثر قربا من الناس.

واستقبلت دمنهور وجيه أباظة استقبالا فاترا كعادتها فهى لا تستقبل أحدا فليس لأهلها مصلحة لدى السلطة فمعظمهم تجار تستغرقهم تجارتهم ولا يشغلهم خارجها شئ. يبدأون نهارهم مبكرين ويتناولون طعام غذائهم بدكاكينهم ويوم الجمعة يوم إجازتهم لا ينزلون من بيوتهم إلا لصلاة الجمعة.

وجاء وجيه أباظة وهو يعرف أن دمنهور قد استقبلت الرئيس محمد نجيب عند زيارته لها بفتور شديد وأن المدينة مازالت على عهدها تحافظ على ودها القديم بالوفد.

■كيف استطاع وجيه أباظة أن يغير هذه الصورة؟

كان عليه أن يشق له دربا وسط مسالك وعرة ومتشابكة. واستقر به المقام بمبنى المديرية وبدأت تتردد عليه زرافات من الأعيان والأقنعة والمحترفين الذين جاءوا من الأحزاب القديمة مورا بهيئة التحرير إلى الاتحاد القومى، وجاهزون لكافة النظم وكافة التشكيلات والعهود. أعيان منذ أول الزمان ومدربون ومتمرسون على المناورة والوصول.

ولم يكن هؤلاء هم الذين يبتغيهم وجيه أباظة. وبدأ ينزل بنفسه لتجمعات المواطنين والأسواق للتعرف على المواطنين العاديين البسطاء الذين لم يتعودوا أن يتعرف عليهم أو يهتم بهم أحد. ولم تمض عدة شهور إلا وكانت حصيلته من الناس كبيرة جدا. فهو طيب بطبيعته يحب الناس حبا جما ويجد نفسه بينهم وفى عيونهم ولا يتكلف فى علاقته بالمواطنين العاديين وكان كالبكر شديد المراس متين البنيان لا يكل ولا يهدأ

وارتبط به أيضا من لا يرتبطون بأحد أبدا وكان من أبرز هؤلاء أنور حماد وكان صاحب أسطول سيارات نقل مواد بترولية وكذلك الحاج عبده شعبان وهو صاحب سيارات أيضا وفتوة فى زمانه والحاج حسن عاصى وهو صاحب محلات فول عاصى وكان درويشا حصافيا وهؤلاء الثلاثة معروفون فى دمنهور إنهم لا يطيعون أحدا أبدا إلا وجيه أباظة وكان كل منهم رغم أنه صعب المراس يبذل عمره من أجل وجيه أباظة شخصيا.

فقد أضاع أنور حماد مثلا أسطول سياراته فى سبيل أرضاء وجيه أباظة وكان ذلك فى فترة ردم ترعة الخندق وكان يركب الجريدر بنفسه ويتولى عملية التسوية والردم وأهمل عمله بصورة واضحة أوصلته فى نهاية ردم الترعة إلى بيع معظم هذا الأسطول وكان يسعده كل

السعادة أن يراه وجيه أباظة وهو يعمل ويثنى عليه.

وقد حبا الله وجيه أباظة بهبة عظيمة فعندما تراه يتفتح له قلبك من أول مرة وتحس أنك تعرفه منذ زمان بعيد وأنك قريب منه. وكان يسير بين الناس يناديهم بـاسمائهم التى تعرف عليها من كثرة ترددهم عليه وتردده عليهم وهذه هبة أخرى.

وكان يتعاطف على هموم الناس تعاطفا شديدا ويواليها ويتابعها بنفسه ويجرى قلمه بشجاعة متناهية وثورية حقيقية تحل مشاكل الناس وتمسح دموعهم

وكان يذوب ألما للحالات التى قسى الدهرعليها وبدل عزها ذلا واحتياجا ويبالغ فى كتمان هذه الحالات ويسعى إليها بنفسه أو عن طريق أقرب خلصائه وكان يفزعه أن يصل إلى الصحف ما يفعله ويتعلق بظروف الناس وأحوالهم.

وقد حدث أن حضرت إلى المحافظة فتاة لا تتعدى العشرين عاما وطلبت أن تقابل المحافظ وقابلها وحكت له أنها ترى فى المنام كل ليلة من يجلدها بالسوط ويطلب منها تحج إلى بين الله الحرام وكانت الفتاة من حى أبو عبد الله وتعمل مع العوالم فى الأفراح وأمر وجيه أباظة أن يوفر لها عملاً تتعيش منه أولا لتبتعد عن حرفتها وأن تحج على نفقة صندوق الخدمات وكان فى زيارة للمحافظ فى هذا اليوم عبداللطيف فايد الصحفى بجريدة الجمهورية فنشر الخبر وأفرد له مساحة ظاهرة وبصورة مثيرة تسعد بها أى محافظ، أما وجيه أباظة فقد غضب بسبب النشر غضبة شديدة وقال: إنه لا ينبغى ألا نتجمل بمعاناة المواطنين.

■**صدر قرار بنقل وجيه أباظة إلى أسوان فكيف تصرفت الجماهير؟**

عندما علمت الجماهير توقفت الحياة توقفا كاملا واغلق الناس محلاتهم وتدفقوا إلى الاستراحة بصورة لم يسبق لها مثيل وافرغوا عجلات سيارته وكان يجهزها للرحيل وافترشوا حديقة الاستراحة ورفضوا مغادرة المكان حتى يصدر قرار بإلغاء النقل وكان وجيه أباظة مصمما على تنفيذ قرار النقل إطاعة للأوامر ويقول: إن عبد الناصر لا يتصرف إلا من منطلق مصلحة مصر.

■**وبعد أن نقل إلى الغربية والقاهرة؟**

عندما نقل محافظا للغربية ثم محافظا للقاهرة لم تنقطع عنه وفود المواطنين ابناء محافظة

البحيـرة أبدا. وكانت مجموعة مـن أبو الريش تتردد عليه بصفة شـهرية فيستأجـرون سيارة ويستقلونهـا ويتجهون إلى القاهرة وإلى منزله مبـاشرة وكانت هذه الزيارة تسعده كـثيرا جدا ويبـدأ بسؤالهم عن الـناس باسمـائهم ويتـعرف على أحـوال البسطـاء الطيبين وكـانت هذه المجموعة تتكون من صاحب مـخبز اسمه رجب خير واحد ومدرس اسمه سـليمان خضير وصاحب مقهى اسمه العربى الصياد وتاجر اسمه إبراهيم بركات وعلاف اسمه محمود السقا وحلاق اسمـه عبد المعاطى الفيـشاوى. وكان كل هؤلاء يرجعون من هذه الزيارة بزاد كـبير من الحب وزواد من الوفاء

■هل انقطعت صلته بدمنهور؟

لـم ينقطع وجيه أباظة عن دمنهور حتى بعد أن نقل منها فكان يحضر الزداء واجب العزاء وفى مناسبات كثيرة. وعندما توفيت والدة الأستاذ إبراهيم آدم حضر للعزاء وعلم المواطنون بحضوره وتدفقـوا لتحيته والترحيب به حتى أوشـك المأتم أن يفقد معناه واضطر تحت هذه الظروف أن يركب سيارته ليغادر المكان وحمل الناس سـيارته حملا وظلوا مرافقين له حتى غادر المدينـة. وعندما توفى المرحـوم كمال أباظة فـتح المواطنون خيـمة العـزاء من جانبـها وتدفقوا للسلام عليه تاركين العزاء مما اضطره أخيرا إلى أن يترك السرادق وينصرف

لقد كنا من فرط حبنا وارتباطنا به نشعر أنه قد حملته بطون كل أمهاتنا وأنه قد أنجبته كل هذه البطون.

ولـم يستطع أحد بعده أن يترك أثرا فى الناس أو أن يخلف بصمة على حياتهم وسلوكهم لم يرتبط الناس بأحد كما ارتبطوا به.

حتى الذين حاولوا أن يقلدوه وينتهجون نهجه لم يخلفوا وراءهم شيئا يذكر فقد نسوا أن الله لـم يهبهم مـا وهبه من مقدرة على العطاء ونسـوا أنهم لم يجبلوا على حب الناس دون تكلف أو عناء

■لا شك أنك بقربك الشـديد من وجيـه أباظة تسـتطيع أن تضع أيديـنا على بعض مفاتيح من شخصيته؟

كانت قدرته الفـائقة على القيادة وتحريك معـاونيه وحسن اختيارهم سبـبا هاما فى الكم

الهائل من الإنجازات التى تظهر فى عهده.

وكان يثق فيمن يعملون معه حتى يثبت العكس ويدافع عنهم ويفرض حمايته عليهم ويتحمل عنهم أخطاءهم إذا لزم الامر ولا يتنصل من المسئولية ويحاسبهم بينه وبينهم إذا كان الأمر يستحق ذلك.

فأنت تعمل معه وأنت مطمئن إلى ظهرك وأنت واثق أنك لا تقع تحت طائلة الوشاية وأن أحدا لن يحاسبك على ما هو ليس فى طاقتك أو فرضته الظروف عليك. وأنت تعمل معه وأنت مطمئن بأنه سيقف معك مادمت على حق، وكان يستطيع أن يتعرف على القيادات ويضع يده عليها بصورة مذهلة وعندما يكتشف أحدا يقف وراءه بكل قوته وسلطاته ويفوض له إختصاصاته. ولعل من الأمثلة التى تحضرنى هنا اختياره للدكتور محمد مروان فقد عرفه فى زيارة لوحدة صحية صغيرة، كان يعمل بها طبيبا واكتشف قدرته الإدارية وصلابته وأسند إليه إدارة أكبر مستشفى فى المحافظة والتى بنيت خارج خطة الدولة واصبحت قبلة تتعلم منه مستشفيات الجمهورية كيف بدأ مستشفى عام حكومى مجانى وبامكانيات عادية

كما يحضرنى أيضا اكتشافه لواحد من أعظم من انجبتهم محافظة البحيرة وهو المستشار محمد عبد العزيز ملوخية وكان عند تولى وجيه أباظة منصبه محاميا شابا مرموقا يبشر بمستقبل زاهر وتعرف عليه فى واحد من لقاءاته بالمحامين وارتبط به ارتباطا شديدا وكان قريبا إلى نفسه واتخذه مستشارا جمهوريا للمحافظة ثم وصل فيما بعد إلى أن أصبح رئيسا لهيئة قضايا الدولة.

كانت لديه رؤية واضحة لكل ما أقدم على تنفيذه فهو يقتل الموضوع بحثا وتفكيرا أو يستشير معاونيه وكل من يقابله وتحس وهو يناقشك فى أمر ما أنه يفكر معك بصوت عال ويشغله مدى انعكاس هذه المشروعات على حياة المواطنين.

وعندما تكتمل الصورة فى ذهنه يجمع معاونيه ويأمر بالتنفيذ بجرأة وشجاعة نادرتين فى بلد لايسلم فيها إلا الجالسون القرفصاء والذين لا يفعلون شيئا.

فعندما احترقت قرية الابعادية وأقدم على بنائها كان لديه تصور واضح لكل الهموم التى

ستصادفه وكان يعرف أن هناك احتمالاً لنقص مواد البناء وكان يعرف أنه إذا تعذر الحصول على مواد البناء فإنه سيستولى على حمولات السيارات التى تمر بالطريق السريع وتحمل مثل هذه المواد وكان يعرف أن الفلاحين سيقاومون عدم تخزين الحطب فوق أسطح المنازل والتى كانت سببا فى حريق القرية وانه ينبغى أن يدبر وسيلة تحل محل عملية التخزين هذه وفضلا دبر مكبسا يكبس الحطب فى بالات توضع فى حوش المنزل وعندما نصبوا له خيمة فى موقع العمل وأمر بالمبادئ والنار لم تنطفئ أداؤها كان يعرف إنه سينتهى من بناء القرية فى واحد وعشرين يوما

وعندما شرع فى إنشاء مركز التدريب المهنى كان يعرف أن هناك مبان أنشأت للمهاجرين أثناء الحرب العالمية الثانية وأنها مهجورة وأنها مرتعاً للصوص والخارجين على القانون

وكان يعرف أن المصانع الكبيرة التى انشأتها الثورة قد أثر إنتاجها الكبير على الكثير من الصناعات الحرفية كالأحذية مثلا

وكان يعرف جيدا أن ورش الحرفيين القائمة لا تقبل صبية جددا لأن قوانين العمل الجديدة تضع عراقيل كبيرة فى طريقهم وتشترط شروطا لا تتحملها إمكانيات هؤلاء الحرفيين.

وكان يعرف أن الكثير من الأطفال الذين وصلوا سن الإلزام لم يستطع المدارس المتاحة أن تستدعيهم وأن الشوارع تضج بالإطفال المشردين نتيجة ظروف اجتماعية مختلفة.

واستطاع هذا المركز أن يضم عدة آلاف من الأطفال واختفت ظاهرة الخادمات فى دمنهور كما دبر المركز عملا للكثيرين من المتعطلين من الحرفيين.

وعندما طرحت تجربة مركز خدمة، أبو الريش للتنفيذ كان يشغله أن يشعر أفقر أحياء دمنهور بالتغيير الذى تحدثه عملية التحول الاشتراكى وأنه ينبغى أن تتحرك هذه القوى المستفيدة وصاحبة المصلحة فى هذا التحول وإنه يجب ان يكونوا أصلاء فيما يحدث من حولهم وليس من المتفرجين

وكان يعرف أن الناس إذا شاركت فى العمل بنفسها فإنهم سوف يرتبطون به ويحمونه يخافون عليه.

وكان يعرف أن هذا الحى الذى عانى كثيرا لا يوجد به مخبز ولا يوجد به وحدة صحية ولا مكتب بريد ولا تليفون ولا مدارس وأنه يفتقد الخدمات كما كان يعرف أن المشاركة التى سيمارسها أهل الحى سوف تخلق قيادات جديدة يفرزها تجربة العمل اليدوى. وأن مبنى الانكلستوما القديم أصبح بعد بناء المستشفى العام خاويا على عروشه وإنه ينبغى الاستفادة منه، وعندما عاد الدكتور سعد الخوالقة من موسكو بخطاب تقدم من الدكتور مراد غالب سفير مصر بروسيا . . وجد وجيه أباظة إن البعد الإخير للتجربة قد اكتمل بتواجد القيادة.

وكانت الحصيلة تجربة شعبية خصبة أفرزت أول ما أفرزت قيادات أصيلة ظهرت من خلال العمل فى بناء المركز وتحمل المسئولية . . واجنح لهذه القيادات دورا كبيرا فى تحريك الجماهير بمدينة دمنهور فيما بعد.

كما أفرزت التجربة إنشاء كافة الخدمات إلى يتاحها جماهير الحى واستخدموا فى ذلك ناتج هدم مستشفى الانكلوستوما وبأقل التكلفة - فقد ساهم المواطنون مساهمة حقيقية فى عمليات الهدم والبناء وكانوا يتناوبون العمل مع البنائين والنجارين وعمال البلاط فى تجربة مثيرة حقا

وعندما زار جمال عبدالناصر مدينة دمنهور رفض أن يزور المصانع والمنشأة الكبيرة وزار تجربة مركز التدريب المهنى وتجربة مركز خدمة أبو الريش غم تواضع الأبنية وبساطتها

كان وجيه أباظة مشغولا بتجديد وجه مدينة دمنهور وتأكيد امتدادها الطبيعى إتجاه الطريق السريع وكان مشغولا إن ينشئ مصلحة مشتركة بين المواطنين وبين النظام وذلك بإنشاء دمنهور جديدة.

■وكيف تم ذلك؟

كانت بوسط المدينة أراضى زراعية موقوفة وعليها أشكالات ظلت فترة طويلة إمام المحاكم ولم ينته منها القضاء إلى رأى واستطاع أن يدخل طرفا فى الموضوع وأن ينهى كافة الإشكالات وأن يشترى هذه الأرض بسعرها الحاضر وكانت تعرف بأرض أوتزير.

وقام بتقسيم هذه الأرض إلى مدينة سكنية متكاملة المرافق والخدمات والطرق وطرحها للبيع بالتقسيط على ثلاثين سنة ووفر مواد البناء والرسومات وبيعت الأرض فى فترة

وجيزة. وكان الدماهرة يبنون قبل ذلك الأسكندرية خشية المد فإتجهوا إلى هذه المدينة واصبحت واقعا ملموسا فى غضون أقل من سنتين وأصبحت العمارات تنموا كالزرع وغادرت عائلات دمنهور حوارى المدينة القديمة إلى المدينة الجديدة وكانت نقلة حضارية واجتماعية فى غاية الاهمية.

لقد استطاع أن يحول مدينة دمنهور من مدينة ريفية لا يمكنك أن تستضيف فيها فردا واحداً فلا تجد له مكانا تجلس فيه أو تتناول معه طعام غذائك واستطاع أن يحولها إلى مدينة مفتوحة يعقد فيها مؤتمر القادة الأوروبيين ومؤتمرات تنمية القرية المصرية وأن يستضيف آلاف الأفراد أن يخلق فى هذه المدينة مزارات سياحية تجذب الوفود السياحية ورحلات المداس من مختلف أنحاء مصر ويستطيع أى زائر أن يقضى بها يوما ممتعا تأتى الناس من الإسكندرية إلى ناديها لقضاء عطلة نهاية الاسبوع فقد انشأ ناديا اجتماعيا واستادا رياضيا وفندقا سياحيا وخارج خطة الدولة من وفورات بعض أراضى تقسيم تزبير وغيرها.

كما استطاع مثلا ان يخلق مزاراً سياحيا جميلا باستغلاله جزء من ترعة الخندق التى ردمها وحولها الى جزيزة للبط البكينى وبنى فيما مطعماً وكافيتريا وأصبحت مركزاً يمكن قضاء وقت جميل به أنت وأسرتك.

وقدرت دمنهور ما قدمه الرجل من أجلهم وما يبذله لهم فكانوا طوع أوامره يتعاونون فى تلبية ما يطلبه. تلك المدينة العتيدة أصبحت تتوق إلى أن يطلب منها وجيه أباظة فتجيب مختارة طيعة. فعندما طلب من أصحاب سيارات النقل أن يساهموا بسيارتهم فى نقل أثر به ردم ترعة الخندق تسابق الجمع وقدموا سيارتهم وأنفسهم أيضا لهذا العمل التطوعى وبسخاء شديد.

وعندما طلب منهم أن يتبرعوا لحفلات أم كلثوم التى أقامتها المحافظة مساهمة فى دعم المجهود الحربى قدم المواطنون أكثر مما هو مطلوب منهم

وما زال الناس حتى يومنا هذا يقارنون ما يفعله الآخرون بما فعله وجيه اباظة ومازالوا يعيشون على تجاربه وذكرياته معهم ويقولون لو أن وجيه أباظة كان معنا لفعل كذا وكذا.

■ما هو موقف وجيه أباظة من المثقفين؟

ـ قلت إنه قد وصل ولم يكن بها شئ يستحق الذكر إلا ما أنشأه عبد السلام الشاذلى باشا

إلا أنه وجد ظاهرة غريبة للغاية قد لا تتوافر لمدينة من مدن مصر وجد دمنهور تعج بالأدباء والشعراء والمثقفين والزجالين والفنانين التشكليين وممثلى المسح والموسيقيين الموهوبين. ووجد أن هؤلاء يشكلون ثقلاً اجتماعيا خطيرا لا يمكن لأى مدقق أن يتجاهله ولا يضعه على رأس خريطته واهتمامه.

فقد كان هناك مقهى المسيرى وكان صاحب المقهى عبد المعطى المسيرى يشكل مدرسة أدبية قائمة بذاتها ويحج إلى المقهى كل من أصابته حرفة الأدب وكان يجلس بها تجمع كبير من الشعراء المعروفين والجدد والشعراء الشعبيين أذكر منهم فتحى سعيد وسعد دعبس وعبد القادر حميدة وحامد الأطمس وسيد أبو النصر وحمدى النعناعى وعبد المنعم عواد يوسف وعبد الوهاب قتاية وأحمد ملوخية ويس الفيل وسعيد فايد وكمال الخراش ومحمد الحوفى ومحمد قطب وكان من القصاصين محمود علوان ورجب البنا وبكر رشوان ويوسف عبد الوهاب ومحمد نعيم ورسمى عامر

وكان مقهى المسيرى الرئة الوحيدة التى يتنفس فيها جموع المثقفين فى هذه المدينة المتعلقة وكانت تجمع المهتمين بالشقافة من كافة الاتجاهات والبخل وكان يقام على صيف المقهى بجوار ضريح سيدى العزب ندوات تتنافس فيها قضايا الثقافة والأدب الشديدة الخصوصية وكان يحضر هذه الجلسات عدد من مثقفى المدينة أمثال د. سينون رضا والمصور خام نبوى الحناوى وحسن الحناوى وغيرهم وكان طبيعيا ان تضم موائد المقهى لتشكل مائدة كبيرة يجتمع حولها المثقفون وينصرفون مع تباشير الصباح كما كان يتردد على المقهى الأدباء الدماهرة المقيمون بالقاهرة أمثال عبد الحليم عبد الله ومحمد صدقى وإسماعيل الحبروك وصبرى العسكرى كما كان يتردد عليها كبار أدباء مصر من أمثال محمود تيمور وحافظ محمود وكان طبيعيا أن تدخل المقهى فتجد به معرضا للصور والرسوم والتماثيل.

وكانت المدينة تضم أيضا عددا كبيرا من الفنانين التشكليين يلتقون برسمهم بنادى البلدية

أمثال أحمد القاضى وحامد بليع.

كما كان نادى الموظفين يضم مجموعة من ممثلى المسرح والموسيقيين الهواة وقد خرج أمين يوسف غراب من هذا النادى وكان يقوم ببطولة المسرحيات التى يقدمها النادى على مسرح ببلدية دمنهور وكانت تقوم بدور البطلة الفنانة الكبيرة فاطمة رشدى وكان من المشاركين فى هذه النهضة المسرحية زكريا بليع وصبحى القاضى وكامل سمة وأحمد عصر وابادير عوض وفؤاد عبد السلام وإبراهيم عبد الفتاح د. سعد ورد وغيرهم وكانت تمول هذه العروض من جيوب أعضائها ومن حصيلة بيع التذاكر والتبرعات ويقوم الأعضاء بتدبير الأثاث المستخدم فى هذه المسرحيات من منازلهم.

وكانت الفرقة الموسيقية للنادى تضم عددا كبيرا من الموسيقيين الهواة أذكر منهم أنور زعطوط واحمد يونس وغريب عمارة وعازف البيانو ميشيل والشقيقان أحمد عمر ومحمد عمر وغيرهما يحول بينى وبين اسمائهم بُعد الفترة وضعف الذاكرة.

وكان هذا المناخ الثقافى الذى وجده وجيه أباظة عندما ترى مقاليد الأمور بالبحيرة .. وكان ولاية له أن يلتحم بهذه الجموع وهو الفنان بطبيعته وكنت فى هذا الوقت قد تخرجت من الجامعة شابا وشاعرا ومثاليا وآمل فى غد أكثر أشراقاً.

وفى ندوة بالقاهرة صادف موعدها موعد صدور قرار تعيين وجيه أباظة محافظاً للبحيرة ثار كلام كثير حول هذا التعيين وأبدى بعض الحاضرين من المثقفين اعتراضهم على اسم وجيه أباظة فبالإضافة إلى أنه من العسكر فأنه من أسرة اقطاعية وعلى حد تعبير أحد الحاضرين أمير أباظى وكان معظم المثقفين اليساريين فى هذه الفترة يتخذون موقفة الرفض من العسكريين بل ومن الثورة نفسها.

ورجعت إلى دمنهور منفعلا بما سمعته فقد كنت أنا الآخر من الذين لا يأملون فى العسكر خيرا.

واجتمع الأدباء بدمنهور وقرروا الذهاب إلى المحافظ الجديد للترحيب به فقد كانوا يأملون جميعا خير كثيراً للأدباء والفنانين فى عهده

وأجمع الحاضرون على الذهاب إلا أنا فقد أبيت بشمم أن أشاركهم هذه الزيارة ورددت

ما سمعته بالقاهرة بعصبية وعنت شديدين

وتمر الأيام ومازلت على موقفى وفى ليلة كنا نقيم ندوة شعرية بصالة مدرسة دمنهور الاميرية وفوجئنا جميعا بحضور وجيه أباظة وبرفقته المرحوم الشيخ إبراهيم بديوى شيخ معهد دمنهور الدينى والمرحوم أحمد حمزة سكرتير المحافظ الخاص وألجمت الجميع المفاجأة وكنا أرسلنا له دعوة لكنا لم نتوقع منه الحضور أبدا فقد كان مشغولا لشوشته بالعمل الجديد . . ولكنا فى هذه الفترة فطع وعدات نداواتنا على نفقتنا ونوزعها بأنفسنا.

وحضر وجيه أباظة ندوة شعرية شارك فيما ما يقرب من عشرة شعراء فتلوه شعراً وهو جالس لا يتململ حتى آخر الندوة.

وانتهت الندوة وأخذنى فى صدره واحتفى بى احتفاء كبيرا وأسعدنى ذلك طبعا لكننى قلت بينى وبين نفسى إنه يستدرجنى وكأنه يستدرج طاغور العظيم. وكانت الندوة وطنية فامر بأن نطبع القصائد فى كتيب يوزع على طلبة المدارس بالمحافظة.

وتكررت لقاءاتنا - وبينما كنت يوما أسير مع صديق فى شارع من شوارع المدينة وجدت سيارة تقف إلى جانبى فاستغربت قليلا ثم استغربت أكثر عندما رأيت بها وجيه اباظة وقد وقف لتحيتى والسؤال عنى فى مودة شديدة

ويستدعينى وجيه أباظة فى يوم من الأيام ويسألنى ماذا يريد الأدباء؟ وشرحت له همومهم وأن ما يشغلهم إنهم لا يجدون مكانا يلتقون فيه فمازالوا يتجمعون على رصيف مقهى المسيرى ولم يعد هذا يليق بهم، فقام الرجل وأخذنى فى سيارته ووقف عند مبنى من دورين كان ملحقا بنادى البلدية القديم وقال لى: هذا هو المكان وأمر بان بعد يؤنث بالمقاعد والسجاد والستائر واستلمت المكان بعد شهر من هذه الزيارة وأصبح مقرار رسميا لجمعية الأدباء

ويتجه وجيه أباظة إلى المسرح ويتردد أن ينشئ فرقة استعراضية غنائية من ابناء المحافظ ويتولى قيادة هذه الفرقة الفنان عبد الحميد توفيق زكى وتقدم الفرقة عروضها على مسرح صيفى استعراضى بناه بأول طريق عبد السلام الشاذلى ثم يكون فرقة مسرحية قومية من ابناء المحافظة تضم كافة الطاقات المسرحية بها وتقوم بالإخراج لهذه الفرقة أكبر المخرجين من

أمثال فتوح نشاطى ومحمد توفيق

واستمرت الفرقة المسرحية حتى الآن ولم تدم تجربة الفرقة الاستعراضية طويلا

ويطلع علينا وجيه فى يوم من الأيام بفكرة غريبة وهى إنشاء فرقة للفنون الشعبية من ابناء وبنات مركز التدريب المهنى ويطلب منها المرور عند أقسام المركز المختلفة لاختيار العناصر المناسبة لهذه الفرقة. وينظر بعضنا الى بعض فى استنكار شديد فكيف يتسنى لأى محافظ مهما كانت قدرته إنه يصنع من هؤلاء البسطاء المعدمين الأميين فنانين فهم جميعا دون خط الفقر بكثير ولم يسمع واحد منهم اغنية فى حياته ولا رأى مذياعا ولا يقرأون ولا يكتبون ولم يكن هذا الأمر فى دائرة أهتمام أى منهم

وصمم وجيه أباظة وأسقط فى يدنا جميعا وبدأت التجربة فقد كان يعتقد اعتقادا راسخا إنه سيصنع منهم فنانين حقيقيين وكان يرى أن أى أنسان يمكن أى تعاد صياغته من جديد إذا توافرت الظروف المناسبة لهذا التغيير وكان من الصعب علينا جميعا أن نصدق هذه المعركة.

واستحضر وجيه أباظة لهؤلاء الأولاد والبنات أعظم مدربى مصر للفنون الشعبية أمثال حسن خليل وكمال نعيم واستحضر أعظم العارفين لتدريبهم على السولفاج والموسيقى وأنشأ من بينهم فريقاً للكورال وعقد لهم فصولا لمحو الامية ودورات فى الثقافة العمالية واستحضر لهم من يعلمونهم كيف يأكلون وكيف يلبسون ويتحدثون . وكان يتابع كل ذلك بنفسه وعن طريق مدير للفرقة أعطاه كافة الصلاحيات والإمكانيات وهو المرحوم الفنان أحمد عصر

ونجحت التجربة وكان أعضاء الفرقة كالأرض الشراقى يمتصون كل ما يقدم إليهم وأصبحت فرقة البحيرة للفنون الشعبية علامة بارزة فى تاريخ حركة الفنون الشعبية فى مصر . وأولى فرقها وقدمت الفرقة عروضها على مسرح البلشوى ومعظم مسارح أوربا والدول العربية والأفريقية وقدمت موسما على مسرح البالون بالقاهرة بجوار فرقة رضا.

وكان وجيه أباظة مؤمنا بالصحافة الأقليمية ويدرك دورها فى دفع عجلة التطور وقد ساعد الجرائد القائمة على القيام برسالتها وقرر أن ينشئ جريدة محلية تضاهى الصحف القديمة فأنشأ جريدة أخبار البحيرة الصحفى الكبير مكرم محمد أحمد وجلال جويلى وكانت

سبع بجريدة الأهرام وصــدر منها عدد أو ثلاثة على الأكثر وتوقـفت على الصدور لظروف كثيرة حالت دون استمرارها وتوالى اكتشـافاتنا للجوانب المضيئة فى حياة هذا الرجل العظيم من خلال تجارب كثيرة ومواقف لا تنسى أبدا.

ونشعر كل يوم أنك أمام رجل احب مصر حبا ملك عليــه كل مشاعره وماضيه وحاضره ومستقبله وإنه يغنى فى هذا الحب وانه مستعد أن يقدم عمره فى سبيله.

■كلمة أخيرة ؟

لقد استطاع وجيه أباظة أن يغير من افكار الكثيرين وأنا منهم واستطاع أن يؤكد أن هناك وجها للثورة مخـتلفاً عما كان فى تصورهم وأن الأمر ليس أمراً عـسكرياً وغير عـسكرى منذ أفرز العسكر جمال عبد الناصر ووجيه أباظة





عبد المولى عطية

تمنيت أن أعطيه قلبى

بانفعال شديد.. ووسط دموعه، نستخلص شهادة عبدالمولى عطية. القيادة الفلاحية.. التى التقطها وجيه أباظة من بين آلاف الفلاحين الذين التقى بهم..

وأصبح عبدالمولى عطية عضواً بمجلس الأمة.

وقيادة كبيرة فى التعاونيات وشتى المحافل التى تهتم بشئون الفلاح.

وكان عبدالمولى عطية هو أبرز الذين تصدوا لقرار نقل وجيه أباظة من محافظة البحيرة إلى أسوان، يومها احتضن جمال عبدالناصر فى مجلس الشعب، وأصر على أن يسمع لكلامه.. وكان كلامه أن الشعب كله مع وجيه أباظة، فلماذا التصدى لإرادة الجماهير.. وفى البداية رفض عبدالناصر، ثم فكر فى الأمر، وكرر أن يبقى وجيه أباظة

بلغته وبانفعاله وبإسلوبه يحكى عبدالمولى عطية قصته مع وجيه أباظة.

■الحاج عبدالمولى بداية علاقتك بوجيه بيه؟

ـ بدأت علاقـتى به من خلال المؤتمرات التى كـانت تناقش الميثـاق، كنت أحضر جـميع المؤتمرات ففى واقعـة حصلنا فى مناقشة المـيثاق سنة ١٩٦٢ أنا رحت الدلنجات وكـان معانا حسين بـيه درويش كان أمين/ وأنـا وكانت له مواقـف من ناحيـة مشاكل الفـلاحين وأظن حسين بك درويـش انتظرنا فى المؤتمر فيـها سيطرة عـصبـية وإجرامـية وسـيطرة رأسمـالية والفلاحين جايين من الريف حضرة فى مؤتمر الميثاق وطبعاً تحدثت الناس أى كلام سطحى ـ تكلم ٥، ٦ ولم يتكلم أحد عن الفلاحين.

محمد حامد أخذ الميكروفون وقال له: يا فندم أنا أرى أن الميثاق معمول عشان الفلاحين ولا فلاح أتكلم ـ فـأنا وقفت فقـال لى: قم أنت لماذا لم تتكلم؟ قلت له: أرسلت الاسم للسكرتارية ولم يجىء دورى فطلب منى الكلام قمت فـوراً وامسكت الميكروفون وتكلمت عن مشاكل الميـثاق وتطبيق الميثاق وأنه لا يعـقل لأى فلاح مهما كـانت ملكيته أنه يزرع هو بنفسـه وأولاده أكثر من ٢٥ فـدانا وده طبعاً فـيه ظلم ولابد من إزالة الفـوارق حتى قلت حتى محو الأمية وجعل التعليم الاعدادى إجبارى لنتجاوز مرحلة الأمية ـ فوجئت بعد ذلك أنا فى بنك التسليف بتليفون حـتى عرفت أنه السيد المحافظ ـ كان السيد محـمد عبدالهادى الله يرحمه قلت له من الـدلنجات قال لى: تجيب عربيـة مخصوص عشان السـيد المحافظ عايزك ضرورى وفعـلاً أخذت سيارة لغاية دمنهور وجدت سيـارة تنتظرنى ركبت معاهم الى المحافظة والمهم حتى ذهبنا إلى النادى الاجـتماعى وجدت سيادة المحـافظ الله يرحمه داخل علينا بطريقته وكل واحد يسلم علينا يقول اسمه ـ فـقلنا اسماءنا والعملية فى منتهى البساطة قال: ها تقابلوا السيد زكريا محيى الدين كل واحد هايقابله لوحده

زكريا محيى الـدين فى هذا الوقت كان نائب رئيس جمهورية تخيل حـضرتك قابلنى فى غرفة مغلقة عليك لوحدك.

قمت أنا قلت له والله يا فندم أنا لو ما خلفتش تبقى سيادتك المسئول عن ذلك المهم قال لى: أنت آخر واحد يتحدث وطبعاً ما أعرفش ما فيش علاقة إلا من خلال المؤتمرات

دخلنا للسـيد زكريا مـحيى الدين لقـيت السيـد المنعم بدوى والسيـد حسين باشـا عارف وصلاح حمزة والأمين. ولقيت دوسيه عليه اسما من بعيد فكان كل واحد يسجل فيه كانت خطته لاختيار قيادات وهذا العمل السيـاسى الذى ترك قيمة فى كل مكان حتى اليوم لحد ما نادوى اسـمى وكان نمرة ٩ . . طلعت لقـيت زكريـا محـيى الدين لابس بدلة بنى محـروق

وسيادة المحافظ قاعد وقعدنا ندردش لغاية ما قال لى إيه رأيك فى التنظيمات التالية فى الاتحاد الاشتراكى العربى قلت له يا فندم قانون الاتحاد الاشتراكى حدد لجان الوحدات الأساسية وبعدين طبعاً وحدات المحافظات وأنتم فتحتم باب الترشيح يوم ١٠ اكتوبر وقفلتم باب الترشيح تانى وقلتم يرجىء الموضوع بعد ٤ أيام يوم ١٤ ليه أنتم أجلتم باب الترشيح ليه؟

قال: أنت هاتقلب الموضوع وتساءل قلت له: يا فندم من حقى أسألك أم أننى جئت لتسألنى فقط ولا أنا جاى عشان تسألنى وخلاص

وتكلمت لغاية بعد ما شفنا كده أن يبقى والله كده بئت إن أنتم تمثلوا فعلاً قاعدة الشعب المصرى قال لى: لا أنت كنت أصدرت إتهاماً ضد مجلس قيادة الثورة قلت له: والله ها نقول اللى أنا عاوزه ولو ها نطلع من هنا على المشنقة حتى أنتم فرضتم علينا معركة قبل ميعادها يعنى عندنا فى الأرياف لما يكون فيه طفل يتعلم المشى بنقوله تاتا واحدة واحدة فلسه بنقول تاتا فرضتم علينا معركة غير متكافئة فيه ٥٢٧ وحدة إتحاد اشتراكى فى المحافظة بألف وأربعة وخمسين عضواً أنا واحد ليس عندى غير الحمارة والبرسيمة إزاى نلف على ١٠٤٥٠ عضو إتحاد اشتراكى عشان نعمل معركة قال لى: ولماذا انت كنت رايح تترشح قلت له أقول لكل من يقابلنى من الناس لازم تترشح واللى يفلت يبقى طويل الطويل

اختلفت مع سيادة المحافظ وزكريا محيى الدين مرتين فى هذا اللقاء.. قلت: وفى النهاية قال لى زكريا محيى الدين: أنا عاوزك تكلمنى كلام بوضوح

خلاصة الكلام يعنى لو طلعنا وقلت للناس فى الشارع إن أنا كنت قاعد مع السيد/ زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية هاتعمل فيا الناس إيه.

قال: هاتعمل أيه؟

قلت: هايلبسونى القميص من قدام ويودونى مستشفى الأمراض العقلية ـ أنا اللى أحنا قلناه أن الناس فى الشارع لم تشاهدنا ـ يبقى الثورة ثورة يوليو حققت أهدافها لو شافوا الكلام اللى أحنا قلناه لصالح المجتمع وإن فيه فلان بيتكلم مع نائب رئيس جمهورية حتى يوم ما تعين زكريا محيى الدين رئيس وزارة أول ما أخذته فى الحضن قال لى: هايشوفنا الناس إحنا مختلفين عينت فى سنة ٦٣ عضواً فى لجنة المحافظة المؤقتة اللى لا يمكن ها

يحصل فى التاريخ من وجيه أباظة يعنى مثلا.

قراراته كـمحـافظ أول ما صدر القـرار بناء على قرار اللـجنة التنفيـذية للاتحاد ـ أى أن اللجنة التى تمثل شعبية هى اللى بتأمره يصدر قرار حاجـات طبعاً ماحدش شافها ولا يصدقها إطلاقا فاشـتغلنا فى اللجنة طبعا ومشت اللجنة ٤٨ قـيراط لحد فيه انتخـابات مجلس الأمة الترشـيحـات مجلس الأمـة فى ٢٦ مارس سنة ٦٤ جلسـا معـا لأنه مطلوب مين سـيرشح المجلس لمجلس الأمة أنا طبـعا عمـرى ما فكرت أدخل عضـو فى مجلس الأمة سـألنى ما تدخل ياعبد المولي.

قلت له والله يا فندم ما أقدرش أدخل عـشان دارى ما فيهاش غيـر ٢٠٠ جنيه وبعدين دى معركـة أنا سأترشح كعضـو فى مجلس الأمة هايجيب عـربيات بكام وتلف على الناس بكام وأنا ما أقدرش أورط نفسى وأنا طبعا ابن الفلاحين وعضو معين ومهمته صعبة.

وقال لى طبعا خليك للآخر.

وأخذ رأى أخواننا... اللذى يوافق حتى انتهى.

سألنى أنت بتقول إيه

قلت: أنا مش ها أترشح.

قال ليه.

قلت له: ليه لغاية ما قلت له ـ علىَّ الطلاق بالثـلاثة ما أنا مترشح ـ رفع التكليف بينى وبينه قاللى أنت حلفت بإيه قلت له: حلفت بالطلاق ـ قاللى ـ على الطلاق بالثلاثة ما أنت مترشح ـ قلت عليه العوض فى مراتى ـ لأن يمينى أنا اللى هايقع.

واترشحنا ودخلنا مجلس الامـة وللتاريخ الأستاذ إبراهيم آدم أمين عام محـافظة البحيرة رشح أمامه عمر الوكيل وكان مصاباً بذبحة صدرية ونايم فى السرير ولجح على أمين الاتحاد الاشتراكى يوم ٢٦ مارس أول جلسة فى مجلس الأمة اتصل بينا واحد اسمه طناش.

وعرفنا أنه جاسوس بعد مماته.

كان هنا فى أبو المطامير ويقول لك لن تذهب يقولون له.

[عطا وطناشة]

ولجح فى الانتخاب سنه ٥٧.

قال إن وجيه أباظة نقل إلى أسوان والبحيرة كلها جاية وفعلا ذهبنا إلى قهوة صفية حلمى فى ميدان الأوبرا لقينا محافظة البحيرة كلها هنا وأهالى دمنهور - وفضينا الناس ورحنا اجتمعنا كلنا عند محمود أبو الوفا فى الهرم فى منزله - وقالوا: نحن نريد مجموعة تقابل رئيس الوزراة.

وأغلبية الناس تريد وجيه أباظة فمن ضمن الناس قالو العبد المولى عطية: الأول يروح مع هذه المجموعة رحت أنا وكان أحمد الدفراوى - ومحمود أبو وافية وحسن عامر مجموعة نصفها ماكانش معانا فرحنا الوزارة فى روكسى والحرس عارفنى أنا طبعا والذين معى بهوات ماشى قدام وأول ما قابلهم الحرس سلم عليهم قال: مافيش هنا لا رئيس وزراء ولا حكم محلى ولا وزير وعندما أتى فقال لى: يا فندم وبيقوللى يا فندم وأنا فلاح - سلمت عليه.

قال لى: سعادتك عارف السيد على صبرى هايكون موجود فيه وسبب ذلك مشكلة مع المجموعة واتفقنا نتقابل صباحا وقعدنا نتكلم من الذى سيقدم المذكرة بإلغاء انتقال وجيه أباظة وصلنا أننا نعمل مذكرة لرئيس الوزارة - من الذى يقدم المذكرة لا أحد من الـ٢١ نائباً يستطيع تقديم المذكرة - وأنا الجاهل اللى جاى من الغيط قلت أنا اللى ها بإقدم المذكرة فكتبوا المذكرة أخواننا القانونيين - كان معانا واحد اسمه - ماجد صقر كان أمين عام مساعد مركز أبو المطامير قال عندى آلة كاتبة تكتب المذكرة واتفقت يقابلنى الساعة ٤,٣٠ قبل الجلسة بساعة ونصف ليوقع عليها السادة النواب فأخذت ماجد صقر وقلت له: أقسم بالله أنا ما أخذت المذكرة وكتبتها باسم جمال رئيس الجمهورية ما أنا مقدم لا ده ولا ده وهوه كان يعبد وجيه أباظة.

وأخذت المذكرة ووقع بعض النواب وبعضهم لم يوقع المهم جلست فى النصف حتى جاء الرئيس وانهى خطابه - وضعت يدى على كتفه وإيدى فى يده قال: عشان وجيه قال: لا.

لغاية أنور السادات ماشاورى لى وقاللى الرئيس تعبان وهوه خارج من الباب.

فرجع قال لى: يا أخ إنت يا سيادة النائب إحنا مش عايزين نتمسك بالإفراد والنظام اللى بيحكم الفرد ويسيره مش الفرد هوه اللى بيسير النظام فوقنى من الغيبوبة اللى أنا فيها.

قلت: يا سيادة الرئيس النظام من غير وجيه أباظة فى اخطر اخطر مرحلة بتمر بيها مصر

ـ ماهوش نظام وفى أشـد الحاجة لأمـثال وجيـه أباظة ٣ ضباط آخـذهم فى صدرى منظر رهيب لغاية ما بعد المسـافة بينى وبين جمال عبد الناصر لغـاية مالاقينا أنور السادات حلف وقاللى لازم أقابل عبد الناصر.

وعملنا مظاهرة ولقـيت جمال عبـد الناصر طالع هو وأنور السادات ؟ خـارج من الباب العمـومى شاور لى وأخذته بالحـضن وقبلته أنا سبت وجـيه المره دى عشـانك أنا عايزه فى أسوان وأوعى تعملها تاني.

قلت له: يا سـيادة الـريس أوعى أنت اللى تعمـلها تانى ومـات طبـعا على روحـه من الضحك.

إخوانـا النواب سلموا عليـه ـ وطلعنا كلنا بيت حسـين الجندى ـ فى مصـر الجديدة ـ مسافة مارحنا ـ لقيته واقف أمام t.v

يادى المصيبة ياعـبد المولى دخلنا والتليفون رن ـ من عباس رضوان بلغـه مبروك رجعت البحيرة ـ رجع البحيرة.

لقد عملنا سويا فى العمل السياسى وجـيه أباظة ربانا كلنا ـ فلولا وجيه أباظة عمرى لم أكن احتل ما أنا فيه اليوم ـ أنا رئيس الميكنة الزراعية لجمـهورية مصر العربية وعضو الاتحاد العام لـلتعاونـيات معين بـقرارات رئيس مـجلس الوزراء ٣ دورات عضـو الاتحاد التـعاونى الزراعى المركـزى الدولى بدعوة من الولايـات المتحـدة الأمريكيـة رحتـها ودعـوة من لندن وألمانيا الغربية صاحب الفضل فى هذا وجيه أباظة.

وأنت يوم حدثت واقعـة مع عبد الخالق الشناوى وزير الرى وأنا صاحب الوقعـة وطبعا حدثت لما قلت كلمته فى مشكلة الرى ـ كانت مشكلة من اعنف المشاكل.

قال: إن المهندسين لاتهم كل فرد ولكن رغم المهندسين وهى علم المهندسين.

أنور السادات رفع الجلسة ـ وطبعـا اتصل بالريس. وجمال عبد الناصر أبعـد عبد الخالق الشناوى وهو خال مـحمد أحـمد بعد ٦ أيام من هذه الواقـعة، وطبعـا أضاف فى اجتـماع يناقش الموضـوع ونأخذ الرأى والقيـادة السياسـية علمـتنا ألا نأخذ الرأى الجـماعى ونحن جالسون سألنى: لماذا لم تتكلم يا عبد المولى؟.

قلت له: لائحة التنظيم.

قال لي: أقـول لك شيـئا ـ لو فكرت أنك أحسن فـلاح فى البحـيرة تبقى كـارثة بينى

الدولة تولد قيادات كثيرة وأنت فيك ميزة لو فقدتها ستكون مثل أى قيادة من قيادات الفلاحين رأيك لاتعود عنه لو تذبح أنت يجب أن تقول رأيك ولازم نسمعه منك بصراحة هناك مواقف لا يمكن أن تحدث إلا من شخص. وجيه أباظة ليس هناك وظيفة بدرجة محافظ إنما هناك عقلية سياسية تعمل محافظا العقلية السياسية المحافظ تمثل رئيس الجمهورية فى موقعه فنحن طبعا من أهالى قرية حوالى ٤٠٠٠ أو ٥٠٠٠ نسمة تجمهروا وطلبوني. ذهبت لأجد التجمهر ومعهم المأمور والعساكر واقفين والسيدات فى جنازة.. لما ذهبت سألت إيه قال: أنت عارف أنى عبد المأمور هناك قرار ـ بإنهاء الإصلاح الزراعى لعائلة حمزة جبريل بطردهم ـ وجيه أباظة عودنا أن الا نذهب لمدير أم ولا مدير مصلحة ولا أى مشكلة خاصة المأمور قال إننى عبد المأمور لدى تعليمات من الإصلاح الزراعى بطرد الفلاحين عودنا وجيه أباظة ألا نذهب لمدير الامن أو لأى شخص إلا أن نتصل بمحافظ كقيادات سياسية فلما جاءتنا الناس وطبعا قبل هذا القرار لا يمكن إلغاؤه طلبت تليفون السيد المحافظ ٢٠٥٠ فى البيت ردت عليه الست الهانم يا فندم منظر لم أره منذ أيام الملك، الفلاحون مقيدين بالحبال والنساء يلطمن خدودهن ويركبون فى لورى لأن هناك قراراً بالطرد لأسرته.

قال لي: «فين الحمار اللى بتاع الاصلاح الزراعي» جئت بالحمار ـ كلم ـ أنت يا جدع أنت أنت مش عارف أن القرارات دى لها أثر سياسى فى نفوس الناس ـ شوف الدراسة ـ كيف تنفذ قرارا بهذه الصورة أنت يا جدع أنت اللى يقول لك عبد المولى اعتبره قرار صدر منى وتنفله وتيجى يوم الأثنين بعد بكرة.

ورجعت وسط الجماهير المأمور بنفسه عايز يعرف عملنا إيه؟

وقال لى: اللى يقوله عبد المولى هو ينفذ.

وقلت لهم يقولوا عاش عبد الناصر ـ عاش عبد الناصر عاش وجيه أباظة الذى أعطانا تفويضاً بسلطانه .

قلت: لمأمور المركز فيه شعار عملته الثورة «إن الشرطة فى خدمة الشعب».

ولما يكون فيه قرار بهذا الشكل لازم تشوف القيادات السياسية الأول عشان تعمل حساب الآثار السياسية فى نفوس الناس.

وطبعا ألغى القرار والناس زغردت هؤلاء الناس فى الغربة وفى أرضهم حتى اليوم.

عندما تسمع عن شخص وصله قرار طرد من بيته

كان هناك موقف حضر له شخص طرد من بيته.

أنت فين ـ أنت اللى اسمك عبد المولى عاملين لينا دوشة بيك ممنوع التعرض لأى فلاح فى مسكنه مهما كانت الجهة المصدرة للقرار إلا بعد الرجوع لى شخصيا والراجل ده أخد أرضه ثانى وبنى بيته وبنى بيتى أيام ما كان البيت بـ٤٠٠ جنيه وقال أنا عايز عربية نصف نقل ونروح للباشا لجيبها منه شخصيا وأخذت معاه الصور التى وقع عليها وجيه أباظة وعطاها له فى مكتبه وكان فى عربة فى المعرض تحت البيت قال: أدو العربية لمجاور اللى تحت البيت

وجيه أباظة فى بندر دمنهور ـ أنا دايما كفلاح كنت أتكلم عن مشاكل التسويق التعاونى وطبعا عملية ازعاج فى التسويق التعاونى أنا عضو مجلس أمة لغاية ما سميته التسويق بالهمزة.

وجيه أباظة عمل ٢٨ لقاء لأصحاب ٢٨ مهنة لأخواننا فى دمنهور ونحن نحل مشكلة الكونترجيه؟

قال: يا فندم ليست لنا مشاكل إلا أنك تدبر لنا المسمار الرفيع اللى بيشتغلوا به الجزم ده قافل بيوتنا بحالها بكام بـ١٥ صاغ بحالهم وجيه أباظة احضر مسماراً لكونترجيه تخيل أنت يفكر لغاية ما يوصل لحاجة خاصة بصنع الجزم هذا هو وجيه أباظة .

ذهبت مرة فى حلف الجمل فى عربيته لوحده وجد جماعة فلاحين قاعدين بيلعبوا «سيجا» وقعد يلعب معهم السيجا حتى سألهم عن المشرف الزراعي.

يا بيه مشرف إيه؟ طلب المهندسين... يا بيه مهندسين إيه؟

طب ماحدش بيشكى ليه؟

يا بيه لا رئيس مدينة هنا ولا حد خالص؟

قال لهم: طب ليه مابتروحوش للمحافظ؟

قالوا: أعامل ملعب إستاد فى دمنهور متكلف ٥٠ الف جنيه طبعا الفلاح مش عارف ٥٠ جنيها يعنى أيه ويقولوا إنه لامم الشباب وبيلعب كورة معاهم.

وأقسم بالله هذا من لسان وجيه أباظة قال: مثلا أحنا كأننا بنلعب مع عيال لما يجى مبنى متكلف ٣٠ الف جنيه ولا يؤدى خدماته يبقى أحنا بنلعب كورة ـ كان هذا انشغال وجيه أباظة بمشاكل الفلاحين.

قلت له مرة: لو الفلاح الغنى غش القطن بتاعه بكفاية عليه أحسن من مقاومة الدودة

فلو أقمت نظاماً للفلاحين يلمـوا العفشة ونلم البلاغات اليوميـة منهم لحد ما قال أنا عندى فكرة ـ اللي أرضه فيها عـفشة يسحبها بقرار وتتسلم للجمـعية وتروح لصاحب الأرض بعد يومين ثلاثة أنا أريد أن نسحب أرض عبدالمولى عطية وحـامد الأنصارى وأصدر قراراً فى الاجتمـاع قال: عشان مـاحدش يفكر مادام دى مـصلحة الفلاحين عشـان كل الناس تحرك لمصلحة الفلاحين وتنقى الحشيش وتطلع انتاج.

وجيـه أباظة أعطانى قرارات على بيـاض بسلطاته لأفتش بهـا على الجمعـيات التعـاونية فلاحين وفى المكان التـنفيذى نصـدر القرار بحيث لو وجـدت أى مخالفـة فى أى جمعـية وكتب السيد رئيس مجلس المدينةويحول إلى الشئون القانونية.

عملنـا فى أيام ملكة التجـميع بتاعـة تسويق القطن فـقل لك إن المحالج بتـحلج القطن لحساب الفلاحين فأنا قلت له.

يا فندم طالما هو لحـساب الجمـعيات ويخـصم منها ١٧٠ قـرش عن كل قنطار طب إحنا ندخل المحالج عشان نحـسن رتبة القطن ونرفع شعار رتبة القطن للبحيـرة وجاءت إحصائية للكتاب السنوى لهيئـة التحكيم رسمى مثبوت فيه أن اخـر سنة لتـسويق القطن ٦٣, ٦٤ كان قطن مصر ١٠ ملايين قنطـار رتبه القطن فول جود اكسترا اكـسترا ٧٦,٨٪ من ١٠ مليون قنطار من ٣ سنين فى التسويق التعاونى نزلة إلى ٢٣,٦٪.

وقلت هذا الكلام فى لجان مجلس الأمة وأمـام عبد المحسن أبو النور وقلت هذا الكلام رسمـيا وجهـته الصـحافة صـورة فى غرابيل للقطن الوطنـى فقعـدنا وعرفنا الفـرز وعملنا تفويضات من وجيه أباظة لصالح الاقتصاد المصرى وليس لصالح أحد اخر.

وجيه أباظة أيام تعيين المكاتب التنفيذية

نظر القيادة السيـاسية نحن الذين نبحث أعضاء المكاتب التنفـيذية فى المراكز ونجلس فى مركز اتياى البارود مركز الإصلاح الزراعى قال.

أنا عندى فكرة وعندى ولد لو تعينوه أمين للمركز ده فلاح إنما ولد.

قلت له: يا فندم مين كان واحد الله يرحمه كان فقيراً

قلت له: يا فندم مصطفى نصير ده ما ينفعش خالص.

واختلفنا فى هذا الموقف.

وقال: نعمل دورة فى خالد بن الوليد ليحضـروا الدورة عشان مصطفى نصير ـ وخلنا عبد المنعم بدوى وإبراهيم آدم ومـحمد عبد العزيز من المنوفيـة يحضروا الدورة يوم كامل

ويقابلوني الساعة ٦ يوم الأحد ـ ذهبوا وقعدوا وقلت له: يا فندم نحوشه مصطفى نصير لابس حاجة طويلة كده في يديه وحرز أنه بتاعه فيها مسمار فشكله كده من الشرقية.

فقال: أنت ناسي سيادة المحافظ من الشرقية.

فقال لي: كده يا عبده خربت بيت مصطفى مفيد ـ وقعدنا نضحك لـ ٨ صباحا جيت في مناقشة السياسية الزراعية فقال السيد مرعي كان موجود ونحن ناس ضد عبد المحسن أبو النور وكان من أنقى الناس الذين عرفناها وفجأة لقينا في اللوكاندة اللي في فوق جروبي لقيت واحد بيشدني من رجلي لقيته وجيه أباظة هيا خوض هيا أكل ونوم وقمنا كلنا وشربنا قهوة يا عبد المولى أنا جايلك عشان عبد المحسن أبو النور راجل فقير واللي أنت قلته في موضوع التسويق التعاوني والحكومة أخذت بالكلام اللذي قلته وجاني وجيه أباظة لنتكلم الكلام ده رأفة بعبد المحسن أبو النور.

وجيه أباظة خصص يوم الأثنين للشعب لحل مشاكل الناس لحد ما لقيت واحدة ست قال لمحمد العسكري: هات كرسي للست وأنا مهندس ماشاف حادثة فلقينا وجيه أباظة اعطى للست ٧٥ جنيها من غير اجتماع ومن غير بحث بالرغم من أنها ممكن تكون نصابة ووصلها بسيارته هذه نواحي إنسانية مرة نزلة عند المعهد الديني في دمنهور وجد طفلين صغيرين يلعبان كورة بالليل وعلى مانده عشان يشوف ميكانيكي وولد صغير قال وجيه أباظة: كل الشبابيك والبيوت اتفتحت وجاء الميكانيكي.. فانظر قيمة وجيه أباظة في نفوس شباب لا يعرفوه لمجرد سمعوا عنه عندما أصابته الأزمة قلت له استجير منه المحافظ أنا جاي أقولك كلمتين أن بيقولوا عليه عبيط إنما قلبي زي الحديد ويقولوا دلوقت بيقلوا القلب بره في أمريكا ولندن فأنا دلوقت جاي عشان تاخودني معاك أنقل قلبي تعيش به.

د. محمد مردان

لم يحصل على إجازة أبداً

الدكتور محمد مردان مدير مستشفى دمنهور العام . . أكمل وأكبر، وأحسن مستشفى أقيم فى الأقاليم يروى قصته مع وجيه أباظة .

كان طبيباً فى مجموعة صحية قروية ، زاره وجيه أباظة وأعجب به، والتقطه، وقرر تعيينه مديراً لأول مستشفى عام وحديث يقام فى محافظات مصر . .

قبله لم يكن فى المحافظات مستشفي حديث . . ولم تكن الخطة تتضمن إنشاء المستشفيات العامة ، ولكن وجيه أباظة ـ بالجهود الذاتية ، وخارج الخطة ـ أقام مستشفى دمنهور العام ليصبح أكبر المستشفيات الحكومية فى مصر . . ورصد له الإمكانيات حتى أصبح معهداً لتدريس الطب ، وأقام أيضاً إلى جواره مدرسة للتمريض. كما أقام منحلاً يقدم عسل النحل، ومخبزاً يقدم الخبز ، ومرعى لتربية المواشى ليقدم اللحوم للمرضى، وهكذا حقق الاكتفاء الذاتى. وكان المستشفى من حيث الطب يدار إدارة علمية يعاون فى العلاج الأساتذة من كلية طب الإسكندرية، ومن حيث الخدمات يدار كفندق درجة أولى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقول الدكتور محمد مردان :

كنت طبيبًا فى المجموعة الصحية، فى قرية اسمها الرحمانية من شبراخيت فى محافظة البحيرة منذ سنة ٥٦، مر وجيه أباظة السيد المحافظ على المجموعة ١٩٦١ وأعجب بالنظام والعمل لأنه كان لما جاء باختصار انتدبنى من طبيب مجموعة صغير إلى مدير مساعد للصحة الريفية فى محافظة البحيرة.

كنت قد حولت المجموعة إلى مستشفى، وكانت الأسرة مشغولة أيامها، الوزير محمود نصار كان ضد إجراء العمليات بالمجموعات الصحية، هو أعجب بى وانتدبنى للصحة الريفية، وذهبت لبعثة داخلية، المعهد العالى للصحة العامة. وبعدها تقرر نقلى لمحافظة الفيوم إلا أننا فوجئنا وأنا فى المعهد بأن جاء عميد المعهد أ. د/ عبد الفتاح الشريف - وقال لى: جاءت إشارة من الوزارة بنقلك للبحيرة بفضل السيد المحافظ/ أباظة هو الذى طلبنا وطلبت من الوزير النبوى المهندس بالاسم، وجئت البحيرة بعد البعثة فى يوليو سنة ٦٢ عملت مع أ.د/ أنور المفتى بقرية «سحالى» بإشراف السيد المحافظ . وكانت أول محافظة تنشأ فيها وحدات صحية ريفية صدر قرار لقسم خدمات صحة الريف فكانت أول وحدات صحية ريفية علمت وأنشئت بالدولة فى البحيرة .

وفتحت فى عهده فى فتره قصيرة جداً مالا يقل عن ٢٠٠ وحدة صحية وريفية و٢٠ وحدة مجمعة، وكنت المسئول عن هذه الوحدة وكان يومياً يمر على هذه الوحدات، ويفتتح فى أعياد الثورة فى جميع المراكز وحدات صحية ريفية - ففتحنا خلال سنة ما يقرب من ٢٠٠ وحدة صحية ريفية و٢٠ وحدة مجمعة وكانت الناس تتبرع بالأرض بفضل مجهوداته بحيث تصبح فى كل قرية فى محافظة البحيرة وحدة صحية ريفية، وكانت محافظة رائدة فى هذا المجال، ولم تكن المحافظات قد أقامت وحدات صحية ريفية .

عشرات الوحدات فتحت وبدأ العمل فيها سافرت فى بعثة تابعة لمنظمة الصحة العالمية للصحة الريفية للاتحاد السوفيتى بيوغوسلافيا وبلغاريا فى مجال الصحة. وأما الصحة الريفية كان قد أصدر لى تفويضاً باختصاصات المحافظ، يعنى مدير الصحة مدير عام كان يملك اختصاص المحافظ بالنسبة لشئون العاملين ـ الشئون الإدارية - قرار من السيد المحافظ بتفويض باختصاصاته فيما يتعلق بالصحة الريفية بعد ما أصبحت هذه الصحة رائدة فى

الوحدات الصحية. وفى كل وحدة للمحافظة وحدات ريفية طلب منى الإشراف على مستشفى دمنهور فى ديسمبر سنة ٦٤.

المستشفى خارج الخطة، لم يكن فى المحافظات مستشفيات إطلاقاً، كلها مستشفيات قديمة من أوئل القرن العشرين. مستشفى دمنهور القديم كان بدائياً جداً، أوجد هو الأرض وهى أرض الوكيل بشمال مدينة دمنهور. وبنيت مستشفى ٨ أدوار. كل هذا بخارج الخطة إنشاء وتجهيزاً.

وبيعت أرض المستشفى القديم لمحلات عمر أفندى والإسكان. وكان يشرف على إنشائها وتجهيزها، وكنت أنا مساعده فيها تقريباً. وكنت مسئولاً عن مستشفى دمنهور، مديراً له وأنا لم أعمل فى المستشفيات إطلاقاً من قبل.

بعد ذلك أصبحت هناك مستشفيات عامة فى جميع المحافظات، وكان أول مستشفى عام هو مستشفى دمنهور. بعد ذلك توالت المستشفيات فى جميع المحافظات، بدأت تعمل مستشفيات مثل دمنهور أدخل فيها نظم اكتفاء ذاتي: كان فيها مخبز - ومحل وقرر أن تعمل عيادة المستشفى فترة مسائية علاج اقتصادى بالإضافة إلى القسم الداخلى بأجر.

ففى وزارة الصحة كان سرير الدرجة الأولى بمبلغ ١٢٠ قرشاً فى اليوم أصدر قراراً أن يكون بـ ٣٠ جنيها للطبيب المتفرغ حيث يشتغل فى عيادة اقتصادية فى الفترة المسائية يأخذ منها نسبة.

كانت هناك مدرسة تمريض، كان أول محافظ ينشىء فى محافظته مدرسة للتمريض، التدريس فيها بدون المبيت، وذلك حتى يقبل أولياء الأمور على إلحاق بناتهم بمدارس التمريض.

لم تكن مستشفى دمنهور للعلاج فقط، ولكن للتدريب أيضاً بعد العلاقة بينها وبين كلية الطب وكان أساتذة كلية الطب، المهم هو إشراف فنى على الأقسام المختلفه بالكلية فيما يخصهم. وخصص السيارات كى تأخذهم من الإسكندرية، وكانت بفضل علاقته بالعميد / أحمد سيد درويش، وهكذا كان مستشفى رائداً نموذجياً وتدريبياً بل أصبحت كلية إكلينيكية بمعنى أن يتدرب فيها الطلاب للسنوات النهائية من أبناء المحافظة أو المحافظات المجاورة الذين يرغبون بدلاً من أن يذهبوا إلى الإسكندرية، فمستشفى دمنهور التعليمى - مآثره كثيرة جداً

فى المستشفى مما جعل مستشفاه رائداً ونموذجياً وكانت من أكبر مستشفيات مصر، وكان المسئولون يوازنون المعادلة لنظام التغذية، هناك اكتفاء ذاتى فى التغذية، مخبز وصحة، وفيها (نقطة للذبح) وطبيب بيطرى يشرف على الذبح.

طبيب مقيم عام أخذ أطباء من الريف وشغل المستشفى بنواب التخصص المندوبين من الريف - أى الجراحة لها نواب ، الأطفال ، النساء ، لم يكن هذا النظام موجوداً، أخذته وزارة الصحة وطبقته من سنة ٦٨ من أيام النبوى المهندس، أول مستشفى طبق نظام نواب التخصص المعمول به بالجامعات .

بدأت تكون هناك حاجة اسمها نواب تخصص، وليسوا نواباً عموميين وكل واحد يتخصص فى مجاله - كان يبعث البعثات يبعث الدورات وأنا أرسلنى وأدخلنى البعثة وذهبنا إلى تشيكوسلوفاكيا والمجر - تعلمت منه الكثير. كنت طبيباً صغيراً - اخترت خبيراً بالأمم المتحدة لإدارة المستشفيات.

وذلك يرجع لفضل الله سبحانه وتعالى أولا، ولتشجيع سيادته لى ومساندته وكان المثل والقدوة والمعلم.

كان دائماً مدرسة التمريض تخرج ممرضات - ولقد قدمت هذه المدرسة كافة احتياجات المستشفيات فى التمريض فى جميع مستشفيات المحافظة .

كان دائماً يبعث دكاترة من المستشفى يذهبوا إلى بنك الدم بالجامعة، ليتدربوا فيه. نظام التفرغ - كان للمدير أو الإخصائيين - أوجد وجيه هذا النظام فى المستشفيات مع تعويضهم ماديا تعويضا مجزيا .

الدكاترة الصغار يوافق لهم لم على بعثات داخلية مما يجعل الدكاترة يقبلون على العمل، بالإضافة إلى المستشفى التعليمى، وكلية طب. فى جميع التخصصات يوجد الدكاترة الأخصائيون. كما أنه ربط المجموعات الصحية بالمستشفى دعا فيها أسرّة ما يقرب من ٤٠ مجموعة صحية بها فى المتوسط ١٤ سريراً، وكانت الأسرة معطلة وكان الدكاترة من مستشفى دمنهور لإجراء عمليات فى هذه المجموعات الصحية حتى يأتى الفلاح إلى دمنهور، كان الدكاترة يجرون العمليات فى الوحدات الصحية ١٠ سنين ويضم مراكز طبية

كافية عيادات رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ فى أحياء دمنهور، الإستقبال لأن المستشفى كانت بعيدة عن الكتلة السكنيه كان الإستقبال فى الاسعاف وسط مدينة دمنهور وعلى مدى ٢٤ ساعة.

حى أبو الريش كانت فيه عيادة ، شبرا كان فيها عيادة ، خلاقة كان فيها عيادة، إنشاء ٤ عيادات فى الأحياء فيها الخدمات الأساسية تنظيم الأسرة .

كانت هذه الوحدات خارج الخطة ؟ كانت الدولة ليس فيها مثل هذه العيادات وجيه أباظة أمر لهم بميزانية وبعدها أخذت الوزارة هذا النظام دعمته وسمى المراكز الطبية فى الحضر.

لاشيء يقف أمامه - الفلوس يخلقها من تحت الأرض - تصرف - بإمكانياته، علاقاته بالمسئولين فى الدولة ليس لها حدود فى تلك الفترة جميع السياسيين - وجميع أعضاء مجلس قيادة الثورة، المغنيين وأم الكلثوم ونادية لطفى كلهم كانوا يحضرون له - وكل الوزراء من الشافعى وأنور السادات ومجدى حسنين وعلى صبرى كل هؤلاء رأيتهم فى دمنهور أسبوعياً،وكان عندنا الاستاذ الدكتور إسماعيل السباعي، لاجراء العمليات الدقيقة فى جراحة الأورام وينام عندنا ونأكله لحمة رأس وكوارع - فى المنحل ٤٠ خلية للمرضى، الدكاترة فى الأسبوع المرضى فى المستشفى يأكلون لحماً طوال أيام الأسبوع ومرتين فى اليوم.

مبنى المستشفى لم تكن ماكانش عندنا مستشفيات قبل كلية الطب وكان الطلبة يذهبون إلى المستشفى بدل الذهاب إلى الإسكندرية سنة ثالثة، رابعة وخامسة كانت كلية إكلينيكية كانت كلية طب للتدريب والعياده بعد الظهر - الحجح علاج اقتصادى كان فى مستشفى دمنهور حقق الكثير وتم انشاء وتجهيز مستشفى للاطفال ١٥٠ سريراً من حصيلة صندوق تحسين الخدمة دون أى تكلفة من الدولة تكلفت أكثر من مليون جنيه فى هذا الوقت .

كان رائداً، كسر الروتين والبيروقراطية من مركزية التخطيط و مركزية التنفيذ ولا يتدخل أحد - أنشأ إدارات صحية فى المراكز والمدن جعلهم يشرفون عليها - وأقام فى كل مركز وكل مدينة إدارة صحية - هذه هى الإدارة المحلية .

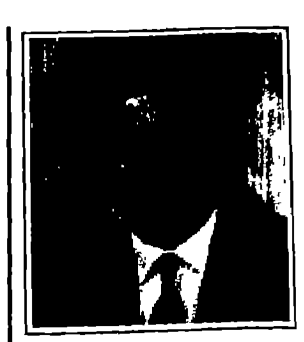
وجيه أباظة المحافظ الوحيد الذى ينفقه على الوظيفة من جيبه وكنا وضيوفنا دائماً نأكل فى بيته.

أقمنا على الطريق الزراعى السريع، وعلى الطريق الصحراوى نقط إسعاف ، مزودة

بفريق من الأطباء ، وكان لا يتهاون فى هذا الأمر أبداً .

كان وجيه أباظة إنسانا لماحا يعمل ليلا ونهارا، ولا يكل ولا يتعب بعض عمله ولا يعرف المستحيل، يعمل ليلا ونهارا وليست له إجازة سنوية أو راحة أسبوعية يمر عليّ وفى المستشفى، فى الأعياد والمناسبات الدينية كان وطنيا صادقا يحب بلده ويخدم مواطنيه ولا يدخر وسعا فى مساعدتهم وتلبية طلباتهم فى الصالح العام.

لا أنسى عندما استدعيت فى جهاز التعبئة فى حرب ١٩٦٧، وبمجرد وصولى للقاهرة لتقديم نفسى لتأدية الواجب الوطنى أنه نودى على بالاسم وأخذت وعداً بالعودة ثانية لعملى بدمنهور وذلك بناء على تدخل أستاذى ومعلمى ومثلى الاعلى والذى تعلمت على يديه الكثير والذى وضعنى على أول طريق النجاح والتفوق صاحب الفضل الأول فى أن عملت خبيرا ومستشارا بالأمم المتحدة هو وجيه أباظة... الذى مازال يعيش فى وجدانى.



محمد غنيـــم

فتح الطريق لكل المواهب

محمد غنيم وكيل وزارة الثقافة.. يذكر دائماً وجيه أباظة الفنان والأخ والأب..

كان محمد غنيم مدرساً للغة الإنجليزية بمدرسة دمنهور الثانوية هاوياً للمسرح اكتشفه وجيه أباظة، وعهد إليه بإنشاء فرقة البحيرة المسرحية عام ١٩٦١.

وانتقل محمد غنيم ابن محافظة البحيرة من وزارة التربية والتعليم إلى وزارة الثقافة بفضل وجيه أباظة الذى وضعه على أول الطريق وأصبح مسئولاً عن قصر ثقافة دمنهور. وشق الطريق فى وزارة الثقافة حتى أصبح وكيلاً للوزارة للعلاقات الثقافية الخارجية حالياً.

عندما يتحدث محمد غنيم عن وجيه أباظة فهو يتحدث كواحد من أبناء المحافظة التى أخذ بيدها أول محافظ لها وهو وجيه أباظة ووضعها على طريق العمران والتنوير والتقدم.

ثم يتحدث عن المحافظ الفنان الذى فتح الطريق أمام عشرات المواهب الفنية لتشق طريقها، وأصبحت لامعة وتركت بصمات بارزة فى حياتنا الفنية والثقافية.

وأيضاً يتحدث عن حركة التنمية الثقافية التى اهتم بها وجيه أباظة، ووصل بها إلى جرن القرية ليشاهد الفلاح المسرح فرقة الفنون الشعبية والسينما والمعارض، ويشارك فى الندوات الثقافية والسياسية، ويستمع إلى الموسيقى وقصائد الشعر والزجل لكبار الفنانين والأدباء.

وكانت البداية عام ١٩٦٠ حيث يقول محمد غنيم. :

«عدت إلى دمنهور مدينتى بعد تخرجى فى كلية الآداب جامعة الاسكندرية قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، وكنت قد دخلت الجامعة عام ١٩٥٦ وتخرجت فيها ١٩٦٠ورجعت إلى نفس المدرسة التى كنت أدرس بها وأنا طالب، وعينت بها مدرساً للغة الإنجليزية فى ذلك الوقت وأصبح أساتذتى زملائى.

وكان المثير بالنسبة لى فى ذلك الوقت أننى فوجئت بزملاء لى قصروا فى الدراسة وأصبحوا تلاميذ عندى فكان هذا مثيراً ومضحكاً فى نفس الوقت.

كان السيد وجيه أباظة قد عُين محافظا للبحيرة مع بداية الحكم المحلى عام ١٩٦٠.

وكانت هواية المسرح تمثيلاً وإخراجاً فى دمى منذ الصغر فكنت أمارس التمثيل فى المدرسة والجامعة وفى إذاعة الإسكندرية أيضاً.

وكانت دمنهور مشهورة بالنشاط الأدبى والفنى وكانت جمعية الفنون بدمنهور علامة واضحة فى ذلك، وكان يتجمع فيها عدد كبير من المواهب والطاقات الفنية المبدعة .

فمن دمنهور خرج أدباء كثيرون مثل «عبدالمعطى المسيرى» الذى كان يكتب قصة قصيرة وهو جالس يجمع الإيراد فى القهوة التى يملكها ويديرها. .

وكان معظم الأدباء يتجمعون فى قهوة المسيرى ، ويتبادلون قراءة إنتاجهم الأدبي، ومن يتميز منهم يسافر إلى القاهرة ، ومنهم الأديب صبرى العسكرى الذى يعمل محامياً واشتهر ككاتب وأديب ومحمد صدقى، وعبد القادر حميدة اللذان عملا بالصحافة والأدب، وكذلك الشاعر الراحل المبدع فتحى سعيد.

عدت إلى المدرسة وكان معروفاً عنى ولعى وحبى للمسرح فطلب منى الناظر أن أكوّن فريقاً للتمثيل فى المدرسة ، وبالفعل كونت فريق التمثيل ، وأنشأت مسرحاً فى قاعة «الجمانزيوم» بمواصفات حديثة مما تعلمته من كبار المخرجين فى جامعة الإسكندرية ، ومنهم الفنانون نور الدمرداش ـ رحمه الله ـ وحمدى غيث ـ وفتوح نشاطى، وكمال ياسين، ومحمود مرسى. وتم إنشاء هذا المسرح وكّونت الفرقة وكنت دائماً أشعر أن من واجبى عمل شىء يخدم جمهور مدينتى دمنهور ولا يقتصر عملى على التدريس فقط.

وكان مسرح بلدية دمنهور كأوبرا صغيرة ولكن للأسف وصل به الأمر حالياً إلى حالة

تستوجب التدخل لإنقـاذه، وقد وافق السيد فاروق حسنى وزير الثقـافة على قيام صندوق التنمية الثقافية بالتعاون مع محافظة البحيرة بإعادة مسرح البلدية إلى سابق رونقه المعمارى وكفاءته الفنية لاستقبال العروض المحلية والعالمية.

أخـرجت مسـرحـية «ثمن الحـرية» من الأدب الفنزويلى للكـاتب «إيمانويل روبليس» وكانت من ترجـمة الاستـاذ سهيل إدريس، وتم عـرضها على مسـرح البلدية فى أبريل ١٩٦١.

ودعوت السـيد وجـيه أباظة لمعـرفتى باهتمـاماته بالفنون والـثقافـة من قبل لحـضور المسرحية.

كان اسم وجـيه أباظة يرتبط بالتوجـيه المعنوى للقوات المسلحـة، والفنانون يذهبون للمحـافظات فى قطار الرحمة ويقـيمون حفـلات أقرب إلى حفـلات أضواء المدينة تحت إشراف السيد وجيه أباظة فى الخمسينات.

وفعلاً حضر المحافظ العرض .

وكانت مفاجأة لناظر المدرسة لأنه لم يكن يتوقع أن يلبى المحافظ الدعوة.

بعد العـرض طلب المحافظ أن يصافح المـمثلين ويتعرف على المخـرج المدرس وصافح الطلبة وتعرف علىّ وقال لى : أريدك غداً فى المحافظة لمقابلتي.

وذهبت إليه واسـتقبلنى بترحـاب وقال لى: أريدك أن تنشىء فرقـة مسرحيـة لمحافظة البحيـرة. ومطلوب أن تقدم لى مشروعـاً ودراسة فى ظرف أسبوع لأننى أريـد تخصيص ميزانية لإنشاء فرقة مسرحية تخدم محافظة البحيرة وليس دمنهور فقط.

لم تكن فرقة البحيرة للفنون الشعبية قد أنشئت بعد.

وبالفعل بعد أسبوع كانت الدراسة مـتكاملة بين يديه وأعجب بها جداً وكانت الميزانية السنوية لا تتعدى ٢٠٠٠ جنيه لإنتاج المسرحيات والقيام بالنشاط.

تشكلت فرقـة البحيـرة بكل المعايير العلمـية التى تتبع لتـشكيل الفرق على مسـتوى الدولة، فكانت هناك لجنة الاختبـار من كبار مخرجى الدولة وأذكر أنه كـان من أعضائها الناقد الدكتور محـمد مندور والأستاذ فتوح نشاطى والأستاذ كمـال ياسين والأستاذ محمد

توفيق، ولم تكن قد أنشئت بعد فرقة الإسكندرية المسرحية . . .

نشر فى الصفحة الأولى من الصحف إعلان مدفوع الأجر عن تشكيل فرقة مسرحية بالبحيرة وعلى راغبى الالتحاق التقدم لملء الاستمارات فى موعد أقصاه كذا وحدد التاريخ فتقدم من جميع أبناء محافظة البحيرة ومن مراكزها «الدلنجات - كفر الدوار - شبراخيت - كوم حمادة - دمنهور - رشيد وغيرها» تقدم حوالى ٣٦٠ هاوياً للالتحاق بالفرقة.

واجتمعت اللجنة واختارت أعضاءها ومن أبرزهم الفنان المعروف محمد نوح وفهمى الخولى مدير فرقة المسرح الحديث بالبيت الفنى للمسرح.

تكونت الفرقة من ٣٠ فنانا وفنانة حتى جاءنا من الإسكندرية من يريدون الانضمام إلينا ،ولكننا كنا قد اكتفينا بهذا العدد، وبدأت الفرقة نشاطها عام ١٩٦٣.

عملت فى هذه الفترة مدرساً فى التعليم الثانوى صباحاً وبعد الظهر كنت مديراً للفرقة ومسئولاً عن نشاط الفنون والآداب بالمحافظة.

وفى عام ١٩٦٦ أوفدنى السيد وجيه أباظة لكى أمثل محافظة البحيرة فى مؤتمر المسرح فى إطار المؤتمرات النوعية التى كان يعقدها الدكتور ثروت عكاشة كوزير للثقافة فى المجالات الثقافية المختلفة لتقييم وتطوير العمل الثقافى فى مصر.

وفى المؤتمرجرى حوار بينى وبين الدكتور ثروت عكاشة - وزير الثقافة فى ذلك الحين - انتهى إلى أنه طلب منى أن ألتحق به فى مكتبة بقصر عائشة فهمى فى الزمالك حيث عرض على أن أنقل من وزارة التربية والتعليم إلى وزارة الثقافة حتى أتولى مسئولية مديرية الثقافة فى البحيرة.

كان ذلك عام ١٩٦٦ وعمرى ٢٨ عاماً . . .

وكنت درجة سادسة قديمة وكنت سعيداً جداً بذلك، وشكرت لسيادته المبادرة التى ستحقق حلمى فى العمل بمجال الثقافة والفنون الذى أعشقه، وطلبت من سيادته أن يتصل بالسيد المحافظ فربما يكون له رأى آخر.

فقال لى إنه سوف يتصل به ، وفعلاً اتصل به ولكنه لم يخبره باسمى وقال له: أريد أن أعين من أبناء دمنهور من يتولى هذا العمل لأن الموجود غير صالح للعمل فهل لديك مرشحون لهذا العمل فقال السيد وجيه أباظة: نعم. . شاب اسمه محمد غنيم.

ففوجيء الوزير ثروت عكاشة بهذا وقال له: أنا اخترت نفس الشخص فعلاً.

فوافق على نقلى وكان هذا صعباً لأننى مدرس لغة انجليزية وهذا التخصص مطلوب وهناك عجز مستمر فى هذا التخصص.

وقام الدكتور ثروت عكاشة بالاتصال بالدكتور عبدالعزيز السيد وزير التعليم رحمه الله، وبالفعل أنهى عملية النقل رغم اعتراض لجنة شئون العاملين فى الوزارة ، ومن هنا بدأ انطلاقى بالنسبة لقصر الثقافة بدمنهور ، وبيوت الثقافة فى المراكز وأصبحت مسئولاً ليس عن فرقة البحيرة فقط .. لكن عن الثقافة بمعناها الشامل بالمحافظة.

وكانت فترة فى قمة الازدهار. على سبيل المثال كانت هناك مهرجانات دولية تنتقل من القاهرة إلى دمنهور بطلب من المرحوم وجيه أباظة .

وأول مهرجان دولى للفرق الشعبية اشتركت فيه حوالى ١٨ فرقة تمثل ١٨ دولة قدمت عروضها فى دمنهور وأنشئ لها مسرح بالون صغير بمدينة دمنهور بهذه المناسبة، وكان وجيه أباظة هو صاحب فكرة إنشاء المسرح.

كان المسرح يتسع لحوالى ١٠٠٠ شخص، وللأسف تعرض المسرح لحريق، بعد أن أقيمت عليه بعض العروض بسبب ماس كهربائى.

وبدأت الحياة فى دمنهور تتغير معالمها الاجتماعية بسبب الازدهار الثقافى وتشجيع وجيه اباظة للحياة الثقافية ولرعاية المواهب.

فأقام فرقة فنون شعبية - فرقة مسرحية - شجع اللقاءات الأدبية - وأنشأ أول نادى سينما، وتعاونت وزارة الثقافة مع محافظة البحيرة، وكان المحافظ يقدم دعما ماديا ومعنويا ملموسا لنشاط الثقافة الجماهيرية.

تم نشر العديد من الكتب الأدبية فى عهده ، من خلال مديرية الثقافة، فصدرت دواوين وكتب للشعراء وكتاب القصة القصيرة والرواية.

بدأ شباب المحافظة معرفة الكتاب والأدباء من أبناء محافظتهم فعرفوا مثلاً أحمد محرم ومحمد عبدالحليم عبدالله وأمين يوسف غراب والشيخ محمد عبده والشيخ محمود شلتوت وتوفيق الحكيم.

فى ذلك الوقت تحولت دمنهور إلى مركز ثقافى واجتماعى كبير فكان معظم الرموز

الثقافية فى القاهرة يحرصون دائماً وأبداً على حضور جميع اللقاءات الثقافية حتى ولو كان لها طابع سياسى ويرجع الفضل فى هذا إلى وجيه أباظه.

واكتسبت فى هذه الفترة ليبرالية الإدارة بمعنى أننى كنت أمقت البيروقراطية والروتين والإجراءات التى تعوق تنفيذ أى مشروع. فكانت لدى روح الإقدام والجراة، واعترف بأننى اكتسبت هذا من المرحوم من وجيه أباظة.

وهكذا أصبحت دمنهور مدينة ثقافية معروفة بعد أن كانت على مدى التاريخ بلداً تجارياً واقتصادياً، وأصبحت تقف جنبا إلى جنب مع القاهرة والإسكندرية. لدرجة أننى رغم عملى بعد ذلك فى الإسكندرية وأصبحت مسئولاً عن الثقافة فى قصر الحرية من ٦٩ إلى ١٩٧٥ومن ١٩٧٥ إلى ١٩٧٩ فإننى كنت مسئولاً عن الثقافة فى الإسكندرية ككل حتى ذهبت فى ١٩٧٩ كملحق ثقافى فى واشنطن عن طريق وزارة الثقافة، وتوليت بعد ذلك من عام ١٩٨٩ العلاقات الخارجية لوزارة الثقافة حتى اليوم مازال يدور فى ذهنى ما كان يقوم به الراحل وجيه أباظة عندما كان يدير شئون محافظة البحيرة. فأجد أننى اكتسبت منه الكثير وأدين له بفضل كبير فى مجال الإدارة والتحريك الثقافى.

■قدمت لنا المناخ فى دمنهور وانعكاساته الاجتماعية والسياسية ماذا عن بقية مدن محافظة البحيرة كمحافظة؟

- فى مراكز مدن محافظة البحيرة كان هناك بيت ثقافة فى كفر الدوار - وبيت ثقافة فى رشيد. وآخر فى إيتاى البارود وفى كوم حماده ومديرية التحرير.

كان شعورى بأننى أنا المسئول عن قصور وبيوت الثقافة بالبحيرة ، وأن محافظ البحيرة يساندنى، وكانت هناك مجموعات عمل تطوعية فى كل المراكز هناك تقوم بتنفيذ النشاط الثقافى، ليس عن طريق التنظيم السياسى ولكن عن طريق العلاقات الشخصية والمباشرة أيضاً ولحبهم للمرحوم وجيه أباظة.

هذا كله كان يسهل لى أعمالى فعندما أرسل بقافلة ثقافية أو أرسل مجموعة فنانين أو أدباء يشارك أبناء المركز أو المدينة أو القرية فى تنظيم النشاط على مسرح متنقل سهل التركيب كان المرحوم وجيه أباظة قد وافق على تصنيعه بناء على اقتراحى لتوسيع رقعة الخدمة الثقافية فى ربوع محافظة البحيرة.

فالفرقة المسرحية وفرقة الفنون الشعبية لم تقتصر عروضهما على مدينة دمنهور ، وإنما ذهبتا إلى المراكز والمدن وقدمتا أجمل العروض وسط الفلاحين فى «جرن» القرية.

وهكذا كان دائماً الريف فى الذهن. فعندما يقام أى حدث ثقافى فى العاصمة دمنهور كنا نلاحظ أن الحاضرين من المراكز أكثر من الحاضرين من دمنهور نفسها، ولذلك كنا نقيم أحداثا ثقافية فى المناطق الريفية نفسها.

كان وجيه أباظة فناناً قبل أن يكون رجل سياسة. كان محباً للفنون والثقافة وكانت له أفكاره اللامعة والبراقة، كما كان مسانداً لأى موقف يتعرض له أى فرد منا.

كان يساندنا أمام السلطة المركزية عندما يكون لنا مطلب عادل.

وإذا اختلفنا مع السلطة كان يساعدنا على أن نقاوم أى تعليمات خاطئة.

■هل وجدت صعوبة فى الحصول على محترفى التمثيل؟.

لا.. على العكس فعدد الممثلين كان لا بأس به ، ومعظمهم من مدينة دمنهور ، ولكننا كنا نجد الصعوبة فى الحصول على نجمة، فكنا نتعاقد معها من القاهرة أو الإسكندرية.

ومنذ بداية فرقة البحيرة ١٩٦٣ فى تقديم عروضها إلى الوقت الذى تركت فيه مدينة دمنهور ١٩٦٨ قدمت فرقة البحيرة المسرحية خلال خمس سنوات حوالى ١٣ مسرحية.

كانت أول فرقة للمحافظات يصور لها التليفزيون أعمالاً ويدفع لها مقابل التصوير ... وتعرض مسرحياتها على شاشة التليفزيون.

كان هذا هو المناخ الذى كانت تنعم به مدينة دمنهور فى عهد المرحوم وجيه أباظة: ازدهار ثقافى وإبداع فنى وحياة اجتماعية نشطة.

كان اعتزازى بمدينتى كبيراً جداً لأننى كنت أحب أن أعيش فى هذا المناخ ، الذى أوجده وجيه أباظة، وعندما ترك وجيه أباظة دمنهور تركتها معه وذهبت للإسكندرية.

■هل ظلت صلتك بوجيه أباظة مستمرة؟

- ظلت مستمرة إلى أن سافر إلى ألمانيا للعلاج بحوالى شهرين. وقد تتعجب أن

الاتصال كان فى معظم الأحيان من جانبه.

عندما كان يقرأ أى خبر يخصنى على صفحات الجرائد عن إنجاز أو عمل أديته يرفع على الفور سماعة التليفون يهنئنى ويقول أنا فخور بكم فأنتم أولادى. وعندما اقرأ عنكم أشعر أن هناك شيئاً ما تم عمله. أنت وسعد الخوالقة ومحمد نوح والآخرون... فعلاً أنا أحس أننى لم أصنع لكم شيئاً وأنكم أنتم الذين صنعتمونى، وليس أنا للذى صنعتكم. فأرد عليه وأقول: الفضل لك بعد الله.

■وماذا عن المناخ الأدبى بعيداً عن المسرح؟

- كانت هناك جمعية أدباء البحيرة مشهورة ترعاها وتدعمها المحافظة... وكانت هناك مجموعة من الشعراء والروائيين وكتاب القصة القصيرة والمسرحية.

كان الإنتاج الشعرى مثلاً ينال دائماً المراكز الأولى فى المسابقات التى تعقدها وزارة الثقافة فى الزجل والشعر الغنائى والعامى والقصة القصيرة، وقد اشتهر عدد غير قليل كمؤلفين أغنية وزجالين منهم حامد الأطمس وسعيد النعناعى وشعراء مثل حسن قاسم وياسين الفيل، وأيضاً فى مجال الرواية والقصة والندوات الأدبية التى خصص لها يوم فى الأسبوع وهو يوم الأحد وتذوق الفن السينمائى ندوة حوله كل أسبوع تحت اسم ندوة الفيلم المختار التى كانت تنظمها الثقافية الجماهيرية.

■وماذا عن موقف وجيه أباظة من هذا؟

- كان دائما يشجع اللقاءات والندوات وإذا وجد مشروعاً لكتاب جيد ينشره على الفور ويدعمه مالياً حتى ينشر عن طريق قصر الثقافة فى دمنهور وجمعية الأدباء.

وقد كان المرحوم وجيه أباظة يدعو وسائل الإعلام لتغطية النشاط الثقافى والفنى لمواهب البحيرة وكنا دائماً على شاشات التليفزيون. وكانت أخبارنا على صفحات الجرائد. لقد كان فى كل شئ الأب الروحى لنا.

فرق التليفزيون المسرحية العشر التى أنشأها الفنان الراحل السيد بدير فى عصر الدكتور عبدالقادر حاتم كانت أول جولة لها تبدأ فى دمنهور لأنهم كانوا متأكدين من أن وجيه اباظة سيقوم بمساعدتهم مادياً فى تنفيذ عملهم وإنجاح عروضهم.

تعرفت على معظم فنانى القاهرة من خلال تلك العروض التى كانت تأتى لدمنهور. منهم عادل إمام - صلاح السعدنى - سعيد صالح - فؤاد المهندس - عبدالمنعم مدبولى - الكثير والكثير من نجوم مصر الذين كانوا يعملون فى مسارح التليفزيون.

حتى أننى عندما جئت إلى القاهرة كان معظم الوسط الفنى يعلم من هو محمد غنيم.

ذات مرة قابل وجيه أباظه الفنان عادل إمام بمفرده فقال له عادل أين محمد غنيم . . . أنا متعود أن أرى المحافظ وضرورى معه محمد غنيم .

حتى اليوم أنا وعادل أصدقاء جداً ونتذكر دائماً وجيه أباظة.

وأيضاً فؤاد المهندس وشويكار ومعظم الفنانين يتذكرون وجيه أباظة .

ويتذكرون دائماً مدى مساندته لهم ولنشاطهم المسرحي.

أنا لا أسرد هذا الحديث بأية مبالغة فالرجل رحل بعيداً عنا وتوفى رحمه الله ولكن لأنه فعلاً له فضل حتى علىّ كإنسان فقد كان دائماً الأب وكان يشعرنى أنه الأخ الأكبر.

حتى فى الأمور العائلية أو الشخصية. وأذكر يوم زواجى كان أول الحاضرين وجيه أباظة.

وأقمت زفافى فى النادى الاجتماعى بمدينة دمنهور لأننى كنت فخوراً بها ، لأن محافظها وجيه أباظة هو الذى بنى النادى الذى مازال من أجمل مبانى دمنهور الحديثة.

كانت هناك مجموعة من شباب دمنهور المثقفين يعملون كأوركسترا تحت قيادة المايسترو وجيه أباظة.

فكان الدكتور سعد الخوالقه وهو الآن رئيس جامعة الإسكندرية ورئيس لجنة النقل والمواصلات بمجلس الشعب وقيادة سياسية وتنفيذية مرموقة يدير مركز الخدمة العامة فى أبو الريش. وفلان يدير كذا أو كذا.

وكل فرد منا مسئول عن شيء .

وآخر اليوم نجتمع مع المحافظ ولم نشعر أبداً للحظة أننا بعيدون عنه.

كنت اتصل به فى أى وقت تليفونياً ، أو أذهب إليه دون اتصال فى منزله وكان من

عادته أن يقول لى: ضرورى نتناول العشاء معاً.

كان يجمع بين الروح الحضارية والروح المصرية الأصيلة كان دائماً يسعى للتحديث والتطوير مع الحفاظ على الشخصية المصرية بكل سماتها التى نعتز بها جميعاً.

وهكذا لا يتغير أو يتبدل ، أو يتكبر. كان لا يشعرك بأنه رجل سلطة. وإنما مسئول عن أسرة كبيرة فى محافظة البحيرة وبالذات فى دمنهور.

■وما مدى انعكاس هذا المناخ الثقافى على الناس؟

- طبعاً حدث تغيير إيجابى فى السلوكيات وأنماط السلوك وتقدم وانتعاش فى البناء الاقتصادى. وسادت ظاهرة حضارية وهى ظاهرة الاستثمار والتبرع والتطوع من أجل تنمية المجتمع. حتى العائلات فى الريف كانت تتبرع وتقوم بجهود ذاتية لتنمية المجتمع.

وأنا أعرف عمالاً وفلاحين من هذه الأسر جمعهم وجيه أباظة فى دمنهور.

فأنا من قرية أبتوك بمركز شبراخيت وولدت فى دمنهور فبدأت أتعرف على شخصيات كثيرة وفى النهاية أفاجأ بأنهم أقاربى ، وأنا لا أعرفهم سواء من المحمودية أو كفر الدوار أو كوم حمادة.

كنت عندما أريد أن أقوم بأى مهمة ثقافية أرفع سماعة التليفون ، وأطلب أى شخص من الذين تعرفت عليهم قد يكون نائباً فى مجلس الأمة فيسهل لى مهمتي. وقد يكون مسئولاً عن جمعية أو ناظر مدرسة إعدادية أو ثانوية وأطلب منه كثقافة أن يفعل لنا كذا أو كذا. يقول: تحت أمرك ... من الذى سيقوم بعملية التنظيم من أجل عمل مسرح متنقل ... وكيف سيجلس الجمهور. يقول: نحن سنفعل ذلك. كان الجميع يعمل حساب النجاح لأن هناك أبا روحياً سوف يتنقل بسيارته ويحضر معنا للقرية.

كان بسيطاً ودائماً كان يترجم تشجيعه إلى مادة. وكان الحافز المادى والمالى جاهزاً لكل عمل جيد.

كان الحافز دائماً يرتبط عنده بالعطاء وليس فقط بالكلام الجميل وعبارات المجاملة.

أقام لأول مرة معرضاً صناعياً زراعياً فى دمنهور ... وكانت دمنهور تحتاج لهذا المعرض لعرض وتسويق منتجاتها الصناعية والزراعية وحتى إنتاجها الثقافى والفني.

لم يكتف المعرض بمنتجات الشركات التابعة لكفر الدوار أو البيضا وسجاد دمنهور فقد كان بداخله مسرح لفرق تأتى من القاهرة والمحافظات تقدم عروضها يومياً.

هذا يعنى أن التنمية بالنسبة له كيان متكامل ، وليست أحادية الاتجاه، ولا تقتصر على أن تكون اقتصادية وسياسية ولكنها تنمية ثقافية واجتماعية.

وعندما كنت أدعو رموز البلد الثقافية أو السياسية كانوا يأتون خصيصاً إلى محافظة البحيرة . لأن محافظها وجيه اباظة ، ويقضون فى الحقيقة يوماً ممتعاً ومثمراً مع جماهير دمنهور وفى نهاية اليوم يجلس المحافظ مع مثقفى البحيرة والضيوف فى النادى الاجتماعى. ويدور حوار من أمتع ما يكون.

وقتها فقط وضعت دمنهور على الخريطة السياحية الخاصة بمصر ، وأصبح يتوالد عليها الأجانب ليس من أجل زيارة برج القاهرة أو الأهرامات فقط ولكن كان السائح يقول سوف أذهب لدمنهور حتى أشاهد مركز التدريب المهنى وأعايش الجو الثقافى هناك.

وكان الأجنبى يشاهد فرقة البحيرة للفنون الشعبية أو يرى جزيرة البط. . . أو حتى يجلس فى النادى الاجتماعى ويتناول وجبة أو يجلس مع أبناء دمنهور ويتجاذب معهم أطراف الحديث.

كان صاحب فكر جديد ورجل حكم محلى وليس إدارة محلية فقط.

■إذا أردنا التحدث عن وجيه اباظة بعيداً عن الثقافة.. كان لك احتكاك كبير به وكنت قريباً منه.. هل من الممكن أن تعطينا صورة عن المجالات الأخرى؟

- كان رجلاً يعايشك وكأنه عضو من أسرتك فكان يشاركنا فى حل مشاكلنا الشخصية ويجد أن هذا واجبه نحونا، ويسألنا إذا كنا نمر بضائقة مالية ويساعدنا ، فكان دائماً كريماً مع كل الناس.

عندما طبقت قرارات التأميم وتحديد الملكية على بعض الناس كان يعامل هؤلاء الناس بكل الاحترام والتقدير ولم يقلل من قدرهم أبداً وإنما كان يساعدهم قدر ما يستطيع.

■وهذا ما جعله يحيا فى وجدان أبناء البحيرة

- أرجو أن تشاهد شريط الفيديو الخاص بحفلة تأبينه الذى أقيم فى دمنهور هذا العام

بالنادى الاجتماعى حـيث شعر المئات من الحاضرين بكمية الحب التى يخـتزنها مواطنوا البحيرة تجـاهه ورغم مرور ما يزيد على ثلاثين عاما ما يزال وجـيه أباظة النموذج الأعلى للعطاء والتسامى والإيجابية.

■هل مازال لدى شباب دمنهور وعى بذلك؟

ـ بالتأكيـد ١٠٠٪ وحتى اليوم اسأل أى شاب أو أسـرة عن انطباعاتها عـما أنجز فى دمنهور فى عـهده. كلامى هذا ليس شعـارات أو مجرد كلمات ولكنهـا حقيقـة واعتراف بالحقائق وإرجاع الفضل لأهله.

فى رأيى كـان عهـده هو العـصر الذهبى لا من أجل أننـا نتذكـر الماضى ولكن لأن منجزاته باقية ونحن فى النهاية نطالب بالحفاظ عليها ونتمنى تطويرها ولابد أن نقوم بشئ نحيي به ذكراه ونخلدها حـتى يظل مثلاً أعلى يحتذيه أبناء دمنهور من الشـباب والأجيال القادمة لكى يسهموا فى خدمة وازدهار مدينتهم ووطنهم.

عطية حتيتة

كل مائة سنة يأتى مثله !



يذكر عطية حـتيتة عضو أول مجلس أمـة بعد الثورة، ورئيس الهـيئة البـرلمانية، وأمـين الاتحاد القومى لمحـافظة البحيـرة وكان عضوا فى مجلس الأمة بعـد ذلك.. فقد تعرف عليه فى أول مجلس أمة، كانا عضوين معاً.

وعطية حتيـتة أختارته قريته بمركـز حوش عيسى ليكون عمدة لها وهو مازال طالبا، وأكمل دراسته الجامعية وهو عمـدة... وكان العـمدة الوحـيد الذى تطوع فـى حرب ١٩٥٦..

فى مجلس الأمة يقول عطية حتيتة: «لفت نظرى شاب عـضو فى المجلس سـريع الحركـة سألت عنه قـالوا: إنه ضابط طيار من عائلة أباظة.. تعرفت عليه، وعن طريقه تعرفت على نصف القاهرة، وقد لفت نظر أكثر الأعضاء لنشاطه وحركته فى الـشهور الأولى من الدورة. لقد كان وجيه أباظة شخصية متعدده الجوانب فهو متواضع وبسيط وخدوم، حتى ليشعر كل من يعـرفه أنه صديقه الوحـيد، وهو كبير وعملاق، عندما تراه مع أقرانه من رجال الثورة والوزراء، وهو تلمـيذ عندمـا يجلس مع العلمـاء وأهل الخـبرة، ومـعلم عندما يتـحدث عن طرق تحـقيق آمـال الوطن والمواطن.

عندما جاء إلى المحافظة اجتمع بأعضاء مجلس الأمة وكانوا جميعا من علية القوم وكبار الملاك، ومنهم من رجال الثورة وقال: إننى أجتمع معكم كعضو فى مجلس الأمة وزميل لكم، لا كمحافظ مع المحافظين وأنا أحدكم، نريد أن نعمل معا أساعدكم بكل البيانات الرسمية لمناقشة الحكومة، وتساعدوننى فى خدمة الشعب فى كل دائرة من دوائركم، لأن المحافظة كبيرة ومتسعة ومتنوعة المطالب والاحتياجات، ففيها العرب البدو ولهم مطالب، وفيها الفلاحون ولهم مطالب، وفيها الصيادون ومجتمعهم المختلف فى مطالبه واحتياجاته، كما هو الحال فى رشيد وإدكو، وفيها التجمع العمالى فى مصانع كفر الدوار للغزل والنسيج ومصانع الحرير. وصباغى البيضا، وفيها التجار المتكدسين فى المدن خصوصا مدينة دمنهور عاصمة البحيرة، وصدقونى إننى وحدى لا أستطيع عمل شيء وحتى أنا وأنتم لا نستطيع عمل شيء، ولكننا نستطيع عمل الكثير إذا جمعنا من حولنا قيادات واعية متحركة مؤمنة بخدمة مواقعها، وأرجو أن تعلنوا للناس أن مكتبى مفتوح لكل من يريدنى مهما كان مركزه وصفته ومهما كان مطلبه، حتى فى منزلى أسعد جدا بلقاء الجميع. وتعاهدنا معه على ذلك، وعملنا بكل طاقاتنا ونجح وساعد فى ذلك النجاح عون الله أولا وأخيرا فألقى فى قلوب الإقطاعيين وأصحاب النفوذ ورجال العائلات الضيقة حبهم لوجيه، لأنه يقربهم منه دائما فى كل مناسبة، فقد كانوا يعتقدون أنه سليل أسرة من أعرق العائلات وأغناها فى المال والرجال والسلطان فلابد أن يكون معهم فهو من أسرة أباظة فى الشرقية، منها الباشاوات الشعراء والكتاب والأدباء. واستغل فيهم هذه العقيدة لصالح الفقراء والمطحونين، فقد بنى مدينة دمنهور الجديدة فى أرض كبار الملاك فى دمنهور برضائهم ورغبتهم، وردم ترعة الخندق بمساعدتهم والشباب والعمال بالجهود الذاتية، وأقام قرية الأبعادية - التى احترقت عن آخرها - فى مدة ٢١ يوما على أحدث طراز للفلاحين، بمساعدة الناس، كل الناس لأن كل فريق يعتقد أنه له وحده ويعمل من أجله وهذه حقيقة فقد كان لكل الناس، يكن الحب للجميع ويجامل الغنى والفقير وكل الصدق والإخلاص فى أفراحهم وأتراحهم ، أقام فى خيمة فى البلدة لم يغادرها حتى حقق المعجزة، فقد كان كل قادر على تقديم خدمة يستحى أن يترك العمل ووجيه هناك مقيم (إذا لم يكن عونا من الله للغني. فأول ما يجنى عليه اجتهاده)

■ **هل زار وجيه أباظة قرى المحافظة؟**

- الحقيقة أنه كان يعمل لقرى البحيرة وكان يقول سراً فيما بيننا وبينه إن المدن الكبيرة فيها الأغنياء الذين يستطيعون أن ينفذوا بعض احتياج مدينتهم ولكن النجوع والكفور هى المحتاجة لجهود الدولة، وحتى الإنجازات فى المدن يجب أن تكون لخدمة قرائها. وفعلا نجده قد بنى مستشفى دمنهور التعليمى على أحدث طراز من الفخامة والخدمة كذلك ردم ترعة الخندق فى وسط مدينة دمنهور وأقام مكانها مساكن شعبية للفقراء، وبدأ فعلا فى عمل مصيف فى رشيد حتى يعوض أهلها عن خسارتهم من صيد السردين بعد إقامه السد العالى. فلم يكن محافظا لمدينة دمنهور وإنما كان محافظا للبحيرة كلها بنجوعها وقراها قبل مدنها. ولو كانت الظروف تمكنك من زيارة أى قريه أو عزبة صغيرة فى كل المحافظة وتسألهم عن أحب المحافظين اليهم يقولون وجيه أباظة، حتى الشباب الذين لم يعاصروه، لأنهم سمعوا من آبائهم وأهلهم عن وجيه أباظة وخدماته ومجاملاته للفقير قبل الغنى .

■ **نقل وجيه أباظة من محافظة البحيرة إلى أسوان هل تذكر تلك الواقعة؟**

- قرار رئيس الجمهورية بنقل وجيه أباظة محافظا لأسوان قد أصاب سكان المحافظة بالذهول. كنا نعتقد أنه لو نفذ لما استطعنا أن نكمل المشروعات التى بدأناها معه ولما استطعنا أن نقابل جماهير المحافظة. وقررنا مقابلة الزعيم جمال عبد الناصر لإلغاء هذا القرار فرفض قائلا: إننى فى حاجة ماسة إليه فى أسوان التى اريدها مدينة المدن فى المستقبل. ولايستطيع أحد تنفيذ هذا الأمل إلا وجيه أباظة. وقررنا أن نعاود المحاولة مع الرئيس ووسطنا معنا رئيس المجلس أنور السادات. وكان الرئيس سيلقى خطاباً فى المجلس وعند خروجه تعرضنا له فى الطريق وتقدمنا عبد المولى عطية أحد نواب المحافظة من الفلاحين لأن عبد الناصر المعظم كان يحب الفلاحين جدا؟ وقال: هى مؤامرة والا أيه فرجوناه باسم شعب البحيرة أن يلغى نقل وجيه أباظة فالشعب قد حملنا هذه الرغبة وهذا الرجاء، لنوصله إليكم، فوافق على إلغاء النقل وإبقاء وجيه أباظة.





المهندس
عبدالعزيز الشريف

وضعنا لافتة «شقة للإيجار»

المهندس عبدالعزيز الشريف، التقى به وجيه أباظة مهندساً صغيراً للمياه فى «أبو حمص» وأعجب به وبشجاعته، واهتمامه بالعمل فعينه مديرا للإسكان بالمحافظة.. وكان القرار فى حد ذاته ثورة ضد الروتين، وتمكينا للشباب من أن يحتل مواقع القيادة!

ومع وجيه أباظة عمل المهندس الشريف فى الإسكان حتى انتهت الأزمة ووضعت «لافتة للإيجار» على كثير من المواقع..

الحوار مع المهندس الشريف طويل ومتشعب، وذكرياته كثيرة ومتنوعة، تغطى مختلف الجوانب، وتغطى أيضا شتى مجالات العمل فى المحافظة، فقد كان قريبا منه، لصيقا به فى كل الأعمال، فى بناء قرية الأبعدية، وفى بناء مرافق الخدمات المختلفة.. وله أيضا ملاحظات على تعاملات وجيه أباظة، وإنسانيته، وطريقته فى اختيار القيادات.. فقط نكتفى هنا بجزء من شهادة المهندس الشريف ونركز فيها على أسلوب حل مشكلة الإسكان، وهى المشكلة التى كانت تعانى منها المحافظة، وكيف أمكن التغلب عليها..

■ ماهى بداية تعرفك على وجيه أباظة؟

- التقيت به لأول مرة بعد تعيينه مباشرة محافظا للبحيرة فى أوائل الستينات بدمنهور، وكنت أعمل وقتها مهندسا مقيما لمشروع مياه أبو حمص أحد مشروعات المياه الكبرى لمحافظة البحيرة عندما كان السيد/ عبداللطيف بغدادى وزيرا للشئون البلدية والقروية.

وأذكر أن أول قرار أصدره بعد أيام من تعيينه هو من نفس الصورة كالآتى

المادة الأولى - يلغى القرار الجمهورى رقم... الخاص بالعوائد (العقارات وما أشبه ذلك) والصادر برقم... بتاريخ...

المادة الثانية - تعفى العقارات من أية عوائد أو رسوم

المادة الثالثة - على مدير عام وزارة المالية بالمحافظة تنفيذ ذلك وإتخاذ كافة الإجراءات.

وكانت معركة شديدة بين المحليات والحكومة، انتصر فيها صالح الشعب بموافقة السيد/ جمال عبدالناصر.

■ كيف سارت مسيرة العمل معه؟

- بدأت العمل معه كسكرتير عام للمحافظة لمدة شهرين، ثم مديرا عاما للإسكان وكانت درجتى الوظيفية صغيرة فى الوقت الذى كان يشغل الوظيفة من هو أقدم منى فى التخرج بحوالى ١٢ عاما - لأنه كان مقتنعا بأن المسئولين الذين يتعامل معهم لايكونون من الموظفين المتزمتين، ويهمه أن يكون الموظف كفئاً وشجاعاً فى عمله ويتخذ القرار بشجاعة وأمانة وألا تخيفه الأقاويل والشكاوى - وفعلا قام بنفسه باختيار رؤساء المصالح فى المحافظة.

ونتيجة لذلك ظل لآخر يوم فى حياته بمحافظات البحيرة - الغربية - القاهرة يؤكد كتابة عندئذ حدوث تشكيك فى أى قرار يتخذه مسئول قيادى يعمل معه بأن هذا القرار المشكوك فيه وهو بتعليمات منه وأنه شخصيا يتحمل كافة ما ينتج من مخالفات هذه القيادة.

■ ماهى ملاحظاتك على عمله؟

- كان شخصية سوية محبوبا من الجميع وجميع طوائف أهل المحافظة الفقير والغنى، العالم والجاهل، وفى كافة أعمارهم، يحب ويسعد لسماع الشكاوى من الأفراد والجماعات ولا يهدأ إلا بحسم هذه الشكاوى. وهى أن الشباب والطلبة هم حراس مصر الثورة، ولا حارس لها إلا هم لأنهم قيادات العمل المستقبلية. لذلك كان من أوليات اهتماماته تخطيطه لمشروعات الشباب وكان يساندها بشخصه أو مع كبار المسئولين فى الحكم.

■كمدير للإسكان معه كيف أمكن التغلب على مشكلة الإسكان حتى عُلقت لافتة شقة للإيجار؟

تعليق لافتة شقة للايجار التجربة التى تمـت فى الستينات وبالجهود الذاتية هى تجربة كان أولها، فى مدينة دمنهور ثم فى بلدة النخيلة بكوم حمادة، وتتلخص فى أن المحافظة تشترى من أحد الملاك مـسطحا من الأرض الزراعـية المجـاورة للمبانـى السكنية. وتقـوم المحافظة بإعداد واعتـماد التقسـيم على أساس قطع صغيرة لـبناء منزل. وتقوم المحافظة بتنفيـذ كافة شـبكات المرافق، ثم يقدر ثمن بـيع المتر المسطح بما يغطى تـكاليف ومصـاريف تنفيـذ هذه المرافق.

وتعرض هذه القطع للبيع بثمن التكلفة، وعلى ثلاث سنوات بالتـقسيط والشرط الوحيد هو قيام المالك بتنفيذ طابق سفلى وطابق علوى على الأقل، بحـيث يكون الأساس مستوفيا لإقامـة ٤ وحدات سكنية وتقـوم مديرية الإسكان بعـمل الرسم الذى يحقق رغبـة صاحب الأرض ثم يقوم بالبدء فى التنفيذ.

■ ماهى التسهيلات الحكومية التى تقدّم لهؤلاء الملاك الجدد؟

يقوم الأهالى بإعداد فـراغ مناسب لتخزين كافة مـواد البناء ـ كالطوب الرمل، الأسمنت وغيرها.

وتقوم جـمعية الإنشـاء والتعميـر ـ بتخزين المواد اللازمة للبناء وبيـعها للملاك بـأسعار التكلفـة، زائد ١٠٪ وتقوم الجمـعية بتـأجير عـروق الخشب اللازمـة لعملية البـناء بحيث لايتحمل المالك إلا قيمة إيجارية بسـيطة تخفف عنه المصاريف ويبدأ المالك فى البناء وتعاونه الجمعية.

الشرط الوحيـد هو تأجير وحدة سكنية، سواء بالدور الأرضى أو مـا فوقه لمن يرغب ـ وإذا رغب فى استعمال الدورين الباقيين فهو حر.

وقد تمت هذه التجربة فى دمنهور قرية النخيلة وكانت فى النخيلة على مـسكن ريفى من دور واحد قابل للإمتداد الرأسى من الأفقى.





الفنان محمد نوح

معاونوه من البشر المثقفين

الفنان محمد نوح واحد من أبناء وجيه أباظة .. ومنذ كان طالباً التقى به بعد وفاة والده فى ظروف قاسية .. ووقف إلى جانبه .. وواصل وجيه الوقوف الى جانب محمد نوح.

ولم تنقطع الصلة أبدا.. ووفاء مازال يحتفظ به الفنان محمد نوح لوجيه أباظة، ويرى أنه لابد أن يقصر حديثه على الجانب الفنى والثقافى فى وجيه اباظة الإنسان .

وهو جانب واضح وكبير..

قال لى محمد نوح: إن وجيه أباظة تميز بأنه كان يحب المثقفين الذين بادلوه حباً بحب.. ووقف هو إلى جانبهم وشجعهم..

وتميز وجيه أباظة أيضا بحبه الشديد للفن، وتشجيعه للفنانين ورعايتهم، والأخذ بيدهم، وتذليل كل الصعوبات التى تعترضهم

محمد نوح يروى تجربته مع وجيه أباظة منذ اللقاء الأول:

■ فى البداية أريد أن أسألك عن معرفتك بوجيه أباظة وبداية لقائك به ؟

- كانت سماعى، رأيت وجيه أباظة لأول مرة فى بداية الستينيات عند إنشاء الحكم المحلى. وقيل : سوف تصبح دمنهور محافظة.

قبلها كان يتولى الحكم ما يسمى بالمجلس البلدى.

وقتها كانت لى اهتمامات بالثقافة والفنون والمسرح والغناء والتمثيل . وعند قيام ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ كان عبد المنعم حسين ـ والموجود حاليآ أمينآ لصندوق حزب الوفد ـ مندوب قيادة الثورة. وعندما استقر الوضع فى دمنهور أنشأ فرقآ تابعة للحرس الوطنى والتى استمرت حتى فترة حتى سنة ١٩٥٦ وانضممت إليها وكان لى اهتمام بالعمل العام ضمن مجموعة من الشبان التى تمثل وتعزف موسيقى بمسرح دمنهور .

■ اذن فأنت من أبناء دمنهور؟!

■ أنا لست دمنهوريآ خالصآ. فأنا من كوم حمادة .. وأهلى فلاحون وأبى عمل موظفآ فى دمنهور .. عند عائلة مشهورة وهى عائلة الحبشى، وعائلة «الوكيل». كان أبى مسئولآ عن مضارب الأرز ومحالج القطن، وأقمت فى دمنهور، وكنت أعزف الموسيقى.

حتى سمعت أن وجيه أباظة .. محافظآ جديدآ للبحيرة. وهو أول محافظ فى الحكم المحلى. ولم يكن لدى اهتمام أن يأتى محافظ جديد أو لا يأتى. كان المهم لدى مسرح البلدية والمكتبة .

وكنت طالبآ فى جامعة الإسكندرية. عام ١٩٦٢ توفى والدى فى شهر يونيو سنة ١٩٦٢ وبعدها بشهر احتفالات يوليو المشهورة.

وكنا نعانى من أزمة مالية كبيرة فى العائلة لأن أبى لم يكن مؤمنآ عليه ، وكان لى أخ يدرس فى جامعة أسيوط.

وكانت أزمة مالية، أزمة وفاة الوالد، وأولاده مازالوا طلبة. تلك المشكلة التى واجهتها العائلة وواجهتها فى ذلك الوقت كأكبر أبناء الأسرة.

ولما كنا مقيمين فى دمنهور، وحلآ لهذه الأزمة اشتركت فى احتفالات يوليو مع زملائى فى جامعة الإسكندرية.

وكانت أول مرة أقابل فيها وجيه أباظة فى حفل أقامته الشركة العقارية بمدينة إدكو، وحضره المحافظ وكان يشترك معى سمير غانم ، ووحيد سيف و أسامة رؤوف.

كنت أعزف على الكمان، وأخى يعزف على الطبلة والآخر يعزف على الأكورديون.

وعندما لاحظ أننا إخوة وأننا نلبس كرافتات سوداء جاءنى مدير مكتبه ـ واسمه أحمد حمزة وكان شخصية أنيقة جداً ـ وقال لى: وجيه بيه يريد أن يتعرف عليك.

فى هذا الوقت كنت مقدم أوراقى حتى أعمل بالتوجيهية لى وظيفة مدرس فى وزارة التربية والتعليم حتى أساعد إخوتى. وكان فى مخيلتى أن أطلب منه أن يتم تعيينى فى وزارة التربية والتعليم. سلمت عليه فسألنى عن اسمى فقلت:

اسمى: محمد حامد نوح.

قال: هل أنت من أبناء دمنهور؟

قلت: نعم.. أنا وإخوتى.

قال: لماذا ترتدون كرافتات سوداء.

قلت: والدى توفى فى الشهر الماضى.

قال «متعجبا»: وتغنى!!.

قلت له: حتى نحل مشاكلنا. وأنا عضو الفرقة المسرحية وفرقة نادى الموظفين.

قال لى: هذان أخواك وهذه فرقتك؟!

قلت له: نعم، فأنا طالب فى جامعة الإسكندرية.. لكننى أريد أن أكون متسبباً لأننا فى أزمة.

فقال لمدير مكتبه: أريد أن يحضر إلى مكتبى فى المحافظة.

ذهبت إلى مبنى المحافظة وقابلت أحمد حمزة ثم دخلت للمحافظ فسألنى:

ماهى طلباتك؟

فقلت له: أريد أن أعمل فى وزارة التربية والتعليم.

فقال لى: لا. لا. أنت سيتم تعيينك هنا فى المحافظة وسوف نوفر لك مكاناً هنا بجانبى.

وعينت بالمحافظة. ولم يكن هناك فائض فى الميزانية.. فألحقونى على مجلس محلى قرية عائلة نوار اسمها «ندبية»، مجلس قروى جديد لم يكن افتتح بعد.

ألحقونى فى الأرشيف.. كنت مسروراً بهذا التعين ووجدتهم يعودون للعمل بعد الظهر ولم يعجبنى ذلك فانتظرته وهو يصعد السلم وقلت له: أريد أن تعفينى من الحضور بعد الظهر حتى أتمكن من الذهاب للجامعة.

فكتب لى على الطلب الذى قدمته له «يعفى من الحضور بعد الظهر» وكان ذلك مثار تعليقات فى المحافظة.

وبعدها قال: يلحق بالعلاقات العامة بالمحافظة.

والتحقت بالعلاقات العامة.. وأتذكر أننى تشاجرت مع مدير العلاقات العامة، لأنه كان يكتب على باب حجرته ممنوع الدخول بأمر السكرتير العام

فقلت كيف تكون علاقات عامة ويكون ممنوع الدخول؟!!!

من المفروض أن هذا المكان متاح دخوله لكل الناس.

وغضب المدير منى فأعادنى لمجلس قرية «ندبية»... لكن المحافظ رفض وأعادنى إلى ديوان المحافظة قسم الشكاوى.

فى ذلك الوقت كنت ضمن المجموعة التى ترافق المحافظ فى جولاته إلى القرى فكان دائماً يقول: أنا محافظ «مصطبة»... لا أريد أن يقدم لى أحد شكوى على عرض حال دمغة. أريد من يشكو أن يعطينى الشكوى فى يدى.

فكان الفلاحون وأصحاب المصالح يستقبلونه ويجلس معهم ويقدمون له آلاف الشكاوى.

وفى نفس الوقت كان من مهام عملى أن أقابل الصحفيين الذين يزورون المحافظة للوقوف على المشروعات بها.

بالنسبة لمحمد نوح فإن أهم الإنجازات بناء النادى الاجتماعى - إنشاء فرقة البحيرة المسرحية. وكانت تتبع نادى الموظفين ثم نادى صلاح الدين والساحات الشعبية.. فرقة المسرح تبنتها المحافظة. وكنا نأخذ أربعة جنيهات فى الشهر. وكان هذا المبلغ كبيراً وقتها.

من هذه الفرقة خرج فنانون كبار مثل محمد غنيم سالم وكيل وزارة الثقافة الآن. وكان رئيساً للفرقة، ومنهم محمد الخولى والذى يدير المسرح الحديث، ومنهم محمود الحدينى مدير المسرح القومى وسمير فهمى المخرج. مجموعة برزت بعد ذلك وأصبحت من ركائز الحركة الفنية فى القاهرة.

أنشأ فرقة مسرحية وألحقها بالمحافظة وعين لها مشرفاً عاماً كان اسمه الأستاذ/ أحمد رفعت. وهو والد زوجة جلال الشرقاوى. كانت له اهتمامات وكان والده صاحب معهد موسيقى. هو معهد إبراهيم شفيق الذى كان يعلم الإيقاعات. وكان لأحمد رفعت اهتمامات بالفنون.

قلنا له: يا سيادة المحافظ نحن كفرقة نريد أن نحتك بالمخرجين المعروفين.

وعلى الفور رأينا فتوح نشاطى . . . جاء وأقام ثلاثة أشهر فى دمنهور وأخرج مسرحية «العاشقة» من تأليفه . . . كنت ألعب فيها دور البطولة. وكان هذا أول احتكاك لنا بهذا المخرج الكلاسيكى . . . والذى هو من تلامذة عزيز عيد وأيضاً فتوح نشاطى درس لنا وأخرج لنا.

محمد توفيق جاء وأقام ثلاثة شهور فى دمنهور وأخرج مسرحية «حبر على ورق».

أعتقد أننى كنت بطلها.

ثم جاء عبد المنعم مدبولى أخرج عندنا مسرحية فكاهية .

ثم كمال يس أخرج مسرحية اسمها «المشاغب» كنت بطلها أيضا.

ثم أخطر من هذا وذاك. الأستاذ عبد الرحيم الزرقانى المعلم المسرحى أخرج مسرحية «التصفية» .

ثم جاء نور الدمرداش بمسرحية «المجنونة» وكان بطولتى.

ثم حضرنا إلى القاهرة وصورنا هذه المسرحية للتليفزيون أبيض وأسود وحازت إعجاب المتفرجين.

وفاجأنا وجيه أباظة وقال: سوف أقيم لكم مسرح بالون . . . وفعلاً بعد ثلاثة شهور كان لدينا مسرح بالون. مثلنا على هذا المسرح كفرقة البحيرة وعلى مسرح البلدية الشتوى الذى جدد وجددت ديكوراته ولكنه الآن ـ للأسف ـ مغلق.

ثالث مسرح فى مصر بعد الأوبرا. مسرح البلدية فى دمنهور، هذا المسرح بنى سنة ١٩٢١ . فى البداية كان مسرح الأوبرا ومسرح سيد درويش بالإسكندرية قبل مسرح دمنهور.

ثم أصبح فى دمنهور أربعة مسارح مجهزة للحركة الفنية. . . منها فرقة البحيرة تقدم طوال الأسبوع على مدى شهر كامل خمس أو ست مسرحيات من إسكندرية لبورسعيد لكفر الزيات. فى كل البلاد.

وفجأة وجدنا المحافظ يقول لنا: سوف ننشىء فرقة باليه وفرقة فنون شعبية وأوركسترا.

وتجمع مدرسو الموسيقى على مستوى المحافظة. . . وجاء عبد الحميد توفيق زكى. . . وحليم الضبع. وأنشأت أول فرقة باليه وأوركسترا السيمفونى بقيادة عبد الحميد توفيق زكى من جميع مدرسى الموسيقى. وبعد ذلك أنشأ للأولاد الذين لم يلتحقوا بالمدارس فرقة فنون

شعبية كان مسئولاً عنها أحمد عسر، إنها الإنجازات الثقافية بالإضافة إلى احتضانه للشعراء الذين ينتمون للمحافظة أمثال: حافظ الأطمس وحسن قاسم وسعيد أبو النصر وأيضا جاء شعراء من القاهرة وكتبوا لنا الشعر.

أذكر أنه جاء لنا الشعراء من أمثال صلاح جاهين وفؤاد حداد وإسماعيل الحبروك.

وكان لأمين يوسف غراب مسرحيات عندنا.

وفوق ذلك كله فإن جميع فرق الرقص الأوروبى التى كانت تحضر إلى القاهرة كانت تقدم عروضا فى دمنهور.

مثلا.. فقد شاهدنا فى دمنهور فرقة من المجر، وكل ما شاهدته القاهرة شاهدته دمنهور بالإضافة إلى الحفلات السيمفونية ومسرح التليفزيون والمسرحيات التى كانت تقدم على مسارح القاهرة.

إننى أعتبر أن أهم إنجازات وجيه أباظة هى احتضانه للمثقفين، لم يكن يخاف منهم بل على العكس كان يدافع عنهم وكان كثيراً ما يأخذ على عاتقه أن يحميهم من الأجهزة فى ذلك الوقت. وعندما اضطهدنى سكرتير مساعد المحافظة واستقلت أعادنى وجيه أباظة من القاهرة إلى دمنهور. ولكن العودة لم تستمر فقد رجعت رغماً عن أنفى لأنى كنت قد التحقت بمسرح التليفزيون.

هذه قصتى مع وجيه أباظة حتى ذهبت إلى القاهرة وذهب هو إلى طنطا ولم أره نهائياً لكننى كنت أسمع عنه كصديق وكحبيب.

فأنا كنت موظفاً صغيرا. ولم تكن بيننا صداقة، ولكن كانت هناك محبة الأب لابنه لأنه كان يشعر بأننى موهبة وكفاءة.

وعندما جاء إلى القاهرة محافظاً. ذهبت إليه وهنأته.

وذات يوم كان فى الإذاعة، داخل الاستوديو مع سامية صادق، ليسجل برنامج «فنجان شاى» وكنت أنا أسجل تمثيلية للإذاعة، فلما رآنى ترك سامية صادق ومن معه وأخذنى بالحضن وشعرت أنه بكى ... كان محافظ القاهرة وأنا موظف فى التليفزيون.

ولما رآنى الناس أعانق المحافظ أتوا إلى بطلبات أكثر من ٢٠ طلباً للسكن. ودخلت عليه وهو يسجل برنامج «فنجان شاى». ووقع على جميع الطلبات. وكانت تاشيراته على الطلبات... (يمنح سكناً ويستثنى من الإجراءات).

بعدها لم يعد محافظاً للقاهرة وحدثت التغيرات السياسية ودخل السجن. فى هذا الوقت

طلب منى أنور السادات إنتاج بعض الأعمال الفنية، وحدث بينى وبينه اقتراب على المستوى الشخصى.

■ **وكنت أذهب إلى وجيه أزوره. فسألنى السادات فى لقاء بيننا: لماذا تذهب إلى وجيه أباظة؟**

فقلت له: يا ريس أنت تقول الوفاء، وهذا الرجل هو أبى الروحى ولو أعطيتنى فرصة مقابلة مرة ثانية أحضر لحضرتك مستندات لهذا الكلام، لأنه بالنسبة لى أبى الروحى ولا أعرف غيره فى الدولة فضحك السادات بابتسامة فهمت معناها وأشعل البايب.

ومرة كنت أغنى فى ملهى «لاروند» الهرم. وفوجئت بوجيه أباظة يتصل بلطفى عبد الحميد صاحب الملهى وقال: سوف أحجز المكان كله لأننى سأقيم احتفالاً بإنشاء شركة (البيجو). فى هذه الليلة لم يستقبل الملهى أى زبائن وقال له: أنا لم أقم هذه الحفلة فى الهيلتون ولا الشيراتون ولكننى أحببت أن أقيمها هنا من أجل محمد نوح لأنى علمت أنه يغنى هنا.

كانوا قد وقعوا العقد فى الصباح وجاء وجيه أباظة مع الأسرة ومع ضيوفه وغنيت له .

وكنت قد اشتهرت فى الغناء فى هذا الوقت. وبذلك أعيدت العلاقات بين رئيس ومرؤس وتحولت إلى صداقة وأبوة وأخوة.

و لم يمر بيننا أسبوع إلا ويتم اتصال بينى وبينه. ولم تمر مناسبة، سواء كانت فرح ابنتى أو وفاة أختى، إلا وأجد وجيه أباظة مشاركاً معى. ولا أستحى أن أقول إننى سواء كنت محتاجاً أو غير محتاج وعندى ما يكفينى ويسترنى أننى كنت أنال من كرمه الكثير.

فى حفل زفاف ابنتى حضر وأصر على أن يعطينى نقوداً. ولما رفضت صعد إلى حجرة ابنتى فى الفندق هى وزوجها وقال لى: أنت مثل ابنى حسين ويقول لابنتى أنا مثل أبوكى.

هذه هى الرابطة الإنسانية بيننا. وعندما أجده فى أى حفل كنت أغنى له بشكل شخصى وتعودت أن أقبل يده مثل أولاده.

قابلته فى فرنسا مرتين أو ثلاث مرات ومكثنا معاً شهراً فى المستشفى الأمريكانى كنت أجرى عملية وهو أيضا كان يجرى عملية جراحية وكنا سوياً ليل نهار وكان دائما يقول إننى وأنا خارج السلطة أخدم الناس أكثر... وجيه أباظة بالنسبة لى يعتبر والدى.

■ **أتصور أنه كرجل عسكرى ليست له اهتمامات كبيرة بالثقافة؟**

ـ وجيه أباظة مختلف قليلاً. طبعاً الضباط ليس لهم فى الثقافة. فأى ضابط عندما يسمع كلمة مثقف يتحسس مسدسه. لكن وجيه فى أول الثورة أعد قطار الرحمة، ثم كان مسئولاً عن شركة النيل والسينما، وكانت لديه القدرة على الحلم، وهذا أهم شيء فى السياسة. كان يقيم حديقة عامة يضع فيها بط بكينى، ولكن الناس لم يكن يعجبها ذلك وكانوا يقولون نريد مخبزاً آليا، كنا نرى القيم الجمالية وقيم الثقافة أهم من المبانى. وهذه كانت المشكلة واتضح بعدها أننا كنا على حق.

إن بناء الإنسان أهم من بناء المبنى. وكانت مشكلة وجيه أباظة أنه كان يميل لبناء البشر. وكان يحب أن يصبح معاونوه بشراً ومثقفين.

وكان وجيه إذا أحس بأنه لا يستطيع حضور أى حفل فكان يعطينى التذاكر لأنه يعرف أننى أحب الموسيقى وبذلك سمعت أم كلثوم أكثر من مرة.

أتذكر أنه عندما عينتى وجيه أباظة وسافر إلى أمريكا للعلاج أن سكرتير المحافظ المساعد كان رجلا، لا أستطيع أن أتهمه بضيق الأفق ولكننى أقول: إن حظه من الثقافة قليل جداً فكان يعادى الموسيقى، ويهتم فقط بالمبانى والمنشآت.

كان الرجل يظن أن وجيه أباظة لن يعود ثانية. فأجرى لى تحقيقاً وهمياً وعمل لى غياباً وكله تزوير.

زور بيده فى دفتر الحضور والانصراف وخصم منى ٨٩ يوماً أى ثلاثة شهور.

وأعادنى إلى مجلس محلى القرية وكنت أذهب إليه بدلاً من المحافظة.

وهذا ما جعلنى أنتقل إلى القاهرة ، لأنه لم يعجبه أننى أهوى التمثيل والغناء.

لأن الفرقة فيها البنات يمسكن أيدى الشباب . ورقصة الجمال وأم الخلول.

وعندما عاد وجيه أباظة تذكر أن يعيدنى مرة أخرى للمحافظة. لكننى كنت قد ذهبت إلى القاهرة فاتصل بالسيد بدير مدير مسارح التليفزيون وأوصاه على وقال له: محمد نوح مثل ابنى حسين، وأعاد لى النقود التى خصمت منى من ميزانية معونة الشتاء.

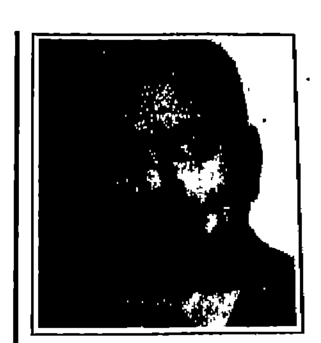
يا أبى..

ياوجيه..

رحمك الله..

وبارك فى أولادك..

وأنا منهم



للواء: عبد الحليم حتاته

ساومته لتغيير موقف فرفض !

كان الرجل شديد التأثر، وهو يروى مسيرته مع وجيه أباظة، التى بدأت بالعمل، وانتهت بالصداقة الحميمة.

كل الذين اقتربوا من وجيه أباظة تحولوا إلى أصدقاء له. ولم يفارقوه أبداً.

كانت بداية معرفة اللواء عبد الحليم حتاتة بوجيه أباظة عندما نقل ليعمل مع مدير أمن البحيرة... وعاش فى دمنهور، وتعرف على المحافظ.

واستمرت الصلة بين وجيه أباظة وعبد الحليم حتاتة.. حتى أصبح حتاتة محافظاً للبحيرة، وجلس على نفس المقعد الذى كان يجلس عليه وجيه أباظة، ووقع فى مأزق، بأن كل المشروعات الكبرى والهامة كان وجيه أباظة قد أقامها فعلاً.

ويكشف عبد الحليم حتاتة عن موقف وجيه أباظة فى قضية مايو، فقد تمت مساومته على أن يعدل من أقواله حتى يخرج من القضية، ولكنه رفض، وكان الذى يساومه بتكليف من وزير الداخلية هو عبد الحليم حتاتة نفسه.

بدأ عبد الحليم حتاتة حواره معى متأثراً جداً برحيل وجيه أباظة قائلا :

ـ لم تبق لنا غير الذكريات الطيبة العطرة التى عاصرناها معه من أول يوم أتيت إلى دمنهور حتى آخر يوم.

وأنا أريد وأنا استحضر معك ذكرياتى عن وجيه أباظة أن أتحدث فى واقعتين محددتين وهما:

الأولى: لم يشاهدها إلا ثلاثة أشخاص وهم الأستاذ/ محمد حامد محمود وزير الحكم المحلى وهو على قيد الحياة، والثانى المرحوم وجيه أباظة والثالث هو أنا أثناء محاكمات مايو الشهيرة، وكان ممدوح سالم رحمه الله وزير الداخلية المشرف على تحقيقات هذه القضية .

وكنت أعرف ممدوح سالم وكان يعرف وجيه أباظة جيداً،فعندما كان محافظاً للبحيرة، كان ممدوح مفتش المباحث العامة بالإسكندرية وقد قمت بتعارفهما وأصبح هناك اتصال دائم بينهما.

فى ذلك الوقت كنت أعمل مديراً لمصلحة الموانئ عندما انتقلت من تبعية وزارة الحربية إلى وزارة الداخلية. كانت فى مبنى الأمن العام بجوار مسجد عمر مكرم.

وأنا صادقت ممدوح سالم وشقيقه منذ دخولى كلية الشرطة حتى وفاته . بهذه الصفة طلبنى ممدوح سالم وقال لى: أريدك أن تتحدث مع وجيه بك ومن فضلك تأخذ محمد حامد محمود معك. وإذا أحسنت صنعاً تقوم بامتصاص غضبه حتى يهدأ بالنسبة للتحقيقات، بحيث نقوم نحن بالتهدئة اللازمة عندما لا يكون متشدداً.

وبدلاً من أن يدخل فى قائمة الاتهام يخرج من القضية تماماً.

اتصلت بالمرحوم وجيه... وطلبت محمد حامد محمود... وجلسنا نحن الثلاثة فى مكتبى فى مقر أمن الموانئ بالقاهرة.

جلسنا فى المكتب وجلس هو معنا حوالى ٤ ساعات متواصلة ولم يجرؤ أحد منا أن يقترب من محاولة التحدث معه بكلماتنا الدارجة. وكان من الصعب أن يحيد عن موقفه أبداً وعن الشهادة على الحوادث كما عاصرها أو الشىء الموجه إليه فى التحقيقات.

صلابته فى موقـفه وخطه المستقيم بالنسبة لاتجاهـه السياسى فى ذلك الوقت لم ينحرف درجة، ولم يقـبل أبداً منا أى كلمة رغم توسلاتى وتوسـلات محمـد حامد محـمود، فلم يستجب أبداً. وهذا الموقف لا ينساه التاريخ له.

■ **هل تذكر محتوى هذه الرسالة وما كان مطلوباً منه فـى شهادته..؟**

- لا أريد الدخول فـى أية تفاصيل لأن القـضيـة خاصة بـالتاريخ. ولكننى أذكـر أن بها بعض الوقائع بصفته محافظا للقاهرة.

والواقـعة حـدثت فى حلوان. . . ومـا قـيل فـيهـا وبعض الشـخـصيـات التى كـانت موجـودة. . . وكان الكلام وقتهـا كثيـراً، وكنا نريد المضى فى الطريق إكراماً لموقف وجيه حتى ينتهى الموقف، ولكنه رفض وفضل القضبان على الحرية.

كان هو بداخل السـجن وأنا كنت فى ذلك الوقت قد انتقلت وكيـلاً لوزارة الداخلية تم محافظاً للبحيرة. وجلست على الكرسى الذى كان يجلس عليه.

ولم أنس العشـرة والعيش والملح بيننا، فوجئت بعـد أيام قليلة أن جاء لى أحمـد حمزة مدير مكتـبه السابق ومـعه نصف «بلوك نوت» بخط يد وجـيه أباظة يعطينى فيـه درساً فى الحكم المحلى.

ويعطينى درساً فى الأخلاقـيات السائدة فى محافظة البحـيرة، وكانت هذه الدروس هى السند الحقيقى للفترة التى قضيتها محافظاً للبحيرة خمس سنوات.

ستسـألنى عن هذا «البلوك نوت» - أقول لك لقد عُين مـعى فى ذلك الوقت المرحوم/ حسين الحلبى محـافظاً لكفر الشيخ. وحدثته عن «البلوك نوت» فقـال لى سأمر عليك يوم الخميس القادم وأنا فى طريقى للقاهرة وسوف آخذه وأقرأه وأستفيد منه.

كان حسين الحلبى مثلى منقولاً من وزارة الداخلية إلى الحكم المحلى.

ولكن للأسف استحوذ عليه ولم يحضره لى، ولذلك فلم أسعد بإطلاعك على الموضوع بأكمله.

وكانت فيه التوصيات بالنسبة للداخلية وللزراعة وللصحة ولكل فروع أو مديريات الحكم المحلى.

ولقد حافظت على كل توجيهاته حتى آخر يوم كنت فيه محافظاً للبحيرة.

وأتذكر أنه أخذنى ذات يوم وصعد فوق منزل ريفى فى قرية الأبعدية ليشرف على الشكل العام، وليرى بنفسه أين الخطأ وأين الصواب وإن كان هناك خطأ يقومه.

■ وكيف كانت بداية التعارف بينكما؟

ـ فى الحقيقة كان هناك خلاف مستحكم فى بداية الحكم المحلى بين المحافظين ومديرى الأمن. ووصل الخلاف إلى حد أن مدير الأمن فى البحيرة نقل لتهدئة المناخ العام وقتها، وحتي يبحثوا عن حلول بحيث إن الحكم المحلى ووزارة الداخلية يسيران فى الطريق السليم، وحل مكان مدير الأمن اللواء محمود الشافعى ـ رحمه الله ـ وكان من خيرة ضباط الشرطة واستاذاً من أساتذة الشرطة وكنت أعمل معه مديراً للمباحث، وكان هو والمرحوم وجيه أباظة أعزاء على قلبى.

فمن أول أسبوع أصبح الاثنان شقيقين، والعلاقة بينهما طيبة وودية كما كانت العلاقة بينى وبين مدير الأمن الذى أعمل تحت قيادته.

وكنا نسهر فى النادى القديم حتى الساعة الثانية عشرة والساعة الواحدة صباحاً. . .

واندمج المحافظ مع مدير الأمن الجديد، لدرجة أنه لا يستطيع أن يستغنى أحدهما عن الآخر.

وأريد أن أحدثك عن كرم وجيه أباظة الذى لا حدود له. فلم يكن يعرف مصير ما معه ولا كيف يتفق؟ فكان يأخذنى ونسير على شاطىء المحمودية فيرى رجلاً من بعيد فيضع يده فى جيبه ويسألنى: هل معك نقود يا عبد الحليم؟!.

فأرد عليه بأن معى ثلاثة جنيهات. فقد كنت «عقيداً» ونحن فى أواخر الشهر. وأعطيته جنيها وعندما يقترب من الرجل يعطيه الجنيه، واستنتجت أن هذا الرجل تعود أن يرانا فى هذا المكان بالتحديد.

كان الجنيه مبلغاً كبيراً جداً، ولكن ما مع وجيه وما فى جيبه لم يكن له، ولكن كان للآخرين.

■ **وهل كانت تلك هى بداية علاقتكما؟**

ـ نعم وقد استمرت حتى وفاته رحمه الله.

أما الواقعة الثانية.. فقد كنت فى أمن الموانئ وموقع الإدارة أمام عمر مكرم، كما قلت لك، توفيت السيدة والدته وكان فى السجن وأخرج من السجن لحضور المأتم ولكنه ذهب إلى البيت، ولم يرض أن يحضر ويسير وراءها. لقد تغيرت الدنيا ولم يشأ أن يحرج أحداً أو يكون السبب في مساءلة أحد.

كنت أجلس فى مكتبى أمام عمر مكرم وأذكر أن الأخ/ عزت الزايد الذى كان سكرتير عام محافظة البحيرة.. الفيوم.. الإسكندرية.

نحن الاثنان كنا فى الحكم المحلى والداخلية ولقد شاهدت جنازته والقاهرة كلها كانت تودعه.

■ **عندما ذهبت إلى البحيرة محافظاً لها. هل لمست التغيرات التى قام بها وجيه أباظة وهو محافظ؟**

ـ أستطيع أن أقول لك ـ وقد كنت محافظاً للبحيرة ـ إننا بعد وجيه أباظة وما شيده من إنجازات فى البحيرة لم نستطع عمل أى شيء.

لقد ظللت محافظاً للبحيرة لمدة خمس سنوات لم أقدر على فعل أى شيء لأننا لم نجد أفضل مما صنعه وجيه أباظة.

أتذكر واقعة صغيرة عن وفائه للناس الذين عملوا معه. ذات صباح يوم جمعة وكنت بالاستراحة بدمنهور وجدت من يفتح الباب وكان وجيه وابنه شاكر أيقظانى من نومى.

قال لى: هل هناك من ينام حتى الآن؟!. استيقظت من نومى. كان يريد وقتها أن يعزى حرم المرحوم أحمد حمزة ـ رحمه الله ـ فى وفاته وكان مديراً لمكتبه.

قال لى: أنا جئت وسوف أتناول الغداء معك اليوم.. فكان رحمه الله كريماً سمحاً بسيطاً..

وسألنى عما إذا كنت قد قمت بأى زيادة فى البحيرة؟

قلت له: لقد أقمت مشروعاً لتربية الدواجن. وكان أول مشروع يقوم علي إنشاء ١٢ عنبراً.

فقلت له: أريد أن ترى المشروع لأننا لم نستطع عمل أى شىء بعدك.

ركبت مع وجيه وابنه شاكر السيارة وذهبنا إلى محطة الدواجن.

ودعا لى ـ رحمه الله ـ وقال: أفضل شىء فعلته، لأن الناس سوف تدعو لك، باللقمة البسيطة التى صنعتها لهم.

كان من عادته ألا يرفض أبداً أي طلب يقدم له... وكان الصولات يخرجون إلى المعاش وهم بصحتهم الجيدة. كان المنفذ الوحيد لهم هو الحكم المحلى لكي يواصلوا العمل. فلم يرفض إطلاقاً فى يوم من الأيام طلبا بتعيين أحدهم لديه.

■ **هل تتذكر وقائع أخرى عن وجيه أباظة؟**

ـ كان لا يكل ولا يمل العمل ليل نهار.

■ **كم سنة مضت عليك وأنت فى البحيرة معه؟!**

ـ أمضيت معه حوالى السنتين فى البداية كمدير للمباحث الجنائية، وانتقلت معه فترة نائباً مدير الأمن. وعدت إلى البحيرة عندما ترقيت إلى رتبة لواء.. وعملت معه فترة من الزمن إلى أن نقل.

سعيد قريطم

مظاهرة حب هذا هو الرجل

بعد يوم واحد من وفاة وجـيه أباظة كان مجلس إدارة النادى الاجتماعى بمدينة دمنهور يعقد اجتماعه الدورى العادي..

وفجأة ارتفع أكثر من صـوت، لأكثر من عضو فى نفس واحـد يطالب بإقامـة حفل تأبين لوجـيه أباظة.

وكانت ظاهرة غريبة أن محـافظة تحتفل بمحافظ لها بعـد رحيله، وبعـد أن ترك المحافظ بأكـثر من ربع قرن.. ولكنه الوفـاء.. الذى دفع آخرين فى البحـيرة، يحـملون نفس التفكيـر ويسعون لإقـامة حفل تكريم لوجيه أباظة بعد وفاته.

واجتمع الفـريقان على إقامة حـفل تأبين واحد فى النادى الاجتماعى الذى بناه وجيه أباظة.

سعيد قريطم رئيس النادى يتحدث معنا :

■ **نبدأ معك من بداية لقائك مع وجيه اباظة .. اذا كنت تذكر؟**

ـ أذكر أن المرحوم وجيه أباظة بدأت شعبيته فى دمنهور. كان أكثر تعاملا مع المستويات الشعبية، التى تعيش تحت خط الفقر أو التى دون المستوى، كنا نفاجئ به دائما، وأنا أذكرها السيارة الـ «فيات» الصغيرة البيضاء ونفاجئ به يركبها.

مثلا لقد تربينا وكبرنا فى مكان اسمه الساحة الشعبية القديمة، بمعدل مرة على الأقل فى الاسبوع نفاجأ به داخل علينا وهو قادم من منطقة تعتبر من أفقر مناطق دمنهور، كان يحب يزورها باستمرار ويحب أن يفكر لها وهو يسير مع مشارف حواريها يبحث ماذا يعمل فيها.

أذكر أنه فى هذه المنطقة، واسمها عزبة «الحوشي»، وسميت بعد هذا المشروع منشية ناصر.

وكانت مجاورة للمدافن، ومستواها أدنى منطقة تقريبا إذ تتجمع فيها مياه الأمطار كلها سواء من منطقة المدافن أو من منطقة المحطة.

وفكر عن طريق منظمة الشباب وشباب الساحة الشعبية فى عمل مشروع اجتماعى، متكامل لنظافة الحى، ومسح اجتماعى ومسح صحى، واستمر العمل ١٥ يوما ثم أقيم مؤتمر شعبى فى الساحة الشعبية القديمة التى أصبحت ساحة النصر حاليا.

وفى هذا المؤتمر الشعبى اكتشف قيادات سواء من الرجال أو النساء قادوا العمل الشعبى ومنهم من وصل إلى عضوية المجلس المحلى فى المركز أو المجلس المحلى للمحافظة، وكان هذا الأسلوب هو الذى شدنا فى رجل أحب الشباب هو وجيه أباظة ـ رحمه الله ـ إن معظم الاعمال كانت تتم بالجهود الذاتية.

أتذكر مركز خدمة صلاح الدين، ومركز خدمة شبرا، ومركز خدمة أبو الريش، كيف هدم القديم وكيف بنى الجديد على أكتاف الشباب، وكذلك ترعة المحمودية.

كنا كلنا نحمل على أكتافنا من السيارات بحماس منقطع النظير حبا فى الرجل لأنه كان فى وسطنا..

أذكره ونحن نردم ترعة المحمودية وهو واقف يرتدى الأفرول الأصفر الصيني، ولابس الكاسكيت فوق دماغه ويده بيد الرجال.

«اشتغلوا يا ولاد» ويعد إيده معهم وينزل معهم...

هذا ما جعل الناس تلتف حوله وربما كانت أكثر مظاهر الحب لهذا الرجل هى يوم ما تقرر أن يمشى من البلد. لم يكن يطالب بوجوده أكثر من الشباب.. لأننا كنا نحس به.

أما كيف وضعت البحيرة على خريطة الرياضة فى مصر؟ فأثناء وجود وجيه أباظة كان هناك تقليد أكثر من رائع أو اتفاق «جنتلمان» مع كل الاتحادات المصرية ألا تحضر فرقة أجنبية إلى مصر إلا ولمحافظة البحيرة فيها مباراة فى كرة القدم أو السلة أو اليد... كل الألعاب وكذلك الأهلى والزمالك ومنتخبات مصر محجوز لها يوم فى دمنهور.

كنا نسعد بذلك فى حياتنا وفى ذكرى لن تنسى أبداً... كان نادى منتخب شنغهاى الصينى فى كرة السلة موجوداً، وكان الجو ما بين شهرى ديسمبر ويناير مطيراً جدا ودمنهور ليس فيها ملاعب مغطاة. وكنا نتدرب فى صالة الإسكندرية مع منتخب مصر ومنتخب البحيرة استعدادا للبطولة، نتيجة اتصالاته واهتمامه فوجئنا قبل المباراة بيوم بشئ خرافى بالنسبة لنا ويفوق أحلامنا... فوجئنا أن ملعب كرة السلة المكشوف مغطى بالقماش وكان ذلك بالنسبة لنا حلماً أن نلعب على ملعب مغطي..

هذا بالإضافة إلى النهضة المسرحية والفنية فى دمنهور، بعد ذلك مسرح البالون. أخذت هذه الخيمة، وأقيم مسرح البالون، وبدأت النهضة الفنية: فرقة البحيرة للفنون الشعبية، وفرق البحيرة المختلفة..

لقد استغل الإمكانيات الموجودة وأقام النهضة المسرحية والفنية.

وهكذا كان فكره.. يسبق أحلامنا، أى أن ما كنا نحلم به كان يحس بنبضنا.. وينفذه..

لم يفعل شيئا عفوياً فقد كان يخطط لكل ما يقوم به.

أنا أذكر أنه فى هذه الفترة أقيمت منظمة الشباب، وكانت تعقد اجتماعات أسبوعية للموجهين السياسيين وكنت أحضرها، وفى أحد الاجتماعات قام أحد الشباب ووجه سؤالا للمحافظ الذى كان يداوم على الحضور وأنا رذكر ذكاء إجابة المحافظ.

السؤال كان عن الذهاب إلى أماكن أو التعامل مع ناس سمعتهم ليست فوق مستوى الشبهات.

فكان الذكاء فى الرد ظل فى مخيلتى مطبوعاً حتى الآن.

رد عليه قائلا له: «الأماكن دى أنا باعتبرها القبقاب اللى بندخل به المكان القذر علشان

نشوف فيه إيه ونعرف بلادنا فيها إيه»

فكان التعبير عظيماً وكان رائعا فى معناه وأن الرجل لا يعمل شيئا على هواه لكن كل شئ يعمله يعرفه وهو يريد أن يعمله.

كان يمضى يومه فى العمل وفى نهاية اليوم أجده يجلس معنا يضحك، فكان التفافنا حوله... هذا هو الحب..

عندما نقول إننا تعلمنا الحب فى هذا البلد من وجيه اباظة فهذه حقيقة.

كانت فترة المد بالنسبة للشباب.. كل الشباب كان يريد أن يعمل بالسياسة... كل الشباب كان يريد أن يعمل فى حاجة قريبة من وجيه أباظة.

وكل الشباب كان يريد أن يمشى فى السكة القريبة من وجيه اباظة.

ولا أعتقد أنه كان يعتبر نفسه من الشرقية ... كان يعتبر نفسه ابن دمنهور.. وابن البحيرة والتف الناس حوله نتيجة الإحساس أنه ليس غريبا عنهم.

كان هذا هو وجيه أباظة بالنسبة لنا .

كان كثير العطاء، لم تعرض عليه مشكلة بالنسبة للشباب بالذات فى المجال الرياضى إلا ويحلها فورا.. من جيبه أو من جيب أى تاجر من تجار البحيرة و أثرياء البلد. ليس هناك ورقة تعرض ولا طلب إلا ويستجيب له.

أنا أتذكر أننا فى أحد الأيام كنا نجلس فى الساحة نتناول طعام العشاء طعمية وجبنة...

وجاء وجيه أباظة .. سلام عليكم.. والله ما حد قايم يا أولاد غريباً.. وكنا جالسين على الأرض.

جلس الرجل وسطنا ونادى أحمد حمزة وقال: «ماتوسعوا القعدة وترحوا تجيبوا شوية فول وطعمية وعيش» .

أخذ يأكل فى وسطنا وكنا فرحانين وعندما جاء الطعام أكل لقمة صغيرة ولكنه أعطانا الإحساس أنه واحد منا أو أبونا أو كبيرنا، لسنا غرباء عنه وهو ليس غريباً عنا..

كان يعطينا دائما الإحساس بالأمان..

لا أحد يذهب إليه لأنه فى الشارع، إذا لم يكن فى هذا الشارع يكون فى ذلك الشارع وهكذا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

■ماذا كان يمثل بالنسبة لدمنهور؟

- أنت تتعامل من منطلق الحب . . . ويمثل بالنسبة لدمنهور الفرح التى تلتف الأسرة كلها حوله فى البيت وفى الشارع من غير ترتيب فالحب الذى جمع بينه وبين أهل دمنهور هو الذى أقام مجتمع دمنهور فى الفترة الأولى للكورة وفى الفترة الأولى للحكم المحلى هو. وكان هذا هو سر وجيه أباظة بخاصة أنه لم يكن يعمل بعقلية الموظف، كان يعمل من الشارع. . يبدأ عمله من الشارع وليس من المكتب. . .

الفكرة ممكن تطرأ من الشارع، وتنفذ فى الشارع قبل رجوعه إلى مكتبه وكان يعتمد على حب الناس، وكان يشعر بحب الناس له. يمكن من القلائل الذين أحسوا بحب الناس، كان وجيه أباظة.

من أجل ذلك عندما كان يطلب أى شىء كان يطلبه وهو حاسس أن هناك عملية تجاوب عضوى بينه وبين الناس. .

■ بعد ثلاثين سنة من تجربة وجيه أباظة فى دمنهور؟ ماذا بقى منها حتى الآن؟

- التجربة بما فيها باقية. . .

يكفى أن أى مسئول يأتى للبلد هنا يسمع اسم وجيه أباظة ويحاول أن يجتهد على نفس الخط. .

وأى محافظ جاء بعد وجيه أباظة كان مجرد وجود اسم وجيه أباظة يمثل عبئا ضخما جدا. إنه يريد أن يعمل شيئاً مثله أو يسير على نفس الخط بالحب الذى كان يسير به وجيه أباظة.

وكان رحمه الله لديه بعد نظر خطير فكل ما شيده وجيه أباظة موجود.

■ بمثل ما كان وجيه أباظة وفياً لعبد السلام الشافعى هل تتصور أن محافظة البحيرة وفية لوجيه أباظة؟

- بلاشك هو فى قلوبنا كلنا. . وقلوب الناس كلها، وهذا تمثل يوم رحليه وبعد أن مر يومين على رحيله اجتمع مجلس إدارة النادى بمجرد أن اقترح الزملاء إقامة حفل تأبين تمت الموافقة بالإجماع.

وأقيم الحفل ولو حضرت حفل التأبين لرأيت الحشود، كنا خايفين ندعو الناس.

الدعوات كـانت مقصورة فى أضيق الحدود لأننا لو دعينا الناس كلهم سوف يحضرون ولن نجد مكاناً.

وجيه أباظة له فى كل بلد، وفى كل قرية إنجازات، والنادى لم يكن يحتمل الأعداد التى تريد أن تشارك فى تأبينه فقصرنا الدعوة، قبل الحفل بساعة واحدة نزلت سيارة وقالت إن النادى الاجتماعى كذا كذا.

ر عملناها قلبها بثلاث أو أربع ساعات لم يكن المكان يكفى الناس الذين يريدون الحضور إثباتاً لحبهم لوجيه أباظة.

■ اتصور أنها ظاهرة غير مسبوقة أن محافظة تكرم محافظاً عمل بها بعد ثلاثين سنة؟

- فعلا لم يحدث من قبل. ولولا أن هناك حباً موجوداً فى قلوب الناس وقلوب أهل دمنهور والبحيرة لوجيه أباظة لم يكن أحد يستجيب ولقد جاء هذا الاحتفال كفكرة عفوية وتلقائية.

كنا مجتمعين، ثم طُرِح الاقتراح وفورا اتخذت إجراءات تنفيذه.

وفى نفس الوقت كان هناك آخرون يفكرون نفس التفكير.

وتلاقينا. ولا أعتقد أن ذلك سيحدث فى مكان آخر.. ولا لشخص آخر.

وجيه أباظة ترك بصماته فى قلوبنا كلها.

حمدى أحمد عقدة

أذاب فكرة الحكومة والشعب

حمدى أحمد عقدة واحد من الذين يقومـون بإنشاء جـمعيـة أصدقاء وجـيه أباظة لتخليد ذكـراه ، وللمحافظة على تراثه من العمل والإنجاز . . .

يروى قصته كـشاب مع وجيه أباظة، الذى يرى أن من أهم إبداعاته الاهتمام بالشـبـاب، واكـتـشـاف مـواهبـهم، ورعايتها، والعمل على تنميتها.

كانت حـملات الجهود الذاتيـة تقوم على أكـتـاف الشـبـاب، وتنـطلق بعزائمهـم، وعرفهم وجيه أباظة بـنفسه الذى حـفظ أسـمـاء جـمـيع أبناء دمنهور. . ومهنهم جـميعاً، ووقف على طاقاتهم، ومقدرتهم على العطاء. .

من هنا يقول حمدى أحمد عقدة: إن وجيه أباظة هو مؤسس محافظة البحيرة الحديثة . .

لقد عشت تجربة وجيه أباظة . .

ولو قلنا إن محمد على وعبد الناصر هما مؤسسا مصر الحديثة، فإن وجيه أباظة هو مؤسس محافظة البحيرة الحديثة، وهو الذى وضعها على الخريطة السياسية والشعبية فى جمهورية مصر العربية .

قبل وجيه أباظة كانت المسائل محدودة .

مدينة دمنهور لا تزيد على مجموعة من الأحياء الفقيرة المنسية تماما فى كل شىء.

لم تكن هناك رياضة، ولم تكن مصانع فى البحيرة - إذا استثنينا مصانع كفر الدوار.

لم تكن هناك شوارع مرصوفة أو عمران فى محافظة البحيرة أو فى دمنهور.

لم تكن هناك تجارب نستطيع أن ننسبها إلى إبداعات شعب محافظة البحيرة

كل هذا استطاع محمد وجيه أباظة، المحافظ والثائر ورائد الحكم المحلى والأب الروحى أن يحققه .

لو قلت فى حديثى إن وجيه أباظة ، حافظ أسماء كل أبناء دمنهور ومحافظة البحيرة بالاسم ، وعندما يراهم فى مناسبة من المناسبات يرحب بهم وينادى عليهم بالاسم فى أى موقع من المواقع .

فهذه هى الحقيقة .

■ **ماذا يمثل وجيه أباظة بالنسبة للبحيرة ؟**

- إذا مثل عبدالناصر زعيم الأمة وباعث النهضة والثورة فيها. . فإن وجيه أباظة هو عبد الناصر محافظة البحيرة الزعيم الذى كانت البلد تفتقده، وتستشعر فيه الأمل فى إحداث طفرة ونقلة فى الخريطة الاجتماعية فى هذا البلد، وكان الرجل يأخذ مشروعاته من الشارع.

■ تفكرون فى إنشاء جمعية لأصدقاء وجيه أباظة ؟ هل يمكن أن تجد عدداً كبيراً من الأعضاء؟

- الذى جعلنا نتريث فى الخطوات لهذه الجمعية هو كيف ننظم ما قد يتوالد من حشد ضخم جداً جداً مؤمن بوجيه أباظة الرجل المعطاء .

■ وما الهدف من الجمعية ؟

- الهدف أن تخلد قيمة تركها وجيه أباظة فينا، رمزاً أعطى لهذا البلد بسخاء فاستطاع أن يفوز بحبها .

■ هل يتجاوب الناس مع هذه الفكرة ؟

- طبعا. . . ولو قابلت أى شخص سيقول لك نحن نريد أحسن شارع فى دمنهور يطلق عليه اسم وجيه أباظة . أكبر مدرسة باسمه وهذا كله ليس كافياً . . . لأنه لا يعطى لوجيه أباظة حقه .

لكن إنشاء جمعية أصدقاء وجيه أباظة لها مجموعة من الأهداف التى تسعى إليها لتخليد ذكرى وجيه أباظة الإنسان والأب .

كان موجوداً بين فلاحى الأبعدية يطفىء الحريق معهم ولا يريد أن يهدأ إلا بعد أن يطفىء الحريق معهم . .

وجيه أباظة الذى خرجت له أكبر مسيرة فى تاريخ محافظة البحيرة، طلعت الشوارع عن آخرها وأشك أن هناك رجلا ظل فى بيته فى هذا اليوم عندما علم بنقله و بمغادرة وجيه أباظة لمحافظة البحيرة.

كل هذا لم يأت من فراغ. . ولكن جاء من خلال إحساس صادق وملموس ومعايشة من شعب البحيرة للرجل .

استطاع أن يذيب فكرة الحكومة والشعب فما كان يستشعر أحد فى مدينه دمنهور أن هناك فرقاً بين حكومة وشعب .

هذا ما قام به وجيه أباظة باختصار .

كان الناس يعطون وهم يحسون أنهم يعطون لأنفسهم .

المواطن فى عصر وجيه أباظة كان يعطى بحب أى شىء يملكه . . لقد غرس فى هذا البلد الحب . حب العمل . . حب الناس . .





السيد عبد العزيز

خلق طبقة من الفنيين

شهادة أخرى

هذه المرة من مركز التدريب .

الشاهد هو السيد عبد العزيز المدير بمركز التدريب المهنى فى دمنهور . .

كان طالباً . . وكان رياضياً لاعب كرة . . وقدم طلباً لوجيه أباظة الذى لم يرفض طلباً فى حياته . . يريد وظيفة . . وألحقه وجيه أباظة بوظيفة فى مركز التدريب حسب تخصصه فى الميكانيكا. وظل يعمل فى مركز التدريب المهنى حتى اليوم.

ويبدأ برواية حكاية هامة عن قسم الميكانيكا بالمركز: كانت وزارة الزراعة تحتاج إلى مقطورات زراعية.

وكان المحافظ قد طلب من المهندس عبد العزيز مرسى مدير إداره الميكنه فى مديرية الزراعة فى دمنهورافتتاح قسم للميكانيكا .

فتح القسم بعمل المقطورات الزراعية بعد أن تعاقد مع وزارة الزراعة بالقاهرة لعمل المقطورات طبقاً للمواصفات الفنيه والرسومات الهندسية.

بعدها قام مركز التدريب بأعمال أخرى أهمها عمل معدات الرى التى كانت البلد فى احتياج لها .

■عمل المقطورات الزراعية... تصنيع ؟

- المقطورات التى تخدم فى مجال الزراعة مثل الجرار الزراعي. . نعم قمنا بتصنيعها وفقا للمواصفات الرسمية الهندسية بحيث غطي احتياجات البلد من المقطورات وكذلك عمل الآلات الزراعية كالمحاريث . . . انتجنا كل الآلات الزراعية .

مركز التدريب أنشيء أساساً من أجل الطلبه الذين لم يدخلوا الإبتدائية فى المحافظة، وفتح لهم هذا المجال ليكونوا صناعا ذوى مهارة عالية .

ابتدأ يعلمهم القراءة والكتابة ، ويعلمهم صناعات ،ويعلمهم تكنولوجيا الصناعة ذاتها على أساس أن الطالب عندما يخرج تكون لديه الخبرة التى يعمل بها .

المهم أن جميع العمال المهرة الموجودين داخل المحافظة وخارجها المحافظة متخرجون من مركز التدريب المهني. وكانت به أقسام مختلفة .

ميكانيا السيارات - وكهرباء سيارات - لف المواتير - قسم برادة ـ قسم خراطه كامل - قسم الحدادة الذى انجز المشروعات الزراعية - والنجارة - الطباعة وغيرها .

وكان هناك قسم للكوافير الحريمى ، وقسم خياطة حريمى ، رجالى وحريمى، تطريز. . . وجميع الصناعات التى تخطر على بالك:

مكانس - الحصائر القش - الجلود - المكرونه ، الحلاة الطحينية .

مركز التدريب كان شاملاً جميع الصناعات التى كانت تعلم الأطفال وتدربوا عليها ، وأصبحوا مهندسين بفصل وجيه أباظة من خلال الصرح الذى أقامه مهندسين تلقائيين تعلموا من أساتذتهم الذين دربوهم.

أيضاً أقام فرقة الفنون الشعبية على حسب هواية الأطفال . . . كان يتحسس مواهب الأطفال بعد امتحانهم . فقد كان الطفل يدخل أي صناعة حسب رغبته، فينمى هوايته ، وكان لهؤلاء الأطفال رعاية صحية كاملة. . . وحدة صحية تكشف عليهم بصفه دورية ، وصرف لهم يومياً وجبة غذائية ، وملابس ، كانوا يعملون كما لو كانوا فى التربية والتعليم بل وأفضل . . . فى الأجازة الصيفيه كانوا يحصلون على ١٥ يوم أجازة، ولقد حضرت

بنفسى هذه المسائل كلها، كما كان يعطى لهم أجراً رمزياً شهرياً، بعد أن يتخرج الولد يلحقة لى أعمال حكومية ، فمن كانوا يصلحون كان يأخذهم ويدعم بهم المصالح الحكوميه، فقد كانت لهم الأولوية في الـتعيين ، ميـزة أخرى أن جمـيع زوار البحيـرة من الخارج لابد أن يزوروا مركز التدريب، حتى جمال عبد الناصر .

وبعد أن ترك البحيرة بدأ المركز يتكس، ولم يعد يلقى الاهتمام الكافى.

وأذكر أنه فى سنة وجد الـعاملون بالمركز أنه على وشك الإغلاق ، فليس له مـيزانية ، وليس هناك اهتمـام به ، فذهبوا إلى وجـيه أباظة وكان قد ترك كـل المسئوليات ذهبـوا إليه باعتباره منشىء المركز والأب الروحـى له وقدم. وجيه أباظة دعماً مالياً للمركـز حتى يستمر . . بل إنه قام بزيارته .

لقد كان المركز إشعاعاً للحضارة فى البحيرة . وربما في مصر كلها . .

إننى أرى أن البحيره مـسجلة باسم وجيه أباظة. . أرجو الله أن يقام مصنع كـبير يحمل اسم وجيه أباظة ويقام شارع رئيسي باسم وجيه أباظة





كمال نعيم

فنانون بدلا من الضياع

شاهد وجيه أباظة رقصة «البمبوطية» الشهيرة التى تقدمها الفرقة القومية للفنون الشعبية. وسأل عن من أعد هذه الرقصة فقيل له: إنه كمال نعيم.

وسأل عن كمال نعيم، واستدعاه لمحافظة البحيرة. وطلب إليه إنشاء فرقة للفنون الشعبية فى البحيرة.

كان أمراً غريباً وعجيبا فى ذلك الوقت المبكر، فلم يكن بمصر سوى فرقة حديثة للفنون الشعبية... هى الفرقة القومية.

فيما بعد، وبعد إنشاء فرقة البحيرة نقل إلى محافظة الغربية فأنشأ فرقة الغربية للفنون الشعبية وكان معه كمال نعيم، وكانت هذه الفرق هى بداية فرق المحافظات التى انتشرت بعد ذلك بسنوات طويلة بفضل فكرة وجيه أباظة التى رآها فرصة متعددة الجوانب، فهى وسيلة لجمع تراث المحافظة، والحفاظ على الفولكلور الخاص بها.

وهى أيضا وسيلة لتشغيل عدد من الأولاد والبنات الذين فشلوا فى التعليم المدرسى، وفشلوا أيضا فى التدريب المهنى، ولكن وجيه أباظة كان يرى أنه لابد من جمعهم، وتعليمهم، بدلاً من الضياع أو أن يتحولوا إلى لصوص ومجرمين ونشالين.

هذه التجربة خير من يرصدها، ويتحدث عنهـا كمال نعيم مدرب الرقص الشـهير الذى امتدت عـلاقته بوجيـه أباظة منذ شاهد له عمـلاً أعجب به، وهو لا يعرفه، فـأرسل إليه. وهكذا يقول كمال نعيم:

- بدأت معرفتى بعمل قدمته للفرقة القومية برقصة اسمها رقصة «البمبوطية».

وهذه الرقصة استمرت وقتاً طويلاً جداً، وكنت أول مصمم رقصات - بعد محمود رضا - يقدم رقصة تحـقق نجاحاً قوياً جداً ويصبـح لها شهرة، ففازت بالمركـز الأول فى مهرجان إيطاليا للفنون الشعـبية، وكانت هذه علامة كـبيرة جداً لفتت أنظار الجميع كـما كانت بداية شهرتى فى هذا المجال.

■أين كانت دراستك يا أستاذ كمال؟

ــ لم تكن هناك معاهد للفنون الشعبيـة فى ذلك الوقت لكن استدعينا خبراء من الاتحاد السوفيتى جلسوا معنا خمس سنوات، وقاموا بإعداد كامل للفرقة القومية للفنون الشعبية.

وكنت أنا من سعداء الحـظ، لأننى حصلت على هذه الفترة من التـدريب على يد خبراء فى هذا المجال. وبعـد سفر الخـبراء حاولنا الاعـتماد على أنفـسنا وأخذنا نصمم رقـصات باسـمنا.

وحضر الأسـتاذ/ وجيه أباظة العـرض المسرحى للفرقـة القومية وأعجب جـداً بالعرض وأرسل فى طلبى سنة ١٩٦٥ أو سنة ١٩٦٦ وربما قبل ذلك.

وقال لى : أريد منك أن تنشىء فرقة للفنون الشعبية فى البحيرة.

■ألم تكن تعرفه من قبل؟

- لا لم أكن أعرفه. وكانت فكرة أن أنشىء فرقة - بخلاف أننى مصمم رقصات - مفاجأة لى. وطبعـاً هذا حمّسنى لدرجة أننى تركت الفـرقة القوميـة نفسهـا. ذهبت بالفعل ورأيت مركز التدريب المهنى وكان معى.

قال لى: أنا أنشـأت ١٣ قسمـاً فى مركز التدريب... الرئيـس جمال عبـد الناصر رأى النتيجة وأعجب بها. وهذه التجربة أنشئت فى مراكز التدريب فى الدول الاشتراكية ونجحت جداً.

وهذا المركز يضم الفئة التى لم تنل قسطاً من التعليم أو فاتتهم الفرصة، فنحن نتيح لهم

فرصة تعلم مهنة أفضل من أن يسلكوا طريق الإجرام والانحراف.

وفوجئت بأننا سننشر إعلاناً فى الجرائد ولابد أن المتقدمين سيكونون خريجي مدارس أو يكونون فى الدراسة.

ـ المفاجأة الثانية كانت أننا سنستغل العناصر التى لم تنجح فى ١٣ قسما للتدريب أى أننا سوف نستغل الذين يئس المجتمع منهم تماماً وفقد الأمل فيهم، وهؤلاء لا يصلحون غير أن يكونوا مجرمين مكانهم هو السجن... وهذه عظمة التجربة.

أنا اتصورت أن هؤلاء الناس أناس آخرون.

سألته ـ ولماذا قسم الفنون الشعبية بالذات؟

أجابنى قائلا: لأن هؤلاء غير ملتزمين وحيث إنهم فشلوا فى الـ ١٣ قسماً فسوف ينجحون فى هذا المجال نظراً لشقاوتهم. كنت فى أول الأمر غير مقتنع.

قال لى: أعطنى تقريراً بعد سنة أو بعد ستة شهور عن التزامهم وعن حضورهم.

وكانت المفاجأة طبعاً أننى وجدتهم ملتزمين.

هؤلاء الأشقياء هم الذين يعملون معى لمدة ٢٤ ساعة... جميعاً كانوا يقفزون ويمرحون، لقد وجد الأولاد بالفعل أنفسهم.

ساد الالتزام الكامل بينهم، ومنتهى الأدب والأخلاق، فى الأقسام الأخرى بدأوا يهربون وينضمون للفرقة.

كتبت تقريراً وقلت فيه: لو ذكرت أنهم ملتزمون فقط فسوف يكون هذا ظلماً لهم، إنهم أكثر من هذا بكثير، وأنا سعيد جداً أنى أعمل معهم، أشعر بتجاوب كبير بينى وبينهم... أشعر أن هؤلاء الناس عبارة عن جيش يريد أن يعمل ليل نهار... يعمل ٢٤ ساعة.. حماس متدفق ليس له مثيل وغير موجود حتى فى الفرقة القومية... الذين كانوا يعملون ساعتين وتنفد طاقتهم ويصبحون غير قادرين ولكنهم مختلفون رغم أنهم لا يأخذون أجراً.

قال: أفهم من ذلك أننا سنستمر فى التجربة.

أجبته: بالتأكيد.. أنا سأترك الفرقة القومية وأتفرغ للفرقة فى البحيرة.

بعد أن قرأ التقرير فوجئت به الساعة ١٢ مساءً.

فوجد مركز الفنون مضاء، والمفروض أن المواعيد تنتهى الساعة ٤.

فوجىء عندما رأى المركز مضاءً فوقف مع سكرتير المحافظة، ليتبين الأمر فوجد أن الفرقة بالكامل تتدرب الساعة ١٢ مساءً.

فجمعهم وقال لهم: أريد أن أعرف كل مشكلة تواجه أى شخص منكم. وأمسك بورقة وقلم وحل حوالى ١٥٠ أو ١٦٠ مشكلة للموجودين، وهو جالس معهم. وهذه كانت بداية انطلاق كامل وتفرغ كامل للفرقة. وأقتنع أهلهم وذويهم بالفكرة.

وقال لى المحافظ: أريد أن أحقق اكتفاءً ذاتياً.

فقسمت مجموعة للرقص، ومجموعة للموسيقى ومجموعة كورال. لا نريد أن نستعين بأى شخص من الخارج.

■ هل كنت تقيم فى البحيرة؟

ـ كنت أركب القطار فى الساعة السادسة صباحا. أصل فى الثامنة. وكان وجيه يتابع نشاطنا ويوفر لنا الإمكانيات المادية.

منع أى شخص من التدخل فى الفرقة. جلست معه واتفقنا على نوع البرنامج الذى سيقدم. وبدأنا نأخذ من البحيرة فنونها... مثل الحجالة ـ وطنية السيد درويش ـ أغانى شعبية من البحيرة.

قال لى: كل الإمكانيات المادية ستكون فى متناول يدك، ووفر الملابس والألحان، وكل شيء، ووفر التشجيع المادى والمعنوى والأدبى، بالإضافة إلى حماس الأولاد وحماسى أنا شخصياً.

هذا كله ساعد فى أن نخرج شيئاً عظيماً.

وذات يوم قال لى: أنت انتهيت من شيء؟ قلت له: فرغت من منتصف البرنامج.

قال: ممكن اشاهده.. وفى الحقيقة لا تتصور مدى سروره عندما شاهد العمل الذى انجزناه ... فقام وقبلنى، وهنأ الفرقة كلها فرداً فرداً.

وبدأ يحضر شخصيات على مستوى كبير جداً ليطلع الجميع على هذه التجربة، على أساس تنفذ فى جميع المحافظات. فكانت أول مفاجأة لنا هى زيارة الرئيس جمال عبد الناصر.

ومكان العمل كان مكاناً تحت الأرض، كان مصنع ثلج سابقاً. قمنا ببنائه حتى يصلح مكاناً للتدريب.

زار هذا المكان كبار شخصيات المجتمع والمسئولون هذا المكان الذى كان تحت الأرض. وأتذكر أن السيدة أم كلثوم زارته، وكذلك خروشوف وكانت مفاجأة أن خرشوف انبهر بالفرقة وطلب أن يستضيفها فى الاتحاد السوفيتى وتعرض على مسرح الكرملين الذى تعرض عليه أكبر فرق العالم.

طبعاً هذا الموضوع حرك الصحافة، وبدأت تتحدث عن هذه التجربة العظيمة وكيف غير وجيه عناصر صالحة فقد المجتمع الأمل فيها إلى عناصر هامة وفعالة.

إنه يصنع منهم نجوماً... يصافحهم رئيس الدولة... ويصورهم التليفزيون.

بدأنا نستعد لدعوة الاتحاد السوفيتى، بدأنا استعداداً شديداً جدا.

أول شىء سنفعله.. أنهم يغنو أغنية اسمها.. موسكو... فى روسيا.

فضلنا أن نحفظ هذه الأغنية باللغة الروسية.

وفعلاً حفظها الأولاد فى أسبوع أو عشرة أيام وهى عبارة عن نشيد وطنى هز مشاعر الاتحاد السوفيتى هناك.

فكانوا يشاهدون فرقة مصرية تتغنى بأمجاد موسكو، وكانت النتيجة أن حوالى عشرة آلاف مشاهد كانوا يغنون مع الفرقة المصرية، القادمة من البحيرة.

وكانت هى الفرقة الوحيدة التى تنافس فرقة رضا.. ولم يكن أحد يعرف كيف نشأت هذه الفرقة وأين؟.

كان أجر الفرد فى الفرقة ٣ جنيهات فى الشهر، وهو مبلغ كبير جداً فى هذا الوقت. فجأة تجد البنت نفسها تجلس مع أم كلثوم ومع جمال عبد الناصر وتلتقط لها صور معهم، وراتبها ٣ جنيهات فى الشهر، ويوفر لها الطعام والإقامة.

قال لى وجيه: خذ الفرقة واذهب بهم للقاهرة واجعلهم يشاهدون الفرقة القومية للفنون الشعبية ويتنزهون فى القاهرة.

كان يوفر ميزانية للفرقة، وكان سكرتير المحافظ الذى يراجعها بنفسه. وفر لى إمكانيات كبيرة بحيث إننى نسيت أننى ابن الفرقة القومية.

وهذه التجربة ذاعت شهرتها، حتى أننى كنت مرة أجلس مع المخرج حسين كمال.. وكان يقول لى أنا قمت بعمل فيلم استعراضى اسمه «أبى فوق الشجرة» لن أقوم بفيلم استعراضى لأن هذا الفيلم أخذ منى حوالى عام كامل.

وما كدت أحكى له قصة الفرقة حتى وجدته وقد ارتدى ملابسه وأخذنى وذهبنا ليوسف السباعى:

قال له: أنا لن أفكر فى شىء غيـر هذه التجربة، أريد أن أحول تجربة البحـيرة إلى فيلم استعراضى.

فى بداية الأمر جلسنا مع نجيب محفوظ ولكنه كان مرتبطاً بعمل.

فرأى حسين كمال أن يوسف السباعى أفضل لأنه كان وزيراً للثقافة وقتها وذهبنا إليه فى الفيلا بالمقطم ورويت له القصة.

وكيف بدأت الفـرقة والشخـصيات التى زارتنا والـشخصيـات التى قابلناها فى الفـرقة. والنشالين والحرامية.

الأولاد بعد شهور من التدريبات وبعد ظهـورهم فى التليفزيون وأمام الناس اعترفوا بكل شىء من تلقاء أنفسهم وقالوا: إنهم كانوا نشالين. . .

منهم راقصة أولى سـرقتنى مرتين، دخلت لى المكتب وقالـت لى : أنا التى أخذت كذا وكذا. .

حب الفن غيـرهم تماماً وأعاد تشكيـلهم من جديد. وأصبـحوا شخصيات أخرى غـير شخصياتهم، وكانت عندهم مشاكل مع الأقـسام ومشاكل هنا وهناك.

سمع يوسـف السباعى الموضـوع، وبدأت أتحدث عن الشـخصـيات التى كانـت تشدهم للخارج. مثل شخص يقوم بتسريح نشالين وكيف كان الأهالى ضد الفن.

كانت هناك فتاة فى الفرقة لم تحضر العرض الذى شاهده عبد الناصر. . قالت لى: اليوم الجمعة وأنت تعلم أن عندى غسيلاً، فأنا لا أستطيع أن أحضر لأننى لو خرجت يوم الجمعة زوج أمى سوف يطردنى من المنزل. . . إلى أى حد كان الجهل.

أفهم من ذلك أن زوج والدتها وافق أنْ تذهب للفنون الشعـبية ولكن اعترض على يوم الجمعـة لأنه خاص بالغسيل. . ولم تضع فى الحـسبان أن جمـال عبد الناصر يحـضر بقوته وعظمته. . .

وواجـهنا مـشاكل مـادية ولكن وجـيـه وفر كل شىء بحـيث إلا تعـوق تلك المشـاكل استمرارهم فى العمل.

طبعاً وجيه أباظة كان يوفر كل شيء، وكان يزور الفرقة كل عشرة أيام حتى أن مرتبى كان مستمراً لمجرد إشرافى على الفرقة:

وكانت المفاجأة الحزينة هى نقل وجيه أباظة إلى الغربية... وكان هذا الحدث بمثابة جنازة فى البحيرة وفى الفرقة نفسها.

ووعدهم أنه سوف يتابع نشاط الفرقة، وفعلاً تم هذا ووعدهم بإرسال صحفيين وزيارات.

وهو محافظ للغربية قال لى: تعال نقوم بنفس التجربة فى الغربية وطبعاً مع تفادى الأخطاء التى مرت بها تجربة البحيرة.

فبدأت التجربة تنفذ بعناية أكثر وإمكانيات أكثر وأجور أكبر. وعين كل فرقة البحيرة فى الدولة بعد ذلك بمكافآت من ١٠ جنيهات إلى ١٨ جنيها وبدأنا نعيد نفس التجربة فى الغربية.

قال لى: توجد هنا فرقة اسمها فرقة الغربية من معهد التربية.

وكان ضد هذه الفرقة لأسباب مختلفة..

وقال لى: أريد نفس التجربة الخاصة بالبحيرة.

وبدأ ينشىء «مركز تدريب مهنى». وأنشأ أقساماً، وثبت المتقدمين، وأيضا أخذ من فشلوا فى إثبات وجودهم فى أى قسم. وفى بداية الأمر كان التعامل صعباً، عملوا مشاكل كثيرة، وكبيرة فى كل قسم من هذه الأقسام. وبدأنا العمل فى فرقة الغربية، وطبعاً نريد أن نخرج عملاً أقوى وأفضل مما سبق.

وما حدث بالضبط فى البحيرة حدث فى طنطا، وبدأت فرقة الغربية تأخذ الأضواء من فرقة البحيرة. وبدأت الصحافة تكتب عنها والزيارات تفد إليها. وظهرت فرقة طنطا وفازت بالمركز الأول على المحافظات وهذه كانت دفعة قوية جداً لنا.

وكان يمكن أن يستمر نجاحها لولا نقل وجيه إلى القاهرة بعد ذلك. وقتها كنت مشرفاً فنياً على الفرقة القومية، فأرسل يطلبنى وقال لى: الذى لم نحققه فى المحافظات سنحققه فى القاهرة.

وسألنى: ما هى طلباتك؟

قلت له: أنا أحلم بإنشاء فرقة من ٣٠٠ راقص وراقصة... وكانت الفرقة السابقة مكونة من ٥٠ راقصاً وراقصة فقط.

أنا أريد عمل أفكار جديدة... أريد أن ننشىء فرقاً تتساوى مع فرق الدول.

وحدد لى مكان المركز وهو فى باب اللوق.

قلت له: أريد عمل صالات تدريب مضبوطة.

وبالفعل قمنا بعملها وقمنا بعمل اختبارات لأى متقدم على أساس أن نختار منهم ٣٠٠ شخص.

وأحضرنا ملابس التدريب لكل أعضاء الفرقة. كانت الاستعدادات على مستوى عال.

وفى أول حصة تدريب وقعت ظروف سياسية مفاجئة... وهى وفاة عبد الناصر.

بعدها فوجئت بهدم الصالة. وبتحويلى إلى الشئون القانونية. واعتقلونى بتهمة علاقتى مع وجيه أباظة... لمدة ثلاثة أيام.

مع أنه ليس لى أى نشاط سياسى...

ومات الحلم الجميل بالنسبة لى ولوجيه وهو احتضان العناصر التى فُقد منها الأمل وتحويلهم إلى أشخاص صالحين... وإلى الشهرة والعالمية وتأمين مستقبلهم وحياتهم.

لأن أول شىء أوصى به الزعيم الراحل جمال عبد الناصر أن يقام ٥٠ مركز فنون شعبية فى مصر. فكان هذا أول ما يراد تنفيذه..

ومازالت فرقة البحيرة موجودة وفرقة طنطا موجودة... والأعمال التى قدمت أثناء وجود وجيه أباظة فى البحيرة وفى طنطا قائمة... وحية حتى الآن ومازالت تعرض.

والأعمال التى قدمت بعد ذلك انهارت وانتهت، ومازالت الأعمال العظيمة التى شيدها فى عهده هى التى تسافر إلى الآن إلى الخارج.

لقد فتح وجيه أباظة مجالاً أمام كل المحافظين أن يقدموا نفس التجربة.

وكان رائد إنشاء فرقة شعبية فى المحافظة... لأن المحافظ الذى كان يطلب إنشاء فرقة فنون شعبية ورقص كانوا يسخرون منه. بعد وجيه أصبح أى محافظ يتولى محافظة كان من أول ما يهتم به هو إنشاء فرقة فنون شعبية للمحافظة. لأن معنى فرقة فنون شعبية أنك تجمع تراث المحافظة الفولكلورى . وتحتفظ به وتعرضه من خلال فرقة فنون شعبية من خلال

أزياء وألحان وكلمات وعادات وتقاليد المحافظة. كأنك تنشىء وحدة تراث وتجميع للفولكلور الشعبى الموجود.

هذه التجربة سبق فيها وجيه أباظة عصره... وبدأ الناس بمعرفة أهميتها بعده بحوالى ١٠ سنوات إلى ١٥ سنة، وأخذوا يتفهمون أهمية وجود فرقة شعبية.

وكان لوجيه طريقته الخاصة فى التعامل مع الفنان لأنه كان فناناً وكان يذلل للفنان كل العقبات التى تعترضه ويعطيه ثقة كاملة. وكان هذا بمثابة دفعة قوية لأى فنان وأى شخص يتعامل معه..

أريد أن أذكر حقيقة هامة وهى أن فيلم «مولد يا دنيا» جسد قصة فرقة البحيرة... وقصة حياتى أيضاً ... وجسد دورى فيه محمود ياسين.

وهو عبارة عن شخص أثقله الروتين وأعيته التدخلات الحكومية وشعر أن الفنانين تحولوا إلى موظفين فهاجر إلى المحافظات.

ويدأ يسير فى الطرقات يرى الناس التى ترقص... والشخصيات كلها التى فى الرواية مرت بى فى الفرقة.

شخصية أبو دومة الذى كان يحرض الأولاد من أجل أن يتركوا الفرقة، شخصية الأهالى ورفضهم للفن.. شخصية الخائن الذى كان يحاول إقناع الراقصين بترك الفرقة. شخصية النشالة التى تابت بعد ذلك.

كل هذه الشخصيات وضعت حتى يخرج فيلماً ممتازاً.

ولكن هناك خطأ كبيراً فى هذا الفيلم وأريد أن أسجله. وهو أنهم لم يتعرضوا إلى السبب الحقيقى لإنشاء هذه الفرقة.. وسبب هذا النجاح، ودور السيد وجيه أباظة واحتضانه للفرقة ورعايته لها ووقوفه بجانبها، وكيف كان من الممكن عدم استمرار هذه الفرقة بدونه سوى أسابيع قليلة.

هذه الحقيقة لم تذكر، ولذلك أعتبر أن فيلم «مولد يا دنيا» يجسد القصة الخاصة قصة فرقة البحيرة كاملة.

ولكنهم أعطوا له خطا دراميا آخر حتى يصبح مهياً لتصويره درامياً وإعلامياً. كان الخط الدرامى أن المحافظة ضده، حتى اقتنعت وبدأت تشجعه. إنما الحقيقة هى أن المحافظ هو

صاحب الفكرة وبادئها وهو الذى كان ضد المحافظة نفسها، وضد المسئولين وحارب ووقف أمام عقبات كثيرة ومسئولين من أجل استمرار هذه الفرقة.

■وماذا عن تجربتك مع هذه العناصر التى هى من بيئة شعبية... وكيف أمكن أن يتم تجميع هذه العناصر وتدريبهم والتعامل معهم وهم لا يعرفون حتى القراءة والكتابة؟!

ـ التقيت بشىء جديد لم أشاهده من قبل.

اكتشفت أن الحماس هو كل شىء فى الدنيا... ومحرك لأى شىء... أضرب لك مثلاً.. لو سرت فى الشارع وسمعت «صوت بائع البطاطا» ينادى عليها بصوت جميل فستجد نفسك تلقائيا تنصت إليه وتحب أن تسمع له.

الأولاد كان لديهم حماس لم أره فى حياتى من قبل. ولم أشهده فى أى فئة. لديهم استعداد أن يعملوا ليل نهار.. وأن يعملوا ٢٤ ساعة فى الـ ٢٤ ساعة.

لقد طبقت ما تعلمته من الروس خلال خمس سنوات بالحرف الواحد.

أعطيتهم التدريبات مضبوطة.

قلت لهم: إننا تدربنا خمس سنوات بمعدل ثلاث ساعات يومياً.

لو استطعنا أن نتدرب ١٥ ساعة كل يوم سنخرج للجميع بعمل رائع خلال عام واحد. سمع الأولاد هذا، ومع تشجيع المحافظ الذى قال لهم: عندما تبدأون فى العروض سوف يتم تعيينكم وتصبحون موظفين فى الدولة ـ وستظهر صوركم فى التليفزيون.. فازدادوا حماساً وإصراراً.

ومن ضمن هذه الأشياء مثلاً: ترك الأولاد أهليهم. وكانوا مستعدين للنوم فى المسرح، وتحمسوا بزيارات أم كلثوم وعبد الناصر... وتصويرهم إلى جانب خروشوف.. وغيرهم

واليوم.. الجيل القديم أول جيل لفرقة البحيرة رؤساء فرق فى مصر... ومنهم من أنشأ فرقاً بالخارج.

وأصبحوا أصحاب ثروات ومنهم من أصبح أغنى منى وأنشأوا مشاريع كبيرة.

لقد كللت التجربة بالنجاح... حتى أن منهم شخصاً استقر فى الاتحاد السوفيتى ولم يعد إلى القاهرة ومنهم من سافر إلى العراق، وأنشأ فرقاً، ومنهم من سافر إلى سوريا وأنشأ فرقة، واليوم أسماؤهم لامعة.

منهم عناصر تعمل فى الفنادق الكبرى، وحققوا نجاحاً وكانت لهم أرضية كبيرة فى البحيرة.

فى بداية التجربة لم أكن مستوعبا لها، ولكن بعد معايشتى فهمت أنه كانت له نظرة بعيدة.

كنت فخوراً وأنا أتحدث عن أننى عملت بفرقة البحيرة.

■ **هل كان لك احتكاك به خارج إطار الفرقة؟**

- كان يتابع نشاطى.. عندما أخرجت أول برنامج للفرقة القومية شاهده.

كانت الفرقة القومية تتدرب فى مسرح بقصر عابدين وهو يتبع المحافظة فطردونا من القصر وعندما أصبح وجيه أباظه محافظاً للقاهرة أعاد الفرقة القومية للقصر. كان يحاول دائماً أن يقول لى: أنا أتذكرك. وكان يفتح لى بيته فى أى وقت.

■ **هل استمرت علاقتك به بعد خروجه من المعتقل؟**

- بعد تركه للمحافظة تقابلنا بالمصادفة فى لندن. ودعانى فى زواج أبنائه، ودعوته فى أعمالى للفرقة القومية أو المسرح. وظلت علاقة الود بيننا موجودة.

والذى دعم علاقتى به أكثر هو أننى فى حرب ١٩٧٣ كنت فى التوجيه المعنوى وأصيبت فى الحرب وعندما علموا أننى كمال نعيم نقلونى إلى مستشفى المعادى بصفة استثنائية.

وكنت أعلم أن وجيه أباظة فى المستشفى أثناء فترة السجن وكنت طوال الوقت معه ونتحدث عن الفرق والمسرح.

■ **وما الذى أضافته هذه التجربة بالنسبة لمصر؟**

- أقتنعت بأنه من المهم توفير عمل لكل مواطن مهما كان نوعه.

لأنه إذا كان هناك إجرام أو أى شىء ضد البلد فهو من البطالة. التى تجعل مقاومة الناس ضعيفة ضد أى إغراءات.

أنا واثق أن مصر كانت فخورة بالمجموعة التى مثلتنا فى الكرملين والاتحاد السوفيتى وحضرت الاحتفال شخصيات كبيرة لامعة.

وإذا لم نكن قدمنا لهؤلاء هذا العمل ووجدوا أنفسهم فيه لربما كانوا قد تحولوا إلى مجرمين وإرهابين بدلاً من أن يصبحوا أفراداً صالحين وشخصيات لها وضعها فى المجتمع الآن.

كما ذكـرت من قبل أن جمال عبـد الناصر طلب من وجيه إقـامة ٥٠ فرقة فنون شعـبية وهذا لنظرة بعيدة جـداً أمامه أفراد ولم ينالوا قسطاً من التعليم ويجب أن يـوفر لهم عملاً، ليس شرطاً أن تكون الفنون الشعبية، ولكن يجب أن يتوفر لهؤلاء عمل ما.

لقد قلت له فى بداية الأمر: سيصعب أن أصنع فرقة فنون شعبية بهؤلاء الأولاد.

قال: لو تريد أن تأخذ من الأقسام الأخرى فلا يوجد مانع لدى.

نشرت إعلاناً فى الأقسام الأخرى فلم يصلح منهم أحد. تركيبة مختلفة تماماً..

كان الآخـر شقياً وتلك الشـقاوة هى التى أهلته بشىء من التـوجيه، كذلك التـدريبات والرقصات تحتاج لطاقة وشقاوة.

فمن هؤلاء بدأت الاختيارات، ومن يصلح للرقص، ومن لا يصلح قد يصلح للغناء أو للموسيقى.

وأحضرنا لهم أسـاتذة، وبدأت تخرج هواياتهم وطاقاتهم ووجهناهـم على أسس سليمة ووجدناهم يصلحون جميعاً، نجحوا وقبلناهم جميعاً ولم نترك أحداً منهم.

على الرغم من أنهم استمروا فى تصرفاتهم الفوضـوية ومشاغباتهم أسمع أنهم تشاجروا وذهبـوا لقسم البـوليس. فأذهب لأخـراجهم مـنه.. أو أن أحداً منهم ضـايق فتـاة منهم فتشاجروا.. أشياء من هذا القبيل بدأت تخف حدتها شيئاً فشيئاً.

أعطيناهم دروساً فى الأدب والأخلاق.... كنت أقول لهم:

عندما يخطىء فرد منكم سوف لا يخصون من أخطأ... ولكن سـيقولون فرقة البحيرة كلها كذا.. وكذا. فلابد أن نحافظ على اسم الفرقة

كان العنف والشجار سهلا

هذا عدا أهاليهم واعتراضهم على الفن.

كانت كلمة الرقص ترتبط بالرقص الشرقى، فعندما أردنا أن نقول: إن الرقص ليس ضد العادات والتقاليد وجدنا صعوبة لديهم.

تحدثنا مـعهم أننا نأخذ الرقص الشـعبى من عاداتكم وتقـاليدكم... نأخذه من البيـئة، والبيت، والأفراح، والأحزان، والأغانى الشعبية، ولكن نضعه فى إطار مسرحى.

وأنشأنا مسرحاً خاصاً للأهالى ليرى الأهالى أولادهم. وحضر وجيه أباظة. هذه الخطوة حلت ٦٠٪ من مشاكل الفرقة.

من الأهالى من بكى ومن قفز وهلل، وقبلوا بعضهم البعض.. رأوا الملابس ونوع الرقصات .

واجهنا تيارات شديدة جداً وأغلبها كان يتصدى له وجيه أباظة.

■ **كان هناك رأى يقول: هل كانت البحيرة تحتاج إلى أن تأكل أم إلى فنون شعبية؟**

- فى البداية... الفرقة لم تتأخر وأخذت عاماً من التدريب وعندما جاء وقت التقدم فهى تحتاج لميزانية فنحن لم نصنع ملابس مثل الفرقة القومية.

وجيه لم يأخذ أى أموال من المحافظة. هذه الفرقة أنشئت من صندوق الخدمات.

هذه الفرقة لها دور إعلامى وثقافى والمثال على هذا أن الموضوع ناجح جداً أننا اليوم إذا وجدنا محافظة لا يوجد بها فرقة فنون شعبية نعتبرها متخلفة والمحافظ متخلف أيضاً.

اليوم الثقافة الجماهيرية موجودة والمحافظة بها فرقة واثنتان وثلاث تجربة عظيمة جداً.

بدأت من صندوق الخدمات وليس من المحافظة

عندما نتحدث عن الأهم فالمهم، فالطعام مهم والفرقة مهمة أيضاً.

ثم - وهو الأهم - من قال إن هذه الفرقة أنشئت على حساب أى شىء آخر.. اذهب إلى البحيرة واسأل...

■ **كيف ابتكرت الرقصات للفرقة؟**

- بدأت أتعرف على عادات المحافظة مثل.. الموالد.. مولد السيد البدوى... والرقصة الشعبية.. المناسبات الرفاعية والزار.

فى الفترة التى كنت أعدهم فيها كراقصين.

وفى ستة أشهر كنت قد استوعبت كل هذا وأصبحت لدى رؤية كاملة.

الطبيعى فى الدول المتقدمة أن كل محافظة بها مركز فنون شعبية وللفرقة برنامجها يسجل ويصور حتى لا تندثر الفنون الشعبية، وعندما أريد أن أعمل شيئاً عن الشرقية أجد لديهم كل شىء مسجلاً.

واليوم يوجد باحثون متخصصون وظيفتهم الرقصات بالصوت والصورة وكذلك رصد العادات والتقاليد.

نحن نذهب بعد ذلك ونشاهد بأنفسنا. ولكن يجب أن تتوفر عملية البحث فى أى مكان، وهذا حدث فى الشهور الأولى فى الفرقة.

مثلاً قرية الأبعادية التى احترقت وأقامها وجيه أباظه فى ٢١ يوماً..

هو عمل وطنى وشعبى، والفنون الشعبية يمكنها تسجيله، وفعلاً جسدت الفرقة كيف حرقت القرية وكيف تم بناؤها فى هذه الفترة القصيرة، وبعد ذلك لماذا كانت هناك قرارات ثورية، ولماذا كان صارماً وقوياً وجريئاً جداً؟ وهذا كله ينعكس على التزامنا.

تلك الأشياء سجلناها ونفذناها. الرقصات التى اشتهرت بها البحيرة مثل الحجالة والأغانى الشهيرة التى تغنى فى الأفراح.. أو الزار الذى يقام فى المنازل.

بدأنا نقدمه فى تابلوه ونحذر الناس منه.

قدمنا فقرات دينية. وبعد أن نقدم فلكلور البحيرة نقدم فلكلور المحافظات الأخرى.. قدمنا فقرات وطنية عن سيد درويش فى تابلوه وطنى.

■ماذا تعنى كلمة رقص.. نود أن نوضح معناها للناس؟

- عندما نتحدث عن الفنون الشعبية.. فهى ليست رقصا فقط ولكنها تشمل أزياء وعادات وتقاليد وكلمات وألحاناً وغيرها.

وشىء مؤسف أن الناس تخاف من كلمة رقص.

فى أوروبا عندما يزور أى رئيس دولة، دولةً أخرى لابد أن يأخذ معه فرقة فنون شعبية.

وهى تعرفك على البلد وبدون ترجمة تفهم كل شىء وأنت جالس مكانك.

ولا توجد رقصة ممكن أن تفهمها خطأ.. هذه لغة عالمية.

■كم سنة ظللت أنت فى البحيرة والغربية والقاهرة؟

- فى البحيرة ثلاث سنوات وفى الغربية سنتين والقاهرة لم أتم العام.

■ هل مازلت تولى هذه الفرقة اهتماماً؟

- عندما أذهب إلى الإسكندرية أمر عليهم والآن يقود هذه الفرقة تلامذتى.

والفرقة تعيش حتى الآن بأعمال وجيه أباظة - كما قلت - ولا يزالون رواداً لفرق المحافظات. إنهم يطمئنون على أن عملى ومجهودى أنا ووجيه أباظة هو الذى يقدم حتى اليوم ويسافر أيضا.

■هل قدموا عروضاً بالقاهرة؟

- نعم فى مسرح البالون ومسرح الأوبرا القديم.

.عرضـوا بدار الأوبرا القـديم ومسـرح الجمهـورية والبالـون، عرضوا فـى الجمهـورية وشاهدهم شخص من إنجلترا كان يريدهم ليشتركوا فى مهرجان عالمى للفنون الشعبية.

■هل شاركت الفرقة فى عرض الفنون الشعبية العالمى فى ألمانيا؟

- قامـوا باختيارها من مـصر ومع ذلك يمكن أن ترجع للإدارة نفـسها وتعرف السـفريات التى قامت بها الفرقة.

بعد وجيه كان صـعباً علىّ التعامل مع الفرقة. حتى أنهم طلبـونى فأجبتهم أننى لا يمكن أن أتعامل معهم. لأنى كنت أعلم مدى التدخلات الكثيرة وغير المضبوطة.

■هل صورت الفرقة أعمالها؟

- نعم صور التليفزيون معظم الرقصات التى صممتها وقتها.

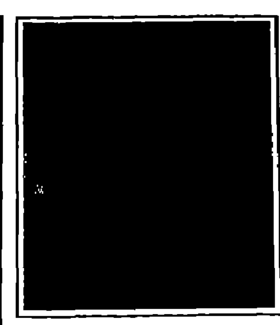
■هل توجد هذه الأعمال حتى الآن؟

- نعم مازالت موجودة. . أعمال صورت والفرقة فى أمجادها.

توجد رقـصات فـرقة البـحيرة فـى الأرشيف وأيضا صـورت أشيـاء كثـيرة لفرقـة طنطا وعرضت بالتليفزيون. ولكن التليفزيون عندما يعرض رقصة يعرضها للفرقة القومية.

ويمكن أن تطّلع على كل رصيد البحيرة ورصيد طنطا والغربية المصور بالتليفزيون.





عبدالرحيم رجب

وجيه أباظة لا يعوض

فوجئت بعبد الرحيم محمد رجب الموظف بري دمنهور يجهش بالبكاء عندما سألته عن وجيه أباظه..

وانهمر بكاؤه غزيراً ..

وحاولت تهدئته ..

ولكنى فشلت .. وفشل كل من معى .. وهم يخففون عنه ..

وقال لى واحد منهم إنه عندما يتذكر وجيه أباظة يبكى ..

ليس فقط لأن وجيه أباظة صاحب فضل على البحيرة كلها.. بل لأنه بصفة خاصة لديه نوع من الوفاء للرجل الذى أنقذ حياته من موت محقق..

وكنا نجلس فى النادى الاجتماعى بمدينة دمنهور ومعنا محمد عبدالرحيم محمد رجب العضو المؤسس بفرقة البحيرة المسرحية الذى روى القصة من أولها.

فى سنة ١٩٦٣ صدر قرار من وزارة الثقافة، وكـان اسمها وزارة الإرشاد القومى ، بأن تحل الفرق المسرحية التابعة لها فى المحافظات.

فى ذلك الوقت بدأ وجيه أباظة يقيم فرقة خاصة بالبحيرة تطوف بالمحافظات أيضاً.

وكان وجـيه اباظة والدنا الروحى الذى تربينا على علـمه وأدبه قرر إنشـاء فرقتين فـرقة الفنون الشعبية من أطفال البحيرة الذين جمـعهـم فى مركز التدريب ، جمع أطفالاً أصبحوا فنانين وطافوا العالم، وأيضاً فرقة البحيرة المسرحية بدأت سنة ١٩٦٣ .

وأحضر لنا الأساتذة / فتوح نشاطى، وامال المرصفى، وأحمد حمروش وأساتذة المسرح لكى يقومـوا بامتحاننا ، ووزعت استمارات على الموهبـون وهواة المسرح . وكان محـمد غنيم مدرساً فى الثانوى عندمـا أسند إليه تكوين الفرقه ، كما كان معنا مـحمد نوح وفهمى الخولى. ومحمود الحدينى - وبدأت الفرقة من ٢٩ فرداً ثم اختيارهم من بين ٣٢٠ تقدموا .. وبعدها تكونت فرقة الإسكندرية، ولكنها بدأت العمل قبلنا.

وجاء محمد نوح - وكنت سكرتير تحقـيق فى النيابة الإدارية - وقال لى : إتفضل فرقة إسكندرية استكملت قبلنا ، وحضرها يوسف وهبى وأمـينة رزق ، وكان يعرف أننى متهور .. تضاقيت . . وأرسلت برقيه لوجيه أباظة المحافظ أقول له : لقد أصابنا الركود والملل . . متى تعمل فرقتنا أسوة بفرقة الإسكندرية؟ إمضاء فرقة البحيرة المسرحية عنهم : عبد الرحيم رجب .

عندما وصلت البرقية أرسل وجيه أباظة واستدعى محمد غنيم وقال له: إنت عندك ولد باعت تلغـراف بيقـول : أصابنا الركـود والملل؟ إزاى مـا اشتـغلتوش لغـاية دلوقت ورفع السماعة واتصل بفتوح نشاطى وطلب إليه أن يحضر فى الغد ومعه «نص» .

جاء فى اليـوم التالى ومعـه النص وعقد المحـافظ اجتمـاعاً معنا، ومـعه فتـوح نشاطى ومحمد السباع وتكلم قائلا : يا ولاد اسم البحـيرة فى شخصكم ، فن البحيرة موجود فى شخصكم، إذا ارتقى فنكم ارتقت البحيره وإذا هبط الفن هبطت البحيره من خلالكم .

خذوا بالكم. . احملوا اسم الفرقـه على أعناقكم عايزها تصل لأعلى المراتب ويتكلموا عنها فى القاهره .

وفعـلاً بدأنا بعمل بروايه اسـمها « الزوجـة العاشـقة» تمصيـر فتوح نشـاطى ومحـمد السباعى.

كانت معنا هانم مـحمد - كريمان عطيه - سناء يونس من النجوم. . . كـانوا أعضاء فى فرق البحيرة يحصلون على مرتبات ١٥ جنيهاً فى الشهر .

■هل هن من البحيرة ؟

- نعم من مـواليد البحـيرة .هانم مـحمد من أسكـندرية - سناء يونس ـ من البحـيرة وكذلك هانم محمد.

كان يمدنا بنجوم من القاهره . . ومخرجين كبـار: فتوح نشاطى - عبد الرحيم الزرقانى- كمال ياسين - عبد المنعم مدبولى - كوميديان - وكان يحبه جداً .

كان هذا الرجل ـ الله يرحـمه ويحسن ـ إليه يعـالج نفسية المجـتمع البحيـرى من خلال المسرح فـيجعل الناس تنسى آلامهـا .من خلال المسرح وينسون المواجع الأسـرية من خلال الكوميديا ومن خـلال الفنون الشعبية حتى أن جمـيع الناس كلهم مع نبض قلوبهم يسجل اسم وجيه أباظة، وأنا واحد من الناس كنت باتمنى ربنا ياخدنى قبل ما يموت وجيه أباظة .

كان أبا رحيماً لكل الناس فى البحيره. . . الله يرحمه .

ترك المحافظة فـمات الفن فى البحـيره حتى الفنون الشعـبية لم يعـد لها مكان. . . كله انتهى . .

الناس يذكرون وجيه أباظه بالعمران. . . بـالنادى الاجتماعي الذى نجلس فيه الآن ، كل ما هو جديد فى البحيرة هو من صنع وإبداع وجيه أباظه .

كل دمنهور الجديدة . . . . وجيه أباظة

الكوبرى العلوى . . . . وجيه اباظة

المدارس التى أقيمت . . . . وجيه أباظه

الكليات الزراعية . . . وجيه أباظة

الكليات و المعاهد التى أقيمت. . . وجيه اباظة

فى نفس كل صغير وكبير وجيه أباظة.

إن المحافظين بعده لم يفعلوا شيئا

هل أحدثك عن قرية الأبعاديه التى حرقت فى ثوانٍ وأقيمت فى أقل من شهر. . .

لم يدخل بيته خلال هذه المدة منذ بداية الخراب حتى جاء العمار، الفنون الشعبية قدمت لوحة عن هذه الملحمة.

ووضعوا اسمه عليها ولكنه من أدبه وأخلاقه ورفعة نفسه رفض .

■ نواصل رحلة فرقة البحيره فى المسرح ؟

- قدمنا مسرحيات وتشكلت الفرقة وسجلنا للتليفزيون وقدمت عروض فى دمنهور وفى القاهره . وعــملت هنا ماجدة الخطيب، وكـوثر العسال، ومديحـة كامل، فى عهد وجـيه أباظه .

■ هل كانت هناك خشبة مسرح ؟

ـ مســرح أوبرا على شكل مــبنى الأوبرا القديم . . أوبرا صــغيــرة . . كنا نعرض بــأجر رمزى .

وتمسك الناس بالـبحيرة . . لماذا يذهبـون إلى الإسكندرية لمشاهدة المســرح إذا كان لديهم المسرح الخاص بهم وفرق القاهرة تأتى إليهم . .

■ هل عرضتم فى القاهرة ؟

- نعم عرضنا علــى مسرح الجمــهورية، وعلى مــسرح الأزبكية ـ أى المســرح القومى- وأقمنا مهرجاناً مسرحياً مكان حديقة الجـمهورية الآن حيث أقام أيضاً سوقاً للإنتاج وكانت كل فرق المحافظات تقـيم عروضاً عندنا، في دمنهور وفي المحــافظة مما خلق رواجاً ونشاطاً سياحياً . .

■ هل صورتم فى التليفزيون ؟

- طبعاً صورنا مــسرحيات، وكان مدرســو المعهد العالى للفنون المسرحيــة يحضرون إلينا ليدرسوا لنا. ومن الكلمات التى قيلـ على لسان المرحوم عبد الرحيم الزرقانى للمخرجين فى القاهرة: الذى يريد الحصول علــى البكالوريوس من معهد التمثيل يذهب ليـخرج لفرقة البحيره المسرحية فى عهد وجيه أباظة .

كان اعضاء الفرقة لهم ثقل.

مشى وجـيه أباظه مــشى الفن . . مشى الأدب . . . مــشى الشعر . . . مـشيت الحـاسة الفنية . وانتهت الفرقة تقريباً.

بعد أن ترك وجيه اباظة البحيرة . . . انتهت البلد .

كنا نعمل بعض الشىء وهو موجــود على قيد الحياة، وكان يراعينا مــن خلال حبه للبلد وأبوته للأولاد، وكــان يسأل عما ينقص البلد و يدفع من جـيبه للمشروعات فى الــبحيرة. وجيه أباظة لا يعوض . . وجيه أباظة من عجائب الدنيا السبع . . الله يرحمه ويحسن إليه .

وأذكر أنه وقــع لى حادث، سنة ١٩٦٥ ، صدمــتنى سيــارة على الطريق الســريع ، وكان

عندى فى اليـوم التالى عرض مـسرحـية «الحـالة ٣٧» وكان يحبـها جـداً جدا. ويحـضر البروفـات . سمع أن عبده رجب مـات فى مستشـفى كفر الدوار أمـر الفرقة تطلع مسـير» ويلغى العرض وتطلع هانم محمد وماجده الخطيب ومحمد نوح وكل أعضاء الفرقة يتقدمهم جثمان عبده رجب .

يعلم بعد ساعين أنى مازلت على قيـد الحياه فيرسل لى كونسلتو أطباء فى مسـتشفى كفر الدوار ومعهم: محمـد بك الرومى مدير عام مستشفيات البـحيرة - عزت بك زايد سكرتير عام المحافظة ـ حلم:ى الغمراوى الله يرحمه ويحسن إليه.

كبار الأطبـاء وجدونى كما أنا مـن السـاعة ٤ صباحـاً حتى السـاعة ٤ مـسـاءً لم يضع أي طبيب يده عندى، ومازال الدم نـازفاً من أذنى وكتفى الناحيـة الأخرى .. ارتجاج فى المخ وأنا فاقد الوعى تماماً .

وأنا لا أستطـيع الحركة ، وكنت مـوظفاً برى البـحيـرة، عمل لى انتداباً إلـى المحافظة انتدابا مفتوحاً لأنه يعرف أنى سأبقى سنوات طريح الفرش.

طلع لى ٢٠ جنيهـاً كل ١٥ يوماً من جيـبه الخاص لزوجـتى، وعالجنى بالدرجة الـثـانية بمستشفى المواساة على حسابه.. وليس على حساب المحافظة .



لواء شوقي سليمان

كان أستاذاً ورائداً وجريئاً

ضابط من ضباط القوات المسلحة صحب وجيه أباظة فى رحلة الإدارة المحلية. . . فقد عين رئيساً لمجلس مدينة كوم حمادة عندما عين هو محافظا للبحيرة. .

عاش معه الرحلة كاملة لسنوات طويلة ، ونشأت بينهما صداقة، علاقة حب أبعد من علاقة العمل ، واستمرت حتى رحيل وجيه أباظة . .

هو اللواء شوقى سليمان رئيس مجلس مدينة كوم حمادة ثم سمنود، وسكرتير عام محافظة الغربية ثم الإسماعيلية بعد ذلك . قال لى: إنهم فى البداية عينوا المحافظين وبعدها عينوا رؤساء المدن فكنت أول دفعة من رؤساء المدن سنة ١٩٦١ عندما عينت رئيساً لمدينة كوم حمادة.

وعندما انتقل وجيـه أباظة إلى الغربية أنتقل معه كرئيس لمجلس مـدينة سمنود . . قبلها كان ضـابطاً فى الجيش «قائد كتـيبة المدرعات» وانـتدب كرئيس لمدينة كوم حـمادة ، وظلت علاقته به وثيقة . . وكان قد تعرف عليه عندما التقى المحافظون الجدد ، برؤساء المدن الجدد في محافظاتهم وكان هذا هو لقاؤه الأول معه .

ويقول: إنه اعتبر وجـيه ـ رحمه الله ـ شخصاً نادراً من الرجال فـقد عمل مع عدد من المحافظين كان الفرق كبيراً جداً بينهم وبين وجيه أباظة .

قال اللواء شوقى سليمان: لقد كان معظم رؤساء المدن من جهات متفرقة

ولقد اعتبرناه المعلم ونحن التلاميذ . . . يجـمعنا مرة فى الأسبوع بدمنهور يعلمنا طريقة العمل كرؤساء مدن فقد كنا نجهل هذا العمل لأنها وظيفة جديدة علينا وكان يدفع كل واحد فى موقعه .

المسألـة الثانية: إنه كـان قائداً حـازماً مع مـرونة، أنا أذكر فى أول أيام تسلمى عـملى كرئيس مدينة حدثت كارثة القطن .

من شدة حبنا له ومتابعته لنا كنا نمـضي ٢٤ ساعة فى المكتب لانغادره طول مدة مكافحة القطن، كانت كارثة وكنا مرابطين فى المكاتب ليس بالأوامر ولكن بالحب .

كان يتابعنا ويتصل بنا فى منتصف الليل .

كان إنساناً فى كل شيء فله مواقف انسانية كبيرة جدا. . . يساعد الفقراء خصوصاً الذين جنى عليهم الدهر. . . والذيـن يفتقدون الصـوت العالى ، فهناك فـرق بين شخص يطالب وصوته عال وواحد محتاج ولكنه غير قادر على الكلام.

خدماته الإنسانية كانت كثيرة وعلى كل الناس .

وكان أيضاً يتمـتع بذاكرة حديدية أذكر أنه ايام التهجيـر فى مديرية التحرير . فكان هناك قريه هجر فيها الفلسـطينيون كلهم .

واحد من الفلسـطينيين تشاجر مع اشـخاص منهم وهو مـوجود وكان عـدد الفلسطينيين ٤٠٠٠ شخص وعندما جـاء للمرور بعدها بخمـسة عشر يومـا من بين ٤٠٠٠ واحد عرف هذا الشخص وقال له: أنت كذا كذا

كانت ذاكـرته قوية جداً ، كـما كان يدفع العـاملين معـه للأمام من ناحيـة العمل ومن الناحية الإنسانية .

أنا شخصياً كان لى ابن أصيب بمرض فى الولادة.

قلت له : لو سمحت: كلم مدير مستشفي المعادى ليحجز لأبني فهناك دكتور خبير أجنبى من الخارج جاء ليكشف على مثل هذه الحالات .

طلبت منه ان يكلم مدير المستشفى تليفونياً .

وطلب منى أن أمر عليه في المنزل فى مصر الجديدة صباحاً مبكراً فى اليوم التالى ، وعندما مررت عليه فوجئت به يأخذ سيارته ويذهب بنفسه معى ومع ابنى إلى مستشفى المعادى . وقال لمدير المستشفى : إن هذا الولد مثل ابنى بالضبط.

لم أطلب منه أبداً ، ولم أتصور أنه سيذهب معى ، كان كل المطلوب، وكل المتوقع محادثة تليفونية منه .

كنت المس أنه يفعل نفس الشئ مع كل واحد .

■ **عندما نقل من البحيرة إلى الغربية؟**

- ذهبت معه إلى الغربية .

■ **هو الذى اختارك ؟**

- نعم هو الذي اختارنى معه لكن فى البحيرة لم أكن اعرفه . وحتى فى الجيش كنت فى المدرعات وهو فى الطيران .

■ **فترة البحيرة كانت فيها الجازات عديدة ؟**

انجازات رهيبة للبحيرة عموماً كانت له طريقة عجيبة ،مافى بلد في محافظة البحيرة ما اتعملش فيها حاجة .

فى كل قرية مدرسة ووحدة صحية ومرافق الخدمات.

■ **مدينة كوم حمادة التي كنت رئيسا لها ؟**

- طبعاً من ناحية التعليم عندما ذهبت إلى كوم حمادة كان بها مدرستين ابتدائية ومدرسة اعدادية فيها فصول ثانوى .

عندما تركت هناك كان فيها مدرسة ثانوى خاصة في مبنى جديدة ومدرسة ثانوى بنات وإعدادى بنات ومعلمات بنات ودار معلمين - ومدرسة زراعية . تستطيع أن تقارن الفرق .

■ **هل تجاوزتم الخطة ؟**

- كان هناك جزء من الخطة وجزء كبير تجاوز الخطة

كانت طريقته كالآتى : كان يعطى دفعة للعاملين معه . . . كانت ميزانية المشروع نصف

مليون جنيه، الـذى ينهى ميزانيته فى ١٢/٣١ يعطيه مثل ميزانيته... لايـنهى ميزانيته على الورق .. كان يقول : لا تقول لى ارتبطت بالحاجة الفلانية لا ؟ لابد من التنفيذ الفعلى . وسرعة التنفيذ .

قريه الابعدية اقيمت فى ٢١ يوما وهذا انجاز ليس سهلاً ابداً .

■هل انتقل للغربية وأنت معه ؟

- رافقته كرئيس مدينه سمنود ، والذى لديه طبع هو .. هو .

لم يترك الفـرصة في الغـربية حوالى سنتـين وفى البحيـرة ٨ سنوات وبعدها جـئنا بعد النكسة مباشرة .

لم تكن الظروف مثل البـحيرة . ورغم ذلك، طنطا لم تكن هى مـدينة طنطا التى تراها الآن .

طنطا لم يدخل عليها أى تحسن من يوم وجيه أباظة .

انجازاته مـا زالت موجودة فى طنطا . مـثلاً .. إدارة الجامـعة كانت تابعـة للكاتدرائية اشتراها منهم .

وكان عندما تقابله لأول مرة كأنك تعرفه من سنين .

اذكر أنه جذب مـسئول الكاتدرائية وأخـذ منه المكان وحوله لإدارة الجامعـة ٨٠٠٠ متر أرض ومبـانى وأساس ومازالت مـوجودة ولم يزد عليهـا أي شئ، اشتـراها منهم بقروش وبالتقسيط وقدموها بنفس راضية.

عندما كان وجيه أباظة هنا كانت مديرية الأمـن ومجمع المحاكم ناحية المحطة وكنا نسمع أن مجـمع المحاكم سـوف يتغيـر عندما تتـوفر الميزانـية وظل ذلك لسنوات وكذلـك مديرية الأمن، أقام العمل فيها سنة وراء سنة وبسبب اختلاف وزارة الداخلية مع وزارة العدل على الشارع مـن يبنى فى الداخل ومن يبنى فى الخارج ولـكن وجيه أبـاظة حسم الخـلاف اقام مديرية أمن جديدة ومجمع جديد للمحاكم ..

وكذلك شركة بيع المصنوعات هو الذى انشأها وأيضاً «هانو» فى ميدان السـاعة ولم يدفع فيها مليما فقد انشأها دون أى أعباء مالية .

اتفق مع شركة «هانو» يقيم العمارة وتسدد من الإيجار.

مديرية الأمن ومجمع المحاكم باع انقاضها، قسمت الأرض وكانت تباع بالمزاد العلنى وبدأ يبنى بجزء من المبلغ ولم يدفع شيئا والحكومة لم تتحمل شيئاً، كل هذا خارج الخطة وخارج الميزانية وبعض المشروعات سددت قيمتها من صندوق الخدمات .

وعندما تركت سمنود أصبحت سكرتيراً عاماً كان وجيه أباظة قد نقل إلي القاهرة .

وكان يحضر مندوب من الكاتدرائية ليحصل على ٥٠٠ جنيه فى الشهر، هى قيمه قسط الأرض التى اشتراها بالتقسيط

اليوم يقدر ثمن الارض بحوالي ٣٠ مليوناً كان ما حدث فى الغربية بعضا مما حدث فى البحيرة. . .كانت دمنهور من قبل بلداً كئيباً، جعل نادى دمنهور الإجتماعى من أحسن النوادى .

■ انجازاته فى الغربية ؟

- المشروعات الرئيسية فى طنطا هو الذى انشأها ، وقد حدثت سيادتك عن إدارة الجامعة ثم مجمع المحاكم و مديرية الأمن - التوسعة فى النادى الإجتماعى كانت دوراً أرضياً . وهناك شيء لا أعرف ما إذا كان قد تم أم لا لأننى تركت الغربية كان قد حصل على ١٥٠ أو ١٨٠ فدانا من الإصلاح الزراعى . ليقيم عليها توسعة للمدينة الجامعية لا اعرف ماذا تم بعدها .

اقام فندقاً . . ثم الكازينو الذى أمامه وهو كازينو «جيونولا » الذى كان موجوداً فى بور سعيد وعندما حدث التهجير احضر صاحب «جيونولا» ليفتح محلاً له فى طنطا . . ثم عاد الرجل بعد ذلك إلى بور سعيد .

■ استمر هنا فى الغربية حوالى عامين.. أين كنت ؟

- أنا ظللت سكرتيراً عاماً هنا حتى حرب سنة ١٩٧٣ ، وتوقف إطلاق النار. . . ممدوح سالم الله يرحمه رأي أن السكرتارية العامة ، لابد أن يكونوا من العسكريين

نقلت إلي الاسماعيلية ومكثت بها عامين ثم رشحت نفسى فى انتخابات مجلس الشعب، ونجحت ودخلت مجلس الشعب . حتى حل أنور السادات المجلس ، ولم أكررها مرة أخرى .

■ عندما حوكم وجيه أباظة فى قضية مايو هل كنت على اتصال به...؟

- باستمرار كنت أسأل عنه وأرسل له خطابات، وكان أحد الأشخاص هو الذى يوصل

الخطابات للحـاجـة زوجتـه، ثم يحـضر لي الـرد . . وعندما خـرج من الـسجن كنت فى الاسماعيلية ولم أذهب إلى القاهرة دون أن أمر عليه فى البيت من باب المحبة .

■ هل يذكر الناس فى محافظة الغربية فترة وجيه اباظة ، بالرغم من أنها كانت قصيرة نسبياً ؟

- طبعاً تاريخـه سابقه إلى الغربيـة قبل أن يعين فيها ، وعندمـا جاء كانت سيـرته الطيبة على كل لسان ، وكان الناس يتكلمون عنه وعن اعماله فى البـحيرة. . نعم مدته فى الغربية كانت قصيرة.

لم يستطع الرجل أن يقوم بكل ما كان يـريده ، ومع ذلك فإنه فلا يوجد له شخص فى طنطا إلا وأحب وجيه اباظة .

■ هل مازال الناس يذكرونه !

- نعم فى البحيرة. . . وفى الغربية أيضاً .

كان له أسلوب فى العمل وجرأة فى التنفيذ قال لى كلمة ظلت نبراساً في بداية استلامنا وجيه أباظة سيزور كوم حمادة لعدة افتتاحات .

كان يصحب رئيس المدينة من الساعة ٩ صباحاً يطوف معه المركز كله . .

أول يوم نزلت على دمنهـور تركت سيـارتى هناك لم أكن أعـرفه - لقـد رأيته مـرة فى الاتحاد القومي فى ميدان عابدين عندما تجمعنا مع المحافظين كرؤساء مدن فى الإتحاد القومى واحداً واحداً . .

يومها اذكر أنه قال لى :

إن شاء الله ستكون مسبوطاً من كوم حمادة .

قلت له : بصراحة لا أوافق .

قال : لماذا؟!

قلت: أنا لـسة جاي منها دلوقت .

قال : دى أكبر مركز فى البحيرة .

قلت له : لو كنت رحت لهـا من ١٠٠ سنة كنت حلاقيـها بنفس المنظر لامـية. . . ولا نور. . . ولا حاجة خالص .

كان لماحاً وذكياً ، انتظر للآخر نصف ساعة اقنعنى بطريقة جديدة .

كان رؤساء المدن يعينون مثل المحافظين بقرار جمهورى .

دخل على قائـلا : أنت لما تسيب البلد أنا مش حـاقدر اجيب واحـد ثانى قبل شـهرين علشان يلغى قرار جمهورى ويصدر قرار جمهوري ثاني.

وبعدين أنت راجل ضابط ، ربما تكون هذه فترة عمل فى منطقة نائية .

عند استلامي للـعمل أول يوم كان آخر افتـتاح لوحدة بيطرية فى بلد اسمـها « شابور » بعد كفر الزيات – الساعة ٢ صباحاً الناس نتتظره بالكلوبات لأن المحافظ سيفتتح الوحدة .

بعد الافتتاح عدنا إلى دمنهور لآخـذ سيارتى وأعود إلى طنطا قال لى: شوف يا شوقى أنت راجل جاى من الجيش ومتخشب وما تعرفش حاجة عن الحياة المدينة .

حط قدامك دائماً فى الحاجة اللى أنت حتعملها أنك ترضى ربنا وترضى ضميرك وبعدها ماتخفش .

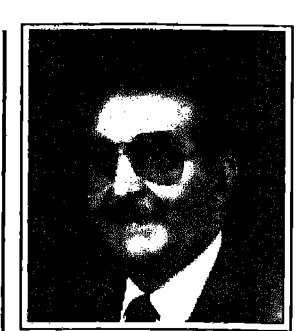
كانت الساعة ٢ صباحاً .

هذا لأدلل لك علي مـدى حرصه عـلي العمل، ولم يذهب إلى البـيت على طول نزلنا على استاد دمنهور، كان المقاولون يشتغلون فيه ليتابع ما فيه من عمل .

■ **كنت يتفتح وحدة بيطرية من الذى أقامها ؟**

– وجيه أباظة كان قبلى بحوالى ٣ أو ٤ أشهر المحافظون عينوا ونحن بعدهم بحوالى ٥ أشهر . .





طارق الجندي

يجيد فن التعامل مع الناس

طارق الجندى، عضو مجلس الشعب. وواحد من كبار العاملين بالحقل السياسى فى محافظة الشرقية كأمين للحزب الوطنى الديمقراطى بها، عمل مع وجيه أباظة لسنوات.. يقول إنها أحلى سنوات حياته الوظيفية عملاً وأنطلاقاً وخدمة للجماهير، ودراسة لمشاكلهم والوقوف على أحتياجاتها بدأت هذه السنوات عندما نقل محافظاً للغربية، وكان طارق الجندى فى ذلك الوقت ضابط مباحث فى طنطا.. وطلبه، واستمر فى العمل معه.. حتى اعتقل وجيه أباظة فقرر إلغاء انتدابه للحكم المحلى نهائياً، والعودة إلى وزارة الداخلية، لأنه لايريد أن يعمل فى هذا المجال مع غير وجيه أباظة.. الذى عامله كابنه حتى أن الكثيرين لم يعرفوا أنه ليس ابنه إلا بعد أن اعتقل، ولم يجدوا اسمه فى كشف العائلة المسموح لها بزيارته.

ذكرياته مع وجيه أباظة وعنه طويلة.. طويلة... نكتفى منها فقط بهذه الصفحات السريعة، من الحوار الطويل مع طارق الجندى... الذى يذكر الرجل دائماً، ويقدر له جهده وعمله، كما يرصدعدداً من الصفات التى تميزت بها شخصية وجيه أباظة الإنسان.

هذا الحوار مفاجىء، لم يعدّ له من قبل، لذلك كانت الإجابات سريعة مرتجلة وفقاً لما تعيه الذاكرة..

■ **كيف بدأت العلاقة بينك وبين وجيه أباظة؟**

أولا: أستطيع أن أقـول إن العلاقـة بينى وبين وجيه بك عـلاقة قويـة، وكان يعتـبرنى كواحد من أولاده حتى أنه فى وقت من الأوقات، لما اعتقل، لم يعرف أحد أننى لست ابنه إلا عندما أعدوا كشف الذين لهم حق فى زيارة المعتقلين وعرفوا أننى لست فيهم.

■ **كان الناس يظنون أنك ابنه؟**

ـ نعم . . وأنا شعـورى بالنسبـة له كأنه أب ـ فذهبت وقـابلت الدكتـور إبراهيم صالح مساعد المدعى الاشتراكى وسألنى عن عملى قلت له ـ ضابط بوليس.

فقال لى: إنت مش خايف على نفسك؟ يعنى الظروف مش كويسة هذه الأيام. . مافيش داعى انك تقابله.

والحقيقة أنا صممت على مقابلته وكان هناك ضابط زميلنا هو الواسطة... المهم دخلت.

أهم ماتركه لى عم وجيه ـ رحمه الله ـ هو حب الناس وحب خدمة الناس، أنا لا أتذكر كل شىء، فهناك أشياء كثـيرة متفرقة. . والحديث ليس مرتبـا ـ فأنا أذكر مثلاً أنه اتصل بى ذات يوم ـ الساعة ٣ صبـاحا ـ وأخبرنى بانهـيار أحد البيوت ببولاق وكـلمنى فى التليفون، وقد كانت طريقة حديثه ظريفة – لم يكن يقول: تعال حالا ـ كان يقول: والله أنا كلمونى دلوقت وقالوا فيه بيت مهدوم فأنا نازل ـ رايح البيت.

. . . والإجابة السريعة سأمر عليك.

والمهم: ذهبت وجدت ضابط مطافىء يريد العودة لبيته فسأله المحافظ انت رايح فين؟

أجابه: والله بنزين الماكينة خلص وأنا مرّوح.

فالمهم زعق له وقال له: خد بنزين من عربيتى والمسألة ماتتخدش بالسرعة دى، كان لازم تستمر.

والمهم جلس على كرسى وسند عليه، ومن يـومها، وأنا بافتكر كان فيـه مهندس اسمه إسماعيل توفـيق وكان دارس موضوع الدفاع المدنى وأخرج مـن تحت الأنقاض ٧ أشخاص أحياء وحالتهم جيدة.

فكان يحاول دائما عمل لمسات إنسانية وهو موجود فى مكان الحادث، ولابد أن يقوم بالواجب، وكانت هذه لمسة إنسانية منه أتذكرها.

ولمسة ثانية كان فيه عدة بيوت اعتقد أنها كانت تفوق الـ ٢٠ منزلا انهارت فى حى السيدة زينب وكان وزير الإدارة المحلية فى ذلك الوقت محمد أحمد، فورا ذهب إلى هذه البيوت، ونقل سكانها وسكان البيوت المجاورة الآيلة للسقوط إلى بيوت أخرى وأحضر ١٠٣ عربة نقل، أشرف بنفسه على نقلهم إلى مساكن عثمان فى بداية مدينة نصر، ولم يبرح المكان إلا بعد أن اطمأن أن كل الناس الموجودين أخذوا سيارات النقل ونقلوا عفشهم إلى مدينة نصر، سأتذكر حاجة يوم ما انتقل طنطا فكلمنى فى التليفون وقال لى أنا عايز ٢٠ جنيهاً تضعهم فى أظرف وتحضرهم إلى لم تكن الأسرة نقلت ولا حد معه ولا حد استلم اشغل فدهشت لهذا الطلب فاتضح لى ان فيه ناس حضروا من طنطا يهنئونه وكانوا بسطاء فكان يقوم بواجبه نحوهم، ولم يكن معه نقودا.

الشىء الذى اعتز به بصفة شخصية هى بعد وفاة والدي بيومين ركبت معه السيارة لأنى كنت أعمل فى طنطا والوفاة فى الزقازيق فأنا ذاهب للزقازيق ثالث يوم نصحنى بعض النصائح التى جعلت اسرتنا واحدة متماسكة حتى اليوم، لم نقسم أرضنا وأرضنا كثير.

وقال لى: ابن أخوك زى ابنك واختك زى نفسك.. والفلوس كلها بتاعة أبوك فلازم تيجى على نفسك فى سبيل ارضائهم وليس ارضاء نفسك.

هذه النصيحة كان نتيجتها ان والدى توفى من ٣٠ سنة ونحن حتى الآن مترابطين وأسرة واحدة حسابتنا واحدة الذى يريد شيئا حتى زيادة عن حقه يأخذه.

ولقد عملت معه فى طنطا طوال هذه المدة منذ وصوله حتى حضرت معه للقاهرة وكنت معه على طول ـ وعندما ترك العمل قدمت طلب الاستقالة وعدت لعملى الأصلى لأنى كنت منتدبا من وزارة الداخلية وكانت له انجازات فى طنطا كانت أسرع انجازات.

* فى بداية وجود وجيه بك فى الغربية كنت ضابط مباحث قسم ثان طنطا من ٦٣ إلى ٦٩ طلب منى ان أمر عليه لأنه يريد معرفة طنطا بالسيارة ومر بنا فى طنطا لمدة ساعتين تقريبا فوجد أن هناك ناس كثيرة يعرفونى وهذا ماجعله يطلبنى للعمل معه.. ومرت فترة

أسبوع أو اثنين وكنت متواجدا معه فسألنى إيه رأيك تشتغل معايا فقلت قوى ويسعدنى.

فقال لى: السياسة يوم فوق ويوم تحت فإذا كنت موافق تكون معايا فأنا غير مسئول لأنك أنت الذى اخترت بنفسك.

وفعلا وافقت أن أكون معه، ويمكن أحلى فترة من عمرى هى التى قضيتها معه ومهما وصلت فى شأن من الشئون فهى أحسن فترة فى حياتى.

عملت معه كمديرمكتبه لأمن للشكاوى لأنه كان يهتم بالشكاوى ليكون هناك اتصال مباشر بينه وبين الناس، والشكوى المهمة أعرضها عليه مع صاحب الشكوى بنفسه، وإذا وجدت شكوى متصلة بأكثر من واحد، أى شكوى عامة، كنت أكتب تقريرا وأعرضه عليه بنفسه ليحل مشاكل قطاع كبير من الناس وخاصة المظلومين.. كنت أنا والأستاذ عادل فكرى والأستاذ محمد مكاوى وأحمد الكاشف ـ وكنت منتدبا من وزارة الداخلية للحكم المحلى، وأشرف أيضا على الأمن وكان لدى أمكانيات جيدة بعد أن وفر لى الموظفين الذين أحتاجهم حتى انتظم العمل انتظاما جيدا.

كانت صلته بالناس قوية جدا، وكان كل من يعرفه يحس أن له مكانة خاصة عنده، فقد كان يجيد فن التعامل مع الناس، وكان كل واحد يحس أنه هو المحبوب عند وجيه بيه، وأن له مكانة خاصة.

وكان عنده شىء غريب جدا أنه كان يحفظ الأسماء بسرعة، عندما يقابل الشخص مرة أو مرتين، وعندما يخاطبه باسمه يترك أثراً طيباً جدا.. وبابه كان مفتوحاً لكل الناس، ولم يكن يحب سماع الوشايات أو أن تتكلم الناس على بعض، ففى كثير من الأحيان حضرت وقائع أن ناس محترمة جدا كانوا يحاولون إبلاغه فى شخص معين فيرسل ويحضر الشخص وهو جالس ويقول إن فلاناً ابلغني ان الموضوع الفلانى كذا وكذا. وكانت هذه ميزة جيدة جداً منعت من عنده الشوشرة، والكذب الذى يمكن أن يقال فى حق بعض الناس.

والشىء الذى كان يتميز به بشدة أنه كان مجاملاً جداً... المريض لابد أن يساعده بالطريقة التى يحتاجها نفسيا، بالمال لم يكن يبخل بالعلاج إطلاقا. وأى واحد مهما كان

صغير. أو كبير يجد عنده الرعاية.

وكان لابد أن يذهب إلى المآتم يؤدى الواجبات. طبعا العمل عنده لم يكن له مواعيد إطلاقا، كان يمكن أن يعود لبيته الساعة ٣ صباحا ـ وكان عندما يعطى الثقة يعطيها كاملة أو يسحبها كاملة.

■ **كانت له مهمة رئيسية فى الغربية وهى بناء التنظيم السياسى. هل لديك معلومات عن هذا الأمر؟**

ـ التنظيم السياسى فى الغربية لم يكن قبله موجوداً بالمرة.. ذات يوم طلبني قبل أن أنقل للعمل معه وكنت لا أزال فى المباحث ولم تكن لدى معلومات غير أنى أعرف أن هناك تنظيماً طليعياً لكنى لا أعرف ماهو؟ وطلبنى إلى بيته وقال لى: هناك ناس ستحضر الساعة ٢ وناس ٢,١٥ وناس ٢,٣٠ كل واحد يدخل في غرفة مغلقة ولا يرى القادم ـ طبعاً أنا كضابط مباحث احسست أن فيه حاجة غير طبيعية.

أديت المأمورية ثم سألته لأنى لابد إن أعرف ماذا أعمل سألته لماذا حضرتك قلت إن هذا لايرى هذا ـ وكانوا مجموعات مختلفة منهم سالم محمدين ـ والغرورى - وهما وزيرا صناعة بعد ذلك، والناس كلهم أعضاء مجلس الشعب وأعضاء مجالس محلية وأسماء كبيرة قال لى ستعرف فيما بعد.

بعدها قال لى: إن هذا هو بداية العمل السياسى، والحكاية كذا وكذا.. تكون معايا لأنها حاجة كويسة لمصر وجود التنظيم الطليعى ويضم ناس كويسة وهو شرط من شروط تولى عمل قيادى. وكل الناس التى معنا نظيفة وتحب بلدها ... وكلها وطنية.

ثانى يوم عندما اقتنعت بهذا العمل. أعطانى خطابا للسيد شعراوى جمعة لانتدابى للعمل فى الحكم المحلى وانضمامى للتنظيم مع أحمد الكاشف ومحمد مكاوى وعادل فكرى، وإبراهيم حلمى عن العمال.. وكانت هناك أسماء كثيرة.

وكما قلت لك كنت ضابط مباحث وكان فيه أيامها انتخابات الاتحاد الاشتراكى قبل أن أنضم معه، وأعرف حكاية التنظيم كان يكلمنى فى التليفون بصفة شخصية ويقول لى أعطينى النتيجة أولا بأول.

فكنت أصعد أول دور وأخبره بالنتيجة، وأنزل تحت ويقول لى: النتيجة تانى -

الحقيقـة أنا ماكنت أعرف أن الذى يتولى هذا العمل هم رجـال التنظيم الطليعى، وأنهم كانوا يديون انتـخابات الوحدات بالطـريقة التى وضعـها لهم - وهو كان يعـرف النتائج وأن يتأكد من حـسن سير العمل من واحـد من خارج التنظيم. وأنا أعتـقد أنه كان تنظيمـاً جيد جدا على مستوى الغربية - لأنه كان يجمع كل الناس النظيفة. لم أجد شخصا سيئا.

■ **هل استطاع خلال فترة سنتين فى الغربية - بناء هذا التنظيم؟**

أعتقد أنه قام ببنائه . . . بناء جيداً، كـانت أهم مدن الغربية المحلة - ولا أتذكر أنه كانت هناك مظاهرات، ولا مشاكل، بين العـمال كانت المشكلة قبل ماتحصل يذهب بنفـسه ليحلها وتنتهى المشاكل على الإطلاق.

■ **على مستوى الإنجاز كمحافظ - فى الغربية - كانت له إنجازات واضحة في البحيرة فماذا على مستوى الغربية؟**

كانت هناك إنجـازات أيضا لن تنسى مثل مـيدان الساعـة إيراد عمارة الأوقـاف كان ٢١ جنيها والبواب مرتبه ٢٣ جنيهاً ومديريةالأمن كذلك كانت مهلهلة، باع الأنقاض وتم تجميل هذه المقطعة.

■ **بصفتك كنت قريباً منه فهلتتبعت زياراته لمدن المحافظة وقراها؟**

كان أسوأ وقت لديه مـا نقضيه فى المكتب لأنه كان يحب أن ينزل على الطبـيعة ويعرف المشاكل على الطبيعة. . تحت شجرة، بجوار ساقية . . . فى السيارة - وكان فيه شئ جميل جدا وهو أن العـمل الروتينى يعطيه وقـتاً بعـد الظ.. ، أى أنه يقابل المدير الـقانونى والمدير المالى ومـدير شئـون العاملين بعـد الظهر . . . لاتدخل عليـه أبداً ويكون أمامـه ورق على المكتب لابد أن ينتهى منه.

■ **الواقعة الأخيرة هى أن السادات كان يعقد اجتماعات فى بيت محمود جامع .. هل لديك فكرة عن هذه الاجتماعات؟**

- طبـعـا عندى فكـرة - هو لقـد بلغـه أن السـيـد أنور الســادات - وكـان نائب رئيس

الجمهورية- كان موجوداً فى منزل محمود جامع ومعهم أسماء أخرى وتناول الحديث بعض الأمور السياسية ـ وهو أبلغ عن هذه الواقعة عن طريق التنظيم الطليعى أيضاً وعن طريق العميد إبراهيم حليم بمباحث أمن الدولة.

■ ونقل للقاهرة...؟

يوم النقل كنت فى البيت وجاءه تليفون من الرئاسة .. كان يوم شم النسيم وقال له المتحدث أن الرئيس يقول أنت عيِّنت اليوم محافظاً للقاهرة ولابد من استلامك العلم فورا

وتم فعلا وسافرت معه فى نفس اليوم وعدت بعدها بيوم وسلمت أوراقى للنقل معه للمرحوم ممدوح سالم ـ المحافظ الجديد.

وفى القاهرة مكثت معه من أول يوم لآخر يوم، وكان يسعدنا خدمة الناس لدرجة أننى عملت له حاجة فى العربية شبيهة بالنجدة، كان يحب أن يقود سيارته الصغيرة ويبلغ عن أى حاجة من السيارة على طول، وكانت المشاكل كلها تنتهى بعدها بساعتين وكان معه (بونات للعمال) يعطى العامل المجدّ بوناً بمكافأة

وبالإضافة إلى هذا كنت مسئولا عن مكتب الشكاوى وكان معى ٣٣ موظف مسئولون عن جميع المديريات للخدمات، فكان معى طبيب لوزارة الصحة وموظفوه، ومهندس للتنظيم وموظفوه، وكان مكتب الشكاوي يرد على صاحبها خلال أسبوع ولى واقعة طريفة مع مدير التربية والتعليم، وكان أبو صالح الألفى، اختلفنا فى البيانات بالنسبة للشكاوى لا أذكر الأرقام قلت له؛ عندى ٥٠ شكوى جاء رد على ٣٠ منها وعندك ٢٠ متأخرة، فأسبوعياً لابد أن يجتمع السيد المحافظ مع مديرى الخدمات وأول بند من بنود العمل هو الشكاوى والد عليها ووضعت المشكلة أمام المحافظ وقال أبو صالح: أنه رد على ٤٩ تقريبا.

فقال المحافظ: يجرى تحقيق مع طارق الجندى وأبو صالح الألفى.. كان حاسما مهما كانت معزة طارق أو أبو صالح.

وأبو صالح بعدها بيومين قال لنا إن الموظف عنده أخطأ وأن بيانى مضبوط ودخلنا لوجيه بيه وبلغناه وقابلنا بابتسامة كأنه ليس هناك شئ.

فكان لابد خلال أسبوع أن تنتهى الشكوى وعندما ذهبت لهيئة النقل العام معه، كان فيه ١٢٠٠ شكوى.. صنفنا الشكاوى فوجدنا ٥، ٦ مشاكل متماثلة تمثل حوالى ٨٠٠ شكوى - خاصة بعلاج أسر العاملين، ولم يكن هناك كاوتش فى السيارات وكانت السيارات تتعطل لقرب المحطات، ولذلك كوّنا لجنة فيها واحد من المحافظة، عضو مجلس الشعب، عضو مجلس محلى، وزادت المسافات بين المحطات وكان أول يوم فى حياتى أدخل فيه مجلس الشعب هو يوم احتجاع هذه اللجنة ويومها تمنيت أن أدخل مجلس الشعب كعضو فيه - بأختصار اهتمامه كان كبيراً جداً بشكاوى الناس وأعتقد ان هذا هو الحكم المحلى.

■ **وماذا على مستوى الإنجاز فى القاهرة؟**

- أنا أتذكر مثلا أن مستشفى السرطان كان ينقصه أدوات كثيرة جدا وقد أنهى كل هذه المشاكل.

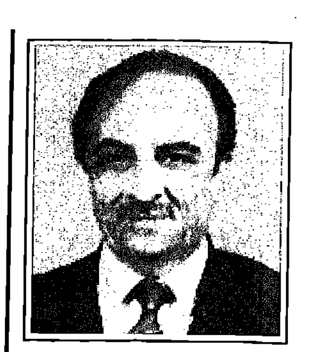
- ومستشفى ناصر كان تحت الإنشاء وكان عليه مشاكل كثيرة وفّر لها اعتمادات من عنده وكانت بداية العمل فى المشروع ووضع حجر الأساس.

- وفى موضوع النقل كان السائقون من عساكر الجيش وكان البديوى فؤاد رئيس مجلس إدارة النقل الثقيل فاجتمع معه وقال له: إنه ينقصنا كاوتش فقال له: أنا عندى كاوتش سيتلف من التخزين فطلب إرساله له فورا.

■ **قضية مايو أحمد الكاشف كان يقول: إنه كان هناك ورق أحرقه وأنت أعطيت عليه؟**

أظن هو اشتغل فى تنظيم جامعة عين شمس ومعه أحمد حمادة وسعيد عفيفى فى نفس مكتب الأمن وطلبه السيد شعبان ومحمد رشوان وزير مجلسى الشعب والشورى بعد ذلك محمد مكاوى رئيس مدينة حلوان؛ هؤلاء الأربعة كانوا معه بصفة مستمرة ولا أعتقد أنه كانت هناك أسرار أو أشياء تستحق الحرق والإخفاء، فقد كان أسماء أعضاء التنظيم يمكن معرفته





أحمد الكاشف

تنظيم سياسى جديد بالقاهرة

كان أحـمد الكاشف مديراً للعـلاقات العامـة بمحافظة الغربية عندما اختاره وجيه أباظة مديراً لمكتبه.

قال : إنه عمل مع سـتة محافظين من قـبل وجيه أباظة لم تحس بهم الغربية، ولم يحس هو شخصيا بهم. وجاء إلى القاهرة ليبـدأ نفس المهمة ومعـه أحمد الكاشف الذى طلب وجيه أباظة أن يكون معه...

لم يقتصر عمل وجيه أباظة في الغربية علي بناء التنظيم السياسى فقد حقق فى فترة وجيزة إنجازات هائلة أيضا.

أحمـد الكاشف ظل بمحافظـة القـاهرة بعد أن تركـها وجيه أباظة ووصل إلي منصب سكرتير عام المحافظة.

يقـول إنه استطاع أن يسـتقطب كل أبناء الغـربية حـتى المقيمين فى مـختلف مدن مصـر ، ووقف مع الشباب .. وفى القاهرة بدأ التنظيم الطليعى بين الشباب وعمال النقل العام ، وكانت الاجـتماعات فى مـتحف محمد مـحمود خليل.

حدثنى عن فترة وجيه أباظة محافظ القاهرة قائلا:

للوقوف على أسباب وجود وجيه أباظة كمحافظ القاهرة لابد من الإجابة عن سؤالين: لماذا وجيه أباظة بالذات؟ ولماذا القاهرة بالذات؟

الإجابة عن السؤالين ضرورية ، لقد كان محافظا للبحيرة وكان من المحافظين الناجحين أقر الجميع بنجاحه .نجاحه فى البحيرة حوّل مفهوم المرحوم جمال عبد الناصر عنه .

كان جمال عبد الناصر يعتقد أنه من الثوار المندفعين وتختلف طبيعته عن طبيعة جمال عبد الناصر، ربما لو رجعت لموضوع اللغم الذى كانوا سيفجرونه فى نادى معسكرات الإنجليز فى السويس - وهى مكتوبة فى أكثر من كتاب. نجد أن جمال عبد الناصر كان متحفظاً من هذه الناحية، ومنع تفجيرها بينما وجيه أباظة وزملاؤه كانوا مندفعين ويريدون تفجيره فى المعسكرات البريطانية ، فكان من المعتقد أنه من المندفعين. هذا فى الفترة الأولى رغم أن وجيه أباظة من الناس الذين اشتركوا فى أول تشكيلات للأحرار ومن البداية.

عندما ذهب لدمنهور ونجح أراد أن ينقله إلى القاهرة معه وعدّلت إلى طنطا.

فى طنطا عملت معه. .كنت مديرا للعلاقات العامة فى الغربية . . و كان لى دور رئيسى فى التنظيم الطليعى بمحافظة الغربية. . قبلها كان وجيه رشدى محافظا للغربية ولم يكن عضواً فى التنظيم فلم يكن كل المحافظين أعضاء فى التنظيم الطليعى . . . وكان هذا شيئاً غريبا وصدرت لنا الأوامر ألا نكشف له التنظيم بالرغم من أنه المحافظ.

وعندما جاء وجيه أباظة أبلغت أنه أحد عناصر التنظيم الطليعى ولابد من مساندته.

فكلنا استقبلناه الاستقبال الرسمى.

وكنت أحد العناصر التى دلته على العناصر الفاعلة فى محافظة الغربية.

وشكّل التنظيم الطليعى من وجيه أباظة ومن الموجودين فى هذه الفترة. وبدأنا نعمل وأنا مدير لمكتب المحافظ ومدير للعلاقات العامة.

أستطيع أن أقول: إن وجيه أباظة جاء الغربية بالذات فى مرحلة حرجة جدا. هى مرحلة مظاهرات الشباب التى كانت فى الإسكندرية سنة ١٩٦٨ استطاع وجيه أباظة أن يجذب الشباب إليه بطريقة بلغت القيادة السياسية فى وقتها وأعجبت بها.

■ **تعرفت على وجيه أباظة عندما جاء محافظا للغربية وأنت مدير العلاقات العامة،ثم نقلت إلى العمل معه فى محافظة القاهرة؟**

أنا كلفت أن أبقى مديرا للثقافة بالغربية بالإضافة إلى عملى كمدير للعلاقات العامة إلى أن نقلت للقاهرة مع المرحوم وجيه أباظه.

■ **وظللت مديرا للعلاقات العامة مع وجيه أباظة فى الغربية .. ما هى أعمال وجيه أباظة فى الغربية خلال هذه السنة؟**

أعماله ملموسة كثيرة منها التنفيذية. . السياسية.

■ **تقييمك لأعماله فى الغربية لأن دوره فى البحيرة كان لامعا جدا؟**

- وجيه أباظة ليلة صدور قرار نقله من الغربية إلى القاهرة كنا فى بيته بالليل أنا وهو وقال لي: يا أحمد أنا عرفت بلدكم ودرستها وعرفت من يعمل ومن لا يعمل . . . استلم منى بلدكم بعد سنة.

انتقل إلى القاهرة . . تكلم معى الساعة ٦ صباحا يوم شم النسيم قائلا : أنا انتقلت القاهرة تجى معايا ؟

قلت له: أكثر من واحد عرض على القاهرة . . . لكن هنا أرضى وبلدى ؟

قال: لا لازم تجى معايا. دا تكليف من التنظيم إننا نروح.

وعلى هذا الأساس جئت معه. .

اليوم أقول، رغم قصر فترته فى الغربية إلا أنه كان يخطط بعد أن لمس إحساس الناس وآمالهم.

أنا أعمل فى الغربية منذ بداية الحكم المحلي، وظللت مدير علاقات المحافظين الستة الذين كانوا قبله هناك، إلا أننى لم ألمس الجرأة التى عمل بها وجيه أباظة .

الجرأة أيام العدوان. . أذكر أنه أقام حفلا لأم كلثوم وجمع أكثر من مائتى وخمسين ألف جنيه. كانت عملية لا يمكن تصورها يومئذ، ووجهت هذه المبالغ وغيرها من الغربية لدعم القوات المسلحة.

كذلك شق الشوارع وأقام الأبنية الجديدة وساعد الطلبة وبنى المستشفيات وبدأ الناس يحسون به.

عندما تذهب اليوم إلى طنطا تجد أكثر من أثر، عمر افندى كان محلاً قديما أزال مكانه ونقله إلى مكان جديد، وأقام صيدناوي، وقام بعمليات شق الترع - الرصف - إنشاء المدارس الجديدة مراكز الشباب، وحدات الإسكان، منافذ السمك والمجمعات، وغير ذلك فى سائر المدن والقري.

اليوم هذه الصروح الموجودة بمحافظة الغربية هى التى أقيمت فى عهده وظلت شامخة فى المحافظة حتى اليوم.

لذلك فإن الجميع فى الغربية وطنطا يتحدثون عن وجيه أباظة. ولو استمرثلاث أو أربع سنوات فى الغربية لكان قد عمل أشياء كثيرة جداً .

يكفى أن الاحتفال بمولد السيد البدوى - وهو الموسم السياحى لمحافظة الغربية كلها - كان قبيل وجيه أباظة أسبوعا، وعندما عين محافظا للغربية واجتمع معى كمدير للعلاقات العامة وجمعنا الناس قال: أنا أريد أن أجعله عيدا اقتصاديا وليس مجرد مناسبة دينية، وجعلناه شهراً بدلاً من أسبوع .

وفى هذا الشهر أقيم معرض صناعى تجارى وجاءت الفرق من القاهرة لتقدم - المسرحيات والتمثيليات على أعلى مستوى اقتصادى، أحس به الجميع وأصبح عيدا ثقافيا.

حتى أن المرحوم جمال عبد الناصر أرسل له قائلا: هذا ما يجب أن تكون عليه اللقاءات الشعبية. وكانت الرسالة عن طريق عبد المحسن أبو النور.

كان فى المحافظة صندوق للخدمات .

المحافظون يجمعون الأموال ولا ينفقونها، وعندما جاء وجيه أباظة وجد حوالى ١٥٠ ألف جنيه،سنة ١٩٦٨ كان مبلغا كبيرا وجمع أعضاء مجلس الشعب ، وقال لهم هذه أموال الشعب، كل واحد منكم يأخذ سلفة وينفقها على مشروعات لصالح الشعب، أنا اعترضت، وكل الناس اعترضت، ولكنه صمم. وهكذا بدأ الاصلاح . . . المسجد الذى يحتاج إلى ترميم . . . المشاكل الصغيرة فى القرى والمدن ، أمكن القضاء عليها، ترميم المدرسة، توصيلات صغيرة للمياه، وغير ذلك تحت إشراف أعضاء مجلس الشعب الذين تنازل لهم عن سلطته كمحافظ حتى تصل الخدمة لكل قرية وكل مدينة .

الطلبة بالذات كانوا يعالجون مجانا، والطلبة فى جامعات القاهرة بدأ يمدهم بمساعدات

ويشــترى لهم الكتــب وبدأ فى إقامــة بيت الغــربية ليـضم طلاب الغــربية الذين يدرســون بالقاهرة. . كنا نريد استئجار عمارة ولم ننجح.

وجئت إلى القــاهرة لأشترى عمــارة من محافظة القــاهرة وقابلت سكرتير عام مــحافظة القاهرة حسين منتصر، على أساس أن يعطينا عمارتين أو ثلاثاً ونقوم نحن ببنائها، ولكنا فى صدد تأجير مكان مؤقت ونقل وجيه أباظة من المحافظة قبل أن يتم المشروع.

■ وجيه أباظة كــان محافظا ناجحــا فى البحيرة ونقل إلى الغــربية من أجل بناء التنظيم السياســى فى الغربية ... بدأ فى هذه المهمــة وأتمها فى خلال سنتين بعدها انتــقل إلى القاهرة هل يمكن أن تعطينا فكرة عن هذا التنظيم؟

– أولا قبله كان وجيه رشدى محافظا للغربية. ولم يكن له علاقة بالتنظيم أساسا فكانت هناك فجوة بين الجهاز التنفيذى والجهاز السيــاسى، وعندما جاء وجيه أباظة استقبلناه كواحد منا أولا، لأنه غير القيادات الموجودة كلها.

وتمت الانتخابات فى عــهده واستطاع أن يختــار للترشيح فى الانتخــابات بعد ٣٠ مارس أفضل العناصر، وطلب منها نزول الانتخابات. لقد استطاع إقناع هؤلاء أنهم أحق بالترشيح وأن الانتخابات سوف تكون نزيهة من غير غش ولا تزوير .

واستطاع أن يشكل جهازا سياسيا ناجــحا سواء على مستوى الاتحاد الاشتراكى أو على مستوى التنظيم الطليعي.

على هذا الأساس بدأ ينـظم العملــية لدرجة أنه لم يحدث فى الغربية فى هذه الـفترة ما حدث فى سائر المحافظات .

التحركات فى محــافظة الغربية سواء على مستوى التنظيم الطليــعى أو الاتحاد الاشتراكى كانت واعية وسليمــة، لهذا رأت القيادة السياسية أن تنقله إلى القــاهرة بعد أن أتم المهمة فى الغربية .

■ هل وصل للقرى فى الغربية؟

– طبعا لم نهمل القــرية. . بالعكس فقد أقمنا غرفة عمليات فى عــمارة الدكتور/ قنديل لربط جميع القــرى والمدن، استطعنا فى ثوان أن نكون على اتصال بقــيادات المدن والقرى خلال تليفون مع العمــدة كل القيادات فى الغربية. وكان لهذا أثر كبيــر فى توجيه القيادات

لحل مشاكل المدن والقرى واتخاذ القرارات الفورية .

أنت تعرف أن هذه الفترة بالذات كانت حرجة جدا فى تاريخ البلد . . . فترة حرب الاستنزاف، وكانت هناك غارات على الدلتا وكنا نواجه هذه العمليات من هذه الغرفة.

وجيه أباظة أنشأ هذه الغرفة لأول مرة فى محافظة الغربية، وكان يجرى منها الاتصالات لأنه كان حريصا أن يقيم خطوط اتصال قوية بينه وبين كل القرى والمراكز. وهذا أول نجاح للتنظيم السياسي.

وقد حدثت فى عصره بعض التحركات من العمال فى المحلة الكبري.

واستطاع التنظيم بنجاح أن يتصدى لها ويوقفها . .

وفى عهده اكتشفت تحركات من الإخوان المسلمين، وكانت خيوطها من خارج الغربية، ولكننا استطعنا عن طريق التنظيم فى الغربية أن نكشفها ونطلب تعقبها خارج المحافظة! لدرجة أن عبد الناصر قال لأخوة شوقى بعد ذلك:

- لو كنتم سمعتم كلام تنظيم الغربية ما كنش ده حصل خارج الغربية.

لقد عشنا فى الغربية المشاكل ورصدناها وكتبنا عنها وقد تمت الاستجابة لها . .

كان السادات يقوم بزيارة بيت الدكتور/ جامع وكانت هذه الزيارات مرصودة عن طريق التنظيم لدرجة أن السادات نفسه قال لوجيه أباظة: أنت تراقبنى يا وجيه؟

وكان ما يدور فى بيت الدكتور جامع لدى وجيه أباظة، فقد كان التنظيم مسيطراً تماماً على المنطقة ، وكان وجيه أباظة مسيطرا عن طريق التنظيم.

■ **انتقل وجيه أباظة إلى محافظة القاهرة يوم شم النسيم؟ كيف نقلت معه؟**

- كنا أربعة طارق الجندي - وأنا - وأحمد حمزة -رحمه الله. كنا ثلاثة فى الأول ثم جاء عادل فكرى ومحمد مكاوى . طلب منا أن ننقل معه. فى الأول قلت له: لا

قال: أنت مكلف للعمل السياسى .

وانتقلت مديرا لمكتبه للمتابعة وكان هذا غطاء لعملى فى التنظيم السياسي.

بدأنا نجمع الناس من جامعة عين شمس ثم من النقل العام كما قلت لك، ولم نستطيع أن نكمل فقد جاءت ١٥ مايو .

■ يوم القبض على وجيه أباظة أين كنت ؟

- فى المحافظة فى قصر عابدين وقد وفقنى الله أن أقوم بحرق الوثائق والملفات الخاصة بالتنظيم .

بدأت أتخلص من الأسماء لأنها لم تكن موجودة إلا فى هذا المكان.

■كان وجيه أباظة موجوداً ؟

- لا بعد ما اعتقل بيوم أو يومين وجدت أنه من الصالح أنى أحرقها وكان قد ترك لى التصرف. دخلت دورة المياه فى المحافظة أحرقت كل الدوسيهات لدرجة أن الدخان طلع ملأ المكان.

كان هناك واحد اسمه/ عبد السلام البرقوقى. .وكيل مكتب الأمن وجد الدخان يتصاعد من المكتب الذى يطل على المتحف ؟ ظن أنه حريق.

قلت لطارق الجندى: تصرف يا طارق العملية كيت وكيت وأنا كنت أعمل كذا وكذا.

فوقف وقال لهم : خلاص إحنا طفيناها اتفضلوا.

الحمد لله استطعنا أن نزيل الآثار كلها.

بعد ذلك وجدت مباحث أمن الدولة تستدعينى وقالت: كنت تعمل مع وجيه أباظة إيه؟ . . .

■ أنت من يومها فى القاهرة؟

- نعم أنا فى القاهرة. حتى أصبحت سكرتير عام محافظة القاهرة.

لأنى أخذتها تدريجياً: مدير مكتب محافظ - وكيل وزارة لشئون مكتب محافظ - سكرتير مساعد - سكرتير عام - وطلعت على المعاش السنة اللى فاتت.

■ هل استمرت صلتك بوجيه أباظة؟

- لغاية آخر لحظة . . .لغاية قبل ما يسافر فى رمضان الماضى كنت فى بيته وقال لهم أحمد هو الذى أحرق الملفات . . . .

حكى لأولاده وللمدام: لولا أحمد الذى أحرق أسماء التنظيم كانوا اتلموا كلهم وكان

ده حيغير موقف الكثير من القيادات الذين ظهروا فى التنظيم السياسى وحزب مصر والحزب الوطنى بعد ذلك .

■ إنجازات وجيه أباظة فى محافظة القاهرة؟

- بدأ يجمع هيئة النقل العام، كما بدأ يجمع الشباب من الناحية التنظيمية. جمع الناس ووضعهم فى كوادرهم من الناحية التنفيذية ثم بدأ يعمل أشياء كبيرة.

بدأ أولا بهيئة النقل العام وتجمعات عمال حلوان ووضع يده فيها. .

ثم الشباب فى الجامعات. . . هذه العناصر التى تتحرك .

من الناحية التنفيذية ابتدأ فى عملية الصرف الصحي. . .

النقل العام دعمه بطفرة لم تكن قبلها.

الكبارى العلوية بدأت فى عهده .

إنشاء مزرعة للمحافظة لتوفير كل احتياجات المستشفيات والمدارس بأسعار التكلفة.

كان يفكر فى مترو الانفاق.

أرسل عز الدين فرج لليابان ليدرس عملية الكبارى العلوية ونفذناها فى ميدان التحرير.

وكان أيامها ميدان التحرير وصل إلى درجة التكدس . الكبارى العلوية حلت المشكلة .

وبعد ذلك مترو الأنفاق.

وخطط لعمليات الإسكان، وبدأنا نشهد طفرة كبيرة للإسكان .

ـ الإنارة ـ دعمها بلمبات الصوديوم فهو الذى أدخل الصوديوم لأنه اقتصادى ويعطى ضوءاً صحياً أكثر ولا يؤذى العينين.

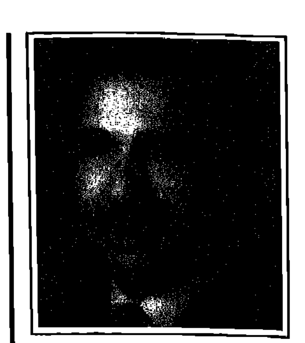
أول اسبوع عمل إنارة ميدان سليمان باشا (طلعت حرب) بالصوديوم.

أيامها كانت الميزانية «تعبانة وكانت الأفكار جيدة، لما وجدت ميزانيات بعد ذلك تم إتمام المشروعات التى بدأها». كانت الفترة قصيرة لم تمتد، ولكن آثارها وما خطط فيها، كانت له نتائج واضحة فيما بعد.

وإذا كنا نذكر اليوم للمرحوم وجيه أباظة بعض ما قام به، فلابد أن لا نغفل أهم جوانب

وسمات شخصيته، وهو إيمانه المطلق والعميق بمصر وعظمتها، وإحساسه ومعايشته لحاجات الناس ومعاناتهم وبذله دائمـا وبصدق عزيمة كل ما يكنه لحل مشـاكلهم ومعاناتهم وفى كل مكان حل به، فإنه يمكن لكل من شاركه المسئوليـة أن يذكر له الكثير من القصص الإنسانية التى بذل فيها من جهده بل ومن مـاله الخاص، لكى يسهم فى تخفيف المعاناة عن المواطنين وباعتبارى قد عـملت معه فترة طويلة فى الغربية والقاهرة فـإننى أستطيع أن أذكر له العديد من القصص والحالات التى أمـر وساهم فيها. وقـام بنفسه بالمساعـدة والوقوف خلف أسر وأشخاص وموالاة مساعدتهم حتى تستقر أحوالهم.. مجتهدا أن يكون ذلك فى السر ودون أن يعلم أحد بذلك إلا من يشتـرك فى التنفيذ، حين استقبلنا فى الغربـية المهجرين من أبناء القناة اثناء حرب الاستنزاف، وكـيف أمر بعلاج المئات فى المستـشفيات المتخصـصة بالقاهرة ودفع المصاريف والنفقات والمرتبات لمئات الأسر والطلبة وغيرهم.. كانت مرحلة حرجة فى تاريخ الوطن وكان لابد ليجـتازها من وجود القيادات المصـرية المؤمنة بمصريتها أمثـال وجيه أباظة.





محمد العواني

اهتم برعاية الطبقة العاملة

الحاج محمد العوانى عضو الاتحاد التعاونى .. جذبه وجيه أباظة إلى التعاون... كان عضواً بالاتحاد الاشتراكى طلبه وجيه أباظة عندما سمع عن نشاطه .

وهو يذكر لوجيه أباظة أنه أعطاه دفعات من الحماس ومن العمل ، وأعطاه ثقته.

ومن مواقف للسيارت مختلفة خصص موقفاً واحداً لخدمة المواطنين ولإزالة المعاناة عنهم.

ويذكر محمد العوانى لوجيه أباظة أعمالاً عديدة بدأ حديثه:

« لقد أعطاني المرحوم وجيه أباظة دفعات ودفعات، ولقد شدنى منذ تعرفت عليه لأول مرة فى البداية قال لى: تعال معنا.

كنت فى المحافظة وكنت عضواً فى الاتحاد الاشتراكى وكانت لدى سيارات أجرة .

طلبنى وقال: أنا عايزك. وقابلنى فى البيت ولابس جلابية بيضاء وقال لى: أنا أشبهك بواحد اسمه حماد فى البحيرة .

حماد هذا حتى الآن لم أقابله .

من هو حماد الذى مثلنى به؟ لا أعرف .

قال لي: كان معي في البحيرة وكان راجل شـهم كان صوره منك اسمه أنور حماد قلت له أنا من طنطا وأسرتي كلها من طنطا ونحن تحت أمرك .

قال : لا أريد منك إلا شيئاً واحداً، تجمع مواقف السيارات المنتشرة في كل مكان.

وتعمل الجمعية التعاونية جمعـية تحت التأسيس ثم اشتغل على مهلك . اختار الأعضاء واعمل انتخابات وستكون الرئيس .

والحقيـقه أن المرحوم مصطفى الجندى كـانت له بصمات فى هذا العمـل أيضاً كان أمين الاتحاد الاشتراكى فى ذلك الوقت .

وعقد اجـتماعاً فى شارع كـفر عصام فى طنطا وتكونت الجـمعية وجمـعنا الشامي على المغربى .

لا يوجد عمال بدون نادي . . ولا موارد ولا خدمات ولا علاج .

وكانت عصابات زمان هى التى تحصل على هذه الموارد ، وبالليل يسهرون بها ويتبدد ما جمعـوه حتى جاء وجيه أباظة وأعـطانا قطعة أرض كانت موقف الاتوبيسـات القديمة ولكنه حدث اعتراض وأبلغوا النـيابة وقال: لتشتروا السيارات بدل ما يخـدها حد تاني ويكون فيه موقف واحد بدل تحت البلكونات والحوارى وأشياء مخلة ولا تجوز .

كان أبا يرعي مصالح الصغير قبل الكبير .

من جهة خـدماته فهى كثـيرة جداً وإذا جلسنا نتحـدث ٢٤ ساعة لن نستطيع أن نوفـيها حقها .

أنا شخصيا أعرف أطباء هم الآن فى مـستشفى المنشاوي وبالذات في مدينة طنطا لم يكن يعرفها غيري. .لقد أصبت وذهبت إلى المستشفى وإذا بإحدى الطبيبات تستقبلني : وذكرتنى لقد ذهـبت إليها وهـى طالبة من طرف السـيد وجيـه أباظة لأشتـري لها الكتب وأدفـع لها المصاريف ونفقات بيت الطلبة.

إدارة الجامـعة . . هو الذى اشترى مكانهـا . . عمارات البواكى أقـامها وفيـها هانو . . العلاقـة بينه وبين التنظيم السـياسى ، كانـت نموذجية ، أقـام مكتبـا للاتصال يشـرف عليه المرحوم سليمان الزواوى ليكون حلقة الاتصال، وكان على علاقة دائمة به .

كان المرحوم مصطفى الجندى أمين الاتحاد الاشتـراكى بالمحافظة ولم تقع بينهما خلافات أبدا، لقد كان وجـيه أباظة يتحرك فى كل مكان ، وله تلاميذه . . وفى أى وقت يـحتاجه

المواطن سوف يجـده، فى الشارع، فى المكتب، فى البيت، ولم يحـدث أبداً أن امتنع عن مقابلة أحد . .

■ **هل الناس العاديون فى الغربية يذكرون وجيه أباظة ؟**

- لاشك يذكره الذين عاشروا وجيه أباظة وأيضاً الجيل الجديد الذى سمع عنه.

إن الذى عاشر وجيـه أباظة غير الذى سمع عنه يتحدث بالخـير، لا جدال لم يكن لديه عداء لأى إنسان.

■ **هل أقام حفلا لأم كلثوم ؟**

- حفل لم يحـدث فى التاريخ. كـان دخله ٢٧٩,٥٠٠ ألف جنيـه فى ذلك الوقت، وكل المبلغ قد خـصص للمجهود الحـربى فيها ٩٠ ألف جنيـه دخلت معونة الشتـاء وكانت هناك واقعـة تذكرتهـا الآن: بعد أن ألقى القبض عليـه، وبدأوا يبحـثون عن ثغرة مـالية يجدونها عليه فلم يجدوا . .

جاء وفد محافظة الغربية يتـحدث فى إيرادات حفل أم كلثوم والمبلغ وظلوا يبحثون من الصباح حتى الساعة الثانية عشرة ليلاً ولم يجدوا حتى مليماً واحداً، إن اللجنة خرجت ولم تجد شيئا، فشوقي بك سكرتير عام المحافظ قام ليرد عليهم ماهذا وجيه أباظة ؟!

مخالفات لا ؟ من أجل ذلك فإن أول ورقة دخلت ملف التحقيق كانت إقراراً على نفسه بأنه مسئول عن أى مسئولية مالية حـدثت أثناء عمله فى البحيرة والغربية والقاهرة إنها تمت بتكليف شخصي منه لرؤساء المصالح، هذه أول ورقة فى ملف التحقيق.

■ **هل تعتبر أن فترة وجيه أباظة هى فترة نشاط فى العمل السياسي وجميع الخدمات؟**

لابد أن نقول حق ربنا. . فى الحقيقة كانت الميزانيـة ضعيفة وهى ٤٤١ جنيها عندما بدأ السادة المحافظون بعده اقتنعوا بالتعاونيات فى الغربية .

وأنا لاأتكلم عن الغربية لأننى عضو اتحاد عام على مستوى الجمهورية، كنت مع المرحوم سيد زكى والحقيقة هو كمان كان قمة فى التعاون، وقف معى طول حياته ولا أنساه أبداً .

■ **هل انشأ مركزاً للتدريب للأطفال فى الغربية ؟**

- نعم فى شارع الجلاء ، كما أنشأ فرقة للفنون الشعبية .

وأثناء هدم المديرية القـديمة بالليل وكنا فى قافلة لزيارة الفـلاحين بإحدي القـرى عندما وصلنا إلى البيت فوجد بالسـويتش إشارة من وكيل وزارة الإسكان فى القاهرة الذى أرسل إشارة بإيقاف الهدم .

يومها طلب الوزير وقـال: وكيل الوزارة لازم مايقصدش. مـش وجيه أباظة اللى ترسل له إشاره بإيقاف عمل يقوم به .

عندما وقع الخلاف بين الرئيس عبد الناصر والسادات من الذى أعاد المياه إلى مجاريها .

كنت موجـوداً فى ميت أبو الكوم ذلك الوقت وهو الذى أعاد العـلاقة بين الاثنين ومع شعراوى جمعة .

واقعة أخرى حضرتها بنفسى .

شخص اسـمه الدفراوى بيه كـان ماسك السكة الحديد مـفتش وجه بحرى وكـان وكيل وزارة . نقلوه والدم كان ينزف، وأرادوا أن يدخلوه إلي المستشفي، لم تكن معه نقود جاء أعضاء النقابة ليدخلوه، ولكنهم لم يستطيعوا لأن التعليمات كانت ممنوع دخول أحد قبل أن يدفع التأمين .

حدثونى بالتليفون ، وذهبت إلى البيت. اتصلت وقلت له أنا جاى دلوقت الموضوع كذا .. وكذا .

قطع ورقة من النتيجة . وكتب عليها: يدخل المستشفى فوراً.

هدم مبنى قديماً ، ليقيم مجمعاً، كان يهدف أن يحوله إلى مجمع للنقابات .

بمعنى أن نقابة المحامين سيخصص لهـا طابق ليكون نادياً للنقابة واشتري المحامون ونادى الأطباء ونـادى المهندسين .. وهكذا ، ويقام تحـته دار سـينما ومـسرح. ومنذ نقل وجـيه أباظه، وهذه المنطقة مازالت خرابة لم يقترب منها أحد حتى الآن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



أحمد حمادة

كان عمدة فى كل شئ

المهندس أحمد حمـادة المسئول عن التنظيم الطليعى بين طلاب الجامعات، كانت له تجـربة فى العمل السياسى مع وجيه أباظة.

إنه يعطينا درسـا فى العمل السـياسى البناء مـن خلال وجيه أباظة الذى عمل دائما على دعم الشباب.

ويقول عن علاقته بوجيه أباظة:

« أنا أسمع عن وجيه أباظة أنه من الضباط الوطنيين قبل أن أقابله وتعرفت عليه عندما جاء محافظا للقاهرة.

كنت مسـئولا عن التنظيم الطليـعى فى قطاع الطلاب، أحـضرنى فى أعـقاب مظاهرات الطلاب فى ٦٨ قـال لى السيـد سامى شرف: إن المنظمـة لم تستطع تنظيم حـركة الطلاب.. وأنك مكلف من القيـادة السياسية بـتولى عمل تنظيم طليعى فى هذا القطاع حيث كـان ممنوعاً من قبل.. وأنه وقع عليك الاختيار بمالك من رصـيد سابق فى منظمة الشباب وفى اتحادات الطلاب..

كانت الظروف صعـبة فى بداية تشكيل التنظيم الطليعى فى قطاع الطلاب... كان وجيه أباظة خير عون ودعم لى فى القاهرة.. من وقته ومن خبرته ورعايته.

■ ما هو أسلوبه للعمل مع الجماهير؟

الشيء الذي لفت نظرى أن وجيه أباظة لم يكن محافظا للقاهرة، بل إنه اقرب للعمدة.. ليس هناك باب مغلق، فباب مكتبه مفتوح، ومن يرد الدخول له يجلس في مكتبه، وهو يتنقل بينهم، يجلس مع كل واحد ويحل مشكلته. شكل السلطة ملغى عنده.. لا باب مغلقاً ولا سكرتير يمنع الناس.. والناس تخرج من عنده راضية، سواء حلت مشكلتها أم لم تحل.

قيمة الناس عنده تتحدد على أساس دورهم قبل الثورة...

وزير يزوره ويسلم عليه في مكتبه.. واحد آخر يوصله حتى الباب وواحد آخر قد يكون عاملا أو موظفاً صغيراً يوصله حتى الأسانسير.. سألته عن السبب وقلت له أريد أن أفهم وأتعلم.. قال لى: شوف.. أنا علاقتي بالناس علي ضوء دورهم الوطني قبل الثورة.. فالذي أوصلته إلى الاسانسير كنت أعرفه قبل الثورة.. كان في القنال معايا أثناء الفدائيين ويستحق أوصله إلى الأسانسير.. كان تقييمه للناس ليس مرتبطاً بدورهم الحالى.. دائما مرتبط بدورهم قبل الثورة.. أشياء جميلة جدا ومعايير عظيمة..

كان يقول لي: أجلس مع الشباب وأشرح لهم قضايا سياسية وأشتري لهم كتباً للتثقيف كل هذا شيء طيب وضروري وهذا لن يخلق منه قيادة.. القيادة عنده حل مشاكل الجماهير.. كيف يا أستاذ وجيه؟..«الشاب لو كلمك من شبرا قال لك الحقني المجاري ضربت في الشارع ثم حليت له المشكلة أصبح هو القيادة الفعلية في الشارع»..

شيء عظيم جدا.. أما أن تكون الثقافة منعزلة عن الناس ومشاكلها فهي لا تخلق قيادة. في يوم أحد الطلاب من أبنائنا في هندسة عين شمس مرض في قرية قرب دمياط، وكان عضواً في التنظيم فجاءت مناسبة أن أقول له..

أنا تعاملت مع ناس عكس وجيه، تطلب منه طلباً للناس لا يهتم به.. وجيه لم يكن كذلك قال سيارتي تذهب لإحضاره.

قلت له: سيارة من؟! قال لي: سيارتي.

أنا قلت له نرسل له تاكسياً.. أي شيء لإحضاره قال لى: القيمة أنه يحس أننا نشعر به وبنحس به.. «لما تروح عربيتي أنا تجيبه ها يبقي لها وقع ثاني في نفسه. إنما ترسل سيارة

أجرة أو أي شيء لإحضاره أصبحت مسألة فلوس. . . إن القيمة الحقيقة في مرضه أن يجدنا بجانبيه، مش يجدنا فلوس. .»

أعطي تعليمات للعلاقات العامة بالمحافظة فيما يتعلق بمشاكل الشباب من خلالى - شراء كتب - توظيف الشباب - دعم مالي في الظروف الصعبة.

مع توجيه منه بالاستفادة من لجان التنظيم بالكليات في دراسة مشاكل الطلاب حتي يكون قراري مدعماً ومدروساً لأن القرار غير المدروس يأتي بنتائج عكسية.

كان المرحوم وجيه أباظة يرعي دائما ويحترم المواعيد مع الطلاب. .أذكر أنه كان عندنا اجتماع في منزله. . عندما ذهبنا وجدنا المنزل مزدحماً بالضيوف. . طلبت منه تأجيل الاجتماع ولكنه رفض. . أقسم بالله لقد اجتمعنا في غرفة نومه وجلس معنا يعطينا جميعا خبرته ونضاله ويشرح لنا الموقف السياسي بوضوح.

■ ماذا حول قضية مايو؟

ـ سأحكي لك قصة. . قالها لي وجيه أباظة شخصيا. كان يعرف أننى عضو في تنظيم شرق القاهرة قبل انتخاب الرئيس السادات، كثير من لجان الطلبة اعترضت علي ترشيحه. . قال لي وجيه أباظة أنا اعرف أنور السادات شخصيا أكثر من أي إنسان آخر. وتقديري أنه سوف يضرب سامي شرف في شعراوي، وإذا فشل سوف يضرب الاثنين في يوم واحد، وذلك خلال ستة شهور وهذا ما حدث. . وأبلغت السيد شعراوي جمعة بذلك عندما قابلته أنا وعبد المجيد فريد وعبد اللطيف بلطية وهاشم العشيري. . الخ. .

في قضية مايو كان مطلوباً أن أكون شاهداً عليه، وهذا لم يحدث. . يوم ١٥ مايو قابلت وجيه أباظة. . قال لي: إن هناك قراراً باعتقالك صدر في ١٣ مايو سنة ٧١ لا تقلق وأخرج من جيبه كل ما كان معه ٣٥ جنيها وأعطاني المبلغ. كنت أعتقد أن وجيه أباظة ليس بخيلاً برعاية أسرتي خلال اعتقالي. سبق أن حكي لي أنه كان يساعد المسجونين من الإخوان المسلمين وعندما علم عبد الناصر غضب وسأله كيف يا وجيه تساعد خصومي. .

رد وجيه: أنا رجلك يا ريس فلما أساعدهم أنا أفضل من أن يساعدهم غيري. . تقول الناس رجل عبد الناصر هو الذي يقف مع المسجونين أكرم لك.

سُر عبد الناصر من رده وقال له. لك حق يا وجيه.

وأنا في سجن الزقازيق كـان معروفاً أنني مدير مكتب وجيـه أباظة لذلك عوملت كويس من قبل العساكر والضابط، وجاءت إلى أكثر من زيارة تكريما لوجيه أباظة ابن الشرقية.

■ هل استمرت علاقتك بوجيه أباظة؟

ـ نعم. علاقة مودة.. عندمـا بدأ مشروع بيجو كنت في الجزائر وأعطانا أنا ومـجموعة من الشباب توكيل بيـجو بمجرد الاتصال به وأعطى تسهيلات جيدة.. الحـمد لله علاقتي به كانت طيبة جدا نعم الأب.. والأخ..عندما مات تلقـيت العزاء في مزرعتي بالصالحية وفي منزلي بالقاهرة..

وسالت دموع من عـيني المهندس حمادة.. تعبر عن حـبه وتقديره للرجل.. بطل من أبطال يوليو..



محمد أحمد البرماوى

أحلامه للغربية كانت رائعة

رئيس مكتب الشكاوى بمحافظة الغربية محمد أحمد البرماوى .

نقله وجيه أباظة إلى مكتبه .. لسبب بسيط هو أنه ابن الغربية، وطوال عمله يتلقى الشكاوى يحفظها عن ظهر قلب ، وقرّبه منه، وكان معه فى كل زياراته.. لقد ارتبط به كمدير لمكتبه ..

«كنت أخرج من البيت لأمر عليه فى الاستراحة وأذهب معه إلى المكتب، وكان دائماً يعقد ودائماً اجتماعات فى الاستراحة .

لقد عاشرته عن قرب ، وأعرف مدى إنسانيته وكانت له نواحٍ اجتماعية. تستطيع أن تقول أنه كان موسوعة عامة.

أولاً: كان يرعى المحتاجين حتى ولو أخرج ما في جيبه وإذا صادفه مريض ينقله حتى للمستشفيات الخاصة أو مستشفى المعادى للقوات المسلحة .

المشروعات التى أقامـها والواحدات الصحية التى أنشأها فى الغربيـة كثيرة لم يكن بطنطا غير المستشفى العام الذى تحول إلى الجامعة.

أنشأ مستشفى عاماً فى كفر الزيات .

أنشأ مستشفى عاماً فى المحلة الكبرى .

أنشأ مستشفى عاماً فى زفتى .

ومستشفى الهلال أنشأه وافتتح بعد نقله إلى القاهرة وجاء ليحضر الاحتفال بافتتاحه.

كان يتبنى رعاية الطلاب غير القادرين ويدفع مصروفاتهم عن طريق صندوق الخدمات.

الشيء الوحيد الذى لم يجرؤ أحد قـبله أو بعده أن يقوم به أنه أخذ جزءا من صندوق النذور بالمسجد الأحمدى لـيدخل حصيلة الخدمات ثم يخرج إعانات للطلبـة والأسر الفقيرة بالإضافة إلى حالات العلاج. فقد أرسل حوالى ١٣ أو ١٤ حالة للخارج للعلاج.

كان عمله فى المكتب قليـلا فلم يكن يذهب إلى مكتبه إلا للاجتماعـات، كان كل عمله فى أرض الواقع «الشارع»، وزيارات للمواقع، وكـانت لديه سيارة فيات مـلاكى غربية رقم ١٢٤ يقودها بنفسـه، وكان يخرج اليوم إلى زفـتى ثم يذهب إلى المحلة وهكذا قال لنا: إنه عندما جلسنا مع الرئيس قال: انزلوا للناس عايشوا مشاكلهم وهذا ما كان يقوم به.

فى أواخر سنة ١٩٦٩ وقـعت غارة على قواعـد الصواريخ فى المحلة، وسـقط جرحى كثيرون فـنقلوا إلى مستشفى المحلة العام. كـانت تعليمات وزارة الشئون منح أسـرة الشهيد ٥٠ جنيهاً والمصاب ٢٠ جنيهاً.

ونحن فى المستشفى طلب الرئيس جمال عبـدالناصر أن تنفذ فوراً قرارات وزارة الشئون الاجتماعية.

وفعلاً فتح بنك المحلة ليلاً وأعدت مظاريف وقبل طلوع الشمس كان كل شيء قد تم.. فقد كان جريئاً فى اتخاذ القرار متابعاً له ليضمن السرعة فى التنفيذ.

عندما نقل من الغربيـة قال لى: إنه كان يتمنى أن يستمر فى الغـربية سنة أو سنتين حتى يستطيع أن ينفذ ما فى أفكاره مثل ما حدث فى البحيرة.

ونقل إلى القـاهرة بالتليـفون يوم شم النـسيم على أن ينفـذ فى اليـوم التالى، وكـانت التعليمات أن الرئيس سيتمم عليه فى القاهرة الساعة ٦ فى اليوم التالى.

بعض الوفود كانت ستخرج تعلن تمسكها به.

ولكن الدكتور لبيب شقيـر اتصل به قائلاً بأن أى وفود.. من الغربية لن تدخل القاهرة

ولا داعى، لأنه لن يعود مثلما حدث فى البحيرة.

كان نقله إلى القاهرة صدمة بالنسبة لى وفقدت التوازن للحظات.

عقد اجتماعا لمجلس المحافظة وللعاملين فيها وشكرهم على جهدهم، لكنه لم يقل إنه صدر قرار نقله إلى القاهرة.

ذهب للقاهرة وبقيت الأسرة فى المدارس، واستمروا حتى نهاية العام.

يومها كان شاكر فى الإعدادية وممدوح فى الثانوية العامة.

واستمرت العلاقة متصلة، حتى وهو فى السجن، ظللت ٦ أشهر فى البداية أذهب إلى البيت أعرف الأخبار حتى سمحت الظروف. كنت أذهب كل يوم جمعة مع الحاجة والأولاد، وفى آخر زيارة ذهبت بمفردى كنت أعرف المكان ولكن الدخول صعب، طلعت فى الأسانسير الدور السادس.

فتح العسكرى وسألنى: أنت رايح فين؟

قلت له أنا ذاهب لفلان، أغلق الباب ودخل ينادى الضابط وخرج ليسألنى: معك تصريح. قلت له: لا.

أنا جئت أزوره من طنطا يا تقولى آه.. يا تقول: لا.

يومها سأل: هل معك بطاقة.

ودون الاسم فى ورقة.

وأنا أنزل الساعة ٣ بعد الظهر فوجئت به يمزق الورقة التى فيها الاسم.

من الأشياء العظيمة بالنسبة له.

عندما جاء شهر رمضان فى طنطا طلب إقامة حفل طول الشهر يقرأ فيه المقرئون لكنه وجد الوجوه نفس الوجوه التى تحضر لا تتغير فقال: أنا لم أقم هذه السهرة للناس التى معنا يومياً. أنا أريد الناس البسيطة والبائعين والناس «الغلابة».

■ **ماذا بقى منه هنا فى الغربية؟**

- من بين أفكاره أنه حول مولد السيد أحمد البدوى إلى شهر بدلا من أسبوع.

شارع الجلاء كله معارض وملىء بالحركة قام بتخطيطه، ولم يتمكن بسبب قصر المدة أن ينفذه عبر عنه قائلاً:

كان يقول: أريد أن أحول مولد سيدى أحمد البدوى إلى مزار للذين يخرجون للحج أو للعمرة.

وأمر بعمل تصميم لتوسعة المسجد وما حوله بحيث يسمح باستقبال ضيوف سيدى أحمد البدوى. على أن يحاط بسور من محلات تفتح على صحن المسجد لبيع نوعيات معينة والناحية الخارجية من الجانب تبيع كل الحاجات.

كان يقول إنه يريد أن يخطط المنطقة بحيث تكون من فى القطار أو المحطة تقع عيناه على سيدى أحمد البدوى مباشرة.

لذلك فقد حزن عندما عرف أنه منقول إلى القاهرة. كان يريد أن يستمر فى الغربية لينفذ ما أعده من تخطيطات.

أيضا لم يترك قرية ولا مدينة إلا وزارها وكان يعرف المسافة بين كل مدينة والأخرى، وهكذا.

فى حالات الكوارث كان مرابطاً تماماً بالقرية.

عندنا قرية اسمها ميت بدر حلاوة سنة ١٩٦٩ شب فيها حريق قضى على حوالى ٥٠٠ بيت مات فيها ٢٣ فرداً.

عندما ذهب هناك كان الوضع بالنسبة له مؤلماً لدرجة أنه قال لى: اتركنى وامشى بين الناس لترى المطافىء متى بلغت ومتى جاءت.

وفعلا انتقل يومها وكان نائب مدير الأمن قد انتقل يومها.

لأنه وقف فى الموقع متابعاً حتى تمت السيطرة على الموقع والأفراد الذين توفوا لم يغادر المكان إلا بعد دفنهم.

من يفعل مثله الآن؟!

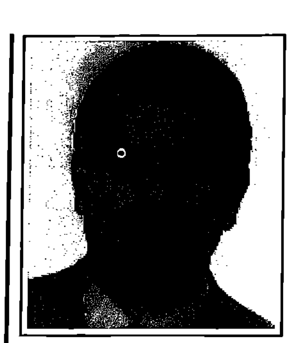
لا تجد أحداً.

■ **هل كان لك دور فى العمل السياسى؟**

كان العصر الذهبى للغربية فى العمل السياسى، فقد كان المرحوم/ مصطفى المغيرى أمين الاتحاد الاشتراكى أيضاً من خيرة الناس وقد شهد بذلك ممدوح سالم عندما جاء محافظاً لمدة ٧٩ يوماً قبل أن يذهب إلى الإسكندرية.

أنا خدمت مع وجيه بك ومع ممدوح سالم، ومع محمد على بشير، ومع الدكتور جامع محب زكى ومع السيد أحمد الفقى من سنة ١٩٦٨ حتى سنة ١٩٨٨.

أقول إن العصر الذهبى للعمل السياسى فى الغربية كان فى عصر وجيه أباظة وقد شهد بذلك السيد ممدوح سالم الذى جاء محافظاً بعده فقد كان فى الغربية تنظيما لم أر قبله.



صلاح إسماعيل

عندما يحيي اللواء العسكري

صـلاح إسمـاعيل واحـد من الذين التـصقـوا بوجيه أباظة فى محافظة الغربية !!

كان طالبًا ذهب بصـحبة زملائه للقـاء المحافظ، وتحـدث بصـراحـة أمـام المحـافظ الـذى أعـجب بشجاعته، وقرر الاستعانة به فى التنظيم السياسى، كـان شـابا صـغـيرا، أعـطاه المحافـظ كل سلطاته واختصاصاته فى الرقابة والمتابعة.

وعندما توفى والده عاونه بأن أوجد له عملاً فى مكتبه حتى يكمل دراسته. وأكمل دراسته، واستمر موظفاً.

وبعـدها عين فى مكتب وجـيـه أباظة مـحـافظ الغربية، وكان قـريبًا منه، وأعطاه هذا القرب فرصة أكبر لكى يرصد عـددًا من الوقائع يرويها منذ بداية تعرفه على وجـيه أباظة بعد تعيـينه محافظًا، ودعى إلى اجتـماع للشـباب فى مـعسكر مصـيف بلطيم، وقيل: إن المحـافظ سوف يقيم رابطة لأبناء الغـربية فى القـاهرة وكان له رأى مـختلف، أصـر على أن يقوله صراحة فى الاجتماع أمام المحافظ..

يومها - وفى الاجتماع مع شباب مركز المحلة وقف صلاح إسماعيل ليتحدث بصراحة ويقول صلاح إسماعيل:

«لقد كانت لدينا مشكلة عامة وهى أن التنظيم السياسى - وهو الاتحاد الاشتراكى - قد رشح مدرس لغة إنجليزية ليكون أمين الاتحاد الاشتراكى فى المحلة، واسمه أحمد عرابى وكان أمامه المرحوم كمال مرعى خال نوال عامر عضو مجلس الشعب عن السيدة زينب.

وبعد الصراع بين الاثنين كانت النتيجة فى صالح أحمد عرابى عن طريق ما قيل أيامها من تزوير للانتخابات وحدثت اتصالات وأوقفت النتيجة وقلت أمام المحافظ: هل أتكلم عن المشكلة الخاصة أم المشكلة العامة .

فقلت: سأتكلم فى المشكلة الخاصة لأن المشكلة العامة... ولم أكمل كلامى، فقد أخذ زملائى الجالسين بجوارى يقرصوننى فى رجلي حتى لا أتكلم.

فقال لى: تكلم كما تشاء.

فقلت له: المشكلة الخاصة لدينا مصرف لأرض زراعية يراد شقه.

فقال: موافق. تحدث عن المشكلة العامة.

فقلت له: لماذا جئتم بنا إلي هنا؟ وماذا نمثل؟

وكان جالسًا المرحوم مصطفى الجندى أمين محافظ الغربية للاتحاد الاشتراكى، وكان ضابطًا فى الشرطة. . وكان رجلاً فاضلاً.

فقلت: لقد جئتم بنا بعد النكسة وبعد ضياع نصف البلد لأن السلطة لا تعتمد على جماهير حقيقية.

وكانت لى تجربة مع منظمة الشباب فى الكلية، كانوا يختارونهم فى مسائل بعيدة كل البعد عن صلاحيات العمل العام، والدليل علي ذلك يا أفندم - والكلام مازال موجهاً لوجيه أباظة - لدينا فى المحلة مشكلة حدثت فى الانتخابات بين فلان وفلان فى التنظيم السياسى ونجح واحد بالتزوير. لأن السيدة نوال عامر على صلة بشعراوى جمعة وسامى شرف. أوتقول إن الانتخابات نظيفة، وأن مثلها لم يحدث من قبل. من نصدق إذن؟

فما كان من السيد وجيه أباظة إلا أن رمى بالقلم قائلاً:

- بالنسبة لشعراوى جمعة فأنا أعرفه من أيام العسكرية فى الجيش، وكان يعطينا السلاح يسرق السلاح ويعطيه لنا كفدائيين.

. أما بالنسبة لسامى شرف فأنا لا أعرف ظروفه.

قال زملائى: سوف تقع في مشاكل جمة.

ولكنه قال لى:

- لو حدثت لك مشاكل نتيجة رجولتك فأنا مسئول.. وعليك أن تظل رجلاً، ولا تخش فى الحق شيئا..

وكان هذا موقف من المواقف.

■ ماذا حدث فى هذا الموضوع؟

- صدر قرار بحل المشكلة وعين بدلاً من أمين المحلة لجنة من ثلاثة يديرونها: الدكتور سيد عثمان، والمرحوم صيام بندق، والشيخ توفيق سبع من أبناء مركز المحلة - حتى تم حلها وأجريت انتخابات أخرى.

■ ماذا عن الموقف الآخر؟

- سنة ١٩٦٨ فى الإجازة الصيفية وبعد عودتنا من مصيف بلطيم فوجئت فى البلد بشاب من الفلاحين المستنيرين يقول لى:

إن هناك أشخاصًا يبيعون تماثيل لجمال عبد الناصر فى البلد. جاء صول من النقطة ومعه فتاتان ومعهم شخص آخر من إحدى شركات الإعلان ويحملون تماثيل لجمال عبد الناصر يبيعونها..

مسألة تجارية ولكنهم أدخلوا فى روع الناس أنهم يفعلون ذلك لمعرفة مدى حب الناس لجمال عبد الناصر وإقبالهم على شراء تماثيله.

كان الوقت صيفًا وهو بالنسبة للفلاحين حالة قحط شديدة، فلم يجدوا تجاوباً مع الفلاحين المعدمين، فذهبوا للبقالين وباعوا لكل بقال تمثال رخام. قطعة رخام عليها تمثال للزعيم عبد الناصر رحمه الله. بحوالى خمسة جنيهات، وكانت في هذا الوقت تساوى خمسة أضعاف.

كان المحافظ وجيه أباظة قد أعطانا أرقام تليفوناته فى البيت، وفى المكتب. وكانت الساعة حوالى ٢أو ٣ بعد الظهر فلم أستطع الاتصال به.

فذهبت إلي الباعة فى بيت العمدة وأنا منفعل جداً.

وقال القادمون: إنهم قادمون من النقطة عن طريق مدير الأمن ومأمور المركز.

فسألتهم: وهل حب الناس لعبد الناصر بتغريمهم؟!!

أى أن أى بقال لا يتجاوز رأس ماله ٢٠جنيهًا، عندما تقول لأحد هؤلاء هل تحب عبد الناصر وتتنازل عن ربع رأس مالك؟! سيأخذ التمثال لأنه لا يستطيع أن يقول لك لا. لكنه فى نفس الوقت سيلعن عبد الناصر. خذوا تماثيلكم من الناس وأعيدوا لهم فلوسهم.

طبعًا كان هذا الحديث بمثابة عملية انتحارية سياسيًا. وضباط أمن الدولة متواجدون فى المحلة.

وبعدها بيوم طافوا بالناس قائلين لهم: من أراد إعادة التمثال فليفعل.

فكان منهم من احتاج للمال فأعاد التمثال ومنهم من خاف فآثر ألا يرجعه.

بعدها بيوم وجدت أحد رجال أمن الدولة جاء ليعمل تحريات عنى، فتوجهت إلى المحلة على بعد حوالى ٧ كيلو متر، وطلبت المحافظ وجيه أباظة فى التليفون وقلت له حدث لى كذا وكذا. وأنا عملت كذا وكذا.

فقال لى: انتظر معى على التليفون. واتصل بمدير الأمن اللواء/ حسين كامل وسمعته يقول له: ما تفعله هذا خطأ كبير..

فكان هذا الموقف موقفًا جريئًا من المحافظ فى الوقت الذى عملت فيه فى أماكن كثيرة بعد ذلك فى السبعينات قريبًا من الرئيس السادات، ورأيت محافظين يلبسون رئيس الجمهورية الحذاء.

■ الموقف الثالث؟

ـ كانت هناك قطعة أرض فى مركز المحلة مالكها الفريق/ عبد المنعم وهبى، كان زميلاً أو قائدًا للسيد وجيه أباظة في الطيران، واتفقوا على تجريف الأرض الزراعية لطرد الفلاحين منها، ولم تكن لى شخصًا أى أرض ولا لأى واحد من العائلة ولم نكن حتى مستأجرين.

ففوجئت ببعض الناس من البلد يقولون لى: أنت تعرف المحافظ فخلصنا من هذا الموقف. فذهبت إلى وجيه أباظة.. فطلب مدير الأمن وقال له: البوليس لا يتدخل فى الموضوع إطلاقًا، لو كان الرجل لديه حق قانونى فليأخذه. ولا أريد أن أسمع أن هناك ضغطًا يقع على الناس

فطلبنى إلى مكتبه وأنا أقف بجانبه فجذبنى من سترتى وقال لى: لو اتضح لى أن

هذا الكلام غير صحيح فلن أعرفك بعدها..

فقلت له: لو اتضح أن هذا الكلام غير صحيح سأنتحر فى مكانى الذى أقف فيه.

هذا الرجل هو عبد المنعم وهبى الفريق طيار كانت واسطته أحمد سلطان وكان محافظًا للمنوفية وكان أيضًا واسطته إبراهيم بغدادى وهو محافظ لكفر الشيخ. وخرج وهو محافظًا للقاهرة. وهذان كانا يضغطان على وجيه أباظة أن يتدخل لصالح زميله أو قائده ضد الفلاحين الفقراء، ولكنه آثر أن يتدخل لصالح الفلاحين مادام الحق معهم.

الناس مازالوا يتذكرون جيدًا هذا الموقف الذى مر عليه ٢٦عامًا .

■ هل عملت بعد ذلك مع وجيه أباظة؟

ـ كانت لى ظروف خاصة جعلته يتخذ قرارًا بأن أعمل فى مكتبه وأنا فى الجامعة، لأن الوالد كان تاجرًا، وتوفى. وعندما يتوفى التاجر يقل الدخل جدًا. وكان لى أشقاء فى مراحل التعليم المختلفة فعملت معه فى مكتبه بمرتب ١٥ جنيهًا..

وطبعًا كنت أذهب إلى الجامعة. وحتى يحفظ لى ماء وجهى حتى لا يقول أحد إنها إعانة أو مساعدة قال: تلحق بمكتبى كأنك تأخذ أجر وظيفى بعد تخرجك فورًا.

تقابلت معه بالمصادفة فى ميدان التحرير وكان معى طالب أردنى اسمه عصام بشناق

وكان وجيه أباظة يقود سيارته فقال لى: هل انتهيت من دراستك؟

قلت له: نعم!

قال لى: إذن اذهب إلى المكتب فورًا.

■ كم سنة أمضيتها معه ؟

ـ حوالي ٨ سنوات تقريبًا.. كان يقول لى: أنا ظللت فى البحيرة حتى أجهدت.. أخرج أنا وأولادى نمشى فى الطريق مثلنا مثل المواطنين العاديين، أحببت قول السلام عليكم.. أتفضل.. الناس ترد علىّ السلام ولم يعد للمركز هيبته

وهناك قصة أخيرة هى أننى اختلفت مع مدير مكتبه فى الغربية بسبب طالب فى كلية الشرطة كان يعمل والده سائقًا على سيارة نقل وارتكب حادثة بها ودخل السجن وجاءت عائلته تطلب معونة مالية حتى تتعيش منها.

فكان طالب كلية الشرطة يذهب كل شهر يصرف الإعانة ويقابل المحافظ ويشكره.

وكان وجيه أباظة فى ذلك الوقت مريضاً، وتحت ضغط الحفاظ على صحته بدأ مكتبه

فى إبعاد الناس عنه. وقد اختلفت لهذا السبب مع سكرتيره المرحوم أحمد حمزة، وكان رجلاً مخلصًا. ولكنه كان مختلفًا فى طريقة الأداء.

وقتها حدد وجيه أباظة أناساً معينين يدخلون عليه فى أى وقت. وكنت أنا ضمن تلك المجموعة...

وكان عمرى وقتها لا يتجاوز ٢٤ أو ٢٥ عامًا.

وجاء طالب فرفض دخوله وإهانة، وأعطاه المساعدة أمام الناس فثرت عليه.

وأخبره مدير مكتبه أن صلاح انفعل. وبررت انفعالى بأن الطالب من كلية الشرطة سوف يعين ويصبح مسئولاً عن حى بأكمله أو قسم. فإذا انكسر نفسيًا أمام أى إنسان تخرج عقده على الناس.

وأنا وجهت هذا الحديث إلي السكرتير فقال: لا تتدخل فى عملى فقلت له: بل يجب علىّ أنا التدخل والكلام. كما أن السيد وجيه أباظة لو ارتكب أى خطأ سوف نخبره بذلك ونحن متفقون على ذلك.

فى ذات يوم كان يقود سيارته ويتعرف ويرى أن أفضل وسيلة هى حل المشاكل على الطبيعة. وكان يردد: سوف نجمع مشاكل الناس وننشىء جمعيات زراعية ومستشفيات ومدارس

وفجأة تذكر وقال لى عبر الطريق ماذا حدث مع أحمد حمزة؟!.

فأجبته وقصصت عليه الموضوع فإذا به يربت على كتفى، ويقول مشجعًا: حسن جدًا. وهذا عمل عظيم أحسنت صنعًا وأنا من جهتى نبهته فى أن كل مرة يحضر لى أسماء الذين يريدون مقابلتى وأنا فى هذه الظروف لا أقدر على مقابلة كل الناس، وأنا علىّ الأختيار

وقص علىّ قصة هى أشبه بقصة المرحوم عبد الحكيم عامر، كان يعلمنا بنفس هادئة ويلقننا الدروس المستفادة. قال لى:

ذهبت أدعو عبد الحكيم عامر لفرح ابنتى هناء، وركبت سيارة المحافظ الخاصة بالبحيرة، رقم ١ـ البحيرة، ومعروف أنها خاصة بالمحافظ ومعى مدرس الأولاد فى مادة اللغة الإنجليزية. وجاء العسكرى الخاص بالأمن قلت له - وما زال الكلام لوجيه - : المشير موجود؟.

قال: لا يافندم.

قلت له: على شفيق موجود مدير المكتب؟

فقال: لا ، ولكن والده موجود

فقلت له: قل له محافظ البحيرة وجيه أباظة

فدخل فرد الأمن ورجع ودار حول السيارة وقال:

- إن على شفيق - مدير مكتب المشير وكان فى ذلك الوقت له شأن - نائم يا فندم

فقلت له: أدخل له وأيقظه وأخبره أن وجيه أباظة ينتظر على الباب.

فرأيت رجل الأمن تلكأ وقلت له: لماذا لم يدخل؟

فقال: لأنه نائم.

فجأة وجدتنى أضربه على وجهه حتى وقع على الأرض أمام باب الفيلا

وعندما دخلت الفيلا وجدت على شفيق أمامى فأمسكت بالدعوة: وألقيتها فى وجهه وقلت له:

- ياريت تعطى هذه الدعوة للمشير. نحن صانعو الثورة. ولسنا ممن نقف بالأبواب.

فقال: ادخل يا أفندم المشير يريد مقابلتك، ودخلت.

وعندما دخل رآنى قال المشير مازحًا: أنت من يوم عينت نائب رئيس جمهورية فى البحيرة لم يعد أحد يراك.

رددت عليه يا أفندم أنا جئت إليك مرتين مرة كنت موجودًا، ومرة أخرى لم تكن موجودًا.

فقال المشير: يا على ما فعله وجيه أباظة لمصر أكثر مما فعله عبد الحكيم عامر وجمال عبد الناصر.

فوجدت نفسى مضطرًا أن أقول له كيف نأتي إلي هنا مادامت المخابرات علي الباب؟

قال المشير: يا وجيه أنا أغير الحراسة كل شهر.

كل أول شهر يأتون ليؤدوا التحية للواءات وعلى آخر الشهر أجد اللواء هو الذى يؤدى التحية لفرد الأمن الذى يقف على الباب.



عبد المجيد قادوس

الخير لكل الناس

قابلت الحاج عبد المجيد أبو العينين قادوس ابن المحلة الكبرى، في مصنعه بمدينة الإسكندرية، كانت له تجربة مع وجيه أباظة ذهبت اسأله عنها..

قبل أن يتكلم طلب أن نترحم على وجيه أباظة وأن نقرأ الفاتحة على روحه الطاهرة..

وقال: إن تجربته مع وجيه أباظة عادية جدًا، فهناك عشرات التجارب مثلها لأشخاص احتكوا به، خاصة هؤلاء الذين طلبوا منه خدمة، أو أن يعاونهم في عمل خيرى، أو أن يراهم مظلومين ليقف إلى جانبهم، وأنا شخصيًا طلبت منه أن يعاونني في إقامة مستشفى وهو محافظ للقاهرة.. والمستشفى يقام في مدينة المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية، وقد استجاب الرجل وذهب إلى وزارة المالية طالبًا اعتماد.



عبد المجيد قادوس

الخير لكل الناس

قابلت الحاج عبد المجيد أبو العينين قادوس ابن المحلة الكبرى، فى مصنعه بمدينة الإسكندرية، كانت له تجربة مع وجيه أباظة ذهبت اسأله عنها..

قبل أن يتكلم طلب أن نترحم على وجيه أباظة وأن نقرأ الفاتحة على روحه الطاهرة..

وقال: إن تجربته مع وجيه أباظة عادية جدًا، فهناك عشرات التجارب مثلها لأشخاص احتكوا به، خاصة هؤلاء الذين طلبوا منه خدمة، أو أن يعاونهم فى عمل خيرى، أو أن يراهم مظلومين ليقف إلى جانبهم، وأنا شخصيًا طلبت منه أن يعاوننى فى إقامة مستشفى وهو محافظ للقاهرة.. والمستشفى يقام فى مدينة المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية، وقد استجاب الرجل وذهب إلى وزارة المالية طالبًا اعتماد.

كنت قد تبرعت بإقامة مستشفى للرمد فى مدينتى المحلة الكبرى، قبل أن يعين وجيه أباظة محافظًا للغربية، وبعد تعيينه ذهبت إلى طنطا، وتعرفت على السيد المحافظ الجديد.

اتصل بى بعدها، قائلاً: هل تعرف أن المحلة بها مستشفى جيد؟

قلت له: إنه مستشفى متواضع جداً.

وقال لى: ما رأيك فى أن نحول المستشفى الذى تبرعت ببنائه للرمد ليكون مستشفي عام كبير مثل الذى أنشأته محافظة البحيرة، وكان رأيى أن المستشفى العام سوف يكلفنا مبالغ ضخمة وليس بوسعنا بناؤه.

ولكنه قال لى: وافق أنت على المشروع وأنا سأتولى تسهيل كل الأمور.

وسألنى: هل أحضر إليك أم تأتى أنت إلىَّ؟

ورددت عليه: يسرنى ويشرفنى أن تحضر إلىَّ..

فقال: إذن سوف أكون عندك. جاء إلى المحلة ومعه كل الأوراق وقال: تلك هى الأوراق. تصرف فيها كما تشاء لو أردته مستشفى للرمد أو مستشفى عاما فهذا متروك لك، ولن أفرض عليك شيئًا، فقط اقتراحى أن يكون مستشفى ضخم مثل الذى أقمته فى دمنهور، وفعلاً وقعت بالموافقة على إقامة مستشفى عام، وكان وزير الصحة فى ذلك الوقت هو الدكتور عبده سلام فاتصل به المحافظ ورتب معه كل الأمور..

بدأنا فى المشروع وتم على خير ما يرام..

وانتقل وجيه محافظًا للقاهرة وتوقف المشروع على نصف مليون جنيه، حتى يتم استكماله، فذهبت إليه فى القاهرة ولم يكن له علاقة بالغربية قلت له: هل يعجبك ذلك لقد أوقف المشروع؟

فقال: أنا ملتزم بما قلت.

أنا عندى موعد مع الدكتور عبد العزيز حجازى غدًا وسأطلب منه نصف مليون جنيه للغربية بالذات لمستشفى المحلة وسيتم تحويلها إلى طنطا لاستكمال المشروع.

وكان دائما وافيا للعهد اتصل بى فى اليوم التالى مباشرة، وابلغنى أنه أخذ نصف مليون جنيه للمشروع وتم تحويلها.

وهكذا انتهى بناء المستشفى على أحسن ما يكون.

واذكر أننى قلت له: يا سادة المحافظ أنا أريد إقامة مسجد كبير، وضخم.

فقال لى: أنا موافق.

قلت له: لكننى أريد أن تساعدنى مع الوزارة من أجل مواد البناء والأخشاب والاسمنت والحديد.

قال لى: وأنا موافق.

وانهينا المشروع الكبير، وقام يساعدنى فى وزارة الأوقاف ووزارة الإسكان حتى توفرت المواد كلها لتسهيل بناء هذا المسجد . .

وبدأ فى بنائه سنة ١٩٦٦ . . وافتتح ١٩٧٦ على أحسن ما يكون.

عندما جاء وزير الأوقاف وطلب ضمه إلى الأوقاف قلت له: لا.

أنا سأخصص وقفية من عندى. فلقد سبق أن أقمت مسجداً لوالدى ـ رحمه الله ـ وتبرعت بعشرين فداناً للصرف عليه. ونحن حتى الآن القائمين بالإنفاق على المسجد

سنة ١٩٧٦ افتتح المسجد وله ٢٥٠٠٠٠ جنيه فى البنك عبارة عن شهادات استثمار

ثم بعثت رحلات حج بأسعار زهيدة جداً،والحجاج تمتعوا بكل الشعائر الاسلامية وفاضت لديهم نقود. فاض عند كل حاج، منهم من دفع مائة جنيه ومنهم من دفع مائتى جنيه، ومنهم من دفع مائة وخمسين جنيها برغم الإقامة الكاملة فلم يرفض طلباً للخير أبداً.

كانت أعماله – رحمه الله– كلها مشرفة ولا يستطيع أحد غيره أن يقوم بها.

■هل قام بمشروعات فى المحلة وطنطا؟

– فى المحلة أقام المستشفى العام وكانت المحكمة قديمة ومتهالكة فأقام مشروعاً للمحاكم وللإسعاف فى المحلة، أما عن طنطا فليست لدى معلومات عن مشروعاته هناك.

■هل استمرت علاقاتك به طويلاً؟

– حتى توفى – رحمه الله– وهو فى القاهرة حتى أيام اعتقاله ١٩٧١، استمرت العلاقة، وكنت أقوم بزيارته.

■هل تتذكر له مواقف مع أشخاص آخرين؟

– كان يقوم بعمل الخير لكل الناس، ولم يكن يتأخر عن عمل طيب لأى مواطن . .

لقد كان وجيه أباظه نموذجاً حياً للشهامة والمروءة، والإخلاص والتفانى فى العمل.

وكان مؤمنا، صالحاً . . وقد أدى خدمات جليلة لكل من طلب منه، فلم يتأخر أبداً عن

تقديم أية خدمة لمن يلجأ إليه. ولقد حاولوا مضايقتى بعد ذلك، فقد طلبت منى السيدة جيهان أن أتبرع للوفاء والأمل، ولكنى رفضت، ولم يمر شهر على ذلك حتى فوجئت بمندوبى الضرائب وقد أخذوا يبحثون ويتحرون، ولكننا والحمد لله نحن مسددون لجميع الضرائب.

كانت السيدة جيهان قد استدعت النبوى اسماعيل، قالت له: هناك شخص من المحلة اسمه فلان أقام مسجداً هناك بملايين الجنيهات، ويجب أن نأخذ منه للوفاء والأمل ولكنه رفض، فقاموا معى بأفعال لا ترضى الله.

كل مأموريات ضرائب المحلة جندت وكذلك الإسكندرية، حتى يقولون إننى متهرب فى الإسكندرية وفى القاهرة وفى المحلة ... وأولادى كذلك قالوا سينما راديو فى شارع سليمان باشا بالقاهرة ملكى بالإضافة لمحلات تجارية كلها ملكى وتقدر الثروة بمليار جنيه وطبعاً لم يكن ذلك صحيحاً.

كان هناك أمر تفتيش الساعة التاسعة صباحاً. فى القاهرة والاسكندرية والمحلة - والمصانع والأملاك. فكانت ساعة الصفر هى الساعة التاسعة صباحاً.

جاءوا فقلت لهم: ماذا تريدون؟

قالوا - نريد الدفاتر..

فسلمتها لهم وأخذوها وذهبوا.

ثم ذهبت إلى صلاح حامد وقلت له: أنا آتى إليك وكلى أسف هناك عقارات وأملاك وأطيان لم تكن مقيدة فى الإيراد العام. أنا آتى كى أدفع الضرائب المستحقة علىّ

ولكن لى طلباً واحداً يا سيادة الوزير .. أرجوكم أن تجمعوا لى هذه الأشياء.

اشكرك واشكر الوزارة والدولة التى استردت لى هذه الأملاك التى كانت تائهة عنى ولم أكن أجدها .

قلت له : اتصل بمطاوع مسئول الضرائب وحسين فهمى مسئول المكافحة واحضرهما هنا. كى يردا لى أملاكى وهى سينما راديو والمحلات والعمارات التى قالوا عنها ، فهى أملاك ضائعة منى ولا أعرف عنها شيئاً .

وبصراحة فى الدفاتر ملايين غير ظاهرة لم تظهرها دفاتر الضرائب يجب أن آخذ حقى :
قالوا: اتركنا شهراً أو شهرين ونحن نحسم الأمر.. وتأخروا علىّ سنة .

وجاءوا بالتقارير وقالوا : إن الحسابات جميعها مقيدة وليس بها أى مليم ناقص.

الفهـــرس



عربية للطباعة والنشر

٧ ، ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء المهندسين

تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

وجيه أباظة



١٠ سنوات في الحكم

هذا الكتاب يحوى صفحات من تاريخ ثورة يوليو، من خلال تجربة وجيه أباظة الرائدة والمتميزة فى الحكم المحلى..

ولقد سجل وجيه أباظة بنفسه بعضاً من هذه التجربة، كما عاشها فى بداية تطبيق هذا النظام فى مصر لأول مرة، كما أجرى المؤلف حواراً طويلا معه حول نفس الموضوع.. إلى جانب عدد من الحوارات مع الذين عايشوا معه هذه التجربة خلال عشر سنوات فى محافظات البحيرة، والغربية، والقاهرة.

ولقد خرجت الشهادات فى كثير من الأحيان إلى موضوعات تاريخية عديدة، قدم للكتاب السيد كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة ثورة يوليو، ونائب رئيس الجمهورية، وأول وزير للحكم المحلى فى مصر، تقديراً لتلك المسيرة البارزة.

وهو واحد من ثلاثة كتب تتناول موضوعات مختلفة عن الراحل العظيم.

وجيه أباظة



١٠ سنوات في الحكم

هذا الكتاب يحوى صفحات من تاريخ ثورة يوليو، من خلال تجربة وجيه أباظة الرائدة والمتميزة فى الحكم المحلى. .

ولقد سجل وجيه أباظة بنفسه بعضاً من هذه التجربة، كما عاشها فى بداية تطبيق هذا النظام فى مصر لأول مرة، كما أجرى المؤلف حواراً طويلا معه حول نفس الموضوع. . إلى جانب عدد من الحوارات مع الذين عايشوا معه هذه التجربة خلال عشر سنوات فى محافظات البحيرة، والغربية، والقاهرة.

ولقد خرجت الشهادات فى كثير من الأحيان إلى موضوعات تاريخية عديدة، قدم للكتاب السيد كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة ثورة يوليو، ونائب رئيس الجمهورية، وأول وزير للحكم المحلى فى مصر، تقديراً لتلك المسيرة البارزة.

وهو واحد من ثلاثة كتب تتناول موضوعات مختلفة عن الراحل العظيم.